



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة بابل

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية / الدراسات العليا

## الدراسات الثقافية في النقد الروائي العراقي

من ٢٠٠٣ - ٢٠٢١ م

أطروحة تقدمت بها الباحثة

أسماء محمد كاظم

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة بابل وهي جزء من  
مُتطلبات نيل شهادة الدكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها

بإشراف

أ. د. عبد العظيم رهيّف السلطاني

٢٠٢٣ م

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

((وَاللّٰی یَأْتُوْنَکُمْ بِسَمِیْعٍ لِّلّٰهِ

حَسْبُکُمْ بِالْحَقِّ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ

تَفْسِیْرٌ))

رَبِّهِمْ  
وَأَسْأَلُهُمْ

إِلَى كُلِّ قَطْرَةٍ دَمَعٍ ذَرَفْتُهَا  
أَلْمًا وَوَجَعًا مِنْ شِدَّةِ الْأَزْمَاتِ

.

.

.

إَلَيْكُنَّ ثَمَرَةٌ جُهْدِي وَإِصْرَارِي عَلَى  
تَحْقِيقِ مَا اخْتَرْتَهُ بِمِلءِ إِرَادَتِي.

## الشكرُ والثناء

أبدأ شكري بمن يعجزُ لساني عن إيفائه حقّه، والإشادة بصدقه وإخلاصه وتفانيه، أستاذي القدير الدكتور (عبد العظيم السلطاني) الذي أشرف على هذه الدّراسة، وأضاء المعتم منها، وصحّ مسارها، وقوّم إخفاقاتها. كما لا يفوتني أن أقرّ بفضل أستاذتي الراقية وأمي الغالية الدكتورة (هناء جواد عبد السادة) التي لولا فضل الله تعالى ودعواتها لما استطعت تجاوز الأزمات التي عكّرت صفو حياتي طيلة مدّة الدّراسة، والشكر موصول إلى مديرة مدرستي الست (سناء كاظم جاسم) المحترمة، التي لولا إنسانيتها العالية، ونبيل أخلاقها لما تيسّر لي انجاز دراستي في موعدها، كذلك الشكر موصول إلى العزيز الراقى بتواضعه وإنسانيته الدكتور (علي جواد عبادة) الذي أغدق عليّ بوقته الثمين، وصدق ملاحظاته، وحرصه، وعباراته المحفّزة التي تفيض حيوية. والشكر الجزيل إلى الصديقين العزيزين الدكتور (حمزة عبد الحمزة عليوي) والدكتور (عباس العامري)، كما أففُ عاجزة عن تقديم عبارات الشكر بحق زميلي الصديق (سعدون محسن سلطان، وحسين فاضل الحلو) لمؤازرتي وتشجيعهما المتواصل لي. وأختم شكري وثنائي بحق عائلتي الكريمة التي لو لا صبرهم الطويل، ومساندتهم لي، ومؤازرتي في أشدّ ظروفٍ لما وصلت إلى ما أنا عليه الآن.

## المحتويات

الصفحة	الموضوع
٤ - ١	المقدمة
١٨ - ٦	التمهيد: في الدراسات الثقافية والنقد الثقافي ونقد النقد
١٦٠ - ٢٠	الباب الأول: أسئلة المضامين
٢١ - ٢٠	مدخل
٥٩ - ٢٢	الفصل الأول: سؤال النسوية
٤٠ - ٢٥	أولاً: نقد الثقافة الأبوية
٤٨ - ٤٠	ثانياً: تقديم رؤية أنثوية
٥٩ - ٤٩	ثالثاً: الاحتفاء بالجسد
٩٨ - ٦١	الفصل الثاني: سؤال الهوية
٧٧ - ٦٣	أولاً: الأقلية اليهودية
٩٢ - ٧٨	ثانياً: الأقلية المسيحية
٩٨ - ٩٢	ثالثاً: الأقلية الأيزيدية
١٣٦ - ١٠٠	الفصل الثالث: سؤال الآخر
١٢٤ - ١٠٢	أولاً: الآخر المختلف
١٣٦ - ١٢٤	ثانياً: الآخر المؤتلف
١٦٠ - ١٣٨	الفصل الرابع: سؤال السلطة السياسية
٢٧١ - ١٦١	الباب الثاني: الرؤية الثقافية وأدوات النص النقدي
١٦٢ - ١٦١	مدخل
١٩٨ - ١٦٣	الفصل الأول: آليات الاشتغال النقدي
١٧٨ - ١٦٧	أولاً: التشكل السياقي
١٩١ - ١٧٨	ثانياً: التشكل النسقي
١٩٨ - ١٩٢	ثالثاً: التشكل اللساني
٢٢٦ - ٢٠٠	الفصل الثاني: موجّهات الرؤية النقدية

٢٠٧ - ٢٠٢	أولاً: موجّه معرفي
٢٢١ - ٢٠٨	ثانياً: موجّه إشهاري
٢٢٦ - ٢٢١	ثالثاً: موجّه أكاديمي
٢٧١ - ٢٢٨	الفصل الثالث: أدوات صياغة النصّ النقديّ
٢٤١ - ٢٢٨	أولاً: لغة النصّ النقديّ
٢٦٠ - ٢٤١	ثانياً: المصطلح وتجانب الاحتمالات
٢٧٠ - ٢٦١	ثالثاً: عتبات الكتابة في التصويب والبعد الفنيّ
٢٧٤ - ٢٧٢	الخاتمة
٢٩٧ - ٢٧٦	الملاحق
٣١٢ - ٢٩٩	قائمة المصادر والمراجع

# المقدمة

الحمد لله على وافر نعمه، ودوام توفيقه، والصلاة والسلام على أشرف الخلق، وسيّد المرسلين، أبي القاسم محمّد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.  
أمّا بعد:

أسئلة كثيرة تقف وراء هذه الدراسة لعل أظهرها: هل ثمة وعيٍ منهجي عميق في الخطاب النقديّ العراقيّ خاص بالنقد الثقافيّ والدراسات الثقافيّة، وإن كان ثمة وعي منهجي، فما حدوده؟ وما توجّهات الخطاب النقديّ العراقيّ الخاص بالدرس الثقافيّ وما طبيعة أسئلته ومضامينه ولغته؟ وما طبيعة جهازه المفاهيمي الذي قارب به السرد الروائيّ مقارنة ثقافيّة؟ رسمت هذه الأسئلة مسارًا للدراسة فجعلت الإجابة عنها تتبلور عبر بايين، كلّ منها يشتمل على فصول، يسبقهما تمهيدٌ عرضت فيه مفهوم الدراسات الثقافيّة والنقد الثقافيّ ونقد النقد الذي هو محور اشتغالنا، ثمّ ختمت هذا الجهد بنتائج لخصت فيها أبرز النتائج الكليّة التي توصّلت إليها بعد الرحلة الطويلة في رحاب المنجزات النقديّة العراقيّة، وقائمة بمصادر الدراسة ومراجعتها.

ولمّا كانت المضامين الثقافيّة محور اشتغال النقاد، بدأ جهدنا برصدها في الباب الأوّل، فجعلناه في أربعة فصول: درسنا في الفصل الأوّل منه سؤال النسويّة؛ للوقوف على مستوى الوعي الثقافيّ الذي يكتب به المبدع أولاً، والوعي الثقافيّ للناقد وهو يشتغل على إبداع الروائيّ ثانياً، ليتمّ بعد ذلك الإجابة عن تساؤلٍ مهمّ يتعلّق بقيمة الدراسات النقديّة الثقافيّة المتداولة في الأوساط الثقافيّة.

أمّا الفصل الثاني فناقشنا فيه وضع الأقليات المهمّشة، لمعرفة مقدار الوعي النقديّ لدى النقاد وهم يبحثون في هذه الظاهرة في الخطابات الروائيّة.

بينما الفصل الثالث رصدنا فيه العلاقة التي تربط الأنا العربيّ بالآخر الغربيّ، لمعرفة طبيعة تلك العلاقة، وهل كانت قائمة على مبدأ الاختلاف، أو الائتلاف؟ أو الاثنين معاً؟ وبعد الحديث عن أهمّ المضامين التي شكّلت ظاهرة في النقد الروائيّ العراقيّ واستدعت منّا الوقوف عندها والإجابة عن أسئلتها، أصبح ضروريّاً الوقوف على مستويات



تشكّل الرؤية النقدية وموجهاتها، ولهذا خصّصنا الباب الثاني لدراسة (الرؤية النقدية الثقافية وأدوات النصّ النقديّ). تضمّن الباب ثلاثة فصول، اتّجه الفصل الأوّل إلى رصد آليات الاشتغال النقديّ. أمّا الفصل الثاني فعرضنا فيه موجهات الرؤية النقدية التي وجّهت الناقد إلى السير في دراسته باتجاه معيّن. بينما رصد الفصل الثالث أدوات صياغة النصّ النقديّ، فجاء في ثلاثة محاور: عُني المحور الأوّل بلغة النصّ النقديّ، والمحور الثاني بالمصطلح وتجاذب الاحتمالات، والمحور الثالث انشغل بعنّبات الكتابة وأبعادها الفنية.

جاءت دراستنا قائمة على فحص العينات النقدية المطبوعة التي قدّمها الناقد العراقيّ في ميدان الإبداع الروائيّ للحقبة الزمنية الممتدّة من (٢٠٠٣ - ٢٠٢١م). وهناك جملة مسوّغات جعلتنا نختار هذه المدّة الزمنية منها الاستسهال النقديّ الموسوم بالدراسات الثقافية والنقد الثقافيّ، فالأطروحة قامت على فحص ذلك الكم الكبير من الدراسات. والمسوّغ الآخر نقديّ تقويمي يهدف إلى تشخيص العلل التي تفسّدت في التأليف العراقيّ في هذا المجال. وليس آخرًا قلّة الخطاب النقديّ المتابع للنقد نفسه، فالناقد أصبح يظنّ طروحاته هي آخر الفكر وأوله، وبناءً على هذا كانت الأطروحة تطمح إلى بعض الترويض لهذا الانفعال المزيف.

في مجال تحديد المتن النقديّ وقع اختيارنا على الكتب النقدية الثقافية التي وجدنا الباحث يربط فيها بين المنجز الإبداعيّ الروائيّ والواقع الثقافيّ الذي أسهم في إنجاز ذلك الإبداع. أو من طريق تبيان الباحث للتجليات الثقافية وتحولاتها في الخطابات الروائية. فمتى ما وجدنا أسئلة من هذا النوع في ممارسات نقدية عراقية تقع ضمن حقبة البحث تكون هدفًا لدراستنا، بصرف النظر عن عنوان الكتاب الذي ألفه الباحث؛ إذ إنّ سؤال البحث ينبغي أن يكون سؤالاً فكرياً ثقافياً، ويسعى إلى الكشف عن التغلغل الثقافيّ في عمق الخطاب الإبداعيّ، وليس سؤالاً فنياً جمالياً فحسب.

وبقيّ أن نوضّح مسوّغات اعتمادنا مصطلح (الباحث) بديلاً عن مصطلح (الناقد)؛ وذلك لأنّنا معنيون بكلّ الكتب النقدية ذات السياق الثقافيّ المطبوعة، سواء أكانت لنقاد متخصصين في هذا المجال، ولهم باع طويل في ميدان النقد، ولهم أكثر من كتاب نقديّ، أم كانت لباحثين أكاديميين، خاضوا غمار البحث تحت رقابة المؤسسة الأكاديمية ولجنة

علمية أجازت دراستهم تلك. فقاموا بطباعتها فيما بعد، لذلك يمكن أن يكون ذلك الكتاب المطبوع الممارسة النقدية الوحيدة للباحث في ميدان الدراسات الثقافية.

وبصرف النظر عن جملة الصعوبات والمعوقات التي واجهتني طوال مدة الدراسة، فإنني سأكتفي بذكر واحدة لا غير؛ بوصفها الأهم والمركز في محور اشتغالي، وقد تجلّت تلك الصعوبة في كيفية التعامل مع الكتب النقدية التي تستعين بإجراءات النقد الثقافي ولكنها لا صلة لها بذلك، والأشدّ صعوبة ومثّل تحدياً لمبدأ الموضوعية أنني أتعامل مع كتب نقدية خرجت من مؤسسات أكاديمية، وبعضها لأساتذة مختصين في ميدان النقد ومعاصرين للباحثة.

وفي الختام أقول: فإن قصرت في عملي فحسبي أنني اجتهدت وبذلت ما في وسعي، إذ لا يخلو أيّ جهدٍ من الهنات، وبفضل الله ومننه وبمساندة المشرف على هذه الأطروحة الأستاذ الدكتور عبد العظيم السلطاني تجاوزت الصعاب والمعوقات، فبصمات جهد أستاذي الكبير لا يمكن إخفاؤها، وملاحظاته الدقيقة والقيمة ساطعة ومضيئة، فله مني الشكر الجزيل والعرفان، وكذلك أقفُ إجلالاً واحتراماً لأساتذتي وزملائي لما أبدوه من طيب المساعدة، وواجباً عليّ وفاءً وعرفاناً بالفضل أن أقدم شكري وامتناني لكلّ من مدّ لي يد العون بدعوة صادقة، أو كلمة طيبة، أو أكرمني بمصدر، أو ملاحظة...، وأشكر الباري -عزّ وجل- وأسأله دوام التوفيق والسداد لي ولجميع الباحثين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحثة

التمهيد

في الدّراساتِ الثّقافيّةِ والنّقدِ الثّقافيّ ونقد النّقد

الدّراساتُ الثّقافيّةُ

النّقدُ الثّقافيّ

نقد النّقد

## الدراسات الثقافية

تاريخياً للدراسات الثقافية<sup>(١)</sup> الحديثة اتجاهان، يُمثل الاتجاه الأول مدرسة فرانكفورت الألمانية، والثاني مدرسة برمنجهام الإنكليزية، والملاحظ على المدرسة الأولى أنها ذات توجهٍ حدائِي. أمّا المدرسة الثانية التي ظهرت في النصف الثاني من الستينيات فإنها ذات توجهٍ ما بعد حدائِي.

يمكن استخلاص توجهات مدرسة فرانكفورت عن طريق جهود مؤسسيها، إذ نلاحظ أن جهود كلٍّ من فروم وماركيوز كانت باتجاه الفرويديّة والتحليل النفسي، وبالانتقال إلى هوركهايمر نرصد اتساع آفاقه المعرفيّة وتوسّع جهوده التي لم تقف عند حدود التحليل النفسي والظاهراتيّة، بل تعدهما إلى العناية بالجوانب الثقافية والإيديولوجيّة تماشيًا مع التغيّرات الاجتماعيّة<sup>(٢)</sup>، أمّا مدرسة برمنجهام فبدأت في الستينيات، ولاحقاً بنشر صحيفة تُعنى بالدراسات الثقافية، تفرّعت إلى مجالات عدّة: تعلق بعضها بوسائل الإعلام، والثقافة الشعبيّة، والثقافات الدنيا، والموضوعات ذات الصلة بالجنوسة والحركات الاجتماعيّة، وموضوعات أخرى متنوّعة<sup>(٣)</sup>، وهذا الانفتاح على المجالات المختلفة أتاح الفرصة لوسم الدراسات الثقافية بأنّها دراسات سوسيولوجيّة في أفضل حالاتها، فهي تطورت داخل ميدان علم الاجتماع، إذ إنّ علماء الاجتماع باستطاعتهم الإسهام في مشروع التحليل الثقافي من خلال التركيز على المؤسسات والعلاقات الاجتماعيّة، فضلاً عن محاور التمايز الاجتماعيّ الثابتة كالطبقة

(١) لمن يرغب بالاطّلاع على تاريخ الدراسات الثقافيّة مراجعة كتاب نقد النقد الثقافي رؤية في مساءلة المفاهيم والضبط المعرفي، د. عبد العظيم السلطاني، دار الرافدين- بيروت، ط١، ٢٠٢١م: ٢١-٣٠.

(٢) يُنظر: مدرسة فرانكفورت، توم بوتومور، تر: سعد هجرس، مر: د. محمد حافظ دياب، دار أوبيا، ط٢، ٢٠٠٤م: ١٧.

(٣) يُنظر: النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسيّة، آرثر أيزابجر، تر: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي، المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م: ٣١. ويُنظر: مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، د. حفناوي بعلي، منشورات الاختلاف- الجزائر، والدار العربيّة للعلم ناشرون- لبنان، ط١، ٢٠٠٧م: ٢٤.

والمكانة والنوع الاجتماعي والعرق، فقد ظهرت في حقل علم الاجتماع علامات مشجعة على بناء أسس لنظرية نقدية في العلوم الاجتماعية والدراسات الثقافية<sup>(١)</sup>.

عملت الدراسات الثقافية على إظهار تنوع المعرفة ووضحت توجهاتها، وعملت على تجنب الانقسام بين نمطين للمعرفة: نمط ضمني والمراد به المعرفة البديهية (الثقافات المحلية)، ونمط الأشكال الموضوعية (الثقافات العالمية)، وأنها تناولت موضوعات ترتبط بالعادة الثقافية وممارساتها وعلاقتها بالسلطة؛ الغاية من ذلك تسليط الضوء على أثر تلك العلاقات في الممارسات<sup>(٢)</sup>، وهي ممارسات ثقافية تنظر إلى النص على أنه خطاب يتجاوز خصوصيته الجمالية إلى إنتاج ثقافي ذي علاقات متشعبة وواسعة.

وتشتغل الدراسات الثقافية في مجمل متعلقات الثقافة، وبالطرائق التي تولد بها، وتسلط الضوء على المنجزات الفردية والحياة اليومية والعلاقات الاجتماعية، وبيان الطرائق التي بواسطتها تتحول الخبرات إلى سلطات تمارس تأثيرها في الفرد والنص<sup>(٣)</sup>، فالثقافة بهذا المعنى تمارس وظيفة إعادة توزيع النصوص بحسب تصريح (ستيفن زولكيسكي) ودمجها في نظام أوسع يُعرف بالنظام السوسيو- ثقافي<sup>(٤)</sup>، فضلاً عن أهميتها الكبيرة في مناقشة المنجزات الثقافية ورصد أشكالها الخفية التي تحتضنها المقولات الثقافية لكي تندرج في أشكال من الممارسة الإيديولوجية والسياسية غير البريئة التي تُركز عليها [حقب] تاريخية لكي تمارس أبعاد الأشياء التي يمكنها أن ترتبط بمعنى الثقافة<sup>(٥)</sup>، لكن مفهوم الثقافة متشعب وواسع إلى درجة يصعب فيه وضع تعريف شامل لها، فالثقافة كما يُعرفها تايلور: "المركب

(١) يُنظر: سوسولوجيا الفن طرق للرؤية، ديفيد انغليز وجون هغستون، تر: د. ليلي الموسوي، مر: د. محمد الجوهري، عالم المعرفة - الكويت، ط ١، ٢٠٠٧م: ١٤٩ - ١٥٠.

(٢) يُنظر: أقدم لك الدراسات الثقافية، زيودين ساردار وبودين فان لون، تر: وفاء عبد القادر، مر: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة، ٢٠٠٣م: ١٣.

(٣) يُنظر: أفق الدراسات الثقافية، د. فيصل الأحمر، منشورات الاختلاف- الجزائر، والضاف- بيروت، ط ١، ٢٠١٩م: ٧.

(٤) يُنظر: نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، د. حسين خمري، الدار العربية للعلوم ناشرون- لبنان، ومنشورات الاختلاف- الجزائر، ط ١، ٢٠٠٧م: ٣٧.

(٥) أفق الدراسات الثقافية، د. فيصل الأحمر: ٧.

الذي يضم المعرفة والاعتقاد والفن والأخلاق والقانون والأزياء وكل الملكات الأخرى والعادات التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في مجتمع<sup>(١)</sup>، ولكي يفهم هذا الكم المركب في أي منجز أدبي لا يتم من دون النظر إليه في شبكة من العلاقات المتشعبة، إذ نجد أنّ الثقافة تهدف إلى دراسة "العلاقة بين أشكال النصوص والممارسات الثقافية من جهة وبين كل ما هو غير ثقافي من جهة أخرى، مثل الاقتصاد، والعلاقات أو الاختلافات الاجتماعية أو الإثنية، والمسائل القومية وقضايا الهوية"<sup>(٢)</sup>، وهذه هي نقطة التشابه بين الثقافة والدراسات الثقافية، فكلاهما يبحث في العلاقات المتشعبة، فليس همّ الدراسات الثقافية مقصوراً على دراسة الثقافة، بل غايتها فهم الثقافة بكلّ تجلياتها المركبة والمعقدة ومدى تأثيرها في شكل الممارسات الثقافية<sup>(٣)</sup>.

وتدخل الدراسات الثقافية أيضاً في حقول المعرفة كافة كعلم الاجتماع والتاريخ والفلسفة والنقد الأدبي<sup>(٤)</sup>، وإنّ مشروع عملها قائم على فهم اشتغال الثقافة وطرائق دراستها، ومدار اشتغالنا -في هذه الدراسة- مقصور على دور الدراسات الثقافية في الحقل الروائي الذي هو ضمن الحقل الأدبي.

وتُعدّ الدراسات الثقافية نقطة تحوّل في دراسة الأدب إذ لم يعد يُنظر إليه نظرة جمالية خالصة، بل يُنظر له بوصفه حادثة ثقافية تمارس فيها الثقافة دورها، فكان هذا مدعاة لتوجّه الدراسات الثقافية إلى الكشف عن الأشكال الأيديولوجية التي تعبّر بها هذه الممارسات عن نفسها في خطابات وأشكال مختلفة، محدّدة بذلك مجالاً بحثياً جديداً للنقد الأدبي تمثّل في دراسة العلاقة بين الأدب والممارسات الثقافية وتبئير القراءة على الكيفية التي يتم بها بناء الخطاب وتنظيمه وتفحص نوع الآثار التي تحدثها هذه الأشكال لدى قرّاء محدّدين في

(١) مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، طوني بينيت وآخرون، تر: سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة- بيروت، ط ١، ٢٠١٠م: ٢٣٢.

(٢) الدراسات الثقافية: مقدمة نقدية، سايمون ديورنغ، تر: د. ممدوح يوسف عمران، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، ٢٠١٥م: ١١.

(٣) يُنظر: أقدم لك الدراسات الثقافية: ١٣.

(٤) ينظر: موسوعة النظرية الثقافية المفاهيم والمصطلحات الأساسية، أندرو إيدجار وبيتر سيدجويك، مر: محمد الجوهري، تر: هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة- القاهرة، ط ٢، ٢٠١٤م: ٢٩٩.

وضعية محدّدة<sup>(١)</sup>. ويمكن رصد العلاقة بينها وبين النقد الأدبي كاعتمادهما "في تحليلات التّصوُّص الأدبيّة أو الثقافيّة على تخصصات معرفيّة أخرى مثل علم الاجتماع والفلسفة والتحليل النفسي والتاريخ واللغويات"<sup>(٢)</sup>، لذلك فهي -الدراسات الثقافيّة- متداخلة الاختصاصات، فضلاً عن استعانتها بمناهج متعدّدة ومقاربات تتداخل مع النظريّات الاجتماعيّة والنسويّة وغيرها؛ لأنّها تُعنى بالمعنى الذي يولّده النصّ الثقافيّ انطلاقاً من دراسة شكله وبنيته وسياقاته مما يمنحها حرّيّة الحركة بين مختلف المجالات والتخصّصات لتقديم تصوّر شموليّ للنصّ.

ومنحت الدراسات الثقافيّة فرصة لتأسيس فرع آخر وهو النقد الثقافيّ، فكانت الحاضنة له، وهذا ما سيتمّ الحديث عنه في المحور الثاني.

### النقد الثقافيّ

يُعدّ مجيء النقد الثقافيّ في الواقع الثقافيّ العربيّ "استجابة منهجية طبيعية للتغيرات التي شهدتها عملية الإنتاج الأدبيّ والثقافيّ في المجتمعات العربيّة الحديثة والمعاصرة التي تتطلب صنفاً آخر من النقد غير النقد الأدبيّ، وهذا الصنف هو النقد الثقافيّ"<sup>(٣)</sup>، الذي يسعى إلى "التركيب بين المتجانس من التيارات المختلفة، والنمذجة المؤلّفة بين المناهج المتعددة، والإنجاز المتميّز في صلب الثقافة العربيّة"<sup>(٤)</sup>. يُفهم مما ورد أنّاً أن الغاية من النقد الثقافيّ توسيع دائرة الاشتغال لفتح آفاق النصّ على مجالات متنشّبة وواسعة، هذه الفضاءات تُسهم الثقافة في تشكيلها، الذي يلعب دور الوسيط بين النصّ والثقافة هو القارئ، وهذا النوع من

(١) ينظر: النقد والأيدولوجية، تيري اجلتون، تر: فخري صالح، المشروع القومي للترجمة - القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م: ٧٤.

(٢) الدراسات الثقافيّة مقدمة نقدية، سايمون ديورنغ: ١٠.

(٣) ما النقد الثقافيّ؟ لماذا؟ عبد النبي اصطيف، مجلة فصول، مج٢٥، ع٩٩٤، ربيع ٢٠١٧م: ١٧.

(٤) مناهج النقد المعاصر، د. صلاح فضل، ميريت للنشر والتوزيع والمعلومات، القاهرة- مصر، ط١، ٢٠٠٢م: ١٩٤.

القراءة يتطلّب وعياً بالمنجز الثقافيّ للوصول إلى المعنى<sup>(١)</sup>، وإدراك العلاقة بين الثقافة والعناصر الأدبيّة التي يتشكّل منها النصّ.

وفي الحقل الأدبيّ تحديداً، تكون مهمة النقد الثقافيّ ربط الأدب بسياقه الثقافيّ غير المعلن، فهو بهذا المعنى لا يتعامل مع النصوص والخطابات على أنّها رموز جماليّة ومجازات شكلية موحية، بقدر ما هي نصوص وخطابات حاملة أنساقاً ثقافيّة ذات صلة بمجالات الحياة المختلفة: اجتماعيّة، وسياسيّة، وأخلاقيّة... بمعنى آخر أن النقد الثقافيّ يرتكز على بعدين متناقضين أحدهما ظاهر (معلن)، والآخر مخفيّ (مضمّر)، يسعى في الأوّل إلى تفكيك كلّ ما هو ظاهر من أنظمة النصوص الثقافيّة، كاشفاً عن عللها. في حين يسعى في الثاني إلى كشف السياقات الثقافيّة المضمرة في النصوص. هذا ما أشار إليه الناقد العربيّ (عبد الله الغدامي)، في حين أنّ الدكتور (عبد العظيم السلطاني) يرى تقييد النقد الثقافيّ بالتفتيش عن الأنساق الظاهرة والمضمرة يُضيق أهدافه وغاياته، فبإمكان النقد الثقافيّ توسيع دائرة اشتغاله ليبحث في النسق الثقافيّ المخفيّ المحرّك لأنساق الخطاب، وهذا النسق يختلف عن النسق المضمّر الذي أشار إليه الغدامي، فهو عند السلطاني "نسق ذهنيّ تجريديّ ومخفيّ. فهو في صفة الخفاء يشترك مع النسق الثقافيّ المضمّر. والفرق بينهما أنّ للنسق المحرّك صفة الإنتاج النسقيّ للخطاب، ولا علاقة له بمسألة مناقضة النسق الظاهر. فهو محرّك ومنتج، وهو ليس محمولاً في الخطاب بل يُستدل عليه. في حين النسق المضمّر محمول في الخطاب، وهو مخفيّ، ومناقض للنسق الظاهر"<sup>(٢)</sup>، فالاستدلال على النسق الثقافيّ المحرّك يكون عن طريق تحليل الخطاب وفتح آفاقه على الواقع التاريخيّ والثقافيّ، لكن لا يفهم من هذا أنّ نقطة التحوّل في النقد الثقافيّ تكمن في عودته إلى أحضان الدراسات السياقيّة بوصفها أنساقاً خارجيّة مؤثّرة، بل بوصفها مدلولات شاهدة على تحولات الثقافة المعاصرة يتعالق فيها المتن الثقافيّ بفعلي الإنتاج والتلقّي<sup>(٣)</sup>، فالنقد الثقافيّ قام بمهمة

(١) يُنظر: استراتيجيات القراءة في النقد الثقافيّ نحو وعي نقدي بقراءة ثقافية للنص، عبد الفتاح أحمد يوسف، من كتاب النقد الثقافيّ والدراسات الثقافيّة، إشراف: عز الدين إسماعيل، المنار العربيّ - الجيزة، ط ١، ٢٠٠٦م: ١٦٨.

(٢) نقد النقد الثقافيّ رؤية في مسألة المفاهيم والضبط المعرفي، د. عبد العظيم السلطاني: ٣٤.

(٣) يُنظر: بويطيقا الثقافة نحو نظرية شعرية في النقد الثقافيّ، د. بشرى موسى صالح، دار الشؤون الثقافيّة - بغداد، ط ١، ٢٠١٢م: ٩.



استبدال "البنية الأدبية أو الفنية المنغلقة على نفسها في حالات الإبداع المتباينة الأشكال والأنواع بالبنية المفتوحة على ثقافتها المتفاعلة معها"<sup>(١)</sup>. وبناءً على ما ورد آنفًا أمكننا القول: إنَّ الدراسات الثقافية والنقد الثقافي كلاهما يبحث في الثقافة، وأثرها في إنتاج الخطابات الأدبية؛ لتقديم قراءة شمولية أكثر عمقًا، وللوصول إلى نوع الثقافة السائدة والمتحكِّمة في وعي المبدعين لحظة الخلق الإبداعي، ولكن هذا لا يعني أنَّ كلاهما ينطلق من رؤية واحدة، أو يستند على إجراءات مشتركة. وهذا ما سنفصل القول فيه من تشابه واختلاف ما بين الدراسات الثقافية والنقد الثقافي.

### الدراسات الثقافية والنقد الثقافي (التشابه والاختلاف)

يقع النقد الثقافي ضمن نطاق الدراسات الثقافية فهو فرع من فروعها يُلبّي بعض اهتماماتها الواسعة المتشعبة. وهو في موقعه له خصوصيته واشتراطات معينة، مكننا من الاستدلال عليها أكثر من باحث. منهم الغدامي في منجزه الذي لخص فيه شروط النقد الثقافي التي يمكن إجمالها بالآتي:

على مستوى الخطاب: يكون الخطاب في النقد الثقافي جماهيريًا، ومقبولًا، ومستهلکًا، وهي شروط صرح بها الغدامي في كتابه (النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية)، في حين لا نجد هذه الشروط في الدراسات الثقافية التي لا تميّز الخطاب النخبوي من الجماهيري، فالأخيرة تُركّز على الحاضر والثقافة الشعبية<sup>(٢)</sup>.

على مستوى النسق الظاهر والمعلن: النقد الثقافي يُركّز جلَّ عنايته على كشف الأنساق المضمرّة وغير المصرّح بها، وبحسب تعبير الناقدة كاثرين بيلسي\* يبحث عن

(١) في محبة الأدب، د. جابر عصفور، مكتبة الأسرة - القاهرة، ط ١، ٢٠٠٣م: ١٥.

(٢) يُنظر: من الدراسات الثقافية إلى النقد الثقافي حوار مع الناقدة كاثرين بيلسي، أجرى الحوار بول بومان، تر: صلاح كعواش، مجلة وثائق، ع ٣، ٢٠٢١م: ٢٧.

المعاني والدلالات أينما وجدت<sup>(١)</sup>، بخلاف الدراسات الثقافية التي تُعنى بدراسة الظواهر الثقافية ذات الحضور الواضح والمصرّح به في الخطاب.

أمّا على مستوى الأدوات الإجرائية: هناك أدوات إجرائية لخصها الغدّامي وهي الجملة الثقافية، والتورية الثقافية، والدلالة النسقية، والمؤلف المزدوج... وهذه الأدوات لا وجود لها في الدراسات الثقافية بوصفها العام<sup>(٢)</sup>.

وبعض الاشتراطات التي فُصرت على النقد الثقافي لتمييزه عن الدراسات الثقافية أسهمت في تضيق مساحة اشتغال النقد الثقافي على حدّ قول الدكتور السلطاني، فهو يرى أنّ النقد الثقافي يتناول بالدرس النصوص الرسمية وغير الرسمية (الهامشية)، فضلاً عن عدم اقتصره على دراسة النسق الظاهر والمضمّر بل يتعدّاهما إلى دراسة النسق الثقافي المخفيّ المحرّك للخطاب، فرأي السلطاني في النقد الثقافي لا يقف عند حدود النصّ الجمالي بل يتجاوزه إلى ما هو غير جماليّ كالنصوص النقدية، فهي الأخرى تتضمن أنساقاً ثقافية مضمرة ومخفية<sup>(٣)</sup>.

والنقد الثقافيّ كان من بين المسارات النقدية الوافدة إلى الدراسات النقدية العربية في عصرها الحديث. ويُلاحظ أنّ الغالب على المنجزات العربية في مجال التنظير للدراسات الثقافية أنّها لم تكن نابعة عن معرفة أو مرجعيّات فكرية ذات جذور عربية وإنّما لظواهر الترجمة أثرها البارز في نقل الفكر الغربيّ بكلّ حمولاته، وهي ترجمة يمكن أن تكون مستساغة ومقبولة لو قدّمت نفعاً في تحديث الفكر العربيّ وبخلافه تفنقر الترجمة إلى الارتقاء لمستويات توّهلنا إلى الإبداع والابتكار<sup>(٤)</sup>، من هنا جاءت دعوة الدكتور (طه عبد الرحمن) إلى ضرورة

<sup>(١)</sup> كاتبة وناقدة أدبية بريطانية، عملت رئيسة لمركز نظرية الثقافة والنقد في جامعة كارديف من عام ١٩٨٨ إلى عام ٢٠٠٣. يُنظر: صحيفة الثورة، ١٦ أيار، ٢٠٢٣، <https://thawra.sy/?p=464499>.

<sup>(٢)</sup> يُنظر: من الدراسات الثقافية إلى النقد الثقافي حوار مع الناقدة كاثرين بيلسي، أجرى الحوار بول بومان، تر: صلاح كعواش، مجلة وثائق، ع٣، ٢٠٢١م: ٢٨.

<sup>(٣)</sup> يُنظر: النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبد الله الغدّامي: ٦٣ - ٨٣.

<sup>(٤)</sup> يُنظر: نقد النقد الثقافي رؤية في مساعلة المفاهيم والضبط المعرفي، د. عبد العظيم السلطاني: ٣٥ - ٣٦.

<sup>(٥)</sup> يُنظر: روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي - المغرب، ط١، ٢٠٠٦م: ١٦٠.

تحديد الغاية من الترجمة أو وضع هدف مقصود لذاته كأن يكون التأثير بالمتلقي "وليس هذا المتلقي إلى شيء أحوج منه إلى تحرير عقله؛ فإن ينبغي أن يعمل المترجم على تحقيق هذا التحرير للعقل"<sup>(١)</sup>؛ ولهذا كانت محاولة الدكتور خطوة ناجحة في سبيل الارتقاء بالدراسات الثقافية العربية، وهو قصور اعترى الدراسات الثقافية على المستوى النظري في الساحة العربية، في مقابل اتساع مديات التنظير للنقد الثقافي<sup>(٢)</sup>. يُعَلِّد الدكتور (خالد سهر) عزوف المنظرين عن خوض غمار البحث في الدراسات الثقافية في مقابل التمسك بالنقد الثقافي، وهو عزوف نابع من الدراسات الثقافية ذاتها، فهي أشبه بشبكة عنكبوتية لها صلة بكل شيء، فتوقع باحثيها في مناطق مرعبة وملغومة يتعذر عليهم فكّ تشعباتها والتمييز بينها، في حين يتوهم الباحثون غياب هذا التشبُّت والضياع في حقل النقد الثقافي، ومسوّغهم في هذا التوهم أنّ النقد الثقافي يتعامل مع نصّ أدبيّ جماليّ تتم مقارنته ثقافيّاً لرصد أنساقه القابضة في أعماقه<sup>(٣)</sup>. وفي موضع آخر يشخص مكمّن القصور في دراساتنا الثقافية العربية،

(١) يُنظر: روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، طه عبد الرحمن: ١٦١.

(٢) نذكر على سبيل المثال: كتاب العالم والنص والناقد، إدوارد سعيد، تر: عبد الكريم محفوظ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠م. كان سعيد من المنادين بضرورة وضع النصوص في سياقاتها الثقافية، إذ لا يولد نص معزولاً عن سياقه الثقافي، وأوكل مهمة الكشف عن الأنساق القابضة في النص إلى الناقد. يُنظر: ٣١. والملاحظ عليه أنّ أفكاره غريبة بامتياز.

-النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبد الله الغدامي. دعا دعوة صريحة إلى الاستعانة بالنقد الثقافي بقوله: "بما إن النقد الأدبي غير مؤهل لكشف هذا الخلل الثقافي فقد كانت دعوتي بإعلان موت النقد الأدبي، وإحلال النقد الثقافي مكانه": ٨، وينظر أيضاً الصفحات من ١١-٥٠.

-النظرية والنقد الثقافي الكتابة العربية في عالم متغير، واقعها، سياقاتها، وبنائها الشعورية، د. محمد جاسم الموسوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - لبنان، ٢٠٠٥م.

-تمارين في النقد الثقافي، د. صلاح قنصوة، دار ميريت - القاهرة، ط ١، ٢٠٠٧م.

-النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب، د. سمير الخليل، دار الجواهري - بغداد، ط ١، ٢٠١٢م.

-بوتيقا الثقافة نحو نظرية شعرية في النقد الثقافي، د. بشرى موسى صالح.

-النقد الثقافي ريادة وتنظير وتطبيق العراق رائداً، حسين القاصد، التجليات للنشر والترجمة والتوزيع - القاهرة، ط ١، ٢٠١٣م.

-النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي العراق أنموذجاً، د. عبد الرحمن عبد الله، دار الشؤون الثقافية - بغداد، ٢٠١٣م.

(٣) يُنظر: الدراسات الثقافية مدخل تطبيقي، مايكل رايان وآخرون، تر: د. خالد سهر، دار بغداد - العراق، ط ١، ٢٠١٦م: ١٤ - ١٥ من مقدمة المترجم.

فأغلب الدراسات تضع جُلَّ عنايتها في الجانب النظريِّ للمفاهيم والمناهج النقدية، وعند الوقوف على الجانب التطبيقيِّ نلاحظ عليها التكلُّم والغموض، ولعلَّ مردَّ ذلك إلى دراسة المفاهيم مجردة من حواضنها الفكرية وسياقاتها الثقافية<sup>(١)</sup>، فعلى مستوى اشتغالهم بالنقد الثقافيِّ عملوا على تجريده من حاضنته ألا وهي الدراسات الثقافية، وهذه الأخيرة هي الميدان الأشمل لكلِّ ما يتعلَّق بالدرس الثقافيِّ.

أمَّا الناقد محمد مفضل فلا ينكر وجود الدراسات الثقافية العربية، ولكنه يراها "بحاجة لدراسة جادة ومنهجية من موقع التفكير حول التفكير، أي رصد إشكالياتها في السياق التاريخيِّ للمجتمع العربيِّ وفي تفاعل هذه الدراسات مع التطور الفكريِّ والسياسيِّ والاقتصاديِّ لهذا المجتمع"<sup>(٢)</sup>. وهذه الدراسة الجادة وجدنا ملامح نضوجها عند الناقد الأكاديميِّ الدكتور عبد العظيم السلطاني، فجهوده أسست لمشروع ثقافيِّ يتجاوز النقد الأدبيِّ التقليدي، فالدكتور فيصل النعيمي يصف منجزات السلطاني بأنها ليست "مجرد محاولات كتابية تتفحص مشروعاً عربياً جديداً، بل يؤسس لمشروعه الخاص الذي يحاور من سبقه بروح المنهج العلميِّ ويحاول أن يعبر عن رؤيته الخاصة لهذا النمط المعرفيِّ الجديد"<sup>(٣)</sup> فمنجزات السلطاني مشروع عربيِّ ينطلق من مسوغات عربية استندت استحداث هكذا دراسات تُعنى بالثقافة العربية، وبالظروف السياسية والاجتماعية والدينية التي تشترك جميعها في تشكيل ثقافة المبدع، فهذه الثقافة وباشتراكها مع المؤلف الواقعيِّ يطلق عليهما الناقد العربيِّ (عبد الله الغدامي) بالمؤلف المزودج، إذ يسهمان معاً في الخلق والإبداع.

(١) يُنظر: الدراسات الثقافية مدخل تطبيقي، مايكل رايان وآخرون، تر: د. خالد سهر: ١٩.

(٢) الدراسات الثقافية التمهيد، الهيمنة والصراع، تر: محمد مفضل، دار شهريار - العراق، ط ١، ٢٠١٩م: ٥.

(٣) خطاب نقد النقد عند الدكتور عبد العظيم السلطاني بحث في: المصطلح والأصول والمنهج، أ. د. فيصل غازي النعيمي، مجلة الأديب الثقافية، ع: ٤، السنة الثالثة ٢٠٢٢م: ٤٩.

## نقد النقد

نقد النقد ممارسة نقدية مهمته فحص ما تراكم في المنظومة النقدية، متخذًا بذلك النقد موضوعًا له، يفحصه ويدقق في آلياته الإجرائية.

تاريخياً لم يكن نقد النقد حقلاً مستحدثاً في العلوم الإنسانية، بل ظهرت ارهاصاته في أواخر القرن التاسع عشر بمصطلحات تقترب من حقل اشتغاله، وقد أشار إليها الناقد محمد الدغمومي<sup>(١)</sup> وفصل القول فيها الدكتور عبد العظيم السلطاني<sup>(٢)</sup>. ومدار اشتغال نقد النقد هو الخطاب النقدي لا الخطاب الأدبي، ولكن هذا لا يعني عدم حضور الخطاب الأدبي في نقد النقد، وهذا خلاف ما يراه الدكتور حميد لحداني من أن "نقد النقد مرتبط بنقد الإبداع لا الإبداع ذاته"<sup>(٣)</sup> وقوله هذا يخرج الأدب من دائرة اشتغال نقد النقد. ويُزِيل الناقد باقر جاسم محمد ذلك اللبس الحاصل في مسألة دخول النص الأدبي في مقاربات نقد النقد أم لا بقوله: يُقدِّم ناقد النقد قراءة نقدية موضوعها النص الأدبي الذي كان مدار نقد الناقد الأول، فهي قراءة مزدوجة تتجه إحداهما باتجاه النص النقدي، والأخرى باتجاه النص الأدبي، وتتضح تجليات حضوره إما على شكل ردود واعتراضات وتصويبات لآراء الناقد الأول، وإما إعادة فحص وتقويم النص الأدبي برمته، بمعنى أن ناقد النقد على تماس تام بالنص الأدبي، فينتقل منه وصولاً إلى النقد الذي كُتِبَ حوله؛ لخلق رؤية شمولية لكل ما كُتِبَ، وتقديم دلائل تُرجِّح رأياً على آخر في أي اختلاف بين النص النقدي والنص الذي يتناوله بالنقد<sup>(٤)</sup>، فإذا كان النقد "لغة ثانية تشتغل على لغة أولى وهي الإبداع الأدبي، فإن نقد النقد لغة ثالثة تشتغل على نقد الإبداع، لكن رغم اختلافهما في الموضوع فهما يتفقان من حيث طبيعة

(١) يُنظر: نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، محمد الدغمومي، منشورات كلية الآداب بالرباط- المغرب، ط١، ١٩٩٩م: ١١٤.

(٢) يُنظر: مقاربات في تنظير نقد النقد الأدبي، د. عبد العظيم السلطاني، دار تموز ديموزي، ط١، ٢٠١٨م: ٥٢-٧٩.

(٣) سحر الموضوع عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر، د. حميد لحداني، مطبعة أنفو- برانت- المغرب، ط٢، ٢٠١٤م: ٩.

(٤) يُنظر: نقد النقد أم الميتا نقد؟ محاولة في تأصيل المفهوم، د. باقر جاسم محمد، مجلة عالم الفكر، ع٣، مج٣٧، ٢٠٠٩م: ١١٩-١٢٠.

الخطاب القائم على أسس نظرية وأدوات إجرائية تؤطر الممارسة التحليلية<sup>(١)</sup> بمعنى أن هناك حدوداً فاصلة واختلافاً واضحاً بين مجال النقد ونقد النقد في كل من الموضوع، والأسس المعرفية، والأدوات المنهجية والإجرائية.

يتجاوز مفهوم نقد النقد مجرد كونه عملية رقابية على الممارسة النقدية، وكذلك مجرد تعقيب قاذح على النقد الأدبي، إلى كونه ممارسة موضوعية تلتزم بمفهوم النقد الذي هو نظر تحليلي موضوعي لنص أو نصوص عدة مستنداً إلى ذخيرة مفاهيمية ورؤية منهجية من أجل إظهار العيوب في واقع النص المنقود، فلا شيء يدعو لأن يكون نقد النقد الأدبي ممارسة تعقيب على النقد أو ملاحظات عليه فحسب<sup>(٢)</sup>، وهذا يفرض على ناقد النقد الأدبي تحدياً أن يكون متسلحاً بمعرفة كافية "بمناهج نقد النصوص الإبداعية، فضلاً عن المعرفة المنهجية الخاصة بنقد أي نص نقدي أو خطاب نقدي. لأن ناقد النص الإبداعي قد يكون استعمل -وهو ينبغي أن يستعمل- منهجاً معيناً أو مجموعة مناهج ذات صلة مباشرة بتحليل النصوص الإبداعية"<sup>(٣)</sup>، وهذا التسلح ضروري؛ لتمكين ناقد النقد من ضبط إيقاع ذلك الخطاب وتقليب مستويات صياغته أولاً، والوقوف على هفوات الناقد المنهجية التي ألزم نفسه بها في مستهل منجزه النقدي ثانياً.

وهناك ثلاث قضايا جوهرية ينبغي على ناقد النقد أن يتصدى لها وهي بمثابة ضوابط التحليل في نقد النقد. هذه القضايا أشار إليها الناقد حميد لحداني مستعيراً إياها من الباحثة (جوهانا ناتالي)، وهذه القضايا هي:

أولاً: الأهداف: مهمة ناقد النقد هنا تحديد الرؤية المنهجية التي استند عليها ناقد النص الإبداعي؛ وذلك ليتسنى له تحديد غايات الناقد، ومدى توافق النتائج مع تلك الغايات. الأمر الآخر أن كل منهج من مناهج النقد المتداولة يركز على جانب واحد من جوانب النصوص موضع الدرس والتحليل، فبعض هذه المناهج معني بالكشف عن ذات الأديب

(١) نقد النقد في المفهوم والمصطلح والمقاربة المنهجية، د. محمد مريني، مجلة البيان - الكويت، ع ٤٥، ٢٠٠٨م: ٧.

(٢) يُنظر: مقاربات في تنظير نقد النقد الأدبي، د. عبد العظيم السلطاني: ٦٢.

(٣) م. ن: ٤٦.

وأثرها في ولادة النصّ الإبداعيّ، أو يُركّز جلّ عنايته على الإفصاح عن الدلالة الاجتماعية أو التاريخية. وبعضها الآخر يُشغل نفسه ببنية النصّ الداخليّة.

هناك من النقاد من يستعين بمنهج واحد في دراسته، ومنهم من يُزاح بين منهجين أو أكثر، وغاية عمل ناقد النقد فحص مقدار الدقّة في توظيف إجراءات ذلك المنهج، ومقدار الانسجام في التوليف بين أكثر من منهج. هذا في حال لو صرّح الناقد بالمنهج الذي يستعين به في عمله، أمّا إذا لم يُصرّح فإنّ مهمّة ناقد النقد ستكون مضاعفة؛ لأنّ جهده سيكون باتجاه رصد المصطلحات التي يُكرّرها الناقد أثناء عمله وهو ما اقترحه لحمداني، أو اللجوء إلى فحص المراجع التي استقى منها الناقد مادته لتحديد المنهج المتّبع على حسب تصريح جوهانا ناتالي<sup>(١)</sup>.

ثانياً: المتن: وهو أيضاً مدار اشتغال ناقد النقد؛ لوجود غايات مقصدية استدعت هكذا نوع من الدراسة. هذا المتن كلّما كان محدّداً من لدن الناقد منحه القدرة على ضبط النصّ وتحقيق الانسجام بين الجانبين النظريّ والتطبيقيّ، وبخلاف ذلك سوف يفقد الناقد قدرته على التركيز. وأيضاً المتن المنتخب للدراسة والتحليل يؤدي دوراً رئيساً في تحقيق غايات الدراسة لو انتقي بعناية فائقة، أمّا إذا جرى خلاف ذلك فإنّ النتائج سوف تأتي متواضعة وعاجزة عن تحقيق الفعاليّة المرجوة من الدراسة<sup>(٢)</sup>. مكن الصعوبة التي تواجه ناقد النقد تصب في تشعب النصّ النقديّ، ويزداد الأمر صعوبة عندما يكون الاشتغال في حقل نقد النقد الثقافيّ على حدّ قول الدكتور عبد العظيم السلطاني، أي عندما يكون "نقد النقد منصبا على نصّ نقدي كانت أسئلته ثقافية وهمّه الرئيس والأساس مساعلة البعد الثقافي في النصّ الأدبي"<sup>(٣)</sup>، إذ لا يخفى على القارئ حجم المشقّة التي سوف يعانيتها ناقد النقد طوال مغامرته البحثية في المتون النقديّة، سواء أكانت تلك المتعلقة بتشعب النصّ النقديّ

(١) يُنظر: سحر الموضوع، حميد لحمداني: ١٧-١٨.

(٢) يُنظر: م. ن: ١٨.

(٣) مقاربات في تنظير نقد النقد الأدبي، د. عبد العظيم السلطاني: ١٠٩.

المنفتح على نصوص أخرى كثيرة، أم المتعلقة بالنصّ النقديّ ذي الأبعاد الثقافية، مما يفرض على ناقد النقد الانفتاح على المتعدّد والمتشعب.

ثالثاً: الممارسة النقديّة: هنا تتمّ المطابقة بين تحليل الناقد وطروحاته المنهجية التي نوه عنها في المقدمة، فقد تأتي الممارسة النقديّة متحرّرة من قيود العلمية خلافاً لما نوه إليه الناقد، أو قد تأتي مكبّلة بقيود منهج ما مع تصريحه بعدم الركون إلى أيّ منهج في ممارسته النقديّة<sup>(١)</sup>. هذا التشنّت الذي يقع به الناقد يُشخص من ناقد النقد فهو بعض مهامه. والغاية منه ليس التعقيب القادح والتشهير بمكمن القصور، بقدر ما هو تعقيب بناء يرمي إلى توخي الدقة والرصانة العلمية في أيّة دراسة، فضلاً عن السعي إلى تقديم دراسات جادة ومنضبطة ومنسجمة بين محورين هما: النظريّ والتطبيقيّ.

(١) يُنظر: سحر الموضوع، حميد لحمداني: ١٩.



## **الباب الأول: أسئلة المضامين**

الفصل الأول: سؤال النسوية

الفصل الثاني: سؤال الهوية

الفصل الثالث: سؤال الآخر

الفصل الرابع: سؤال السلطة

## توطئة

وجود السؤال يعني وجود الإشكال، وسؤال النسوية يُراد به حل الإشكالية التي بموجبها عانت المرأة تاريخياً من التهميش والإقصاء والتمييز الجنوسي. فالنسوية سعت إلى إبراز وتفعيل جوانب ومجالات وقيم مختلفة خاصة بالأنثى، جرى تهميشها وإنكارها والخط من شأنها بحكم السيطرة الذكورية، في حين أنها يجب أن يُفسح لها المجال وتقوم بدور أكبر لإحداث توازن منشود في مسار الحضارة والفكر<sup>(١)</sup>؛ لذلك وُجدت النسوية لإحلال التعددية محل الأحادية برفض مركزية الذكورة، وتفكيك الممارسات الاستبدادية وفضح سبل الهيمنة وأشكال القمع والتسلط. وعليه فإنّ سؤال النسوية كان من نصيب الفصل الأول من هذا الباب. فهو سؤالٌ أساسيٌّ وكبير، وكان حاضرًا بقوة في الدراسات الثقافية موضع الدرس في بحثنا.

أمّا الفصل الثاني فبحثنا فيه عن سؤال الهوية الذي يناقش إشكالية البحث عن الهوية التي بوساطتها تتحقق كينونة الفرد وذاتيته، وبها يتحدّد انتماؤه، فضلاً عن أهميته في الثقافة؛ لأنه ينطلق من إشكالية مهمة تبحث في ثبات الهوية أو تحولها في ظلّ صدام حضاريّ، وغزو ثقافيّ، وصراع سياسيّ ودينيّ قاد إلى تهميش الهويات الفرعية وتذويبها.

وانصبّ جهدنا في الفصل على مسوّغات توجه الرؤية النقدية العراقية إلى البحث في وضع هوية الأقليات المهمّشة، وكيف تعامل النّقد العراقيّ معها، فهي حاضرة أصلاً في المنجز الروائيّ العراقيّ وجاءت الدراسات الثقافية لتسلط الضوء على الموضوع وتبحث فيه.

أمّا الفصل الثالث فكان من نصيب سؤال الآخر. إنّ البحث في سؤال الآخر يستدعي كشف العلاقات التي تربط الذات بالآخر، وعلى الرغم من وجود حالات متعدّدة لمفهوم الآخر إلّا أنّنا سعينا إلى التركيز في دراستنا على الآخر الغربيّ وعلاقته بالأنا العربيّ؛ لمعرفة طبيعة العلاقة التي تربطهما، وكيف نظر النّقد الروائيّ العراقيّ إلى موضوعه الآخر؟ وكيف عالجهما؟ وكيف برز موقف الآخر من الذات؟

(١) النسوية وفلسفة العلم، يمنى طريف الخولي، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٨م: ٧.

وقد انشغل الفصل الرابع بمناقشة سؤال السلطة. ولما كان سؤال السلطة سؤالاً جوهرياً في الخطاب الثقافي، حيث دارت حول ترسيم حدوده المفاهيمية وتمثلاته نقاشات ورؤى متعدّدة تختلف باختلاف منظومتها المعرفية والاجتماعية والسياسية، بعضها فلسفي، والآخر سياسي، والثالث نقدي ثقافي، فقد ارتأينا أن نقف على أبعاد السلطة وأثرها في الخطاب النقدي؛ لأنها تمارس دوراً مزدوجاً في تشكيل الخطاب الروائي والنقدي على حدّ سواء. فمن جانب الخطاب الروائي نجد تأثيرها واضحاً على المبدع بوصفه فرداً في المجتمع، فسواء أكان متماهياً مع السلطة أم متمرداً عليها فإنّها تتغلغل في نمط تفكيره، وتشكيل فلسفته، ومن جانب آخر فإنّها تفرض هيمنتها على وعي المتلقّي، وتشكيل فكره بوصفه فرداً في المجتمع أيضاً.

أمّا دور السلطة في تشكيل الخطاب النقدي فإنّه تأثير مزدوج أيضاً في الناقد والمتلقّي للخطاب النقدي بوصفهما خاضعين لهيمنتها في حالتها التماهي أو التمرد؛ ولهذا فإنّ سؤال السلطة سيكون عن كيفية ظهورها وليس عن ماهيتها؛ لأنّ السلطة ظاهرة غير خبيثة، وتربطها بالذات الإنسانية علاقات سلطوية.

سنقصر جهدنا في المهاد النظريّ على تقديم تصوّر لكلّ من مفهوم النظرية النسويّة والحركة النسويّة والأدب النسويّ<sup>(١)</sup>، ومن ثمّ الانتقال إلى تفكيك مقولات النقاد العراقيين موضع البحث وهم يتصدون إلى تقديم صورة للمرأة في الروايات العربيّة والعراقيّة، وهي صورة لا تخلو من سلطة الثقافة وهيمنتها على وعي الروائيين لحظة الإبداع الروائيّ.

ما نسعى إلى إيضاحه هنا أنّ المراد بمصطلح الأدب النسويّ لا يقتصر على ما كتبه المرأة، بل ينطلق منها بوصفها ذاتاً وموضوعاً في الآن نفسه من دون إغفال العلاقة الجدليّة بين الأنا والآخر، فيدخل في ساحته الأعمال الأدبيّة التي كتبتها النساء، أو التي موضوعها المرأة سواء أكان كاتبها رجلاً أو امرأة<sup>(٢)</sup>، وهذا يعني أنّ الأدب النسويّ يشترك في إنجازه الرجل والمرأة، وهذا ما يؤكده النّقد النسويّ الأدبيّ الذي يتحرّك في محورين: الأوّل يُعنى بنقد النصوص التي كتبتها المرأة، ويتاريخ كتاباتها، وأفكارها وأساليبها...، والثاني يُعنى بكيفيّة تمثيل الشخصيات النسائيّة في النصوص الذكوريّة، وكشف انحيازاتها ومضمرات الخطاب فيها<sup>(٣)</sup>، وهذا ما صرّحت به الناقدة (باتريشيا سباكس) أيضاً في كتاباتها أنّ النّقد النسويّ يُراد به ذلك النّقد الذي يُعنى بطبيعة التجربة الأنثويّة داخل نصّ ما<sup>(٤)</sup>.

أمّا النظرية النسويّة فإنّ المراد بها "مجموعة من الكتابات التي تحاول أن تصف وتشرح وتحلل ظروف حياة النساء. ووفقاً لتشارلوت بنش، فإنّ النظرية النسويّة هي طريقة لرؤية العالم"<sup>(٥)</sup>، ومن بين القضايا المهمّة التي وقفت عندها النظرية النسويّة: عدم مساواة المرأة بالرجل أو التبعية

(١) أمّا اتجاهات الحركة النسويّة فلن نتطرّق إليها لوجود دراسات كثيرة أشارت إليها، ومنهنّ من فصلت القول فيها. يُنظر على سبيل المثال: النظرية النسويّة ودراسة التفاوت الاجتماعي، صالح سليمان عبد العظيم، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج ٤١، ملحق ١، ٢٠١٤م: ٧ وما بعدها. والعنف الرمزي مقارنة جنديّة في الرواية النسويّة، د. حميد عبد الوهاب البدراني، دار غيداء للنشر والتوزيع - عمان، ط ١، ٢٠١٩م: ٧ - ٢٧.

(٢) يُنظر: انفجار الصمت: الكتابة النسويّة في اليمن دراسات ومختارات، حاتم الصكر، مركز عبادي للدراسات والنشر - صنعاء، اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، الأمانة العامة - صنعاء، ط ١، ٢٠٠٣م: ١٢.

(٣) النسويّة والأنثى والأنوثة، توريل موي، ت: كورنيليا الخالد، الآداب الأجنبية، ع ٧٦، ١٩٩٣: ٤١.

(٤) يُنظر: دفاعاً عن التاريخ الأدبي النسويّ، جانيت تود، تر: ريهام حسين إبراهيم، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، ط ١، ٢٠٠٢م: ١٥.

(٥) النظرية النسويّة مقتطفات مختارة، ويندي كيه. كولمار وفرانيسيس بارتكوفيسكي، تر: عماد إبراهيم، مر: عماد عمر، الأهلية للنشر والتوزيع - عمان، ط ١، ٢٠١٠م: ١١.

له أو هيمنته عليها. الأمر الآخر أنها تُعنى بدراسة الأسباب والظروف التي يكون فيها الرجال أكثر نفوذاً<sup>(١)</sup>. أمّا الحركة النسوية فإنّ حراكها -لاسيما في بداياته تاريخياً- فقد انصبّ على تقديم رؤية مغايرة تهدف إلى تنظيم العالم استناداً إلى مبدأ المساواة بين الجنسين (ذكر/ أنثى) في العلاقات الإنسانية جميعها، فكان من مبادئها رفض التمييز القائم على أساس الجنس، والاعتراف بالإنسانية المشتركة للمرأة والرجل بوصفها أساس القانون والعرف<sup>(٢)</sup>، فهي تلك القوة السياسية والاجتماعية التي تهدف إلى زعزعة الثوابت المهيمنة على علاقة المرأة بالرجل، والإعلاء من شأن المرأة بعد إن كانت تتال قدرًا أقلّ من نظيرها الرجل<sup>(٣)</sup>.

أمّا مصطلح النسوية فإنّه يُشير إلى تلك النسويات المدركات للوضع المشترك على حدّ تعبير الناقدة (أندريا دووركين)، والمراد به "التبعية للرجل، والاستعمار جنسياً في نظام هيمنة وخضوع على أساس الجنس، وإنكار الحقوق على أساس الجنس، ومتاع متوارث تاريخياً، واعتبارها أدنى بيولوجيا، ومقتصرة على ممارسة الجنس والإنجاب، هذا هو الوصف العام للبيئة الاجتماعية التي تعيش فيها جميع النساء"<sup>(٤)</sup>.

وعلينا أن نوضّح هنا سبب ركوننا إلى مصطلح النسوية دون غيره من المصطلحات، كمصطلح النسائية، والأنثى، والأنوثة...، فهي -النسوية- تُستعمل "لوصف الأفكار والأفعال المؤيدة للنساء منذ الأزمنة القديمة حتى الوقت الحاضر"<sup>(٥)</sup> وقد فرّقت الناقدة (توريل موي) بينهما بقولها: إنّ النسوية قضية سياسية، والأنثى مسألة بيولوجية، أمّا الأنوثة فمجموعة خواص محدّدة ثقافياً<sup>(٦)</sup>، يُسهم المجتمع في تشكيلها وغرسها في وعي أفرادها. أي أنّ المصطلحات الأخرى أكثر دلالة وأقرب إلى المعنى الأنثوي الذي يشير صراحة إلى المرأة/ الأنثى، في حين أنّ النسوية توجّه فكريّ يشير

(١) النظرية النسوية مقتطفات مختارة: ١١.

(٢) ينظر: م. ن: ١٨.

(٣) ينظر: خطاب التجريب والرواية رواية العراق أنموذجاً، د. حسين عيال، دار أمل الجديدة- دمشق، ط ١، ٢٠١٦م: ٩٥. ويُنظر: أنثوية العلم من منظور الفلسفة النسوية، د. ليندا جين شيفرد، تر: د. يمني طريف الخولي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، ٢٠٠٤م: ١١.

(٤) النظرية النسوية مقتطفات مختارة: ٢٤.

(٥) مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، طوني بينيت وآخرون: ٦٨٣.

(٦) ينظر: النسوية والأنثى والأنوثة، توريل موي: ٢٤.

إلى عموم المعنى من منظور شامل<sup>(١)</sup> قد يكون صادراً من ذات أنثوية، أو ذات ذكورية، وعلى هذا الأساس سيكون معنى النسائية في الأدب لدينا، هو الأدب الذي كتبه النساء وليس الرجال. أما النسوية فإنه يشير إلى الأدب الذي يتبنى قضايا الأنثى سواء كان جنس كاتبه ذكراً أم أنثى.

وللحركات النسوية اتجاهات متعددة وقف عندها الباحث (محمد رضا الأوسي)<sup>(٢)</sup> وتوسعت في ذكرها الباحثة (هدى الشيباني)، ويمكن إجمالها بالآتي:

المرحلة الأولى: طالبت فيها الحركة النسوية بحقوق المرأة على الصعيد الاجتماعيّ سواء داخل حدود البيت أم خارجه، الذي يشمل حقها في التعليم والعمل، وكذلك طالبت بحقها على الصعيد السياسيّ الذي يمنح المرأة حرية التصويت والاقتراع.

المرحلة الثانية: فقد سعت إلى تحقيق المساواة التامة بين الرجل والمرأة.

المرحلة الثالثة: ازداد فيها وعي المرأة بذاتها وقدراتها مما قادها إلى المطالبة بالتمايز والاختلاف، مع تأكيد خصوصية الكتابة النسوية<sup>(٣)</sup>.

وما يبدو على هذه الحركات أنها تشترك في انطلاقها من خلفية واحدة ترى النساء جنساً مهمّناً مقموعاً، ولكنّها في الوقت ذاته قدّمت آراءً مختلفة في تشخيص العلل التي أسهمت في قمعها وتهميشها؛ وذلك تبعاً لاختلاف الظروف والمرجعيات الثقافية والاجتماعية. والثقافة تؤدي دوراً مهماً في تعميق تلك الآليات التي تضاعف من عمق الهوة لتهميش المرأة واقصائها، فالثقافة المنحازة ضد المرأة هي التي تجعل منها آخر مقموعاً، وتمارس سطوتها في إدامة عملية الإخضاع، فالمرأة لا تولد امرأة وإنما تصبح كذلك بفعل الثقافة التي تصدر حقوقها وتنزلها مرتبة أدنى لا

(١) وهذا الرأي يخالف ما قصده الناقد إدوارد سعيد الذي رأى في مصطلح الأدب النسويّ أنه معنيّ بإنتاج المرأة/ الأنثى تحديداً، أما الأدب الأنثويّ فقد يكتبه رجل لا أنثى، يُنظر: الثقافة والإمبريالية، إدوارد سعيد، تر: كمال أبو ديب، دار الآداب - بيروت، ط ٢، ١٩٩٨م: ٥٣.

(٢) يُنظر: الخطاب الروائي النسويّ العراقي (دراسة في التمثيل السردية)، محمد رضا الأوسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، ٢٠١٢م: ٢٢-٢٦. ورواية المرأة العربية من ١٩٩٠ إلى ٢٠٠٧م في ضوء النقد النسويّ، هدى حسين الشيباني، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ١، ٢٠١٣م: ١٦-٢٢.

(٣) يُنظر: مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، د. حفناوي بعلي: ١٢٥-١٢٨.

لشيء سوى لجنسها<sup>(١)</sup>، وعليه لم يكن الفكر النسويّ "رهين النظريات وشطحات الأفكار، بل كان استجابة طبيعية للضغط الاجتماعي، ورد فعل عن التهميش المفروض عليها"<sup>(٢)</sup>.

ما يهمننا في هذا المحور نقد الخطاب النقديّ الذي اتخذ من المنجز الروائيّ ميداناً له في هذا المجال، سواء أكان الخطاب الأدبيّ الروائيّ صادراً من امرأة، أم من رجلٍ؛ وذلك لأنّ الخطاب قد يكون ذكورياً بامتياز وهو صادر من ذات أنثويّة، أو يكون أنثوياً بمضمونه وقضاياها وهو صادر من ذات ذكوريّة، وبما إنّ النسويّة مفهوم ثقافيّ يتقصّى قضايا المرأة ويُعنى بشؤونها فقد اقتضى حضور ثلاثة مكونات: أولها نقد الثقافة الأبويّة الذكوريّة، وثانيها: اقتراح رؤية أنثويّة للعالم، وثالثها: الاحتفاء بالجسد<sup>(٣)</sup>.

### أولاً: نقد الثقافة الأبويّة

كانت الحركات النسويّة على وعي بالهيمنة الأبويّة التي وضعت المرأة "في مرتبة أدنى من مرتبة الرجل، أو تعامل المرأة على أنها ذكر ناقص"<sup>(٤)</sup>، وترى أنّ المرأة لا يليق بها أن "تدير مدرسة ولا أن تعيش وسط الرجال ولا أن تتحدث بالخارج ولا أن تنفض عنها حياءها وصدقها، سواء بصورة كليّة أو جزئيّة. فإذا كانت امرأة صالحة فالأفضل أن تبقى في البيت، فلا يعرفها الآخرون"<sup>(٥)</sup>. هذه المزاعم التي ظلت ردحاً طويلاً من الزمن مهيمنة على الثقافة الأبويّة، ومتحكّمة بمصائر النساء، لذلك عملت النسويّة على تقويضها، وهدم ثنائياتها، وإعادة الاحترام للمرأة عبر ممارستها لأدوار كانت بعيدة عن مجال عنايتها.

عالج الباحث عبد الله إبراهيم في كتابه (السرد النسويّ الثقافة الأبويّة، الهويّة الأنثويّة، والجسد) مجموعة من القضايا النسويّة، انطلاقاً من متون روائية حاملة لتلك القضايا. فجاء كتابه

(١) يُنظر: النسويّة وما بعد النسويّة، سارة جامبل، تر: أحمد الشامي، مر: هدى الصدة، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، ٢٠٠٢م: ٢٧٨.

(٢) مدخل في نظرية النقد الثقافيّ المقارن، د. حفناوي بعلي: ١٢٣.

(٣) يُنظر: السرد النسويّ - الثقافة الأبويّة، الهويّة الأنثويّة، والجسد، د. عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، دار فارس للنشر والتوزيع - الأردن، ط١، ٢٠١١م: ٥.

(٤) مدخل في نظرية النقد النسويّ وما بعد النسويّة، حفناوي بعلي، منشورات الاختلاف - الجزائر، ٢٠٠٩م: ٥١.

(٥) يُنظر: النسويّة وما بعد النسويّة، سارة جامبل: ٢٥.

-بفصوله- تطبيقياً، بدءاً من الفصل الثاني ذي العنوان (الممانعة النسويّة ونقد الأبويّة). رصد فيه الوعي القائم على نقد الثقافة الأبويّة في نصوص روائية اشترك في إبداعها الرجل والمرأة، وأوّل رواية وقف عندها (حين كنت رجلاً) لإلهام منصور، وناقشت هذه الرواية فكرة مماثلة المرأة للرجل، وتحقيق حريّتها واستقلالها مرهون بمحاكاتها للرجل في كلّ شيء، فضلاً عن تبادل الأدوار الاجتماعيّة بين الجنسين. إذ حاولت بطلّة الرواية (هبة) طمس هويّتها الأنثويّة في مقابل إنتاج هويّة ذكوريّة شاملة لكلّ ممارساته ومسؤولياته. فكان من نتائج رفض هويّتها الأنثويّة الغاء الدور الأمومي؛ لأنّها ترى في ذلك نوعاً من التبعيّة للرجل وفقداناً للاستقلاليّة، إذ تقول: "كنت واعية تماماً بأنّ الانجاب سيحوّلني إلى إنسي بكل معنى الكلمة، وبأنني سأغرق في مقولة التابع والمتبوع، لا أعود سيّدة ذاتي، ولا ذاتاً مستقلة، قادرة على أن تتحرك كيفما تشاء وأينما تشاء [...]. ماذا يعني أن نرمي كائننا في هذا العالم الظالم والمتوحش؟ وإن كان المولود أنثى فالمصيبة أكبر لأنّها ستتعب أكثر ... ثم لماذا أنجب وأتعب تسعة أشهر لكي يحمل الولد هكذا وبكل بساطة اسم أبيه الذي لم يشارك في صنعه إلا لحظة، هي لحظة لذّة، وإشباع رغبة؟"<sup>(١)</sup>، وفي هذا الصدد يقول الباحث: إنّ (هبة) "هجرت الأنوثة بصورة منهجيّة، وتبنّت الذكورة، لتبرهن على بطلان أسانيدها كما استقامت في الثقافة التقليديّة الأبويّة، فتفكيك قواعد الذكورة بوصفها مفهوماً ثقافياً واجتماعياً أدى إلى فضح مصادراتها، وتخريب فرضياتها، كيلا تزداد صلابة استناداً إلى تأويلات مزيفة، إذ قادها مفهوم الذكورة إلى اختلال في التوازن الداخليّ الذي تعدّى الإيمان الأيديولوجيّ إلى التغيّرات الجسديّة، والإخفاق بالمضيّ في هذا الاختيار إلى نهايته جعلها تتبنّى مفهوماً مجرداً للحرية"<sup>(٢)</sup>، ولكنّ الرواية خلصت بنتيجة مفادها فشل تلك المزاعم، وخطورتها على المرأة أوّلاً لأنّها ستفقد كيانها الذي يميّزها عن جنس الرجال، وخطورتها ثانياً على النظام الاجتماعيّ كلّهُ لأنّها غير مقبولة منطقيّاً، وهذا يُشير إلى وعي الروائيّة بقضايا النسويّة، ومواكبتها لتيارات الحركة النسويّة في العالم الغربيّ.

وهذا الوعي لدى الروائيّة قابله وعي نقديّ لدى الباحث عبد الله إبراهيم، الذي وجد في تجربة الروائيّة أنّها محاولة لعرض "مشكلة الخطاب النسويّ في قضية محاكاة الذكورة على خلفيّة تجربة

(١) حين كنت رجلاً، إلهام منصور، دار رياض الرئيس للكتب والنشر - بيروت، ٢٠٠٢م: ٨٩ - ٩٠.

(٢) السرد النسويّ، الثقافة الأبويّة، الهوية الأنثويّة، الجسد، د. عبد الله إبراهيم: ٨٦.



ذاتيّة، وظهرت لديها الرغبة في الحديث عن ذلك؛ إذ جعلت من [هبة] ناطقة بأفكارها، وممثّلة لتصوراتها في المرحلة الأولى التي أخذت بفكرة القول بمبدأ المحاكاة<sup>(١)</sup> فالفكرة التي طرحتها الرواية وناقشها الباحث فكرة المماثلة، وهذه الفكرة جوبهت بالرفض والنقد في الأدبيات النسويّة؛ لأنّ المسألة قائمة على الاختلاف -اختلاف المرأة عن الرجل- وليس على التماثل ومحاكاة الأنثى للذكر.

كذلك تناول الباحث فكرة المساواة بين الجنسين (الذكر والأنثى) وذلك في رواية (القرن الأول بعد بياتريس) لأمين معلوف. تدور أحداثها حول اختراع عقار يؤدّي إلى تعقيم الرجال من أجل إنجاب الأطفال الذكور فقط؛ ليتم اختزال الجنس البشريّ إلى ذكورة غالبية، فوجّهت الرواية نقدًا لاذعًا للثقافة الأبويّة التي تنظر إلى الأنثى نظرة دونيّة، ومصدرًا للخطايا والذنوب، وفي هذا الصدد يقول الباحث: "والرسالة الأخلاقية للنصّ تتعلّق بموضوع تعقيم الرجال من أجل إنجاب الأطفال الذكور امتثالًا للثقافة الأبويّة القائلة بدونيّة الأنثى. حصل ذلك حينما نجح علماء من الشمال في إنتاج عقار يؤدّي إلى عدم إنجاب الإناث، ووقع تسويقه تجاريًا في الجزء الجنوبيّ من العالم حيث ينظر للأنثى نظرة انتقاص، فلاقى قبولاً حيث تميل المجتمعات إلى الإغلاء من شأن الذكور على حساب الإناث"<sup>(٢)</sup> فهذه الفرضيات التي يؤمن بها الفكر الأبويّ التي كشفت عن التحيزات المضادة للأنثى، لو يؤخذ بها لأدّت إلى انهيار المجتمع وموت الحياة، فلا يُمكن استمرار الحياة من دون التوازن القائم على وجود الذكر مع الأنثى.

ثم أكمل مناقشته لتلك القضية في الفصل الرابع ذي العنوان (الرد بالسرد: الأنثى ومركزية الذكورة)، فقدّم دراستين لروائيتين اشتركتا في تناول موضوع واحد، وهما: رواية (خارج الجسد) لعفاف بطاينة، و(امرأة من طابقين) لهيفاء بيطار، إذ قدّمت الروائيتان نقدًا لاذعًا للفكر الأبويّ الشرقيّ، الذي ينظر إلى الأنثى وحرّيتها على أنّهما خطرٌ يهدّد نسيج المجتمع، ولا سبيل إلى درئه سوى فرض الرقابة الدائمة على الأنثى، وعزلها عن الجنس الآخر، وهذا ما جرى لـ (منى) إحدى شخصيات الرواية، حين مورس بحقّها أشنع أنواع العزل والإقصاء نتيجة لقاء عابر بشاب في

(١) السردى النسويّ، الثقافة الأبويّة، الهوية الأنثوية، الجسد، د. عبد الله إبراهيم: ٧٩.

(٢) م. ن: ٩٣.

إحدى الأمكنة العامّة، فورد على لسانها "أصبحتُ جارية والدي وجارية جواريه وعبيده، أتلقّى أوامر فرك البلاط وتنظيف الحمامات وكنس محيط المنزل. صرتُ أجلس في المطبخ لآكل فضلات عائلتي، وكأني كلب نجس. إحساسي بقذارتني وشذوذني، وانعدام إنسانيتي كان يتربّع بين عينيّ وفوق رأسي كلّما شاهدت عائلتي حول المائدة أو التلفاز"<sup>(١)</sup>. ما عانتها (منى) يدلل على دونيّة الثقافة الذكوريّة، وخواء وعيها القائم على تكريس التمايز بين الجنسين (الذكر والأنثى). الأمر ذاته يتكرّر في رواية (امرأة من طابقين) لهيفاء بيطار، وبهذا الصدد يقول الباحث: "فالروايتان تعنيان بمصير المرأة في سياق نظام ثقافيّ قاعم ينظر إلى الأنوثة بريبة وانتقاص وعدم اطمئنان، ويفضّل وضع الأنثى تحت رقابة صارمة كيلا يتعرّض إلى التخريب من الداخل، فالأنثى مصدر خطر"<sup>(٢)</sup> توضح الروايتان -وقد شاركتها روايات كثيرة في تقديم هذه الرؤية التي تدين الثقافة الذكوريّة- هشاشة موقع الأنثى في ظلّ المجتمع الذكوريّ، وعزوفه عن الاعتراف بها بوصفها كياناً له وجوده وأهميته وقيّمته في بناء المجتمع.

ولم تقف جهود الباحث عند هذا الحدّ، بل جاءت فصول الكتاب متضمّنة دراسات كثيرة تم إدراجها تحت ثلاثة عنوانات رئيسة هي: نقد الثقافة الأبويّة- التي ورد الحديث عن نماذجها الروائيّة أنفًا-، واقتراح رؤية أنثويّة للعالم، والاحتفاء بالجسد، وهذان المحوران سيرد الحديث عنهما لاحقاً. وهذا يعني أنّ قضايا النسويّة شغلت عناية الباحث، فجاء كتابه مخصّصاً لها ومتعمّقاً في كشف أفكارها، ومدى ملاءمتها وانسجامها، فدرس إحدى وعشرين رواية لروائيّات عربيات، وهذا يدلل على أنّ الباحث خصّ بـ (السرد النسويّ) ذلك السرد الصادر من ذات أنثويّة حصراً.

هذا الفهم لمصطلح (النسويّ) والمراد به الأدب المنتمي لذات أنثويّة، قد تبناه الباحث محمد رضا الأوسي في كتابه (الخطاب الروائيّ النسويّ العراقيّ)، إذ وقف فيه على ثلاث وعشرين رواية لمؤلفات نسويّات عراقيّات. في الفصل الأوّل من كتابه وقف على تسع روايات قدّمن صوراً إيجابيّة للمرأة رافضة سلطة الذكر والمجتمع باستثناء رواية (نبوءة فرعون) لميسلون هادي، وهذه الروايات، هي: (الثنائيّة اللندنية) لسميرة المانع، و(عطر التفاح) لإرادة الجبوري، و(ما بعد الحب) و(زجاج

(١) السرد النسويّ، الثقافة الأبويّة، الهوية الأنثويّة، الجسد، د. عبد الله إبراهيم: ١٦٣.

(٢) م. ن: ١٧٧.

الوقت) لهدية حسين، و(لو دامت الأفياء) لناصر السعدون، و(من يرث الفردوس) للطفية الدليمي، و(لست دمية يا أمي) لثريا محيي الدين شيخ العرب، و(في زنزانة الحياة) لنورية السعدي. كل تلك الروايات درسها تحت عنوان تمثيل الهوية.

أحياناً تشترك المرأة مع الرجل في تدعيم ركائز ثقافته المستندة على الإعلاء من شأن الرجل، في مقابل الحط من شأن المرأة وإنزالها إلى أدنى المستويات؛ وذلك لأنها لم تتمكن من تحطيم الأغلال التي كبلتها بها الثقافة الذكورية ورسختها في وعيها الباطن. هذا الرؤية الداعمة للثقافة الذكورية وجد الباحث صداها في رواية (نبوءة فرعون) لميسلون هادي، إذ كانت "أنموذجاً للرواية النسائية العراقية التي امتثلت لثوابت الثقافة الذكورية وتبنت منظورها في تمثيل الذات والآخر طبقاً لثنائياتها التي جعلت طرفها الأول (الذكر) معادلاً لكل ما هو إيجابي، والطرف الثاني (الأنثى) معادلاً لكل ما هو سلبي"<sup>(١)</sup>، وما يؤكد هذه النظرة دلالة العنوان بوصفه "أعلى اقتصاد لغوي يُكثف دلالة النص؛ فقد انطوى على دلالات كثيرة لعل أهمها نسبة النبوءة إلى الذكر وليس إلى الأنثى بصرف النظر عن دلالتها، في تناص واضح مع المرجعيات البطرياركية التي خصت الذكر بهذا الدور وجعلته مقتصرًا عليه"<sup>(٢)</sup>، ولم يقتصر الأمر على دلالة العنوان فقط، بل جعلت الشخصية الأنثوية (شاكرين) متخلفة عقلياً، في مقابل أخيها (يحيى) الذي أسندت له الصفات الإيجابية فقط، وهذا يؤكد امتثال الرواية للثقافة الذكورية التي تؤكد مقولة النساء ناقصات عقل، ولا يمكن إسناد أي دور فاعلٍ لهنّ.

وبالوقوف على رواية هدية حسين الموسومة بـ (زجاج الوقت) وجدها الباحث قد قدمت صورة إيجابية للمرأة تناقض تلك الصورة التي رسختها الثقافة الذكورية ابتداءً من اختيار بطلة روايتها التي اسمتها هداية، وصولاً إلى الأدوار التي أدتها شخصياتها الأنثوية وتمردهن على النسق السائد في مجتمعهن، فالباحث وجد تلك الشخصية الروائية قد عمدت "إلى قلب هذه الصورة النمطية الضاحجة بالسلبية عبر ممارسات عدة، دشنتها بلقاء حبيبها العائد من الماضي على مائدة قراءتها التفاعلية، وليس في الفضاء الذي اعتادت الثقافة الذكورية على وأدها وهدرها

(١) الخطاب الروائي النسوي العراقي (دراسة في التمثيل السردي)، محمد رضا الأوسي: ٦٤.

(٢) م. ن: ٦٤.

فيه<sup>(١)</sup>. إذ منحت الروائية شخصياتها الأنثوية الحرية الكافية لإثبات هويتها، وتدعيم مركزها عبر السرد بصوت أنثوي؛ تقويضاً لمركزية الرجل ونيابته عن المرأة. وفي الفصل الثاني من كتابه ذي العنوان (تمثيل الجسد) وقف على خمس روايات رفضت شخصياتها الأنثوية الفحولة الخاوية، وعزت العقل الذكوري باتخاذها قرار الانفصال عن زوجها الذي يمثل الوجه الآخر للسلطة الأبوية، فلم يرضين باستلاب أجسادهنّ تحت ذريعة الزواج، وتتجلى مظاهر الرفض في رواية (مطر أسود مطر أحمر) لابنتسام عبد الله التي صورت قوة المرأة واستقلالها بذاتها، خلافاً لما هو قار في الثقافة الذكورية بأنّ المرأة تبقى تابعة للرجل سواء أكان أباً أم أماً زوجاً، وتتجلى هذا الفعل في رفض (رهام) لسلطة زوجها، إذ "قلبت حسابات هذه المعادلة ووضعت حداً لاستلاب جسدها تحت مظلتها حين كسرت حاجز الخوف من مواجهة تبعاتها، ورفضت الاستمرار في حياتها مع زوجها، وآثرت الانفصال عنه"<sup>(٢)</sup> فبقرار الانفصال عن زوجها اسقطت رهانات الثقافة الذكورية التي ترى في المرأة كياناً عاجزاً عن إدارة شؤون حياتها خارج حماية الذكر.

أحياناً تمارس المرأة دور الأب في النظام البطريركي، ليس على الرجل وسلطته، بل على الأنثى التي قد تكون بنتها، أو أختها، أو عاملة عندها. فتكون داعمة للثقافة الذكورية وأداة من أدواتها التي يتم بوساطتها جلد بنات جنسها، وهذا ما رصده الباحث في رواية (لست دمية يا أمي) لثريا محي الدين. في هذه الرواية مارست الأم دور الأب المتسلط على ابنتها، وأخضعتها لسلطتها القسرية، وأجهضت مساعيها في محاولاتها التمرد ورفض الذلّ ورفع الحيف عنها، ولكن ابنتها (ميامن) تمكّنت من تحطيم السور الذي كبّلتها به أمها، معلنة عن رفضها الزواج من العجوز الذي اختارته الأم ليكون زوجاً لابنتها، فسعت ميامن "إلى مقاطعة أمها وترك العيش معها؛ تعبيراً عن مناهضتها لثقافتها، ورفض الرضوخ لها عبر اللجوء إلى بيت صديقتها سلمى؛ بوصفه فضاء بديلاً لا محل فيه للتسلط والاستلاب"<sup>(٣)</sup> فكان هروبها من البيت شكلاً من أشكال الرفض والاستلاب، وانقلاباً على سلطة الأسرة.

(١) الخطاب الروائي النسوي العراقي (دراسة في التمثيل السردية)، محمد رضا الأوسي: ٦٨.

(٢) ينظر: م. ن: ١٥٦. و: ١٩٤-١٩٨.

(٣) ينظر: م. ن: ١٨٧.

وبهذا نجد أن روايات (هدية حسين وسميرة المانع وإرادة الجبوري) قد رفضت تغييب المرأة، كما رفضت نيابة الرجل عنها في تمثيل ذاتها ووعيها وما يعتمل في داخلها من أفكار وعواطف وانفعالات، كما سعت إلى إيضاح موقفها من العالم، هادفة من كلّ ذلك إلى تفكيك مزاعم الثقافة الذكوريّة وتقويضها، تلك المزاعم التي رسّخت مرجعيات متعالية أسهمت في التمييز ضد المرأة<sup>(١)</sup>.

جاءت دراسة الباحث لقضايا النسويّة دراسة كليّة، إذ إنّها لم تأتِ عنده جزئية ضمن مجموعة من القضايا التي أراد الحديث عنها، بل جعلها جوهر عمله ومقصده، كما إنّّه حاول الإجابة عن الأسئلة المتعلّقة بمجال اشتغاله، التي تدور في مجملها عن إمكانية استثمار الخطاب الروائيّ النسويّ للموجّهات الثقافيّة أم لا في سبيل تقويض الخطاب المتعالي الذي أنتجته الثقافة الذكوريّة، فضلاً عن إجابته عن مدى نجاح ذلك الخطاب في إنتاج الذات والعالم خلافاً لما هو سائد، مستعيناً بإجراءات النّقد الثقافيّ، ولكنّ الباحث وقع في مأزق الخروج عن المنهج؛ ذلك لأنّه لم يلتزم بإجراءات النّقد الثقافيّ الذي يتطلّب منه البحث عما هو مسكوت عنه في الخطاب، والحفر في المضمّر الثقافيّ الذي أنتج ذلك الخطاب المضاد للخطاب الذكوريّ المتعالي، بل راح يبحث في النسق الظاهر وهو نسق الهيمنة الذكوريّة.

أمّا في سياق الحديث عن قضايا النسويّة التي جاءت جزئية ضمن دراسة موسّعة، فإنّنا نجدّها في كتاب الباحث حسين عيال الموسوم بـ (خطاب التجريب والرواية). وقف الباحث فيه على مجموعة من الروايات العراقيّة ليرصد فيها مستويات التجريب، فجاءت دراسته على مستويين: الأوّل الأنساق المهيمنة على مستوى الثيمة، والثاني التجريب على مستوى اللغة والتقانات. تضمّن الفصل الأوّل من كتابه مبحثين: المبحث الأوّل بعنوان (تحطيم السرديات الكبرى)، ودرس فيه المنفى وتصدّع الهويّة، ونقد الأيديولوجيا. أمّا المبحث الثاني (نقض المركزيّة) فدرس فيه صعود الهامش، والرواية النسويّة.

في مبحث الرواية النسويّة قام بتحليل ثلاث روايات لا غير، هي: (هروب الموناليزا لبلقيس حسن، وسيدات زحل للطفية الدليمي، ومن لا يعرف ماذا يريد لسميرة المانع)؛ ليستتب منها الوعي النسويّ السائد في تلك الحقبة -حقبة الدّراسة-، ووجد أنّها تراوحت بين تأكيد الذات الأنثويّة، ورفض

(١) يُنظر: الخطاب الروائيّ النسويّ العراقي (دراسة في التمثيل السردية)، محمد رضا الأوسي : ٢٤١.

الهيمنة الذكورية، مع الإغلاء من شأن الجسد الأنثوي، وهذا يُشير إلى أن مصطلح النسوية عنده يعود إلى جنس الذات المبدعة.

في حديثه عن تأكيد الذات الأنثوية وقف عند روايتين هما: هروب الموناليزا، وسيدات زحل، ووجد أنّ وسائل تأكيد الذات في هاتين الروايتين كان بوساطة ثلاثة أساليب مجتمعة معاً: " أولها، أن تضطلع الأنثى برواية الأحداث عن طريق توظيف ضمير المتكلم. وثانيها، إيجاد شخصيات نسوية فاعلة في النص الروائي. وثالثها، هيمنة حضور الشخصيات النسوية التي تساهم في الحدث"<sup>(١)</sup>. الروايتان حافظتان بهيمنة الشخصيات الأنثوية، وامتلاكهنّ زمام سرد الأحداث، والبوح الذاتي، فالمبدعات كنّ على وعي بقضايا النسوية.

أمّا عند الحديث عن نقض المبدأ الذكوري، فقد وجد في رواية سميرة المانع (من لا يعرف ماذا يريد) "تمثل صرخة في وجه المبدأ الذكوري، الذي يهشم المرأة ويسفه دورها"<sup>(٢)</sup>، بمعنى أنّ الرواية مثّلت خروجاً ليس على الرجل بعينه، وإنّما ضد إيديولوجيا السلطة الذكورية التي أرست تاريخاً استعلائياً يصرّ على تهмиشها وقمعها واضطهادها، فتحاول تفويضها والانتصار على قيودها؛ لأنّ تحرّرها من قيودها وانتصارها يعادل انتصار الحياة على الموت<sup>(٣)</sup>.

شغل الحديث عن قضايا النسوية من كتاب حسين عيال إحدى وعشرين صفحة، ثمان منها تنظيراً، وثلاث عشرة تطبيقاً. غني الجانب التطبيقي بثلاث روايات لا غير، وهذا يُعدّ تغييراً لمنجز المرأة المبدعة لا سيما وهو يبحث عن التجريب في الروايات العراقية أنموذجاً من ٢٠٠٣ إلى ٢٠١٢م، فضلاً عن اقتصار دراسته على الجانب الوصفي الذي انشغل برصد مواضع رفض السلطة الذكورية وتأكيد الوعي الأنثوي في الإبداع النسائي من دون قراءة نقدية فاحصة.

وفي السياق ذاته رصد الباحث فارس الفايز شكلاً آخر من أشكال التمرد من لدن المرأة، وذلك في كتابه (تمثّلات الموت في الرواية العراقية)، إذ درس أشكال الموت ودلالاته في الرواية العراقية الصادرة بعد عام ٢٠٠٣م، وخصّ في الفصل الثاني الذي جاء بعنوان (دلالة الموت في

(١) خطاب التجريب والرواية رواية العراق أنموذجاً، د. حسين عيال: ١٠٦، ويُنظر: ١٠٩.

(٢) م. ن: ١١١.

(٣) يُنظر: الرواية العربية المتخيل وبنيتها الفنية، د. يمنى العيد، دار الفارابي-بيروت، ط١، ٢٠١١م: ١٦٣.

البنى الروائية) محوراً لروايات نسائية سعين فيها إلى فكّ أغلال السلطة الذكورية، إذ درس الباحث تلك الروايات تحت عنوان (بنية السرد العنكبوتي)، فوجد في هذه التسمية المجازية أنها تتناسب، وما تستهدفه معظم الكاتبات اللواتي يملن إلى إنشاء وعي راديكالي مضاد للهيمنة الذكورية، فيعتمدن إلى إقصاء الرجل، وفسح المجال للمرأة لممارسة وجودها بحرية<sup>(١)</sup>. وقع اختيار الباحث على أربع روايات نسائية، هي: (صرخة هيلدا لهدية حسين، وزينب وماري وياسمين لميسلون هادي، والمحبوبات لعالية ممدوح، وعندما تستيقظ الرائحة لندى غالي)، فمثلت رواية (صرخة هيلدا) إقصاءً للهيمنة الذكورية عبر مركزية الأنثى في إدارة دقة السرد، فضلاً عن تقديم شخصيات ذكورية تجلّت أفعالها بالظلم، والقسوة، وممارسة الخطيئة.

عرضت الرواية حادثة بشعة تعرّضت لها طفلتان، تجلّى في فعل الاغتصاب، فعلى الرغم من بشاعة اللفظة وقسوتها، فضلاً عن بشاعة الموقف وأثره في نفس الضحية، إلا أن الأنكى من ذلك أن يعمد الرجل إلى اغتصاب طفلة.

أغصبت الطفلة نورهان في بيت أقارب والدتها، ثم تعرّضت إلى الموقف ذاته على يد أحد رجال السلطة عندما جلبت الطعام لوالدها وهو في السجن، والأمر ذاته يتكرّر مع الطفلة (سارة) التي اغتصبها ابن خالها لأكثر من مرّة. إنّ وعي الروائية بقيمة الأنثى، وبضرورة تحطيم جدار الصمت والخوف، قادها إلى خلق شخصيات نسائية تتولّى مهمة السرد، وتكذيب مزاعم الذكورة، وفضح ممارساتهم الدونية؛ لإثبات أيّ الجنسين السبب الرئيس للخطيئة، وأيّهما الأجدر بالمعاقبة والإقصاء، وأيّهما الأحق بأن يوصف بمقولة (عقله بين فخذه)، وبناءً على تلك المعطيات وجد الباحث "إن البوح في المشاهد المارة يفضي إلى فضح عنجھية الذكورة المهيمنة، وتخريب صورتها الملمعة المتبجحة، ويكشف التدليس في ادعاءاتها المبنية على القوة، وأخطاء الثقافة المنحازة المتراكمة التي أضعفت الطرف الآخر وساقته إلى الإذعان والرضوخ"<sup>(٢)</sup>. إذ عدّ البوح وكسر الصمت آلية يتم بها مواجهة سلطة الرجل أولاً، وسلطة المجتمع ثانياً. هذه السلطة التي تتغاضى عن جرائم الرجل، وسلوكياته المنحرفة، ولكنها تُلقى باللائمة على الأنثى، ويتمّ معاقبتها

(١) يُنظر: تمثّلات الموت في الرواية العراقية ٢٠٠٣-٢٠١٤، فارس نايف الفايز، دار الرافدين-بيروت، ط١، ٢٠١٧م:

١٤٣.

(٢) يُنظر: م. ن: ١٤٧.

إمّا بالقتل وإمّا الحبس في البيت، لا لشيء سوى لأنها أنثى، وهي الكائن الأضعف في نظر تلك الثقافة.

أمّا رواية (زينب وماري وياسمين) فقد انشغلت بفضح البنية الاجتماعية والثقافية التي أهدرت كرامة الأنثى، وسلبتها حرّيتها في العيش وإبداء رأيها، إذ عرّت الروائية تلك الثقافة التي تُعاقب المرأة نتيجة خطأ أو جريمة ارتكبتها أحد رجالات عشيرتها، فتؤخذ هي-المرأة- لتكون "فصلية"، ويتم تزويجها من دون مهرٍ أو أية حقوق أخرى. وهناك شكل آخر من أشكال هدر كرامة الأنثى أفصحت عنه الرواية أيضًا تجلّى في حرمان المرأة من الزواج طيلة حياتها إذا رفضت ابن عمها، وهو ما يُعرف في ثقافتنا العشائرية بـ (النهوة).

لم تقف الروائية عند حدود تعرية تلك الثقافة، بل تعدّتها إلى تقديم شخصيات أنثوية تمرّدت على سلطة الذكورة، ووضعت حدًا للظلم الواقع عليها، إذ تمكّنت ياسمين من استعادة حرّيتها بعد الانفصال عن زوجها الذي خيّب مساعيها في إكمال دراستها العليا، فما كان منها إلاّ رفض الغبار عن ذاتها، والعمل على تمهيد الطريق، ورفض الخضوع للقيود، "واشتريت حرّيتها بعيداً عنه بالطلاق وطوت صفحته من سجل حياتها، فأكملت الدكتوراه، واستنهضت كل عوامل القوة في ذاتها"<sup>(١)</sup>، فبفعلها هذا أعادت التوازن المفقود، كما أنّها هسّمت أنظمة التمركز التي منحت الرجل وثقافته حرّية التقدّم، في مقابل إهمال تامّ وطمس لدور المرأة.

كذلك عدّت رواية (المحبوبات) لعالية ممدوح، و(عندما تستيقظ الرائحة) لدنى غالي أنموذجًا للتمرّد على نسق فحولي سائد، وثقافة ذكورية خاوية، واستبداله بنسق آخر يرفض السلطة الفحولية وهيمنتها، فبطلتا الروائيتين قرّرتا الانفصال عن زوجيهما بعد أن حاولا فرض القيود عليهنّ، وإجبارهنّ على الخضوع لإملاءات الزوج، فالمرأة كلّما كانت واعية ومتفقة زادت قدرتها على تحطيم قيود التبعية<sup>(٢)</sup>.

الروايات التي خصّها الباحث بالدراسة تعود للكاتبات فقط، إذ لم يقف على رواية مؤلّفها ذكر؛ بغية تأكيد مركزية الأنثى من جانبين: الأول عندما امتلكت زمام السرد، فحطّمت أول قيد

(١) يُنظر: تمثّلات الموت في الرواية العراقية ٢٠٠٣-٢٠١٤، فارس نايف الفايز: ١٥٣.

(٢) يُنظر: م. ن: ١٥٤ و ١٥٧.



ذكوريّ وقوّضت نفساً فحولياً قارّاً في الواقع. والثاني عندما غادرت مملكة الرجل، وزعزت سلطته، ورفضت التبعية له وأبدت جراتها باتخاذ قرار الانفصال عنه، واستعادة ذاتها من جديد.

فالباحث هنا مدركٌ للوعي الثقافيّ الأنثويّ، فلم يغب عن وعيه قضايا النسوية وهو يبحث في دلالات الموت، لذلك جاءت رؤيته متماهية مع رؤية الروائيات، وداعمة لموقفها المتمثل في تبني الموجّهات الثقافيّة المساهمة في إنتاج خطاب نسويّ يرفض التبعية للرجل، ويُعلن استقلاله في عرض رؤيته.

ويدخل في هذا السياق -سياق التناول الجزئيّ لقضايا النسوية- كتاب الباحث محمد هويدي الموسوم بـ (تمثّلات السلطة ومرجعياتها الثقافيّة في روايات فؤاد التكرلي). رصد الباحث في دراسته مظاهر السلطة بجوانبها السياسيّة والاجتماعيّة والدينيّة، فضلاً عن وضع المرأة في ظل السلطة العائليّة، فكان وضعها ينسجم وما يفرضه عليها الرجل ونظرته إليها التي لا تتعدّى أن تكون شيئاً يمكن امتلاكه كأبيّ شيء مادّي، وهذه النتيجة أشار إليها الباحث بقوله: "وفي روايات فؤاد التكرلي يظهر استلاب الآخر الأنثوي في صور متعددة، بما يشكل فقداناً للانسجام بين الذات التي تحاول امتلاك حريتها، وبين نموذج أنثوي تقمعه الثقافة السائدة"<sup>(١)</sup>، إذ يغلب على نساء التكرلي طابع الخضوع القسريّ للسلطة الأبويّة، مع بعض المحاولات التي نجحت فيها بعض النساء بالتمرد على سلطة الزوج، ويبدو أنّ العامل الاقتصاديّ قد عزّز من تبعية المرأة للرجل وخضوعها لسلطته.

عرّت رواية (بصقة في وجه الحياة) الوعي الأنثويّ، كاشفة عن هشاشته وخوائه، كما أفصحت عن "التبعية المطلقة للرجل والاعتماد عليه، نتيجة للتطبيع السلطوي الاجتماعي"<sup>(٢)</sup>، كما لم تبتعد رواية (الوجه الآخر) عن "إبراز نماذج نسائية مستلبة نتيجة قصور في وعيها وكثافة فعاليات التنميط الاجتماعي، وتأتي من أهمية الرجل في العملية الاقتصادية وفقدان المرأة لها"<sup>(٣)</sup>، في حين أنّ رواية (الرجع البعيد) قدّمت رؤية مغايرة للأنثى تخالف الرؤية التي قدّمتها الروايتان السابقتان، وهذه المغايرة جسّدتّها الشخصيّة (منيرة) عبر "محاولاتها في التحرر من السيطرة

(١) تمثّلات السلطة ومرجعياتها الثقافيّة في روايات فؤاد التكرلي، د. محمد عبد الحسين هويدي، دار شهريار - البصرة، ط ١،

٢٠١٨م: ١٤٠.

(٢) م. ن: ١٤١.

(٣) م. ن: ١٤١.

الذكورية، وتعزو الرواية هذه المغايرة إلى عاملين أولهما: يتعلق بطبيعتها التكوينية (جمالها) وهو ما يتناغم مع مقاييس التفضيل الذكورية، والثاني وهو الأبرز يتمثل بالاستقلال الاقتصادي النسبي (العمل) أي عدم الاعتماد المطلق على الذكر<sup>(١)</sup> فلم ترسخ (منيرة) لسطوة الرجل، ولم تُدعن لرغباته. كذلك صوّرت رواية (خاتم الرمل) الوعي الأنثويّ الراض لتبعية الزوج وتهميشه للمرأة، فقد تمرّدت (سناء) "على مؤسسة الزواج التي تشرعن تحكماً شبه مطلق للرجل، ويظهر صراعها مع زوجها كاشفاً محاولاتها لتأكيد الاستقلالية الأنثوية، وتثبيتاً لحقها في الرفض أو القبول، الأمر الذي يجعلها أنموذجاً متفرداً بين النماذج الأنثوية التي ظهرت في الخطاب السردي للتركلي"<sup>(٢)</sup>. أثبتت دراسة الباحث محمد هويدي أنّ شخصيات روايات التركلي النسائية في مجملها شخصيات مستلبة الإرادة، وخاضعة لسلطة ذكورية، يقف العامل الاقتصادي، وثقافة المجتمع وعاداته وراء تهميشها وتبعيتها. فالمرأة إمّا فاقدة لكيونتها في ظلّ هيمنة أبوية داخل أسرتها، وإمّا تابعة لزوجها، ولم تشهد شخصيات نسائية متمردة على سلطة العائلة أو الزوج إلا في نماذج نسائية قليلة جداً أشارت إليهنّ روايتا الرجع البعيد، وخاتم الرمل.

هذه النتيجة أكّدها الباحثة آلاء قحطان عبد الرحمن عندما درست روايات التركلي أيضاً في كتابها (صورة المثقف في روايات فؤاد التركلي)، ففي الفصل الثالث الذي قصرته على دراسة المثقف والموقف من المرأة حدّدت فيه ثلاثة مستويات للنظر إلى المرأة، وهي: النظرة السلفية الرجعية، والنظرة الليبرالية، والنظرة التقدمية، فالمستوى الأول رصدته الباحثة في رواية (الوجه الآخر)، إذ تُظَر إلى المرأة "بوصفها وسيلة لإشباع اللذة لدى الرجل، وكذلك لتكوين الأسرة عن طريق الإنجاب، ويمثل الرجل السلطة الآمرة والناهية بالنسبة للمرأة"<sup>(٣)</sup>، وهذه النظرة تكرّرت في (بصقة في وجه الحياة) و(الرجع البعيد)، و(خاتم الرمل)، و(المسرات والأوجاع)، و(اللاسؤال واللجاب) وفي ختام حديثها عن النظرة الرجعية في روايات التركلي، توصلت إلى نتيجة ترى فيها أنّ التركلي "صوّر حالة المرأة في مختلف الحقب الزمنية، كما صوّر نظرة الرجل إليها فنجدها في

(١) تمثّلات السلطة ومرجعياتها الثقافية في روايات فؤاد التركلي، د. محمد عبد الحسين هويدي: ١٤٥.

(٢) م. ن: ١٤٧.

(٣) صورة المثقف في روايات فؤاد التركلي، آلاء قحطان عبد الرحمن، دار غيداء للنشر والتوزيع - عمان، ط ١، ٢٠١٩م:

أغلب الأحوال خاضعة لسلطة الرجل ولا طموح لها غير رعاية بيت الزوجية وتلبية متطلبات الزوج<sup>(١)</sup>. وهي نتيجة حتمية لطبيعة الثقافة السائدة في تلك الحقب الزمنية، فالوعي الثقافي لدى الروائيّ مكّنه من تعرية الواقع، وكشف القصور في نظرتة للمرأة، وتعامله معها، في مقابل خضوع المرأة لتلك الهيمنة، وعدم تمرّدها ورفضها؛ لأنّ الظروف الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية لم تهَيّ لها الجو الملائم للرفض والتمرد.

وقد رصدت الباحثة أيضاً النظرة الليبرالية في ثلاث روايات، هي: (بصقة في وجه الحياة) و(الرجع البعيد) و(خاتم الرمل)، إذ ظهر المثقف هنا متعاطفاً مع المرأة، ومنحها قيمتها، وإنسانيّتها. أمّا النظرة التقدّمية فقد حدّتها الباحثة في ثلاث روايات أيضاً، هي: (بصقة في وجه الحياة) و(خاتم الرمل) و(المسرات والأوجاع)، فمع قلّة النصوص الروائيّة التي استعانت بها الباحثة لتدعيم استنتاجها في وجود نظرة تقدّمية للمرأة، كانت بعض نصوص رواية المسرات والأوجاع حاملة لتلك النظرة فقط<sup>(٢)</sup>.

وبالرجوع إلى روايات التكرلي لا نجد سوى مستويين فقط وهما الأول والثاني، وتمثّل المستوى الثاني في جزء صغير من بعض رواياته، بخلاف المستوى الأول الذي شكّل ظاهرة بارزة، وما يؤكد انعدام وجود المستوى الثالث في دراسة الباحثة غياب العيّنات الروائيّة التي تُثبت تلك النظرة التقدّمية. فالحقب الزمنيّة التي صوّرتها روايات التكرلي تراوحت بين (حقة الخمسينيات والستينيات وصولاً إلى التسعينيات وهي حقة الحصار الاقتصاديّ الذي فُرض على العراق) فنقل صورة المرأة في ذلك المجتمع، وهي نظرة لا تتعدّى حدود الأسرة والعلاقة الزوجية، إذ لم يكن همّ المرأة سوى الزواج والإنجاب، وتلبية متطلّبات الزوج، ولم يكن يُسمح لها بالعمل أو الخروج من البيت. هذا القصور في النظر إلى المرأة ومكانتها فرضه عليها المجتمع رغماً عنها، حتى وإن لم تكن على قناعة تامّة بها.

ولم تتعدّ دراسة الباحث علي جواد عبادة الموسومة بـ (المضمّرات الإشهارية في الرواية العراقية) عن سياق التناول الجزئيّ لقضايا النسوية، إذ أفرد الباحث المحور الثاني من الفصل

(١) صورة المثقف في روايات فؤاد التكرلي، الااء قحطان عبد الرحمن: ٢١٣.

(٢) م. ن: ٢٢٠-٢٢٧.

الثالث لدراسة قضايا النسوية التي تجلّت في ثلاث قضايا رئيسة هي: ١- نقد الثقافة الأبوية ٢- واقتراح رؤية أنثوية للعالم ٣- الاحتفاء بالجسد.

درس الباحث روايتين تحت عنوان نقد الثقافة الأبوية، الأولى رواية (الكافرة) لعلي بدر، والثانية (التشهّي) لعالية ممدوح، ووجد أنّ رواية الكافرة أظهرت "تقدماً لادعاً لمركزية الفكر الأبوي التي تتعمد قهر الجسد الأنثوي وامتهانه"<sup>(١)</sup>، إذ تمكّنت (فاطمة) وهي إحدى شخصيات الرواية من ضرب معاقل النظام الأبوي عندما نجحت في الهروب إلى أوربا؛ انتقاماً من زوجها الذي آمن بخرافة لا تمتّ إلى المنطق بصلة، وفضّل الموت بتفجير نفسه ليحظى بسبعين حورية في الجنة، فما قدّمته من أسئلة استنكارية بمنزلة "سجّل الأنوثة الذي تضرب به الثقافة الأبوية، وتردم خواء الفحولة المزعومة، وتعري العقل الذي يقدم نفسه قرباناً لتأمّلات خرافية، لا إنسانية في جوهرها، فتكون هذه الأسئلة بوابة الثأر من زوجها الذي هو رمز النظام الأبوي؛ فتسافر صوفي لتمارس حريتها في أوربا حيث دخول الملاهي، وشرب الخمر بل تتحدى النظام الأبوي وتقرر مضاجعة سبعين شاباً جميلاً هناك بإرادتها"<sup>(٢)</sup>، وخلص الباحث إلى نتيجة مفادها أنّ تلك الرواية سعت "إلى نقد الثقافة الأبوية، ومحاولة تأسيس رؤية أنثوية للعالم عبر شخصية (صوفي)، فقد تكفلت الأخيرة بنقد تلك الثقافة بالسؤال، والشك، والسخرية، وفضح النوايا"<sup>(٣)</sup>، فالرواية عزّت ذلك المجتمع الخاضع لسلطة أبوية رسّخت نسقاً ذكورياً قارراً في اللاوعي المجتمعي، الذي يتغيّأ قهر الجسد الأنثوي بجعله تابعاً للذكر، كما أفصحت عن خواء العقل الذكوري وقصر نظره تجاه قضايا وجودية أساسية ومهمّة.

أمّا رواية (التشهّي) لعالية ممدوح فلن نتحدّث عنها هنا؛ لأنّ تقويض مركزية النظام الأبوي كان عن طريق بطلها (سرمد برهان)، وما يدخل في حيّز دراستنا هو تجليات المرأة ذاتاً وموضوعاً، أمّا الاحتفاء بالجسد فسيرد الحديث عنه لاحقاً.

(١) المضمّرات الإشهارية في الرواية العراقية حقبة ما بعد الانفتاح، د. علي جواد عبادة، دار تموز ديموزي، ط ١، ٢٠٢٠م:

١٨٩.

(٢) م. ن: ١٩٠.

(٣) م. ن: ١٩٢-١٩٣.

أما الدكتور فاضل عبود التميمي فقد ألف كتاباً في مجال الدراسات الثقافية، تناول فيه ثلاثة أجناس أدبية هي: الرواية والرحلة والمقالة. وفي القسم المتعلق بدراستنا وقف على خمس روايات؛ ليحدّد الأبعاد الثقافية والقضايا التي تناولتها، فكانت روايتا (الصندوق الأسود) لكليزار أنور، و(أحببت حماراً) لرغد السهيل قد تناولتا قضايا نسوية. وقد عالجت الرواية الأولى فكرة الإنجاب وهيمنتها لا على المرأة فحسب، بل على المجتمع ككل، فلا المرأة المتزوجة تستطيع العيش من دون إنجاب بنتٍ أو ولدٍ، لأنّ العرف الاجتماعي والوعي الذكوريّ لن يسمحا لها بالعيش راضية بمشيئة القدر، ولا الزوج سوف يرضى بالقدر أيضاً أو يتقبّل نظرة المجتمع إليه؛ لأنّ الجميع يُلقى باللائمة على المرأة وكأنّها السبب الوحيد لعدم الإنجاب، وبخلاف تحقّق فعل الإنجاب فإنّ المرأة تفقد حقّها بالوجود. وفي هذا الصدد يقول الباحث: "كان صوت المرأة ومحنة جسدها في الرواية قد مثل مكابدات نفسية في ظل ثقافة ذكورية لا تتسامح مع حالات الاستثناء القصوى للجسد غير المنتج، فكان حضور المحنة بشكلها الإنساني تفكيكا لل (التهمة)، وللا (الوصم)، وردعا لمن يعتقد بنقص المرأة غير المنجبة"<sup>(١)</sup>، ذلك إن تقديم السرد بصوت أنثويّ ضرباً لمركزية الذكورة، وإنزالها إلى الهامش، ليعلو صوت الأنثى وهي تبوح بمعاناتها، وتأكيد هويتها التي غيّبتها مركزية الذكر مدّة طويلة. كذلك وجد في رواية (أحببت حماراً) لرغد السهيل تبشيراً بمبادئ النسوية، إذ يقول: "كانت الرواية قد أسهمت في التبشير بمبادئ النسوية بدءاً من تصديرها ذي الدلالات التفسيرية المقصودة، وانتهاءً بمنتها حامل الأفكار ذات الحفر العميق في المجتمع وخطاباته، في أفكار بدت للمتلقّي قريبة ممّا يتفشى اليوم من أفكار تنتمي إلى (النسوية)، فقد انشغل متن الرواية بخطاب تلك الأفكار"<sup>(٢)</sup> وهذا يعني أنّ الأنثى في هذه الرواية قد تجاوزت ثقافة التبعية للرجل، وأعلنت تمزدها ورفضت نيابة الرجل في الحديث عنها، فضلاً عن تبنيها عرض جملة من القضايا ذات الهمّ الجمعيّ.

إنّ دراسة الباحث لقضايا النسوية جاءت في سياق الحديث عن خمس روايات، كلّ واحدة منهنّ درست في هدي ثيمة معينة. والرابط المشترك بينها نوع الدراسة التي استند عليها الباحث. إذ حاول استنباط الرؤى الثقافية التي تبنتها النصوص الروائية. وما يدخل في سياق قضايا النسوية

(١) دراسات ثقافية في الرواية والرحلة والمقالة، د. فاضل عبود التميمي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٢١م: ٤٢.

(٢) م. ن: ٥٧.

دراسته روايتي (الصندوق الأسود، وأحببت حماراً)، فجاءت دراسته مُفصحة عن الوعي الأنثويّ المنشغل بهومها الذاتية كما عبّرت عنه رواية (الصندوق الأسود)، في حين أنّ الوعي الأنثويّ في رواية (أحببت حماراً) وجده الباحث قد تجاوز الانشغال بالهمّ الفردي، إلى عرض قضايا متعلّقة بحقّ المرأة بالتعليم والانتخاب والاستقلاليّة عن الرجل.

### ثانياً: تقديم رؤية أنثويّة للعالم

حثّ الفكر النسويّ على إنتاج كتابة أنثويّة تسعى إلى تحطيم صنم الذكورة القابع في برجه العاجي؛ لتتمكّن من تقديم رؤية للعالم تنطلق من منظورها وتكون هي مركزها، ولكنها لا تتغيا من محاولاتها صوغ كتابة تقف ضدّاً لما يكتبه الرجال، بقدر سيرها بمحاذاة كتابات الرجال؛ للكشف عمّا غيّبته الثقافة الذكوريّة ردحاً طويلاً من الزمن، حتى "توسّعت الكتابة النسويّة فشملت مجالات التعبير الفكريّ والأدبيّ والفنّيّ والعلميّ، ولعلّ قضايا الوطن والعرق والطبقة والهويّة، هي من أبرز ما أثّرت في الكتابة النسويّة"<sup>(١)</sup>.

وقف الباحث صادق ناصر الصكر في فصلٍ من فصول كتابه (مرويات المنفى) على روايات الروائيّة بتول الخضير، وخصّ بالدراسة والتحليل روايتها (غايب)، هذه الرواية التي رصدت الخراب الاجتماعيّ نتيجة الحروب وبشاعتها، والحصار الاقتصاديّ وتداعياته، فعملت الروائيّة على تصوير ثيمة الحرب من منظور أنثويّ قدّم وثيقة تدين الحرب، وتستجلي آثاره في بنية المجتمع السطحيّة والعميقة، فالخضير "قد عثرت على ضالتها الدلالية في الحرب والحصار، فمن الناحية المفهومية هناك فرصة للتذكير بأن حريتها لا تعني احتضار محلّيتها، وهي تكتب في المنفى، ومن الناحية الفنية والرؤيوية فإنّ الحكاية/ الإطار، وتعالق الحكايات الصغيرة داخل ذلك الإطار، ستأخذ شكل الممر السردّي الذي يحظى بإجماع مثالي، في نقده للحرب والفاشية، لكي تمرر الخضير حكايتها، هي، عن أسيائها المقموعة والمسكوت عنها"<sup>(٢)</sup> هذا يعني أنّ الروائيّة بحديثها عن الحرب أرادت أنّ توصل للمتلقّي نتيجتين: أحدهما ظاهرة أعلن عنها النصّ الروائيّ صراحة

(١) السرد النسويّ، الثقافة الأبويّة، الهوية الأنثوية، الجسد، د. عبد الله إبراهيم: ٣٩.

(٢) مرويات المنفى دراسات في الرواية العراقية المعاصرة، صادق ناصر الصكر، سلسلة تصدر عن جريدة الصباح،

٢٠٠٨م: ٩٦-٩٧.

ونعني بها الحرب، وأخرى مضمرة توصلنا إليها عن طريق تقديمها لشخصياتها الأنثويّة بصورة قبيحة خلافاً لما هو سائد في الإبداع الروائيّ، فمن غير المعقول أن نجد رواية نساؤها جميعاً قبيحات من دون أن يكون مسوّج لذلك، إذ يقول الباحث صادق الصكر: "كل نساء بتول الخضيرى قبيحات، إذ لا توجد امرأة واحدة كانت تمتلك شيئاً يعتد به من فتنة الأنوثة وجمالها، بل هن موزعات، كما في روايتها السابقة مرة أخرى، بين القبح الطبيعي وبين المرض الخبيث، أو الطارئ، الذي يجهز على الانوثة -المفقودة أصلاً- ويحيلها إلى رميم"<sup>(١)</sup> وما هذا القبح إلاّ تجسيداً لانهايار المنظومة الاجتماعيّة، وانحسار كلّ مظاهر الجمال والمتعة وهو يدور في رحى الحرب والحصار.

أمّا غاية الروائيّة من ذلك كلّها هو أن ترسم لنفسها طريقاً خاصاً بها، وتقدّم رؤيتها، وتعلن عن تمردها ورفضها لكلّ أشكال الهيمنة والتسلّط "ففي سبيل إعلان العصيان على أقدار مشؤومة، يشكل النسق الثقافي الذكوري جبهتها الأمامية، وقع الخيار على صناعة النساء القبيحات للنيل من الأحلام المعلنة والسرية لذلك النسق الضاغظ... أي رغبته في امتلاك النساء الجميلات"<sup>(٢)</sup> فالروائيّة تعاملت مع قضية المرأة من جانب مغاير لما هو سائد، إذ إنّها رسمت صورة لشخصياتها النسويّة يغلب عليها القبح والنفور، ليس من أجل الحطّ من قيمة المرأة بقدر ما هو نوع من التمرد على السلطة الذكوريّة عن طريق تشويه ما يسعى إلى امتلاكه الرجال وتخريبه كي تبقى المرأة/ الأنثى قيمة في ذاتها، لا من حيث ما تقدّمه من متعة جماليّة للرجل/ الذكر.

وبناءً على ما سبق نلاحظ أنّ وعي الناقد الثقافيّ كان حاضراً في دراسته لرواية الخضيرى، كما إنّ الوعي بقضايا النسويّة كان حاضراً في ذهن الروائيّة، وهذا ما قادها إلى تقديم رؤية نسويّة قائمة على إنتاج وعي بقيمة الأنثى مغاير لما ترسّخ في ذهنيّة الثقافة العربيّة، بحيث تكمن قيمتها في ذاتها، وليس في جمالها الجسديّ الذي يحقّق المتعة للرجل.

أمّا الباحث عبد الله إبراهيم في كتابه (السرديّ النسويّ...) فقد منح كتابات المرأة عناية كبيرة، فلم يسلّط الضوء على الكتب التي ألّفها المرأة التي تُعنى بقضايا المرأة فقط، بل ألقى الضوء على

(١) مرويات المنفى دراسات في الرواية العراقية المعاصرة، صادق ناصر الصكر: ٩٧.

(٢) م. ن: ١٠٢.

مجموعة من الروايات ذات المنابع المتعددة والأهداف المتنوعة، ووقف عندها بالدرس والتحليل الثقافي، إذ تناول في الفصل الثالث من كتابه سبع روايات لمجموعة روايات درسهن تحت عنوان (السردي النسوي والرؤية الأنثوية للعالم). أول رواية وقف عندها (كم بدت السماء قريبة) لبتول الخضيرى. هنا انشغلت الروائية بتقديم الهوية الأنثوية بصوت أنثوي خالص عن طريق بطلتها روايتها ذات الأصول الإنكليزية، التي تزوجت من رجل عراقي وانتقلت معه إلى بلده، فعبر هذه العلاقة غير المتكافئة بين الزوجين قدمت الروائية رؤيتها الثقافية المتمثلة في انعدام التوافق بين عقليتين أو ثقافتين مختلفتين: إحداهما ثقافة غربية خالصة جسدتها شخصية الزوجة، وأخرى عربية خالصة تمثلت بشخصية الزوج ثم ظهر التباين الثقافي بين الاثنين بوضوح حينما تقدمت الفتاة بالعمر، فالأم ترغب في دفعها إلى تعلم الرقص، والاختلاط، أما الأب فحذر بأن ذلك سيضر بمستقبلها في مجتمع يقوم على الفصل بين الجنسين، وينظر للرقص نظرة دونية<sup>(١)</sup> ازدادت الفجوة بين الزوجين بعد ولادة الطفلة ومشاركتها حياتهما، إذ كلاهما يسعى إلى غرس ثقافته في عقل الفتاة، ويرى أنها الثقافة الأفضل، وهذه الخلافات وانعدام التوافق بين الزوجين أدى إلى تفكيك العلاقات الأسرية، وبهذا "أرادت الرواية أن تبرهن على عجز الأشخاص المختلفين ثقافياً عن التواصل العاطفي والاجتماعي"<sup>(٢)</sup>.

كذلك قدم الباحث دراسة لروائيتين للروائية علوية صبح اشتركتا معاً في ثيمة مهمة وهي ثيمة الحرب، إذ يقول: "لم تكتب علوية صبح عن الحرب بوصفها حدثاً، إنما كتبت عما هو أكثر أهمية: الكيفية التي مسخت الحرب فيها الرجال، ثم كيف قاموا بمسح المرأة بعد ذلك"<sup>(٣)</sup> فالرؤية النسوية هنا أفصحت عن عالم هش وممزق، وقيم أخلاقية واجتماعية منهارة في ظل أزمة كبرى كانت الحرب أبرز تجلياتها. خلفت الحرب في نفوس الرجال الرعب وصيرتهم كائنات خاوية، وشوهت الملامح الإنسانية، وهذا يعني أن الروائية لم تكتف بالحديث عن قضية كتب عنها الرجال، بل راحت تقدم رؤية نسوية تكشف عن تداعيات الحرب وما تتركه في نفوس الرجال والنساء معاً

(١) السرد النسوي، الثقافة الأبوية، الهوية الأنثوية، الجسد، د. عبد الله إبراهيم: ١١٦.

(٢) م. ن: ١٢٠.

(٣) م. ن: ١٢١.



من وجهة نظر أنثوية، وهذا الفعل يجعل من كتابات المرأة تسير بخط موازٍ مع إبداع الرجل، وليست كتابة ضدية أو معادية للثقافة الذكورية.

أما رواية (أنا هي أنت) لإلهام منصور فإنها تُناقش قضية المثلية، وتُعنى "مباشرة بقضية السحاق وتناقش أسبابها ومظاهرها وسرّها، وتعرض علاقات مثلية بين نساء يعوم بهنّ فضاء السرد"<sup>(١)</sup>، إذ عرضت الرواية نساء اتخذن من العلاقات المثلية وسيلة للاحتفاء بالجسد الأنثوي، ورفضاً للوجود الذكوري المتسلط، فكنّ يتفاوتن في الأعمار، ومن مستويات تعليمية متعدّدة.

جاء الحديث عن هذه القضية من وجهة نظر أنثوية عرضت "الملابسات الجسدية والثقافية لموضوع المثلية الأنثوية، فقد كشفت العلاقات المثلية طبيعة الميل الجنسي، وكشفت الحوارات التفسير النفسي للرغبة في الشبيه، لا باعتباره طرفاً مكملًا للهوية الأنثوية، إنّما نظيرًا تحقق من خلاله فكرة الشراكة الجسدية، وجاءت الشخصيات أنماطاً متعدّدة للتفصيل في كشف ضروب المسألة المثلية"<sup>(٢)</sup>

أما رواية (غائب) لبتول الخضيرى فقد رصدت الأثر السلبي الناتج عن الحرب، إذ رصدت الخراب الذي أصاب المنظومة الاجتماعية، وانهيار القيم، وفقدان الأمان، مع غياب تام لمظاهر الحياة بمختلف مجالاتها، إذ عُيّنت الرواية "بمتابعة مصائر مجموعة من الأسر العراقية عاشت في عمارة وسط العاصمة بغداد، وعيّنت فضلاً عن ذلك بالأزمة الاقتصادية التي استغرقت الفترة بين حرب الخليج الثانية والغزو الأمريكي للعراق ١٩٩١ - ٢٠٠٣، وأدّت إلى انهيار الطبقة الوسطى، وأشاعت مفاهيم الخداع والغدر والخوف والرياء، وكلّ ما يمكن تصوّره من مظاهر سلبية فرضها حصار خارجي واستبداد داخلي على مجتمع كامل"<sup>(٣)</sup> هذا الخراب الذي أصاب العراق، وشلّ الحياة فيه، عبّرت عنه شخصيات الرواية، ورسمت ملامحه عن طريق سلوكها وأفعالها ودرجة وعيها وثقافتها، انطلاقاً من رؤية أنثوية حرصت على تقديم رؤيتها بحسّ أنثوي.

(١) السرد النسوي - الثقافة الأبوية، الهوية الأنثوية، والجسد، د. عبد الله إبراهيم: ١٢٥.

(٢) م. ن: ١٣١.

(٣) م. ن: ١٤٦.

في هذا الفصل جرى التركيز على الوعي الأنثوي، وتفصيل القول في القضايا التي ناقشناها في نصوصهن الروائية، إذ تمّ الوقوف على سبع روايات، ثلاث منهنّ لروائيتين عراقيتين هما (بتول الخضير، وعالية ممدوح)، وأربع روايات عربية لـ (علوية صبح، وإلهام منصور، وحزامة حبايب). تميّز جهد (إلهام منصور)، وجرأتها في مناقشة قضية السحاق. ويتضح أنّ الوعي الثقافي بقضايا المرأة وبهمومها لم يغب عن الروائية لحظة الخلق الإبداعي، ولهذا وجدناها تسعى إلى تقديم رؤية عن الاعتزاز بجميع أشكاله وتداعياته انطلاقاً من ذات أنثوية تكشف عن عمق مأساته، وأثره على الوعي الإنساني ككل ذكوراً وأنثاءً. هذا الوعي يُقابلة حضور الوعي النقدي لدى الباحث وهو يدرس روايات الروائية، جاعلاً رؤاها ووعيتها بالهمّ الجمعي نوعاً من التجريب، وضرباً من الفرادة والتميّز والاستقلالية بعرض الرؤى والأفكار.

وفي سياق الحديث عن قضايا النسوية، نجد جهد الباحثة هدى حسين الشيباني قد تجلّى في تقديم دراسة موسّعة انشغلت برصد تلك القضايا عبر دراستها لمجموعة روايات لكاتبات عربيات وعراقيات، وذلك في كتابها الموسوم بـ (رواية المرأة العربية...). ومن بين القضايا التي اعتنت بها المرأة الروائية: القضايا السياسية والحربية، والقضايا الاجتماعية، والقضايا التاريخية، وهذا يعني أنّ الروائيات لم ينشغلن بقضايا فردية تخصّهن وحدهن، بل انشغلن بالهمّ المجتمعي الجمعي، والتصدي لقضايا اجتماعية وتاريخية لتُبرهن على أنّ الكتابة ليست حكراً على الرجل وحده، وليست المرأة بعيدة عن الواقع الاجتماعي، فالباحثة تستشهد بقول للناقدة (بثينة شعبان) تؤكد فيه "أنّ بعض الحروب كانت النساء أول من تناولها رواياً مثل حرب الخليج الثانية التي تناولتها رواية (مطر أسود/ مطر أحمر) لـ (ابتسام عبد الله)، تبعتها روايتا (العالم ناقصا واحد) و(عطر التفاح) المنشورة سنة (١٩٩٦) لـ (إرادة الجبوري)"<sup>(١)</sup>، فهي هنا تسجّل سبق الريادة للروائيات في تناول بعض الموضوعات، ومنها موضوعة الحرب، فما قامت به المرأة هنا ممثلاً تحدياً للسلطة الذكورية، وانقلاباً على وصاياها التي منعت المرأة من ارتياد ميادين الكتابة والمحافل العامّة، كما شدّدت الرقابة عليها ولم تسمح لها بتهديد النظام الاجتماعي الأبوي<sup>(٢)</sup>.

(١) رواية المرأة العربية من ١٩٩٠ - ٢٠٠٧م في ضوء النقد النسوي، هدى حسين الشيباني: ٦٦.

(٢) ينظر: النسوية وما بعد النسوية، سارة جامبل: ٢٥.

كما اعتنى "الفكر النسوي بالتاريخ، لكونه سجلّ أفعالاً دونها الرجال على وجه العموم، طبقاً لفرضيات الثقافة التقليدية، وتقليب صفحات ذلك السجل، وإعادة تدوين الأحداث التاريخية من وجهة نظر أنثوية"<sup>(١)</sup> وهذا ما رصدته الباحثة في روايتين الأولى (الخروج من سوسروقة) للكاتبة الأردنية زهرة عمر ابشاتسة، والثانية (أعاصير في بلاد الشام) للكاتبة السورية ناديا خوست<sup>(٢)</sup>. عنيت الرواية الأولى بتدوين تاريخ الشتات الشركسي، وتفريق شتات الأسر الشركسية بين نازح هرب من جحيم الحياة وآخر أثر البقاء ليُلاقى حتفه. في حين انشغلت الرواية الثانية بالحديث عن تاريخ الصراع العربي الصهيوني وإعلان الدولة الصهيونية. وفي هاتين الروايتين استجلي التاريخ الشركسي والصراع العربي/ الصهيوني برؤية الذات الأنثوية.

أمّا في سياق التناول الجزئي لقضايا النسوية، فإنّ دراسة الباحث غانم الزبيدي الموسومة بـ (شوارع نيرودا) تدخل في هذا السياق، إذ خصّ في الدراسة رواية (سيدات زحل) للطفية الدليمي، التي رصد فيها انحسار الثقافة الذكورية في مقابل اتساع سلطة المرأة، وتمردّها، وإثبات هُويّتها، فهي "من الأدب النسوي المعني بقضايا المرأة في إثبات الهوية وتقويض فكرة الجسد وتحررها من سلطة الذكر وعنفه، وهو ما عملت عليه الروائية لطفية الدليمي في بناء عالمها الروائي في معظم أعمالها"<sup>(٣)</sup> كما إنّ روايتها قدّمت صورة فجائية للمدينة امتزجت مأساتها بمأساة الناس، وفي هذا الصدد يقول: "أسهم الخطاب النسوي في الرواية في تعميق فشل تلك الروابط الاجتماعية؛ لأنّ حضور المرأة بديلاً عن الرجل، قد عزز تلك العلاقات المنهارة والآفلة، ومثّل فجيعة الحب في زمن العنف، ليقوم السرد بالثأر من الذكر، بوصفه سلطة قامعة للأنثى؛ وقد تم استجلاء ذلك عبر رسم شخصيات ذكورية غائبة أو مشلولة أو مزيفة ومتخاذلة اجتماعياً"<sup>(٤)</sup>. تحدّثت الروائية في روايتها تلك عن الاحتلال الأمريكيّ، وما رافقه من فوضى ودمار وغياب الدولة، وظهور

(١) السرد النسوي، الثقافة الأبوية، الهوية الأنثوية، الجسد، د. عبد الله إبراهيم: ٣٩.

(٢) يُنظر: رواية المرأة العربية من ١٩٩٠-٢٠٠٧م في ضوء النقد النسوي، هدى حسين الشيباني: ١٦٥-١٦٩.

(٣) شوارع نيرودا استراتيجيات الرواية العراقية بعد ٢٠٠٣ أشكال السلطة وصور المثقف، د. غانم حميد الزبيدي، دار أمل الجديدة، ط ١، ٢٠١٩م: ٢٤٤.

(٤) م. ن: ٢٤٩.

جماعات مسلّحة، والقتل الجماعي... كلّ هذا قدّمته الروائيّة بطريقة إبداعية، وبرؤية أنثويّة تؤرّخ لمرحلة مهمّة من المراحل العصبية التي مرّ بها العراق.

لم تقف جهود المرأة عند حدود التمرد ورفض الهيمنة الذكوريّة، والانشغال بالهمّ الفردي، بل تعدتها إلى الكتابة عن القضايا السياسيّة والتاريخيّة والدينيّة، فسعت رواية (منازل ح ١٧) لرغد السهيل إلى نقد الفهم السائد للفكر الدينيّ، متّخذة من المرأة مركزاً لسرد خطابها. إذ قدّمت بطلّة الرواية الملقّبة بـ (قمر الزمان) فهماً مغايراً للخطاب الروائيّ الدينيّ. ناقشت الرواية جملة من القضايا تتجلّى أبرزها في الدعوة إلى وحدة الأديان عن طريق البحث في المشتركات، والمساواة بين المرأة والرجل ونبذ التمييز الجنسيّ عن طريق تقديم تأويلات لآيات القرآن الكريم مغايرة لما هو سائد وقار في الثقافة العربيّة، وأخيراً تقديمها لفكرة المخلّص انطلاقاً من رؤية جديدة.

يقول الباحث سمير الخليل عن بطلّة الرواية (قمر الزمان): إنّها ناضلت "بالدرجة الأولى ضدّ دونية المرأة التي يصمها الرجال بها بوصفها أنثى، وحاولت أن يتميز صوتها كامرأة وتكون نداً للرجل في مجتمع ذكوري. ومارست جرأة في الرأي والاجتهاد والمواجهة على نظيرها في الخلق، وخاصة في مجال الإفتاء والتصريح بآراء وأفكار ظلت حكراً على الرجال فقط"<sup>(١)</sup>، كما إنّها قدّمت نقدًا لاذعاً للمدرسة الأصوليّة وحاربت أفكارها، وألقت بمريديها في السجون، وهذا النقد الذي وجّهته إلى "أسطورة دونية المرأة من جهة، ومن جهة أخرى إلى الأصولية المتكلسة لهو نقد يتمحور في هدف واحد، وحول معنى محدد، ويمتلك [مركزاً ثابتاً] لا يمكن تخطيه. إنّهُ تسفيه العقليّة الدوغماتية في كل زمان ومكان"<sup>(٢)</sup> فالمبدأ الذي تؤمن به الأصوليّة مبدأ الإرجاء، أي إرجاء الأزمات جميعها (سواء أكانت سياسيّة، أم اقتصاديّة، أم وجوديّة) إلى زمن ظهور المخلّص أو المنقذ الذي يملأ الأرض عدلاً بعد الخراب والتدنيس الذي أصابها.

(١) الرواية سرداً ثقافياً سسيولوجياً الثقافة وأرختها وتسيبها، د. سمير الخليل، دار الرافدين - بيروت، ط١، ٢٠٢٠م: ٥٧-

٥٨.

(٢) م. ن: ٦١.

كلّ هذه القضايا ناقشتها الرواية انطلاقاً من وعي أنثويّ متسلّح بثقافة دينية، ومعرفة تاريخية، وحسّ نقديّ مكّنها من خوض نقاشات حادة وجريئة، والدخول في مناطق محرّمة عرفياً وثقافياً؛ بغية تفتيت الأفكار المنافية للعقل، وتقديم قراءة للتاريخ الدينيّ مغايرة لما هو مترسّخ في الأذهان. كما إنّ الوعي النقديّ للباحث كشف عن الجوانب الثقافية التي غنيت الرواية بتسليط الضوء عليها.

ويدخل أيضاً في سياق التناول الجزئيّ لقضايا النسوية كتاب الباحث فاضل ثامر الموسوم بـ (الرواية العربية في دائرة التأويل)، إذ أفرد ثلاث دراسات: كانت الأولى من نصيب رواية (عشاق وفونوغراف وأزمنة) للروائية العراقية لطيفة الدليمي، والثانية (حفيدة البي بي سي) للروائية العراقية ميسلون هادي، والثالثة (نساء القمر) للروائية العمانيّة جوخة الحارثي. جاءت هذه الدراسات على مساحات متفرّقة من كتابه الذي ضمّ بين طياته دراسات متعدّدة، لكلّ واحدة منهنّ موضوعاً مغايراً تقرضه طبيعة العينة المدروسة. أمّا تلك الدراسات الثلاث التي تدخل في إطار اشتغالنا فإنّها اشتركت في قضية واحدة، وهي انشغال الروائيّات بتقديم وثيقة ترصد معاناة الفرد العراقي وأوجاعه، وتجسدّ الحقبة السياسيّة والتاريخيّة والثقافيّة من منظور أنثويّ، فعُدّت رواية (عشاق وفونوغراف وأزمنة) "عمارة سردية مركبة باذخة ومشروع وطني، بعيون أنثوية لقراءة معاناة الفرد العراقي وأوجاعه وأحلامه واشواقه عبر التاريخ الاجتماعي والسياسي والثقافي للعراق الحديث عبر ما يزيد على المائة عام"<sup>(١)</sup>، فقامت بتقديم قراءة جديدة للتاريخ السياسيّ العراقيّ بمخيال أنثويّ، أمّا رواية (حفيدة البي بي سي) فإنّها غطّت "مرحلة طويلة من تاريخ العراق السياسي والاجتماعي والثقافي، بدءاً من الحياة تحت ظل العثماني، وحتى الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣، وهي فترة تزيد على الثمانية عقود"<sup>(٢)</sup>. ما كتبه المرأة المبدعة عدّ انعطافاً في المضمار الروائيّ، ففي ذروة ممارساتها التخيلية كشفت عن إبداعها "معلنة عن خطاب يدين الواقع ويعرّيه، ويفضح المسكوت عنه عبر تمظهره المرير والمفجع في تفاصيل الحياة اليومية للإنسان المقموع والمقهور"<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظر: الرواية العربية في دائرة التأويل، فاضل ثامر، منشورات اتحاد الأدباء - بغداد، ط١، ٢٠٢١م: ١٠٧.

(٢) يُنظر: م. ن: ١١٠.

(٣) التجريب وتحولات السرد في الرواية السورية، محمد رضوان، منشورات اتحاد الكتّاب العرب - دمشق، ٢٠١٣م: ١٢٦.

أما مسوغات دراسة الباحث لرواية (نساء القمر) لجوخة الحارثي فهي فوزها "بجائزة (مان بوكر) البريطانية عام ٢٠١٩ للأعمال المترجمة إلى الإنكليزية، كان عاملاً أساسياً وجاذباً لمعرفة سر الذائقة النقدية التي يتعامل بها الناقد الغربي مع الرواية العربية"<sup>(١)</sup>. قدّمت الرواية عالماً سردياً يعجّ بنساء كُنّ قابعات تحت وطأة الأعراف الاجتماعية، إلا أنّهنّ رفضن الاستسلام والخضوع، وأعلنّ تمردهن.

ويوضّح الباحث سبب ركون الذائقة الغربية إلى الروايات العربية، وتحديدًا رواية (نساء القمر)، وذلك لأنّ العقل الغربي "عندما ينظر الى فنوننا وآدابنا، فهو يبحث عما هو خاص ومحلي واستثنائي وغائب في المجتمع الغربي"<sup>(٢)</sup>، كما إنّ الرواية "هبطت إلى قاع المجتمع السفلي وحرته بجسارة والتقطت بشجاعة كل ما هو محلي وخصوصي وغريب من طقوس وميثولوجيا وأجواء ساحرة تجعل المتلقي الغربي يتخيل نفسه ويقرأ هذه الرواية من خلال أفق توقعه الاستشراقي وكأنه سيقف أمام كهف علي بابا، الذي سينفتح أمامه بكل أسرارهِ ورموزه وكنوزه السرية ومتحف أنثيكاته التاريخية"<sup>(٣)</sup>.

اعتمد الباحث في دراسته للروايات على المنهج التأويلي، والمراد به كشف المعنى الغائب أو ما يُعرف بمعنى المعنى الذي يستفيد من مختلف السياقات، ولكنّ جهد الباحث اقتصر على البنية السطحية للنصّ وأهمّل الدلالة العميقة التي هي مجال اشتغاله مما أوقعه في فخ الخروج المنهجيّ. وربما مردّ الخروج لأن الكتاب في أصله مجموعة أبحاث كُتبت في مدد زمنيّة متفاوتة، وخضعت لرؤى متعدّدة، ووجهات نظر متفاوتة بتفاوت السنوات الفاصلة بين كلّ دراسة وأخرى، فكان كلّ ذلك مسوغاً لغياب المنهج والرؤية.

سعت النسوية من هذا كُله إلى زحزحة ركائز النظام الأبويّ، ومن ثمّ هدم بناء الزائفة التي تبنّتها وأنتجت ثنائيّة التبعية، وحجبت المرأة عن ممارسة أدوارها بحريّة تامة، واستبدالها بروية أنثويّة مدركة إدراكاً واعياً لما يدور حولها، فأثبتت براعتها في إيصال صوتها، والحديث عن نفسها وقضايا

(١) الرواية العربية في دائرة التأويل، فاضل ثامر: ١٥٩.

(٢) م. ن: ١٦٤.

(٣) م. ن: ١٦٥.

مجتمعها بدرجة عالية من الوعي والالتزان، كما أخرج الخطاب النسويّ الذات الأنثوية من الخفاء والإضمار إلى التجلي عبر فعل الكتابة؛ لمكاشفة الواقع الذكوري السلطوي، والانعقاد من قيوده.

### ثالثاً: الاحتفاء بالجسد

أضحت العناية بالجسد محوراً جوهرياً في الخطاب النسويّ، بعد إن كان الجسد محجوباً مدة طويلة تحت ذرائع شتى، فجاء الاحتفاء به ردة فعلٍ وتحدياً جريئاً لتلك الذرائع خارج إطار المنظومة الأبوية.

ناقش الباحث عبد الله إبراهيم في كتابه (السردي النسوي...) موضوعة الجسد؛ ليرصد الوعي الثقافي للمرأة المبدعة وهي تكتب عن هذه المسألة. جاءت دراسته للروايات النسائية كاشفة عن ثقافتها في قضية الجنس، ومحاولة للإجابة عن تساؤلات تركّزت في معرفة طبيعة تلك الكتابات هل كانت داعمة لما هو قار في الوعي الذكوريّ من خلاصته أنّ المرأة أداة لمتعة الرجل وإغوائه؟ أو أنّ لها رأياً مغايراً ينظر إلى الجنس بوصفه طاقة ورغبة، وإنّ مفاتن المرأة لا يجب حجبها وتغيبها أو الخجل منها.

قدّمت رواية (امرأة ليس إلّا...) لباهية الطرابلسي تمرّداً على سلطة العائلة عندما سافرت (ليلي) وبدأت تعتني بنفسها وبجسدها، وتطلق العنان لرغباتها الجنسيّة، فما قامت به ردة فعل ضد قيود الماضي، ودعوة لتحرّر الجسد من الهيمنة الذكوريّة، وفي هذا الصدد يقول الباحث: "ولكي تهضم "ليلي" فكرة فقدان العذرية يلزم تخطيها حاجزاً ثقافياً وأخلاقياً، لكنّها كانت تشعر بأنّ إبقاء العذرية سيحول دون اكتساب الأنوثة الكاملة؛ إذ بوجودها تنحسر فعالية الأنوثة وتتعلّط، وتصبح المرأة علامة جوفاء على نقاء مجوّف لا يحتمل، وبراعة غير مثمرة، ولهذا تتطلّع إلى تخريب ذلك النقاء، وتدّيس تلك البراعة العقيمة"<sup>(١)</sup> إنّ أهمّ قيد يحرمها من التمتع بجسدها هو العذرية، فبعد أن امتلكت القدرة على تحطيم جداره تمكّنت من تحقيق كامل أنوثتها. هكذا كانت تعتقد ليلي، وهكذا فهم اعتقادها الباحث عبد الله إبراهيم.

(١) السرد النسويّ- الثقافة الأبوية، الهوية الأنثوية، والجسد، د. عبد الله إبراهيم: ٢٠١.

وعلاقتها بزوجها ووقوعها تحت سلطة الزوج لم تمنعها من إقامة علاقة مع رجل آخر، كما كان يفعل زوجها الذي عشق (إيستيل الفرنسية)، إذ أصبح (آلان الفرنسي) عشيقها ومعه شعرت بحرية جسدها، فلم يقيد بها زوجها من عمر عشقها لـ (آلان)، ف "أرادت ليلي إقامة علاقتين: علاقة تملك، وعلاقة شراكة، كما يفعل عمر معها ومع الفرنسية، علاقة تملك مع النظير المغربي، وعلاقة شراكة مع الآخر الفرنسي، فالمغربيان -عمر ويلي- يمتلك أحدهما جسد الآخر كغرماء، لكنهما يتشاركان بهما مع الفرنسيين -إيستيل وآلان- كأحبة بالاختيار"<sup>(١)</sup> ما فعلته ليلي دليل على احتفائها بجسدها حرًا من قيمها الثقافية السابقة، وامتلاكها كامل إرادتها في التمتع به، فلا فرق بينها وبين زوجها الذي مارس الأمر نفسه.

وهذه الفوضى الناتجة عن هيمنة الثقافة الأبوية، التي حاولت (ليلى) التمرد عليها والانسلاخ من قيودها ولدّت وعيًا مغايرًا لديها تجلّى في الرغبة العارمة بالتحرّر من القيم الثقافية السابقة، وهذا التحرّر اثبت إخفاقه في الخطاب الروائي، وعدم جدواه. وهذا ما أكّده الباحث بقوله: "فقد كان النظام الأبوي القديم قاهرًا إلى درجة يمسح فيها الأفراد، وبأفوله اندلعت فوضى ما قبل الشراكة، فحقة التحولات الكبرى تُفقد الشخصيات خياراتها الواعية، فترتمي في مزيج من العلاقات الجديدة والقديمة"<sup>(٢)</sup>.

درس الباحث حبيب النورس في كتابه (الرواية العراقية من منظور النقد الثقافي) مجموعة من الروايات التي احتفت فيها الأنثى بجسدها، وكان علامة بارزة على تمردّها وفرض هيمنتها، إذ خصّ المبحث الثاني من الفصل الثالث ذي العنوان (أنساق مهيمنة) لدراسة هيمنة الجسد النسوي في تسع روايات. أراد الباحث من دراسته لصورة جسد المرأة في الروايات العراقية على وفق آليات النقد الثقافي، رصد أنساق تناوله في الروايات، إذ وجد أنّها اتخذت نسقين: الأول عدم التصريح بالفعل الجنسي، والثاني الانفتاح على الجسد.

في نسق إخفاء الفعل الجنسي درس الباحث أربع روايات، هي: (مغني الأزهار البرية لمهدي النجار، وسيرة ظل لنضال القاضي، ومقامة الكيروسين لطفة حامد شبيب، وسيدات زحل للطفية

(١) السرد النسوي - الثقافة الأبوية، الهوية الأنثوية، والجسد، د. عبد الله إبراهيم: ٢٠٤.

(٢) م. ن: ٢٠٧.



الدليمي)، ووجد أنّ مسوّغات إخفاء الفعل الجنسيّ إما كان بدافع الخوف؛ نتيجة صعود أيديولوجيا العامل الدينيّ لا سيما بعد عام ٢٠٠٧م وهذا ما مثّله رواية مهدي النجار<sup>(١)</sup>، وإمّا بتأثير الخجل الأنثويّ ورهافة المرأة، وذلك في رواية نضال القاضي<sup>(٢)</sup>.

وبعد دراسته الموجزة لتلك الروايات بشواهدا القليلة جدًّا، خرج بنتيجة تؤكّد أنّ تورية الجسد في الرواية العراقية تشغل حيزا كبيرا، وهي كما نرى إعادة إنتاج الجسد ونقله من الدلالة البايولوجية إلى دلالة إبداعية وإكسابه قيمة ثقافية وقد تم تحول الجسد في الرواية العراقية من صورته النمطية (اتخاذ المرأة سلعة من أجل تسويق النص) إلى صورة تحمل دلالات ثقافية وقيمية<sup>(٣)</sup> وهذه النتيجة لم تؤكّد لا في الشواهد المنتخبة، ولا في تحليلها للوصول إلى هذه الدلالة.

وبالانتقال إلى النسق الثاني (نسق الانفتاح على الجسد) نراه قد وقف على سبع روايات، هي (تعالى... وجع مالك لحميد الربيعي، وملوك الرمال لعلي بدر، ونجمة البتاوين لشاكر الأنباري، والحلم العظيم لأحمد خلف، والحفيدة الأمريكية لإنعام كجه جي، ونساء في خدمة اللذة لصباح محجوب، ونصف جسد لأزهار رحيم)، فوجد الباحث أنّ جرأة الروائيّ (حميد الربيعي) في وصف المشاهد الجنسية متأثية مما حظي به من الحرية والانفتاح من خلال إقامته مدة طويلة خارج العراق<sup>(٤)</sup>، أمّا (إنعام كجه جي) فبراها قد تحدّثت عن الرغبة الجنسية وربطتها بالبيئة الروائية، فبطلة الرواية دعت من أعجبت به للارتباط بها عن طريق زواج التمتع، وهو أمرٌ مباح عندهم في الثقافة الأمريكية؛ لأنّ البطلة عاشت في أمريكا<sup>(٥)</sup>. أمّا الروائية (أزهار رحيم) فيرى الباحث أنّها مع ما امتلكته من جرأة كبيرة، وصراحة نادرة في تناول موضوعة الجنس والجسد إلا أنّها ركّزت على ضعف المرأة "وكأنّها كائن ضعيف ينهار عند اصطدامه بالجسد الذكوري الضخم. هذه السلبية تنمهي مع نظرة الرجل الشرقي إلى الأنثى إذ توارث هذا الذكر صورة نمطية لقوته وهيمنته منذ

(١) يُنظر: الرواية العراقية من منظور النقد الثقافي دراسة في تحولات الانساق الثقافية، حبيب النورس، دار الشؤون الثقافية العامة-بغداد، ط ١، ٢٠١٤م: ٤٤.

(٢) يُنظر: م. ن: الصفحة نفسها.

(٣) م. ن: ٤٦.

(٤) م. ن: ٤٧.

(٥) م. ن: ٥٠.

آلاف السنين، فورث بالنتيجة صورة الأنثى الضعيفة الراكعة تحت قدمي فحولته اللامتناهية<sup>(١)</sup>. هذه أهمّ المسوّغات التي أشار إليها الباحث في سبب لجوء الروائيين إلى التصريح بالفعل الجنسي، في حين غابت الرؤية عنده وهو يتناول باقي الروايات، إذ لم يقف على أسباب ركون الروائيين إليها.

يظهر جلياً فيما بذله الباحث من جهدٍ في استقراء النصوص الروائية، غياب تحديد العلاقة بين نسق إخفاء الفعل الجنسي وتصريحه من جانب، والكشف عن الأنساق المضمرّة القابضة خلفها إيديولوجيا الحجب والتصريح. ويبدو لي أنّ الباحث قد غاب عن وعيه لحظة تحليل الروايات أنّ النقد الثقافي نقدٌ نصوصيّ يجعل النصّ بؤرة انطلاقه، ومن ثمّ يوصله بالموثرات الخارجية التي تضافرت معاً لولادة تلك الأنساق، فيكون الحفر والتنقيب في تلك النصوص العتبة الموصلة إلى المضمّر الثقافيّ الذي أضمرته السلطة الأخلاقية والاجتماعية والدينية، لذا كان لا بدّ من وجود قراءة ثقافية مغايرة تعمل على فكّ شفرات النصّ لاستنطاق بواطنه.

وفي سياق الحديث عن الاحتفاء بالجسد، درس الباحث علي جواد عبادة ثلاث روايات أكّدت احتفاء الشخصيات الأنثوية بجسدها، وهذه الروايات: (المحوبات لعالية ممدوح، والكافرة لعلي بدر، وهروب الموناليزا لبلقيس حسن). عدّت رواية (المحوبات) لعالية ممدوح أنموذجاً للاحتفاء بالجسد الأنثويّ بعد إن تمكّنت بطلتها من الهروب إلى فرنسا تحرّراً من سطوة الزوج وهمجيته<sup>(٢)</sup>، كذلك مثّلت رواية (الكافرة) لعلي بدر "فكرة الاحتفاء بالجسد؛ عبّر اكتشافه والتمتع به، ومن ثمّ تلبية رغباته، والتخلص من عاره"<sup>(٣)</sup>. الروايتان كلتاها عبّرتا عن احتفاء الأنثى بجسدها بعد هدم هرم النظام الأبويّ المتمثّل بالزوج في هاتين الروائيتين، فلم تقف المرأة عند حدود تجاوز سلطة الزوج بالهروب فقط، بل تعدتها إلى التمتع بجسدها، وسبر أغواره لاستكناه خفاياه، ومواطن قوته وإثارته؛ لتزيح الحجب عنه، وتعلو به في سماء الحرية بعد أن كان متوارياً خلف أبراج عالية أسهمت المنظومة الأبوية في بنائه ورفع أستاره سنوات طويلة.

(١) الرواية العراقية من منظور النقد الثقافي، حبيب النورس: ٥١.

(٢) يُنظر: المضمّرات الإشهارية في الرواية العراقية حقبة ما بعد الانفتاح، د. علي جواد عبادة: ١٩٧.

(٣) م. ن: ١٩٨.

فغاية الباحث من الحديث عن الجسد وتوظيفه في الروايات، أن يكشف مسوغات هذا التوظيف، إذ وجد "أن الإفراط الجنسي في الرواية العراقية في حقبة ما بعد الانفتاح تحديداً هو جزء من الاندراج في الفضاء العام الذي يغلب عليه هتك القيم، ومحاربة التابو، وزعزعة القناعات الرائدة، فضلاً عن كون الجسد أصبح بفعل وسائل التواصل الاجتماعية، وتقلبات الموضة، أداة ناجعة في تسويق الأفكار والمنتجات؛ لأن حضوره يمنح اللاوعي ثورة في حث الرغبات الكامنة فيه، لاسيما الموصولة بالجسد لأنها ممنوعة عُرفاً، وصادمة اجتماعياً"<sup>(١)</sup>. هذا الانفتاح في الوعي، وتغيير القناعات المهيمنة في الثقافة العربية، والانفتاح على الآخر، واستثمار التكنولوجيا، جميعها مسوغات منحت الإبداع الروائي فرصة التغيير والابتكار على مستوى الأساليب والمضامين، كما حدا بالنقد النسوي أن يعي هذا الانفتاح ويمنح المرأة حرية الاستمتاع بجسدها، وهذا بدوره منح الوعي النقدي لدى الباحث فرصة الوقوف عند هذا التغيير في الوعي.

هذه النظرة أكدها أيضاً الباحث داود سلمان الشويلي في كتابه (الجنس في الرواية العراقية)، الذي رصد فيه ظاهرة الجنس في روايات خمسة من الروائيين العراقيين أولهم (عبد الرحمن مجيد الربيعي)، وأول رواية وقف عندها (الوشم)، فكانت المرأة بالنسبة لبطل الرواية بديلاً ومعوّضاً عن خيباته السياسية بعد أن أمضى على ورقة البراءة من الحزب الشيوعي الذي كان ينتمي إليه، إذ لم يكن يبحث عنها لذاتها، بل للمتعة الحسية؛ تعويضاً لخساراته في الحياة<sup>(٢)</sup>، أمّا (مريم) وهي إحدى شخصيات الرواية فكانت "ضحية لصفقات يعقدها الأهل مع الآخرين... ومن هنا تبدأ مأساتها، مأساة سقوطها في وحل العلاقة غير الشرعية، وحل الخيانة الزوجية، والرذيلة، حسب المفهوم الاجتماعي - الأخلاقي"<sup>(٣)</sup>، فما فعلته مريم تراه نوعاً من الانتصار على خيبتها بعد زواجها من رجلٍ يكبرها بعشرين سنة، اختاره الأب لها تماشياً مع العرف الاجتماعي السائد، فما كان منها إلا اتخاذ طريق الخيانة الزوجية بوصفها نوعاً من إذلال الرجال وانتقاماً لمأساتها، واحتجاجاً على استلاب حرّيتها. في حين أنّ المرأة في رواية (القمر والأسوار) "تعيش مأساتها الرهيبة بصمت، تلك المأساة التي خلقتها العلاقات الاجتماعية ذات النظرة الذكورية التي صنعت وحافظت على

(١) المضمرة الإشهارية في الرواية العراقية حقبة ما بعد الانفتاح، د. علي جواد عبادة: ٢٠١.

(٢) الجنس في الرواية العراقية، داود سلمان الشويلي، دار المتن، ط ١، ٢٠١٨م: ١٣.

(٣) م. ن: ١٧.

مجموعة القيم والتقاليد العشائرية المغلفة بغلاف ديني مزيف<sup>(١)</sup>، وبذلك تكون نظرة هذه الشريحة الاجتماعية إلى الزواج ومن ثم الجنس، نظرة تغلفها قيم وأخلاق وتقاليد عشائرية/ دينية. أما الجنس، بشقيه، الذي يأتي به الزواج، أو ما هو خارج مؤسسة الزواج، فإنه محكوم بهذه النظرة<sup>(٢)</sup>. هنا أدت الأعراف الاجتماعية، والقيم الأخلاقية، والمنظومة الدينية دوراً مهماً في استلاب حقوق المرأة، والانزواء بها بعيداً عن عيون الرجال، وحجبها في مناطق معتمنة؛ بغية الحفاظ على استقرار المجتمع، وإبعاده عن الرذائل التي يمكن أن تستشري بوجود المرأة أمام أنظار الرجل، مما جعل المرأة تعيش مأساتها بصمت.

وبالانتقال إلى روايات الركابي يرى الباحث الشويلي أنّ الروائيّ "حاول أن يفلسف قضية الجنس في واحدة من صورها بتداخل المؤثرات، بين ما هو إقتصادي وما هو اجتماعي.. هذا التأثير المتبادل بين البنى الاجتماعية والبنى الاقتصادية، بين الطبقة العليا "القلة" والطبقة السفلى "الأكثرية"، بين الغني والفقير، فكان الجنس واحداً من صور تلك العلاقة ونتاجاً لها في الوقت نفسه، جاء به الكاتب ليوضح المدى الذي وصلت إليه الأمور من تدهور وانحلال إبان تلك الفترة التاريخية"<sup>(٣)</sup> يرى الباحث أن مسوغات لجوء المرأة إلى ممارسة الجنس كنوع من التمرد، والنهوض بواقعها المزري، وتحقيق ذاتها، والشعور بانتمائها جاء ردة فعل لتدهور الوضع الاجتماعي، والاقتصادي، إذ أسهمت هذه الأوضاع في سحق المرأة، وإنزالها إلى أدنى المراتب.

جاءت دراسة الباحث معنية بالوصف وتقصّي صورة المرأة في الروايات، من دون الوقوف على مسوغات شيوعها، وتقديمها في تلك الصورة.

كذلك اعتنت الباحثة مسار غازي في كتابها (الإكليروس في الرواية العراقية) برصد أشكال التسلط والهيمنة، كما رصدت أوضاع المرأة في ظلّ (السلطة الإكليروسية)\* التي كانت في أغلبها ضعيفة ومهزومة، عانت من التهميش والإقصاء والحجب، لكنّ الدّراسة رصدت محاولات رفض

(١) الجنس في الرواية العراقية، داود سلمان الشويلي: ٥٠ و ٨٩.

(٢) م. ن: ٥٣.

(٣) م. ن: ٦٩.

المرأة لتلك السلطة، وانقلابها عليها، كما سعت إلى تقديم نقدٍ لها، وذلك في المبحث الثاني من الفصل الثاني الذي درست فيه الروايات تحت عنوان (قمع الرغبات).

سعت الباحثة هنا إلى دراسة صورة المرأة في النصوص الروائية العراقية، ووجدت أن التعامل معها كان "من وجهات نظر متعددة أجمعت على تصويرها ضحية القهر الاجتماعي وظلم الرجال ثم اقصائها بالقتل على يد المتطرفين، إذ تظهر في عالم مليء بالعذاب، تحاول أحياناً التمرد عليه، ويقف الرجل خلف قهر المرأة متخذاً كل احتياطاته في النظام الذكوري لحماية ممتلكاته دافعاً المرأة الى البقاء داخل المنزل ومحملها إياها مسؤولية الحفاظ على النسل"<sup>(١)</sup>. انصبَّ جهد الباحثة هنا على ثلاث روايات، هي: (الظامئون لعبد الرزاق المطلبي، ورجل في المحاق لغازي العبادي وعندما تستيقظ الرائحة لدى غالي). رأت الباحثة أنّ رواية "الظامئون" أظهرت حالة المرأة من خلال "التركيز على ضعفها وهزال موقفها وحاجتها الملحة لوجود الرجل إلى جانبها بوصفه الحامي والذائد عنها، فضلاً عن تصوير الشر الكامن في جسدها الشهواني الذي يقود إلى الرذيلة والعلاقات الشهوانية"<sup>(٢)</sup>، وهذا يعني أنّ وعي الباحثة النقديّ كان أكثر حضوراً، وعمقاً من وعي المبدع الذي قدّم صورة سلبية للمرأة منطلقاً من وعيه وثقافته التي ترى في المرأة مصدر الخطيئة والإغواء، وتظهرها ضعيفة أمام سلطة جسد الرجل وشهواته.

أمّا رواية (رجل في المحاق) فإنّها أدانت الثقافة الذكورية التي ترى في إنجاب الذكر فخراً واستمراراً لنسل العائلة، بخلاف ولادة الأنثى التي تجلب الذل والعار بحسب اعتقادهم. هذه النظرة الدونية للمرأة لم تقتصر على الرجل، بل كانت المرأة داعمة لها ومارستها على بنت جنسها، وخير من مثل هذا الأمر شخصية الجدة في الرواية، فرأت الباحثة أنّ الرواية كشفت "عن نسق ومفهوم امتهان المرأة وقمعها، وعمل الثقافة السائدة على ترويض العقل الجمعي على ذلك الامتهان

\* الإكليروس مصطلح يوناني الأصل أُطلق على رجال الدين في المسيحية، ويعني ميراث أو نصيب رجل الدين من العلم الإلهي، وقد اعتمد هذا المصطلح عند المسيحيين في القرن الثالث الميلادي، بعد مؤتمر "نيقية" لفرض فهم رجال الدين وإرادتهم، فيما اتفقوا عليه في المجمع من أمورٍ لاهوتية، يُمنع على الناس الخروج عنها، ومن يرفضها يتهم بالهرطقة وتعاقيه السلطات الحاكمة المتحالفة معها. يُنظر: الإكليروس الإسلامي المعاصر، أحمد الرمح، مقال على النت، 14 أيار/مايو ٢٠٢١، <https://www.harmon.org/reports>.

(١) الإكليروس في الرواية العراقية، د. مسار غازي، دار ومكتبة سامراء للنشر والتوزيع - سامراء، ٢٠٢٠م: ١٦٧.

(٢) م. ن: ١٦٨ - ١٦٩.

واجبار الآخر/ المرأة على قبول عملية امتهانه، وتهميشه وتشويه انسانيته<sup>(١)</sup>. وهذا يُشير إلى أنّ الباحثة كانت على دراية بقضايا النسوية.

في حين أنّ رواية (عندما تستيقظ الرائحة) لدنى غالي، قد وجّهت "سهام نقدها للسلطة الدينية من كونها تخضع للأعراف الاجتماعية والتقاليد والقبائلية ولا تطبق رؤى دينية، تبدو مثالية قياساً إلى ما يحدث في العلاقات بين الناس على أيدي رجال الاكليروس"<sup>(٢)</sup> إذ فرضت السلطة الدينية قيوداً على الأنثى، وضيقّت مساحة حريّتها، هذه الحرية التي شعرت بها عندما سافرت إلى الدنمارك، فتحرّرت من المعتقدات القديمة التي كانت خاضعة لها في بلدها، كما اختارت لها هويّة جديدة مؤكّدة رفضها التام لكلّ ما يمتّ إلى بلدها السابق وعاداته وتقاليده بصلة.

أشارت الباحثة إلى أهمّ الأنساق المهيمنة على الثقافة الذكورية، التي قدّمت صورة للمرأة تظهر فيها ضعيفة، ومسلوبة الإرادة، وتابعة للرجل، فوقف النسق الاجتماعيّ في رواية (الظائمون) و (رجل في المحاق) وراء تقديم المرأة بتلك الرغبة الشهوانية، والحاجة إلى وجود الرجل بحياتها، فضلاً عن النظرة الدونية للمرأة، أمّا النسق الدينيّ فكان السبب وراء تهमيش المرأة وتحجيم حريّتها في رواية (عندما تستيقظ الرائحة).

لم تقف جهود الباحثة عند تلك الروايات، بل أفردت لروايات آخر مبحثاً من الفصل الثالث بعنوان (رقابة الجسد) ناقشت فيه قضية المرأة والجسد، فسار هذا المبحث في اتجاهين: الاتجاه الأول درس المرأة بوصفها موضوعاً في كتابات الرجل، والاتجاه الثاني: درس المرأة بوصفها ذاتاً في الروايات التي كتبتها الأنثى، وخرجت بنتيجة تؤكّد أنّ المرأة بقيت "موضوعاً للاقصاء والتهميش، والادانة داخل النصوص الذكورية، تلك النصوص ذات النزعة البطريكية التي تصور جسد الرجل بالمقدس، في مقابل جسد المرأة بالمدنس"<sup>(٣)</sup>، كذلك ترى أنّ حضور المرأة في كتابات الرجل اقترن بالجنس بنوعيه المشروع وغير المشروع، واتكأت على رواية (الوشم) لعبد الرحمن مجيد الربيعي؛ بغية تدعيم ما توصلت إليه، إذ ترى أنّ بطل الرواية (كريم الناصري) كان يبحث عن

(١) الإكليروس في الرواية العراقية، د. مسار غازي: ١٧٥.

(٢) م. ن: ١٧٧.

(٣) م. ن: ٢٧٩.

المرأة تعويضًا عن خيالاته السياسيّة بالدرجة الأولى، كما ترى أنّ "العلاقة التي تنشأ بين الذكر والأنثى ضمن هذا المحور أساسها الرغبة في امتلاك الجسد/ الشهوة، وتتولد هذه الرغبة من معطى حضاري مترسخ في الذاكرة البشرية يعمل في أغلب الأحيان بوصفه نسفا ثقافيا ثابتا"<sup>(١)</sup>. أمّا رواية (طين حري) لطف حامد شبيب فإنّ الأنثى هي من تقرّر مصيرها بملاء إرادتها، وتختار طريق الاحتفاء بالجسد انتقامًا لخطيبتها الذي قُتل، فالباحثة وجدت في هذا الثأر مسوعًا لوقوعها "في وحل العلاقات غير الشرعية، وأصبح جسدها آلة للانتقام، كما يتضح ذلك في سردها لأنمار الذي اختارها خطيبة له، عن علاقاتها الجنسية التي سبقت"<sup>(٢)</sup>. الأنثى هنا وجدت في العلاقات الجنسيّة طريقًا للتمرد والانتقام.

أمّا في الاتجاه الثاني الذي كانت تتغيًا فيه استجلاء صورة المرأة من وجهة نظر نظيرتها في الجنس، فإنّها بدأت بدراسة (المحبيبات) لعالية ممدوح التي عمدت إلى تقديم صورة سلبية للرجل، وطريقته في التعامل مع المرأة أيًا كانت زوجة أم أختًا. أمّا في رواية (التشهّي) فتناقش موضوعة العجز الجنسيّ عند الرجال، في حين أنّ المرأة في (الأجنبيّة) عمدت "إلى ضرب المنظومة البطريكية في الصميم والتمرد على قيمها وقوانينها بتركها بيت الزوجية والهرب إلى فرنسا لتعيش حياتها وتحقق ذاتها التي طمستها تلك القوانين والأعراف المجتمعية والدينية"<sup>(٣)</sup>، وبالانتقال إلى روايات لطفية الدليمي تراها أنموذجًا للانقلاب على نسق الخطاب الذكوريّ بتقويض "فكرة الجسد وتحرره من سلطة الذكر وعنفه، بالتركيز على هموم النساء وموقفهن من الحياة ومدخلاتها"<sup>(٤)</sup>، كما سعت إنعام كجه جي في روايتها (طشاري) "إلى تقديم الجسد بصورة الجسد الطاهر العفيف، وليس الجسد الذي يشكل عارا للمرأة والمجتمع، فلم يصدر عن أية شخصية نسوية في الرواية اختزال المرأة في جسدها، أو استسلامها أمام الغرائز والشهوات الجنسيّة"<sup>(٥)</sup>.

(١) الإكليروس في الرواية العراقية، د. مسار غازي: ٢٨١ - ٢٨٢.

(٢) م. ن: ٢٨٩.

(٣) م. ن: ٢٩٧.

(٤) م. ن: ٢٩٨.

(٥) م. ن: ٢٩٩.

وخلصت الباحثة إلى نتيجة ترى فيها أن الكاتبة العراقية "في معالجتها لعلاقة الرجل بالمرأة، وتركيزها على قضية الجنس والاعتصاب، والاستغلال، وعدم [مراعاة] متطلبات الشريك الجنسية، وعجز الرجل أمام ذلك تشير إلى أن تاريخ الجنسية العراقية تاريخ قمع متأزم، يربط الجسد بالخطيئة، والمرأة فيه دائما الضحية"<sup>(١)</sup>.

سعت بعض المبدعات إلى هدم الثقافة المتغلغلة في جذور العقل العربي، التي تنظر إلى المرأة على أنها آلة للمتعة ومصدر للإغواء، فكانت محاولاتهن تنصب على تقويض تلك الفكرة واستبدالها برؤية أعمق تنظر إلى المرأة بوصفها ذاتاً أنثوية قادرة على الكتابة، وبفعلها هذا وسّعت "ذاتها مساحة حضور في الكتابة والحياة وخطابها من هذا المنطلق له صفة الدفاع عن (الأنا) الأنثوية بما هي ذات لها هويتها الإنسانية"<sup>(٢)</sup> التي ترفض تهميشها من لدن الآخر/الرجل.

ويقفُ الوعي النقديّ في مقابل ذلك الوعي عند المبدع، فمن النقاد من أفرد كتاباً كاملاً يرصد فيه الوعي الأنثويّ، ومواكبته للقضايا النسوية، وهذا ما تجلّى في ثلاثة كتبٍ نقديةٍ لا غير هي كتاب الباحث الدكتور عبد الله إبراهيم الموسوم بـ (السرديّ، الثقافة الأبوية، الهوية الأنثوية، والجسد)، وكتاب الباحث محمد رضا الأوسي الموسوم بـ (الخطاب الروائيّ النسويّ العراقيّ دراسة في التمثيل السرديّ)، وكتاب الباحثة هدى حسين الشيباني الموسوم بـ (رواية المرأة العربية) فجاءت دلالة مصطلح النسويّ عندهم تُحيل إلى الإبداع الصادر من ذات أنثوية.

ومنهم من تناول قضايا النسوية تناولاً جزئياً، وتجلّى هذا الأمر في كتابات حسين عيال في (التجريب في الرواية)، وفارس نايف الفايز في (تمثّلات الموت في الرواية العراقية)، ودكتور علي جواد عبادة في (المضمّرات الإشهارية في الرواية العراقية)، وصادق ناصر الصكر في (مرويات المنفى)، ودكتور غانم الزبيدي في (شوارع نيرودا)، وحبیب النورس في (الرواية العراقية من منظور النقد الثقافي)، وفاضل ثامر في (الرواية العربية في دائرة التأويل)، وداود الشويلي في (الجنس في الرواية العراقية)، ودكتورة مسار غازي في (الإكليروس في الرواية العراقية). فكان الوعي النقديّ حاضراً وهو يرصد مقدار الوعي لدى المبدع، باستثناء جهود حبيب النورس وفاضل ثامر وداود

(١) الإكليروس في الرواية العراقية، د. مسار غازي: ٢٩٩-٣٠٠.

(٢) الرواية العربية المتخيل وبنيتها الفنية، د. يمنى العيد: ١٤٢.



الشويبي الذين قدّموا دراسة نقدية متواضعة لم تكن على وعي عالٍ بالتقدّم الذي أحرزته الحركات النسوية، وما قامت به من نفض غبار الثقافة الذكورية لتقديم رؤية أنثوية تُفصح عن متطلّباتها ومساعدتها وتحرّرها.

## الفصل الثاني: سؤال الهوية

- الهوية اليهودية

- الهوية المسيحية

- الهوية الأيزيدية

يُعدّ سؤال الهوية من الأسئلة المهمّة في مجال الدّراسات الثقافيّة؛ لما لها من تأثير مهمّ في الثقافة والمجتمع، فالهوية تمثّل عنوان الشخص ودليل ثقافته، كما إنّها تضمّ بين طيّاتها مجموعة العادات والتقاليد والعقائد والمبادئ الأساسيّة التي تُميّز الفرد من غيره<sup>(١)</sup>، فهي "من المفاهيم المركزية التي تسجل حضورها الدائم في مجالات علمية متعددة ولا سيما في مجال العلوم الإنسانيّة ذات الطابع الاجتماعي. ويعد [مِنْ نَمٍّ] من أكثر المفاهيم تغلغلاً في عمق حياتنا الثقافيّة والاجتماعيّة اليوميّة، ومن أكثرها شيوعاً واستخداماً"<sup>(٢)</sup>. وهناك من الباحثين من ربط الهوية بمفهوم الذات، فهي عندهم تتطابق مع ذات الشخص وقدرته على الاستمرار في أن يكون ذاته<sup>(٣)</sup> وإنّ وعي الذات وإدراكها يؤدّي إلى إدراك الآخر.

اختلف في تحديد الهوية هل هي ثابتة أو متغيرة، ودار جدل لم يحسم أمره بين الفريقين<sup>(٤)</sup>، ونحن نذهب مع الرأي القائل باجتماع الثبوتية والتغير معاً، فهي "ليست كينونة ثابتة الخصائص والمقومات فقط بل يزدوج فيها الثابت والمتغير"<sup>(٥)</sup>؛ لأنّ الهوية ظاهرة اجتماعيّة وثقافيّة تنطلق من ذات الفرد وترتبط بالمجتمع.

يبرز سؤال الهوية عندما يتعرّض الواقع إلى اهتزاز أو خلخلة تصيب فئة اجتماعيّة، أو مجموعة فئات داخل مجتمع واحد، فيزداد الإحساس بتجزئة المجتمع من الناحية الثقافيّة، وهذا يقوده إلى البحث عن الأصيل والدخيل من تلك الهويّات، أو الثابت والمتغير انطلاقاً من أسس فكريّة أو أيديولوجيّة<sup>(٦)</sup>. فسؤال الهوية إذن، ذو ارتباط وثيق

(١) يُنظر: بول ريكور... الهوية والسرد، حاتم الورقلي، دار التنوير للطباعة والنشر- بيروت، ط١، ٢٠٠٩م: ١٩.

(٢) الهوية، اليكس ميكشيللي، تر: د. علي وطفة، دار النشر الفرنسية- دمشق، ط١، ١٩٩٣م: ٧.

(٣) يُنظر: مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، طوني بينيت وآخرون: ٧٠٠.

(٤) فصلّ الدكتور محمد الجبوري آراء الفريقين في كتابه المشترك (تمثّلات الهوية في السرد الروائي)، د. محمد

فليح الجبوري، ود. فوزية لعبوس غازي، دار الرضوان للنشر والتوزيع- عمان، ط١، ٢٠٢٠م: ٣٠-٣١.

(٥) بول ريكور... الهوية والسرد: ٢٥. ويُنظر: اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية،

مجموعة مؤلفين، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات- بيروت، ط١، ٢٠١٣م: ٢٢٨.

(٦) يُنظر: مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، طوني بينيت وآخرون: ٧٠٤.

"بالقدرة على الحراك الثقافي الاجتماعي والعلمي والمعرفي والسياسي والحضاري، ولا بد أن نخوض غمار عملية معقدة ومركبة لإعادة صياغة (الهوية) وتجميع أجزاء الصورة التي تشكلها واستحضار كل العوامل التي تُسهم في بلورتها. واستعادة كل مكوناتها ومسار تكوينها في التاريخ والبيئة"<sup>(١)</sup>، ولهذا كان عرضه لمناقشة إشكالياته بوصفه أهم مرتكز لفهم المخاطر، والصراعات التي عصفت بالواقع السياسي.

يستمد الإنسان توازنه النفسي، ويتحقق اندماجه مع أفراد المجتمع بوجوده ضمن هوية اجتماعية تمكن الفرد من معيشة ذاته بوصفها شيئاً يمتلك الاستمرارية والتماثل، لكي يتصرف طبقاً لها، وتجعله واثقاً، أن إحساسه بنفسه مكافئ للمعنى الذي يُسبغه الآخرون عليه"<sup>(٢)</sup>، وبإدراك هذه الهوية يتحقق الفعل التواصلي مع المجتمع، وتتنظم العلاقات، وتتحسر حدة الخلافات والتوتر، بمعنى أن هناك مبدئين للهوية: المبدأ الأول ينبع من الذات متمثلاً بالإحساس والشعور الداخلي فتتحقق الهوية بوساطة "منظومة من المعطيات المادية، والمعنوية، والاجتماعية، التي تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفية"<sup>(٣)</sup>، أما المبدأ الثاني فيتحقق على أساس الوعي بالآخر فرداً وجماعةً، وباشترك هذين المبدئين تتشكل الهوية"<sup>(٤)</sup>؛ لأنها غير مقصورة على الذات، وإنما تسعى إلى دمج الذات وربطها بنظام اجتماعي ما، أو فئة اجتماعية تنتج هوية اجتماعية أو ثقافية مشتركة.

(١) الهوية والصراع، زهير فياض، دار أبعاد- بيروت، ٢٠٠٨م: ١٤.

(٢) المحرومون في العراق - هويتهم الوطنية واحتجاجاتهم الجمعية، فارس كمال نظمي، دار ومكتبة البصائر - بيروت، ط١، ٢٠١٠م: ١٤٤.

(٣) الهوية، اليكس ميكشيللي: ١٢٩.

(٤) يُنظر: الهوية الملتبسة الشخصية العراقية وإشكالية الوعي بالذات، ثامر عباس، الزمان للطباعة والنشر والتوزيع - سوريا، ط١، ٢٠١٢م: ٩.

وسنبحث هنا عن مسوّغات توجّه الرؤية النقديّة العراقيّة إلى البحث في وضع هويّة الأقلّيّات المهمّشة، وكيف تعامل النّقد العراقيّ معها.

### - هويّة الأقلّيّات المهمّشة

#### أولاً: الأقلّيّة اليهوديّة:

اليهود مكّون دينيّ يؤمنون بنبوّ موسى (عليه السلام)، وكتابهم الدينيّ التوراة، أو العهد القديم، ولهم كتب مقدّسة أخرى أهمّها التلمود. وهم أقدم ديانة سماويّة حيّة<sup>(١)</sup>. ناقش الباحث عبد الله إبراهيم قضية صراع الهويّتين (اليهوديّة والإسلاميّة)، وذلك بوقوفه على مجموعة روايات كتبها روائيون من أصل يهوديّ؛ لتصوير حياتهم، ومعاناتهم، وموقفهم من الهويّة الوطنيّة. إذ شغلت هذه الموضوعات فصلين -الثالث والرابع- من كتابه (السرد والاعتراف والهويّة)، ثم وقف في الفصل الذي يليه -الفصل الخامس- ذي العنوان (هويات سرديّة أم أفنعة للتكرار) على روايتين: واحدة للروائيّ علي بدر، وهي: (حارس التبغ) التي اشتركت مع روايات الروائيين اليهود بالحديث عن معاناة اليهود، درسها تحت عنوان (استراتيجية الهويّات المتحوّلة). بينما رواية (الحفيدة الأمريكيّة) لإنعام كجه جي التي درسها تحت عنوان (معالم الهويّة المرتبكة) فقد انشغلت بالحديث عن الهويّة المسيحيّة.

مسوّغات انشغال الباحث بتلك الروايات التي كتبها اليهود أنفسهم، وعاشوا في بلدان عربيّة تتّضح في قوله: إنّها من القضايا الملقنة للنظر، ومحاولة لمعرفة "موقع هذه الأعمال الروائيّة في خريطة السرد العربيّ؟ وهل تُدرج في سياق الرواية العربيّة أم اليهوديّة؟ وهل يمكن تصنيفها استناداً إلى اللغات التي كتبت بها أم الموضوعات التي

(١) يُنظر: موسوعة المصطلحات السياسيّة والفلسفيّة والدوليّة، ناظم عبد الواحد الجاسور، دار النهضة العربيّة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨: ٣٨٨-٣٨٩.

عاجتها بما فيها من رغبة صريحة في البيئات الأصلية لكتّابها؟ وكيف يمكن زحزحة مفهوم الهوية الكتابية لتستوعب نصوصاً كتبت عن حياة اليهود في بلادهم قبل ظهور دولة إسرائيل؟ وهل يمكن تأويل تلك النصوص على أنها مدونة حنين هوسي لحقبة تاريخية انتهت؟<sup>(١)</sup>.

وأول رواية وقف عندها الباحث (اليهودي الحالي) لعلي المقري. هذه الرواية سلّطت الضوء على يهود اليمن وكشفت "العلاقات الشائكة بين الأغلبية الإسلامية، والأقلية اليهودية في كثير من الأمور، وأولها فضح الكراهية التي استتبت بالجماعات الدينية بعضها ضدّ بعض، فلم تتمكّن من تخطّي حاجز المعتقد من أجل بناء علاقات إنسانية متكافئة تتيح لكلّ طرف قبول الآخر"<sup>(٢)</sup>. الرواية هنا -بحسب ما يراه عبد الله إبراهيم- أسهمت في إيضاح دور الدين في تغذية مفهوم خاطئ للهوية قائم على الانغلاق والنبات، ففضية الصراع بين الهوية اليهودية والهوية الإسلامية من أخطر الصراعات التي تهدد المجتمعات، فالجيل الذي يُخلفه تزواج هويتين يعيش حالة من النفي واللجنة الدائمة، وهذا ما جرى لفاطمة المسلمة عندما قرّرت الزواج من سالم اليهودي، فبقرارهما هذا أفصحا عن الفهم الخاطئ للهوية، فهم قائم على الانغلاق والنبات، وانتصار الأكثرية على الأقلية. إذ سعى كلّ من فاطمة وسالم إلى ردم الهوة بين الثقافتين، وإلى تأسيس شراكة "إنسانية تتجاوز حبسة المعتقد الديني، وتقوم على معرفة تقتضي قبول معتقدات الأفراد باعتبارها تصوّرات ثقافية جامعة لا تروّج للقطيعة بينهم، لكنّ هذه المعرفة القائمة على التسامح والشراكة اصطدمت بالمسلّمات التاريخية واللاهوتية القابعة في الخيال الجمعي"<sup>(٣)</sup> لكنّ الواقع الثقافي، والمعتقد الديني حال دون إتمام هذه الشراكة، إذ لم يتقبّل أفراد الديانتين قبول زواجهما، وتوسّعت الهوة بين أفراد الديانتين، وازداد الأمر تعقيداً بعد ولادة طفل لهما،

(١) السرد والاعتراف والهوية، د. عبد الله إبراهيم: ١٠٥.

(٢) م. ن: ٩٤.

(٣) م. ن: ٩٦.

وموت فاطمة أثناء الولادة، وهذا ما تُصرِّح به الرواية بشأن ولادة الطفل (سعيد) "فهل هو مسلم أم يهودي؟ فاليهود يعتبرونه مسلماً تبعاً لأمه، والمسلمون يعتبرونه يهودياً تبعاً لأبيه، فأصبح مرفوضاً من اليهود والمسلمين"<sup>(١)</sup>. كما لم تُقبل في مقبرة المسلمين، ولا في مقبرة اليهود، "وصارت كل طائفة تعيد إنتاج مرويَّاتها بما يغذي الأحقاد فيما بينها، فهذا مظهر من مظاهر الثبات في مفهوم الهوية الذي ورثته الأجيال عبر التاريخ، لكن طارئاً اخترق هذا الركود، وهو الزوجات العابرة للمعتقدات، فلم يقتصر الأمر على خرق للميثاق الديني السائد، إنّما ترتب عليه ظهور سلالات جديدة يحار في تحديد هويتها"<sup>(٢)</sup>. وضع عبد الله إبراهيم يده على قضية جوهرية تكشف حالة الصراع وفقدان الهويات سواء أكانت دينية أم ثقافية أم عرقية، فالأجيال الناشئة نتيجة الزيجات بين الهويّتين (اليهودية والإسلامية) عجزت عن إيجاد هويتها والاعتراف بها، فهو يشير إلى حجم الصراع الدائم بين الهويّتين، وإلى حجم الانهيار الثقافي والعداء الكامن في نفوسهم، وتدني الوعي الثقافي لدرجة أن أبناء الديانتين كلاهما تجاوزا حرمة الميت، وتجرّدوا من القيم الإنسانية، ويتّضح هذا في انشغالها بنقل الجثث من مقبرة إلى أخرى وكأنّ هذا الميت ليس إنساناً له حرمة.

إنّ مناقشة موضوع الهوية (يهودية كانت أم مسيحية) به حاجة إلى تغيير في الوعي الثقافي والديني لتلك الهويات، الأمر الآخر أنّ القضية تتعدى مجرد قنوات فردية في تجاوز الهوية وتبديلها بأخرى، بل الأمر الأهم هو ضرورة التفكير بمصائر تلك الأجيال الناشئة، فإذا كان أمر عدم استساغة هوية الآخر وقبولها لأي سبب كان (دينيًا، أخلاقيًا، سياسيًا...) فكيف بقبول من هم وُلدوا مزدوجي الهوية؟ والطرفان كلاهما يرفضان انتماءهم إليه، هذا ما حاول الباحث تسليط الضوء عليه.

(١) السرد والاعتراف والهوية، د. عبد الله إبراهيم: ٩٨.

(٢) م. ن: ١٠٠ - ١٠١.

أكمل الباحث مسيرته في الحديث عن الهوية اليهودية في الفصل الرابع من كتابه، درسها تحت عنوان (الهوية الملوثة والنجوس التوراتي)، ووقف على رواية (وداعاً بابل) لنعيم قطّان التي قدّمت صورة عن أوضاع اليهود العراقيين في بغداد أبان حقبة أربعينيات القرن العشرين، إذ قدّمت الرواية رؤية مأساوية لحال اليهود بعد الحرب العالمية الثانية، وما تعرّضوا له من تنكيل ونهب ممتلكاتهم، وكان للعامل الديني والأيدولوجيا أثرهما في تعميق نظرة الريبة والحذر بين اليهود والمسلمين، فقد "حدّد الموروث الدينيّ المواقع والرُتب وقرّر الأدوار، وفي ضوء ذلك بدا الاندماج اليهوديّ داخل الجماعة الإسلامية متعذراً في الرواية اليهودية، وإن حصل فهو مصطنع يقوم على فكرة الخداع؛ لأنّه من الباطن نزاع مؤجّل سيعبر عن نفسه في ظلّ أية أزمة. لا تحوز الشخصيات استقلالية كاملة فهي رهينة التحيزات الدينية"<sup>(١)</sup>. فصورة المسلمين في تلك الرواية لم تخرج عن إطار العدوانية، وتحينّ الفرص لتخريب كلّ ما يمتّ بصلة لليهود.

في ختام دراسته لروايات اليهود توصل عبد الله إبراهيم إلى نتيجة مفادها أنّ وراء شنات اليهود ونفيهم وعذاباتهم تقف الأيدولوجية الصهيونية، إذ يرى أنّ "الصهيونية وهي الأيدولوجية التي استندت في وجودها إلى مفاهيم الخلاص وإنهاء النفي والعودة والإعادة أنتجت في جوهرها أشكالاً جديدة من النفي، تحرص هذه الأيدولوجية على إبقائها لا مرئية لأن المعنيين بها هم الأشخاص أنفسهم الذي أسهم خلاصهم في إنكار احتمالية النفي ذاتها. على وفق ذلك، فإن حالة النفي الدائم التي عبر عنها السواد الأعظم من الكتاب اليهود من أصل عراقي لا يمثل نفيًا من العراق فحسب، ولكن والأهم نفيًا عن الحل"<sup>(٢)</sup>. هذا يعني أنّ الصراع اليهودي الإسلامي لم يكن صراع هويتين ثقافيتين، بقدر ما هو صراع قوى سياسيّة أسهمت في تكريس النظرة الدونية للأقلية في

(١) السرد والاعتراف والهوية، د. عبد الله إبراهيم: ١١٨.

(٢) م. ن: ١٤٥



مقابل إعلاء شأن الأكثرية، كما أجمت حدة الصراع، وعمقت الهوة بين الهويتين؛ ليعاني أبناء الطائفة اليهودية نفيًا أشد إيلامًا ووقعًا على نفوسهم، وذلك بعد تهجيرهم إلى أرض فلسطين حيث قيام الدولة الصهيونية، فاليهود يرون أنّ العراق موطنهم الأصل كما جاء في متن الرواية.

أمّا في الفصل الخامس فقد رصدت رواية (حارس التبغ) لعلي بدر أزمة اليهودي وهو يعاني النفي الداخلي، فالشخصية الرئيسة في الرواية ذات الأصول اليهودية لم تتمكن من العيش "خارج العراق، لا في إسرائيل ولا في إيران، وتعدّر عليها العيش في العراق إلا بعد ان انتحلت اسمًا ودينًا ومذهبًا لا صلة لها باسمها وعقيدتها. هذا ضرب من المنفى الداخلي الذي يتخطى الدلالة الجغرافية لمفهوم المنفى؛ فالعلاقة المركبة بين إحساس الشخصية بالانتماء للوطن، ونبذ الوطن لها، وضعتها في منطقة متوترة لا تستطيع فيها أن تكون هي بصورة معلنة، ولا تتمكن أن تكون غيرها بإرادتها فتبتكر فكرة الأئمة المتعددة"<sup>(١)</sup> إنّ العلاقات المتوترة بين الهويات، وجلاء ظاهرة تهجير اليهود إلى إسرائيل، وعدم تقبل أولئك الأشخاص لهذا القرار المجحف بحق الأقلية اليهودية، كلّها مسوغات لابتكار طرائق شتى في سبيل تحقيق رغباتهم بالعودة إلى وطنهم العراق، فيوسف سامي واحد من شخصيات (حارس التبغ) ومحور سردها "من عائلة "قوجمان" الموسوية، وقد هاجر إلى إسرائيل في عام ١٩٥٠ بعد أن أسقطت عنه الجنسية العراقية، جرّاء النزاع السياسي المتصل بنشوء إسرائيل في فلسطين"<sup>(٢)</sup>، كما أنّه لم يطق "العيش في تلّ أبيب؛ لأنّه كان متعلقًا بالعراق موطنه، فهرب إلى إيران عن طريق موسكو في عام ١٩٥٣ وانتحل شخصية شيوعية [...] وبهذه التسمية التي أخفت أصوله اليهودية عاد متنكرًا إلى بغداد مع عائلته، ومكث فيها أكثر من عشرين عامًا، حتى تمّ تهجيره من العراق في عام

(١) السرد والاعتراف والهوية، د. عبد الله إبراهيم: ١٤٩.

(٢) م. ن: ١٥٠.

١٩٨٠ عشية الحرب العراقية- الإيرانية باعتباره من التبعية الإيرانية<sup>(١)</sup> هذا دلالة على أنّ الصراع السياسي، وتقلبات السلطة هما من يقف خلف هذا العداء والاحتراب بين الطوائف، إذ يبدو أنّ المجتمع يعيش حالة من التماسك والألفة والاستقرار، في حين أنّ السياسة حالت دون استمرار هذه الألفة والوحدة الوطنية.

وفي ختام تحليل الباحث لرواية علي بدر يقف على ظاهرتين: "الأولى حول الهوية الأخيرة، الهوية السنية، التي التهمت الهويتين الأخريين اليهودية والشيعية، حيث قتل الموسيقار وهو عليها، فهل هي هوية قاتلة؟ والثانية، وهي الأشدّ ظهوراً، وتخرب الافتراضات كافة، وهي أن شخصية الموسيقار بكلّ هوياته التي ذكرت، كانت ثابتة في رؤيتها لنفسها وعالمها وعلاقاتها"<sup>(٢)</sup>. الرواية في جوهرها لا تناقش قضية الهويات المتحوّلة، بقدر ما تُركّز على الهوية اليهودية بحدّ ذاتها، وارتداء الأقنعة لإخفائها، فشخصية الموسيقار اليهودي تبنت رؤية ثابتة لم تتغير مع تغير الهوية التي استعارها في مراحل حياته وتقلّباته بين البلدان، فكلّ ما أراده الموسيقار هو العودة إلى وطنه العراق مع احتفاظه بهويته اليهودية المضمرة.

على مستوى الهوية اليهودية في كتاب الباحث عبد الله إبراهيم لاحظنا أن الشخصيات الحاملة لها قد نُفيت من موطنها الأصل -العراق- على حدّ زعمهم، فتلك الهوية ترى أن العراق هو موطنها ولكنها نفيت منه قسراً وارتحلت إلى إسرائيل، لكنهم عاشوا معاناة صعبة جداً تمثّلت في عدم قبولهم بهويتهم داخل وطنهم، ومعاناة أشدّ ألمًا تجسّدت في تجرّعهم مرارة النفي في بلدٍ آخر يعيشون مع أناس يحملون الهويات ذاتها، فإذا كانت هذه الفئة عانت الأمرين ولم تحظّ باعتراف تام وبقبول لها، فكيف بذلك الجيل الذي نشأ من هويتين متصارعتين على المستوى الجمعي والثقافي والديني؟.

(١) السرد والاعتراف والهوية، د. عبد الله إبراهيم: ١٥٠.

(٢) م. ن: ١٥٧-١٥٨.

اعتنت الباحثة الأكاديمية خالدة علوان بتتبع منجز الروائيين اليهود ذوي الأصول العراقية في أكثر من كتاب صدر لها<sup>(١)</sup>، ففي كتابها (الروائيون العراقيون اليهود...) -الذي هو في أصله أطروحة دكتوراه- وقفت على مجموعة روايات كتبها روائيون عراقيون ينتمون للديانة اليهودية.

جاء كتاب الباحثة شاملاً لمجمل تفصيلات الرواية؛ وذلك لرصدها وضع اليهود في العراق على مدار السنوات الطويلة التي عاشوها فيه، برؤية الذات اليهودية نفسها، وهذا ما تضمّنه الفصل الأول من كتابها ذي العنوان (أنطولوجيا الذات). كذلك رصدت دراستها البنية السردية للروايات في الفصل الثاني الذي جاء بعنوان (شعرية المحكي). في حين انشغل الفصل الثالث بتتبع التناصتات في المتون الروائية، فجاء عنوان الفصل (التداخل النصي).

ما يدخل ضمن مدار اشتغالنا هو الفصل الأول، وتحديدًا المبحث الأول منه؛ لأنّه انشغل برصد ثلاث هويّات في الروايات المنتقاة للدراسة، وهذه الهويّات هي: الهوية الدينية، والهوية الثقافية، والهوية الوطنية. وقد درست هذه الهويّات تحت عنوان (تأكيد الهوية).

أمّا المبحثان الثاني والثالث فقد انشغلا بالحديث عن علاقة الذات بالآخر، والنزوع الإنسانيّ، وسيرد الحديث عنهما في فصل آخر من فصول الأطروحة.

في الهوية الدينية جرى التركيز على العبادات والطقوس التي يمارسها أبناء الديانة اليهودية، كالإقرار بالشهادة، والصلاة (كصلاة السبت، وصلاة الميت)، والصوم (كصوم

(١) يُنظر: صورة بغداد الافتراضية في المخيال اليهودي العراقي، دار ومكتبة عدنان- بغداد، ط١، ٢٠١٩.، وحفريات أنثوية دراسة في القص النسوي العراقي اليهودي المغيب، دار ومكتبة عدنان- بغداد، ط١، ٢٠١٦م، وسلطة السرد في إعادة ترتيب العلاقات في المتخيل الفني لروايات المحكي البغدادي اليهودي، مؤسسة أجد للترجمة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٢٢م.

التاسع من آب، وصوم عيد الغفران، وصوم أيام المحن)، والختان، وحرز التفيلين، والاحتفال بالأعياد (كأعياد المظال، وعيد رأس السنة الجديدة، وعيد الأنوار، وعيد الفصح). كل هذا جاء توظيفه في النصوص الروائية، وفي هذا الصدد تقول الباحثة: "وإذا كانت الأمثلة المتقدمة قد كشفت عن مؤشرات الهوية الدينية في أمثلة متعددة من النص الروائي، فإن مؤشرات تأكيد الهوية الدينية على مستوى النص الروائي ككل يتجسد في إحساس أبناء الطائفة بحالة من الاقتلاع والتشرد والضياع حاكت في مؤلفاتها حالة التيه التي عاشتها الطائفة على مدى وجودها التاريخي [بدءاً] بتيه سينا و ليس [انتهاءً] بالعيش في إسرائيل"<sup>(١)</sup>. فبحسب ما تراه الباحثة أن العناية بسرد الطقوس والعبادات في الروايات اليهودية العراقية جاء لتأكيد أحقية ديانتهم، وإثبات وجودهم، فممارسة الطقوس بحرية من دون قيد، نوع من تأكيد الذات وفرضها على الآخر الذي مارس بحقها التهميش والتشريد.

أما في الهوية الثقافية فقد رأت أنها تجسدت في نصوص روائي أبناء الطائفة اليهودية سردياً "عبر صيغ عدة منها توثيق الذاكرة الجمعية، وإظهار التمايز الثقافي، وتأكيد العادات السائدة في المجتمع العراقي، وإظهار طقوس شعبية خاصة. فركز الروائيون في توثيق الذاكرة الجمعية على حادثة الفرهود، فلقد كانت بمثابة حجر الزاوية الذي دارت حوله نتاجاتهم، فهذه الحادثة تعد أولى حوادث إقصاء اليهود عن النسيج العراقي"<sup>(٢)</sup>. سارت جهود الروائيين اليهود في تأكيد هويتهم الثقافية في مسارين: الأول تمثل في تقديم وثيقة سردية شملت أغلب طقوسهم الدينية والشعبية، وعاداتهم التي كوّنت لهم خصوصية يُعرفون بها. والثاني حادثة الفرهود التي لا تكاد رواية يهودية تخلو من الإشارة

(١) الروائيون العراقيون اليهود دراسة في الثقافة والمخيل والتجريب الروائي، د. خالدة حاتم علوان، دار ميزوبوتاميا للطباعة النشر والتوزيع - بغداد، ط ١، ٢٠١٤م: ٥٢.

(٢) م. ن: ٥٥.

إليها، أو الخوض في تفصيلاتها؛ لأنّ هذه الحادثة توّصل لعمق الوجود اليهودي في العراق، كما تُدين أفعال القسوة ومرارة الغربة التي شعروا بها نتيجة اقتلاعهم من جذورهم.

توصّلت الباحثة من دراستها للهويتين -الدينية والثقافية- إلى أنّ توظيف الهوية الدينية إذا كان لغرض مقارنة الأديان، "فإن الهوية الثقافية تمثل دعوة لقراءة الموروث الثقافي العراقي عالمياً لأن كتابه انطلقوا من العراق في الكتابة عنه وإليه، إذ أفصحت تلك الهوية عن درجة الانصهار بالوطن الأم والوفاء لتلك التقاليد والعادات وعمق التماهي مع الموروثات الاجتماعية، بوصف ذلك كله من هوية الانتماء للوطن العراقي"<sup>(١)</sup>. هذا يعني أنّ تمسك الأقلية اليهودية بموروثها الثقافي، وحرصها على توثيقه في نتاجاتهم الأدبية عموماً والروائية خصوصاً، للدلالة على عمق ارتباطهم بوطنهم، وإسهاماتهم في بنائه وتطوره على مختلف الصعد. وهذا يدلّ على شعورهم الفردي بوصفهم مكوناً من مكونات المجتمع العراقي.

والهوية الثالثة التي رصدتها الباحثة في روايات الروائيين اليهود، هي الهوية الوطنية. رأت أنّ هذه الهوية مثّلت "اهم الإشكالات التي طرحها روائيو الطائفة اليهودية، إذ لا تزال مرتبطة بالبعد الأيديولوجي العربي للصهيونية وعدم التمييز بين الديانة اليهودية كديانة سماوية والصهيونية كحركة استعمارية لذا حظيت هذه الإشكالية بتوظيف خطابات متعددة لأثبات هويتهم الوطنية، فلقد حورب أبناء الطائفة اليهودية تحت مظلة الحركة الصهيونية"<sup>(٢)</sup>. إنّ تمسكهم بهويتهم الوطنية، وتأكيداً في أغلب منجزاتهم الروائية مثل محاولات جادة لتعرية المنظومة الفكرية والأخلاقية للحركة الصهيونية، فمن بين الأساليب التي اتبعتها الروائيون في تأكيد هويتهم الوطنية: "التمسك بالكتابة باللغة العربية والانتماء إلى الحركة الشيوعية والانتماء إلى عصابة مكافحة

(١) الروائيون العراقيون اليهود دراسة في الثقافة والمتخيل والتجريب الروائي، د. خالدة حاتم علوان: ٦٧.

(٢) م. ن: ٦٧.

الصهيونية، كما لا ننسى تأكيدهم اسبقية الوجود التاريخي وقدمه في البلد الأم، الأمر الذي جعلهم يتمسكون به حتى اللحظات الأخيرة<sup>(١)</sup>. ترى الباحثة أنّ الروائيين سعوا إلى تأكيد حقيقة لا غبار عليها، وهي حقيقة انتمائهم إلى بلدهم العراق، الذي شهد تعددًا في الأديان والطوائف، وعُرف بنزوعه الإنسانيّ، وسلاسة العيش فيه، فلم يكن اليهوديّ يشعر بغربة داخلية أو خارجية تُعكّر صفو حياته، كما إنّه لم يشهد صراعًا بينه وبين الطوائف الأخرى التي تشاركه المكان والزمان، لكنّ ظهور الحركة الصهيونية، وارتفاع سقف مطالباتها، وأهدافها المضمرة، حال دون استمرار التعايش السلمي لليهود في بلدهم.

وقف الباحث محمد المشلب في كتابه (الإنتلجينسيا العراقية في عالم علي بدر الروائي) على رواية (حارس التبغ)، التي انشغلت بتصوير حال اليهود، وبتتبّع مصائرهم، وما لاقوه بسبب ديانتهم. ففي الفصل الثالث الذي درس فيه شخصيات علي بدر على وفق خطاطة هامون، عدّ بعض شخصيات عالم علي بدر الروائي ذات مرجعيات اجتماعية، ومنها الشخصيات اليهودية التي نُظر إليها بوصفها فئات مستضعفة لها هوية صغرى ترتبط جذورها بهوية أكبر وهي الهوية الوطنية العراقية.

كان المجتمع العراقيّ يعيش حالة انسجام اجتماعي بين مختلف القوميات والأديان، لكنّ ظروف العراق السياسية عملت على انهيار ذلك الانسجام، ومزّقت نسيجه، فضلًا عن أحداث نهب ممتلكات اليهود، وهذا ما أكّده الباحث بقوله: "كانت أحداث نهب وقتل اليهود العراقيين هي الحدث الأكثر جلالاً عندهم حتى العام ١٩٥٠ الذي صدر فيه القانون الخاص بتسفير الحكومة العراقية للطائفة اليهودية؛ بسبب إعلان إسرائيل دولتهم في فلسطين، فرحلوا مُجرّفين بعيداً عن وطنهم الأثير على الرغم من تمسّكهم فيه"<sup>(٢)</sup>، إذ

(١) الروائيون العراقيون اليهود دراسة في الثقافة والمتخيل والتجريب الروائي، د. خالدة حاتم علوان: ٧٣.

(٢) الإنتلجينسيا العراقية في عالم علي بدر الروائي دراسة في الرؤى والتمثيلات، محمد فاضل المشلب، دار الرافدين - بيروت، ودار وراقون للنشر والتوزيع - العراق، ط ١، ٢٠١٧م: ٢٣٣.

عُدَّت أيام الفهود "من أخطر الأحداث الذي تعرض لها [أبناء الديانة] اليهودية في العراق عبر الاف السنين التي [امضوها] في بلاد الرافدين [وهم يعيشون] الحياة الحرة السعيدة الممتلئة نشاطاً وحيوية في كافة مجالات الحياة"<sup>(١)</sup> إنَّ انهيار المنظومة الأخلاقية، وتفكك العلاقات الإنسانية، وطمس الهويّات الفرعية جاءت نتيجة صرعات سياسية كبرى هدفها تحقيق غايات تخدم مصالحها، وواحدة من غاياتها إعلان دولة إسرائيل في فلسطين؛ ليتّم لمّ الشتات اليهودي - على حدّ زعمهم - وجعل فلسطين دولتهم الجديدة.

إنّ تناول الباحث لموضوعة الهوية اليهودية جاءت في سياق الحديث عن واحدة من روايات (علي بدر) التي تناولت أزمة اليهود في العراق، ولم تكن دراسته للهوية نابعة عن وعي يُدرك أهميّة الموضوع.

أمّا الباحثة فاطمة المحسن فقد تناولت موضوعة الشتات اليهودي في كتابها (أدب المنفى)، وقد ناقشت هذا الموضوع عبر روايات كتبها روائييون من أصل يهودي عاشوا في العراق سنوات طويلة منهم: نعيم قطان، وسامي ميخائيل، وسمير نقاش وآخرون.

ترى الباحثة أنّ رواية (وداعاً بابل) لنعيم قطان تناولت "في سرد واقعي عالمياً ثقافياً مختلطاً ببغداد، تكاد تنعدم فيه الهويات الدينية والعرقية. فالمثقفون في الفترة التي يكتب عنها المؤلف وهي أربعينات القرن العشرين، كانوا مهمومين بفكرة بناء الوطن العراقي"<sup>(٢)</sup> بمعنى أنّ المجتمع العراقيّ تربطه روابط متينة بجميع طوائفه، ولا وجود للنزاعات الطائفية فيه، كما إنّ اليهود بعد سبيهم الأوّل الذي قام به نبوخذ نصر استطاعوا أنّ يُغيّروا مسار حياتهم من عبيد إلى سگان أصليين على أرض بابل، وهذا ما دفع بعضهم إلى رفض العودة إلى إسرائيل، "فإسرائيل وطن اليهود في الذاكرة التاريخية، وكل يهودي يتوارث عن أجداده كلمة التلمود التي تدعوهم كل عيد إلى تصور أنفسهم في طريق

(١) يهود العراق تاريخهم، أحوالهم، هجرتهم، يعقوب يوسف كوريّة: ١٤٢.

(٢) أدب المنفى دراسات في الأدبيات العراقية، فاطمة المحسن: ٤١.

العودة إلى أورشليم، ولكن أورشليم قبل انبثاق المشروع الصهيوني، فكرة متخيلة صاغتها الميثالوجيا الدينية أكثر منها أرض الميعاد الحقيقية<sup>(١)</sup> فهذا هو منبع الصراع اليهودي، والسبب في استمرار رحلة السبي والشتات اليهودي، وبهذه النتيجة ختمت الباحثة دراستها في الروايات اليهودية العراقية، مؤكدة أنّ فكرة تهجير اليهود يقف خلفها مشروع إسرائيلي كبير يهدف إلى بناء وطن بديل لليهود على حساب شعب فلسطين.

تناولت الباحثة هذا الموضوع في سياق تقديم مهاد نظري لقضية النفي، وتصوير ثقافة الشتات في الروايات الصادرة من ذات يهودية، فقدّمت رؤية شاملة عن رحلة الشتات اليهودي من دون الاستشهاد بنصوص روائية تدعم فرضياتها.

ناقش الباحث غانم الزبيدي في كتابه (شوارع نيرودا) إشكالية الهويات الفرعية، وقلقها، وتشبّثها جزاء الأحداث التي عصفت بالحياة الاجتماعية بعد عام ٢٠٠٣م، ففي المحور الذي خصّه بدراسة (الهوية في الرواية العراقية بعد عام ٢٠٠٣م)، وقف على أربع روايات: الأولى (حارس التبغ) لعلي بدر، والثانية (الحفيدة الأمريكية) لإنعام كج جي، والثالثة (سيدات زحل) للطيفه الدليمي، والرابعة (يا مريم) لسنان أنطوان.

شغلت الروايتان الثانية والرابعة بالهوية المسيحية وسنقف عندها في محور الأقلية المسيحية-، في حين أنّ الثالثة بحثت في الهوية البيولوجية (الأنثوية)، أما الأولى فدرست الهوية اليهودية. وجد الباحث في رواية (حارس التبغ) لعلي بدر تجسيداً لـ "صراع هويات بين الهوية الدينية" و"الهوية الوطنية" [وائه] ناشئ من استبداد السلطة وممارساتها القمعية، ينتهي هذا الصراع بانتصار الهوية الوطنية من خلال إصرار الشخصية على البقاء في وطنها، بعد أن تتخلى عن هويتها الدينية التي تتلبسها لتضليل السلطة

(١) أدب المنفى دراسات في الأدبيات العراقية، فاطمة المحسن: ٤٧.



و**خداعها**"<sup>(١)</sup> الشخصية الرئيسة في الرواية (يوسف سامي) ذي الأصول اليهودية يتعرض للتهجير وعنف السلطة بسبب هويته الدينية، لكنه لم يستطع العيش بعيداً عن وطنه العراق؛ لتأثير الهوية الوطنية عليه تأثيراً يفوق تأثير انتمائه الديني.

ويرى الباحث أنّ "الرواية، على وفق خطابها الثقافي، كانت تسعى الى إيصال رسالة مفادها: إن القيم الوطنية أقوى من القيم الدينية، وأن "الهوية الوطنية الراسخة" ستكون هي المنتصرة على "الهوية الدينية القلقة" الأمر الذي يفسر تحولات الشخصية دينياً وثباتها في التشبث بالوطن والبقاء فيه"<sup>(٢)</sup>. وقف الباحث على رواية واحدة استجلى فيها قلق الهوية الدينية اليهودية، كما صور فيها تشبث الشخصية بهويتها الوطنية، وعمق ارتباطها ببلدها، رافضة الانتقال إلى بلد آخر.

أفرد الباحث فاضل ثامر مساحة من كتابه (الرواية العربية في دائرة التأويل) لدراسة رواية (فردوس أمي القديم) لإسماعيل سكران. تناولت هذه الرواية أزمة اليهودي في المجتمع العراقي، وتعرضه للتهجير بعد إعلان فلسطين دولة لهم. بطل الرواية إسحاق وأمّه مودة لم يتقبلاً موطنهم الجديد في فلسطين، فكان "على الرغم من محاولات دمجها بالمجتمع اليهودي، ظلت "مودة" على سجيتها رافضة للدين الجديد، وواصلت الحديث داخل الاسرة باللغة العربية، وبقيت محتفظة باسمها القديم "مودة"، رافضة الاسم الجديد لها (ابريل). ومما مكنها من الحفاظ على هويتها وموقف زوجها صائب الذي كان يكره الطقوس اليهودية"<sup>(٣)</sup> رفض مودة وعائلتها للموطن الجديد، ولاسماها الذي يحمل دلالة الهوية الجديدة، يُعد وسيلة من وسائل رفض الإقصاء والتهميش، ورفض فكرة المواطن الجديد الذي أُقيم على رفات الشعب الفلسطيني، لكنّ الباحث اتهم الروائي بقصر النظر،

(١) شوارع نيرودا استراتيجيات الرواية العراقية بعد ٢٠٠٣ أشكال السلطة وصور المتقف، د. غانم الزبيدي: ٢٢٨-٢٢٩.

(٢) م. ن: ٢٣٤.

(٣) الرواية العربية في دائرة التأويل، د. فاضل ثامر: ٤٥٠ - ٤٥١.

وضبابية الرؤية وهو يتناول قضية اليهود بقوله: "كنت أتمنى ان يكون المؤلف على اطلاع اشمل بواقع الدولة اليهودية وعملية التزوير التي مارستها الإدارة الصهيونية لمسح الهوية الفلسطينية وإقامة نظام استيطاني متعسف"<sup>(١)</sup> فضلاً عن رغبته بمطالبة "ابن مودة بحق الفلسطينيين بالعودة إلى أراضيهم التي طردوا منها، مثلما كان يطالب بعودة اليهود العراقيين إلى العراق لاستعادة حقوقهم التي تركوها بسبب الهجرة"<sup>(٢)</sup> في حين أنّ مطالب الباحث غير مقبولة، وأنّ حكمه غير صائب؛ لأنّ عائلة اليهوديّ إسحاق وأمه مودّة قد رفضا الوطن البديل الذي جاء بقرار سياسيّ صهيونيّ اتفق على أن تكون أرض فلسطين موطنًا لليهود، كما أن انعدام الترابط الاجتماعيّ مع التمسك باللغة العربيّة الدالة على الانتماء الهوياتيّ والقوميّ دليل على تمرد تلك العائلة على القرارات المجحفة بحقهم وتهجيرهم.

كانت تلك الرواية هي الوحيدة في كتاب فاضل ثامر التي وقفت على الهوية اليهودية، أمّا باقي محاور الكتاب فكانت عبارة عن أبحاث تتناول رواية معينة، تُدرس في ضوء عنوان مستقل بها، ولا يربط بين محاور الكتاب عنوان شامل سوى العنوان المثبت على غلاف الكتاب.

وبناءً على ما سبق يمكننا القول: إنّ المعاينة القرائية للمتون النقدية قد وضعتنا أمام مسارين: الأوّل يتخذ من موضوعة الهوية اليهودية محورًا جزئيًا ويُناقشه ضمن محاور أخرى موزعة على مفاصل دراسته، وهذا ما رصدناه في دراسة عبد الله إبراهيم في كتابه (السرد والاعتراف والهوية)، ومحمد المشلب في كتابه (الإنتلجينسيا العراقية في عالم علي بدر الروائي)، وفاطمة المحسن في (أدب المنفى)، وغانم الزبيدي في (شوارع نيرودا)، وفاضل ثامر في (الرواية العربية في دائرة التأويل). أمّا المسار الثاني فإنّه يجعلها قضية

(١) الرواية العربية في دائرة التأويل، د. فاضل ثامر: ٤٥٧.

(٢) م. ن: الصفحة نفسها.

جوهرية وناقشها في دراسة مستقلة بها، كما في دراسة الباحثة خالدة حاتم علوان (الروائيون العراقيون اليهود دراسة في الثقافة والمتخيل والتجريب الروائي).

ويتضح من خلال هذين المسارين سيادة المحور الجزئي، الذي يتخذ من موضوعة اليهود محوراً جزئياً، بخلاف انفراد دراسة الباحثة خالدة علوان باستقلالية موضوعها وبشمولها.

أزمة الهوية لم تقف عن حدود الهوية اليهودية، بل انسحب الأمر على الهوية المسيحية التي لا تختلف معاناتها وصراعاتها عن صراعات الهوية اليهودية.

### ثانياً: الأقلية المسيحية

المسيحيون مكوّن ديني يؤمنون بنبوة عيسى (عليه السلام)، وهم جزء أساس من بناء المجتمع العراقي، فهم "أقوام العراق الأصليون، وهم سليلو الحضارات التي نشأت في بلاد ما بين النهرين عبر قرون طويلة قبل الميلاد، وقد شكل دخول المسيحية إلى العراق في القرن الأول الميلادي عامل توحيد وقوة لأهل العراق، بعد اندثار إمبراطورياتهم العريقة في آشور وبابل وأكد"<sup>(١)</sup>.

والهوية المسيحية شأنها شأن الهويات الفرعية التي ظهرت للتعبير عن نفسها وعن وجودها الفعلي بين أفرادها بفعل عوامل سياسية واجتماعية وتهديدات أو تحديات تدفع بالمسيحيين مثل باقي الجماعات التي تعيش تهديداً مُحدداً بالرجوع إلى انتمائها الفرعي

(١) مسيحيو الحاضر محنة الحاضر وقلق الماضي، دهام محمد العزاوي، الدار العربية للعلم ناشرون، بيروت- لبنان، ط ١، ٢٠١٢م: ٢٢.

لتعزز قوتها بالتلاحم والإعلان عن هويتها"<sup>(١)</sup>، فبعد إخفاق الدولة في تأمين الحماية للأقليات عمومًا والمسيحية خصوصًا لم يكن أمامهم خيارٌ آخر غير الهجرة من البلد، إذ تعرّضوا إلى مضايقات شتى تراوحت بين قمع حرياتهم، وتفجير كنائسهم وأديرتهم، وبتّ الرعب في نفوسهم يبعث رسائل تهديد لهم.

وأولى الكتب النقدية التي ناقشت موضوع الهوية المسيحية -بحسب مدّة دراستنا- كتاب الباحث عبد الله إبراهيم (السرد والاعتراف والهوية)، إذ رأى أنّ رواية (الحفيدة الأمريكية) لإنعام كجه جي قدّمت "تمثيلًا سرديًا لموضوع الهوية المرتبكة، وأحوال الأقليات العرقية والدينية التي يهتزّ انتماؤها حينما تعمّ الفوضى وسط الجماعات الكبرى الحاضرة لها، وكلّ ذلك على خلفية وضع العراق الذي زعزعت أحداث الاستبداد ثمّ الاحتلال، فتناهد أساطير الانتماء القديمة، وتُستحدث أساطير بديلة، وتتغيّر الأسماء، ويقع التلاعب بالمصائر، وتُقدّم هويّات ضيقة جدًا أو هويّات كونية واسعة جدًا"<sup>(٢)</sup>. تُصوّر الرواية رؤيتين مختلفتين للاحتلال الأمريكيّ تقدّمهما الجدّة والحفيدة الأمريكية، فبعد وصول عائلة الحفيدة إلى أمريكا هروبًا من الوضع المزري الذي آل إليه وضع الأقلية المسيحية في العراق، رأت هذه الحفيدة أنّ الواجب يُملّي عليها الاعتراف بفضل أمريكا عليها وعلى أسرتها، إذ منحتهم الحياة الكريمة، والحرية التي افتقدوها في بلادهم العراق، كما إنّها عملت مترجمة مع الأمريكان تحت ذريعة تخليص بلدها من حكم دكتاتوريّ انهكّ البلاد والعباد. في مقابل هذه الرؤية تقف رؤية الجدّة التي بقيت في بلدها مخلصّة له، ومحافظة على هويتها الوطنية، فرأت في انضمام الحفيدة إلى صفوف المحتلّ فعلاً غير مقبول، ولا يشفع له أيّ مسوغ.

(١) الهوية المسيحية في الرواية العراقية دراسة تحليلية لروايات ما بعد عام ٢٠٠٣، عماد جاسم، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، ط٢، ٢٠١٩م: ٣٠.

(٢) السرد والاعتراف والهوية، د. عبد الله إبراهيم: ١٥٩.

وعلى خلفية التغيرات السياسية، والصراعات الأيديولوجية لم يبقَ العراق صالحاً لاجتماع الهويات المتعددة، فتلاشى الانسجام الاجتماعي، وفُقد التماسك الوطني، فأجبرت أسرة (زينة) على الهرب إلى أمريكا بعد فقدان الروابط الحميمة في بلدها العراق، كانت الرواية تجسيدا لحكاية "انتساب إلى أقلية عريقة في بلد متنوع الأعراق، ونزوح رمزي إلى مكان آمن بسبب القهر الوطني، وضياح في هوية كونية. لم يكشف النص أي إحساس حقيقي بالانتماء لأمريكا عند الشخصيات. كانت ملاذاً فحسب، ومأنة لوثائق حماية"<sup>(١)</sup> هذا يعني أنّ الوضع السياسي كان العامل الحاسم في تأجيج الصراعات الأيديولوجية، وتعميق الهوة بين معتقي الديانتين المسيحية والإسلامية، وحال دون استمرار الانسجام الاجتماعي بين مكونات المجتمع العراقي وأطيافه.

تلك الرواية فقط حظيت بعناية الباحث في هذا الموضوع، وأُفرد لها مساحة صغيرة من كتابه؛ وربما يقف الدافع وراء ذلك انشغاله بالحديث عن الهوية اليهودية التي شغلت مساحة واسعة من كتابه، وأُفرد لها الفصلين الرابع والخامس، في حين أنّ الهوية المسيحية قد دُرست في الفصل الخامس دون غيره تحت عنوان (هويات سردية أم أفنعة للتكرّر؟)، إذ تضمّن هذا الفصل روايتين فقط: الأولى (حارس التبغ) لعلي بدر، فكانت الشخصية الرئيسية حاملة للهوية اليهودية، والثانية (الحفيدة الأمريكية) لإنعام كجه جي محور اشتغالنا هنا-، إذ دُرست تحت عنوان (معالم الهوية المرتبكة).

كذلك اعتنت الباحثة الأكاديمية كريمة المدني بموضوعة الهويات والتعدد الثقافي، وذلك في كتابها (الهوية والإرهاب...)، فقد قسّمت دراستها على إجراءات ولم توضّح لا في المقدمة ولا في التمهيد مسوّغات لجوئها إلى هذا التقسيم، ولا المراد بمفهوم الإجراءات. خصّت بالإجراء الأوّل روايات علي بدر ودرست فيها الهوية والتعددية الثقافية، والإجراء الثاني لرواية (الحفيدة الأمريكية) لإنعام كجه جي درست فيه تمثّلات الهوية في الرواية العراقية

(١) السرد والاعتراف والهوية، د. عبد الله إبراهيم: ١٦٠.

النسوية، والإجراء الثالث لرواية سنان أنطون في روايته (وحدها شجرة الرمان) درست فيه مشاهد الإرهاب وتمثلاته.

عند تتبّع دراستها لرواية (بابا سارتر) و (الركض وراء الذئب) لعلي بدر لم نعثر على هوية محدّدة ومصرّح بها، بل انشغلت بالحديث عن الفلسفة الوجودية وأثرها في الشخصيات الذين تأثروا بالغرب وبفلسفاتهم<sup>(١)</sup>، والأمر ذاته ينسحب على رواية الركض وراء الذئب التي صوّرت الحركة الشيوعية وتأثر الشباب بها، إذ لم نعثر على أية هوية واضحة تمّت دراستها دراسة ثقافية<sup>(٢)</sup>.

كذلك النتائج التي خرجت بها الدراسة لا تمتّ بأيّة صلة إلى تحليل النصوص الروائية، فمن بين نتائج الدراسة ترى الباحثة أنّ "مفهوم الهوية إشكالية مؤرقة غير قابلة للتجاوز في مختلف الفضاءات الثقافية والحضارية، بل اتسع مداه ليشتمل البنية الاجتماعية، فتعددت الهويات، التي أصبحت تسمى بـ الهويات الفرعية أو الثانوية مثل الهوية الاجتماعية، والثقافية والعرقية"<sup>(٣)</sup> لكننا لم نرصد أية هويّات فرعية، ولم يتم مناقشة موضوعة الهوية من جانب ثقافي؛ يتغيّر أسباب شيوعها، وأثرها على الأفراد.

عني الباحث غانم الزبيدي في كتابه (شوارع نيرودا...) بأزمة الهوية المسيحية، وخصّ بالدراسة رواية (يا مريم) لسنان أنطون التي صوّرت الصراع بين جيلين ينتميان لهوية واحدة، إحداهما تريد البقاء في بلدها في ظلّ ظروف التهجير والقتل والإقصاء، والأخرى وجدت في العراق مكاناً غير صالح للعيش إطلاقاً، إذ لم يمنح المكان لسكانيه هوية الانتماء.

(١) يُنظر: الهوية والإرهاب قراءة في إمكانات السرد الروائي العراقي، د. كريمة نوماس المدني، دار الفرات - العراق،

ط ١، ٢٠١٨م: ٢٩ - ٣٥.

(٢) يُنظر: م. ن: ٣٦ - ٤١.

(٣) م. ن: ٤٢.

يرى الباحث أنّ تلك الرواية رصدت "وضع الأقليات في العراق داخل النسيج الاجتماعي، وبالتحديد الأقلية المسيحية؛ وهو وعي روائي جديد نتج عن ملابسات تاريخية واجتماعية طارئة. حيث تقدم الرواية منظوراً دينياً للمجتمع المسيحي وكيف تمارس عليه سلطة اجتماعية دينية أخرى لقمعه عبر وسائل العنف من قتل وتهجير ومضايقة"<sup>(١)</sup> فالعلاقات الاجتماعية، والدينية قد تعرّضت إلى هزّات عنيفة، وصراعات طائفية جرّاء صعود النسق الأيديولوجي على خلفية الأحداث التي عصفت بالبلد، وانهيار السلطة السياسية، مما جعل الهويات الفرعية تتعرض للتهميش والإقصاء على حساب الهويات الأصلية بعد أن كانت تعيش حالة من الانسجام والترابط الروحي والقومي بعيداً عن الاحتراب والصراعات.

قدّمت الرواية رؤيتين ثقافيتين مختلفتين لجيلين ينتميان لهوية واحدة وهي الهوية المسيحية؛ نتيجة الوضع المأساوي الذي تعرّض له بعد إن كانا يعيشان حياة هادئة وطبيعية في مجتمع متعدّد الأعراق والطوائف. حمل الرؤية الثقافية الأولى (يوسف) الذي عاش في العراق بأمان بعيداً عن العنف والصراع الطائفي، أمّا (مها) فقد حملت الرؤية الثقافية الثانية التي وجدت العراق مكاناً طارداً لأبناء طائفها، كما إنّه وضعها بين خيارين لا ثالث لهما: إمّا الموت وإمّا الرحيل، وهذا القهر الاجتماعي الذي هدّد أبناء الطائفة المسيحية، وسلبهم هويتهم وانتماءهم إلى بلدهم جاء نتيجة تدهور الوضع في العراق بمختلف مجالاته بعد عام ٢٠٠٣م.

يرى الباحث أنّ هذه الرواية قد انهمكت "في رسم صورة للحياة التي يعيشها المجتمع المسيحي الصغير داخل المجتمع الكبير ضمن إشكالية صراع وعي الأنا والآخر [...] وهي عينة كاشفة عن جزء من النسيج الاجتماعي المسيحي الذي يحيا بحرية

(١) شوارع نيرودا استراتيجيات الرواية العراقية بعد ٢٠٠٣ أشكال السلطة وصور المنقذ، د. غانم الزبيدي: ٢٥٢-

داخل سلطة المجتمع المسلم الكبير"<sup>(١)</sup>. قدّم الباحث رؤيته في قضية أزمة الهوية المسيحية في الرواية العراقية عبر هذه الرواية فقط، مما جعل نتائجه جزئية فُصرت على رصد الظروف السياسيّة والاجتماعيّة والدينيّة في تلك الحقبة التي صورتها الرواية.

في سياق الحديث عن الهوية المسيحية خصّ الباحث عماد جاسم هذه الهوية بالدراسة في كتابه (الهوية المسيحية في الرواية العراقية)، وأفرد الفصل الأول من كتابه لروائيين مسيحيين درس إبداعهم الروائيّ تحت عنوان (خطاب الذات المسيحية في الرواية العراقية)؛ ليرصد رؤيتها تجاه هويتها الوطنيّة أولاً، وعمق المأساة التي أصابت هويتها الدينيّة ثانياً من وجهة نظر الذات المسيحية.

في هذا الفصل وقف على روايات ثلاث، اثنتين للروائيّة إنعام كجه جي، وواحدة لسنان أنطون. كشفت رواية (الحفيدة الأمريكيّة) معاناة أسرة مسيحية هربت من ظروف العراق إلى أمريكا، ولكنها لم تستطع الاندماج مع المجتمع الأمريكيّ وظلّت متمسكة بهويتها الوطنيّة، وولائها للعراق حتّى بعد حصولها على الجنسيّة الأمريكيّة، ففي لحظة منح الجنسيّة الأمريكيّة تُظهر والدة زينة حبّها لهويتها الوطنيّة، وعمق ارتباطها بها، كما إنّها تطلب الغفران من والدها لقبولها الجنسيّة الأمريكيّة بقولها: سامحني يا أبي.. يا يا سامحني. قولها هذا يحمل "اعتزازاً ضمنيّاً بالفخر بهويتها الوطنيّة وخجلاً من قبول الجنسيّة الأمريكيّة بوصفها ضرورة حتمية ارتضاها المسيحيون لأنفسهم هرباً من الواقع المرّ للعراق"<sup>(٢)</sup>. موقف الأم من الهوية الجديدة جاء مخالفاً لموقف ابنتها (زينة) التي أبدت "اعتزازها الكبير بهويتها المكتسبة وجنسيّتها الأمريكيّة وتعبر عن فخرها متشابهة بذلك مع كثير من أفراد جيلها من المسيحيين العراقيين الذين عاشوا أوجاع العراق وقسوة

(١) شوارع نيرودا استراتيجيات الرواية العراقية بعد ٢٠٠٣ أشكال السلطة وصور المثقف، د. غانم الزبيدي: ٢٥٥.

(٢) الهوية المسيحية في الرواية العراقية دراسة تحليلية لروايات ما بعد عام ٢٠٠٣، عماد جاسم، ٥١.



الأنظمة التي حكمت البلاد وما حصل من عمليات استهداف وتهجير"<sup>(١)</sup>. هذا يعني أنّ الجيل الثاني أشدّ تمسكاً بهويته الجديدة؛ لأنه جيل تجرّع مرارة النفي والقسوة والتتكيل، وولد من رحم الصراعات والحروب، بخلاف الجيل الأوّل الذي عاش في ظلّ أجواء يسودها الاستقرار الاجتماعيّ، والترابط الدينيّ، وتجمعهم أواصر الأخوة والتراحم قبل أن تعصف بهم رياح الحرب الطائفية.

أمّا رواية (طشاري) فإنّ سردها انشغل بالحديث عن الطيبة وردية الحاملة للهوية المسيحية، إذ لم يكن انتماؤها الدينيّ عائناً أمام تأدية واجبها الوطنيّ والإنسانيّ من العمل في محافظة الديوانية، فكانت تربطها بهم علاقات طيبة، واحترام متبادل، ولكنها أُجبرت على الهجرة إلى فرنسا بعد تعرّضها إلى مضايقات شتّى، وتلقّيها رسائل تهديد؛ نتيجة انفلات الأمن، وسيطرة قوى مسلّحة، وجسّدت الرواية بحسب رؤية الباحث "يأس المسيحيين من الاستمرار بالعيش في وطنٍ بدت فيه الأغلبية المهيمنة أغلبية لا تؤمن بالاختلاف وجماعاتٍ تستولي على بيوت المسيحيين، مما يُجبرهم على ترك مناطقهم مستسلمين لفكرة الخلاص والهجرة لشعورهم بالدونية وسط تعاظم خطابات التهديد والإجبار على دفع الفدية"<sup>(٢)</sup>. هذا يعني أنّ ظروف العراق أجبرتهم على الهجرة وترك بلادهم، في مقابل احتفاظهم بهويّتهم الوطنية التي أصروا على الحفاظ عليها والتمسك بها.

أمّا الرواية الثالثة التي وقف عندها الباحث عماد جاسم رواية (يا مريم) لسنان أنطون. تدور أحداث الرواية حول الجدل الذي دار بين (يوسف) بطل الرواية وقريبته (مها) عن الأزمات التي شتّتت شمل المسيحيين، ونظرتهم إلى الأوضاع السياسية، إذ عكس "هذا الجدل وجهات نظر متباينة لجيلين من المسيحيين العراقيين حول هويتهم الفرعية وتقاطعها أو انسجامها وتكاملها مع الهوية الوطنية ويتجلى هذا الجدل في

(١) الهوية المسيحية في الرواية العراقية دراسة تحليلية لروايات ما بعد عام ٢٠٠٣، عماد جاسم: ٥٢.

(٢) م. ن: ٨١.

خطاب الذات للشخصيتين الرئيسيتين في الرواية يوسف ومها<sup>(١)</sup>. كل من يوسف ومها اختلفت رؤيتهما لذاتهما في سياق اشتراكهما في التعبير عن ذات جماعية هي الذات المسيحية، ولكن اختلاف وجهات النظر جاء على غرار تغييرات سياسية واجتماعية وثقافية أفرزت رؤية مغايرة تنظر إلى الآخر المختلف دينياً نظرة توصل بالاحتقار والدونية.

يخلص الباحث عماد جاسم من دراسته لروايات روائيين مسيحيين إلى توضيح غاية أغلب الروائيين بالإعلان "في خطابهم الذاتي تمردهم على تهم الأكثرية التي توصل الأقلية المسيحية بالتعاطف مع الاحتلال ليؤكدوا من خلال شخص روايتهم تمسكاً واضحاً بالهوية الوطنية واستنكاراً لأي نوع من طمس السيادة"<sup>(٢)</sup>. الأمر الآخر أن هذه الروايات التي درسها الباحث اشتركت في أنّ "كتابها من الروائيين المسيحيين المغتربين (إنعام كجه جي و سنان أنطوان) المهتمين بمتابعة ظروف المسيحيين متخذين من خطاب الذات شكلاً من أشكال إيصال المغزى من وراء كتابة روايات تدور في فلك البحث عن الهوية أو تشظي الهوية أو تنوعها، ولعل تلك الروايات نجحت في إيضاح أفكار المسيحيين حول الهجرة وترك بلادهم والأسباب الحقيقية التي دعت بعضاً منهم إلى حزم حقائب الرحيل بعد شعور الدونية المجتمعية"<sup>(٣)</sup>. فالباحث قدّم لنا صورة جسدت مأساة المسيحيين، وما لحق بهم من تنكيل وبطش، والأسباب التي وقفت وراء هجرتهم، وموقفهم من الهوية الوطنية، انطلاقاً من ذات مسيحية كانت شاهدة على كلّ الأحداث التي عصفت بتاريخ العراقيين عموماً والمسيحيين على وجه الخصوص.

في حين أنّ الفصل الثاني درس فيه الهوية المسيحية بوصفها آخر، ووقف على ثماني روايات، ثلاث منها للروائية ميسلون هادي، وواحدة لإنعام كجه جي، وجنان حلاوي،

(١) الهوية المسيحية في الرواية العراقية دراسة تحليلية لروايات ما بعد عام ٢٠٠٣، عماد جاسم: ٩٣.

(٢) م. ن: ١٠٩.

(٣) م. ن: ١١٣.

وسنان أنطون، وأحمد سعادوي، وناظم العبيدي. بحث في هذا الفصل عن محنة الوطن، والحفاظ على الهوية الوطنية وتغليبها على الهويات الفرعية، إذ قدمت الروايات المدروسة شخصيات مسيحية أظهرت حبها لوطنها، وانسجامها في مجتمع تعددت فيه الطوائف والأعراق، وذابت فيه الفوارق الدينية، كما عبرت الشخصيات المسيحية عن تجرّعها مرارة الألم والعذابات جرّاء تدهور الوضع الأمني، وانفلات الرقابة السياسية، فلم يكن خوفها وحزنها مقصوراً على ما مرّت به طائفة المسيحيين على وجه الخصوص، بل حملت همّاً جمعياً وحزناً عميقاً لما آل إليه وضع العراق بعد عام ٢٠٠٣م. كلّ هذا جاء تصويره من ذات مسلمة انصفت الآخر المسيحي، وخلص الباحث إلى نتيجة مفادها "يمكن اختزال ما تقدم من متابعة الهوية المسيحية إيجابياً من لدن المسلم في عدد من الروايات التي استشهد بها الكاتب لتأكيد أنّ محنة الوطن تعد دافعاً لا يمكن اخفاؤه في تأصيل فكرة التضامن وإيضاحها ولنقل التعاطف من لدن الشخصيات المسلمة في الروايات التي تم تناولها في الجزء الأول من الفصل الخاص بالهوية المسيحية بوصفها آخر"<sup>(١)</sup>. فوجود الهوية الوطنية لا يعني إلغاءً ومحواً للهوية الدينية، إذ إنّ من حقّ الفرد المحافظة على هويّاته الثانوية عندما يكون على وعي تام بقيمة الهوية الكبرى؛ لأنّ ديانة المرء ليست بالضرورة دالة على هويّته الكلية<sup>(٢)</sup> بحمولاتها الاجتماعية والثقافية والقومية...

وبناءً على تلك المعطيات يُنهي الباحث جهده بمجموعة نتائج، ارتأينا أن نقف عند اثنتين منها؛ بوصفهما جوهر البحث في سؤال الهوية، وهاتان النتيجتان هما: "عكست الروايات تعاطفاً ملحوظاً مع الأقليات، بوصفهم الضمان للبقاء على التنوع العراقي، ولأنهم من المكونات الأصلية والتاريخية في البلاد ومن واجب الدولة والمجتمع الحفاظ

(١) الهوية المسيحية في الرواية العراقية دراسة تحليلية لروايات ما بعد عام ٢٠٠٣، عماد جاسم: ١٤١ - ١٤٢.

(٢) يُنظر: الهوية والعنف وهم المصير الحتمي، أمارتن صن، تر: سحر توفيق، عالم المعرفة - الكويت، ٢٠٠٨م:

على هذا التنوع"<sup>(١)</sup>، والنتيجة الثانية تجلّت في تغليب الشخصيات المسيحية للهوية العراقية على هويتها الفرعية، مع تأكيد التمسك الضمني بهويتهم المسيحية، التي أعلنت عن نفسها أكثر بعد الاحتلال بفعل التهديدات وانتشار الفوضى وغياب الحماية اللازمة للوجود المسيحي"<sup>(٢)</sup>. هذا فضلاً عن النتائج الأخرى التي جاءت في مجملها مستوفية لموضوعة الهوية، إذ يمكننا أن نستنتج من ذلك وضوح الرؤية عند الباحث، وفهمه الدقيق لجزيئات موضوعه.

لم يخلُ جهد الباحث الأكاديمي محمد الجبوري من الحديث عن الهوية المسيحية الوارد في كتابه الموسوم بـ (تمثلات الهوية في السرد الروائي)، إذ أفرد لها مبحثاً خاصاً من كتابه عالج فيه ظاهرة هجرة المسيحيين العراقيين من بلدهم، وذلك عند دراسته لرواية (يا مريم) لسنان أنطون.

قدّمت تلك الرواية مفهوماً للهوية الوطنية من وجهتي نظر مختلفتين لشخصيتين اشتركتا في الديانة المسيحية، إحداهما تمسكت بهويتها الوطنية انطلاقاً من الماضي الذي يسوده الانسجام والتلاحم المجتمعي، والأخرى ترفض هويتها الوطنية وتتمسك بالهوية الدينية نتيجة معاشتها للوضع المأساوي الذي لحق بطائفها بعد أحداث سقوط بغداد بيد الاحتلال الأمريكي.

بعد البحث في مسألة الهوية المسيحية -وتحديدًا في تلك الرواية- توصل الجبوري إلى نتيجة أكّدها كتب التاريخ والأدب وهي إنّ "الوجود المسيحي في العراق هو وجود متجذر في عمق المجتمع العراقي وأصالته، وطقوسه وتقاليده هي جزء من طقوس الوطن الأم وثقافته، وتاريخ الوجود المسيحي هو تاريخ العراق ذاته، ولا يمكن لأحد أن

(١) الهوية المسيحية في الرواية العراقية دراسة تحليلية لروايات ما بعد عام ٢٠٠٣، عماد جاسم: ٢٧٠.

(٢) م. ن: ٢٧٢.

ينكر هذا الوجود لا مجتمعياً ولا تاريخياً<sup>(١)</sup>. هذه النتيجة التي توصل إليها الجبوري من دراسته لرواية واحدة لا غير، جاءت نتيجة المنهجية التي سار عليها في تأليف كتابه المشترك مع الدكتورة (فوزية لعبوس)، وهي منهجية قائمة على تجميع أبحاث متفرقة تمت كتابتها في مدد زمنية مختلفة وإدراجها ضمن عنوان أوسع وهو (تمثلات الهوية في السرد الروائي)، وما يؤكد حقيقة تصوّرنا أنّ المبحث الخامس من كتابه -المشار إليه آنفاً- هو في أصله بحثٌ نُشر في مجلة أروك للعلوم الإنسانية- جامعة المثنى/ كلية التربية للعلوم الإنسانية بتاريخ ١١ / ٧ / ٢٠١٨ م.

تلك النتيجة التي خلص إليها الباحث لا تنافي الحقيقة، فقد حرصت الرواية على تأكيدها، ومن ثمّ كان الوعي النقديّ عارفاً بقيمتها، وبضرورة تأكيدها.

وفي الكتاب ذاته تناول الباحث قضية الصراع الهويّاتي في رواية (فرانكشتاين في بغداد) لأحمد سعداوي، التي انفردت بتناول موضوع الهوية من جانب مغاير لما ساد في الساحة الروائية، وقد تحقّق التفرد في تقديم فكرة الصراع بين الهويّات، مع الإشارة إلى أطراف المجتمع العراقيّ ومكوّناته عن طريق خلق شخصيّة مجهولة الاسم والهويّة، ذات صفات عجائبية، لا يمكن للعقل استيعاب طريقة خلقها، فهي -شخصيّة الشسمة- تكوّنت "من جذادات بشرية تعود إلى مكونات وأعراق وقبائل وأجناس وخلفيات اجتماعية متباينة"<sup>(٢)</sup>، ولهذا وصفها الجبوري بأنّها "مجموعة هويات يجمع بينها جامع واحد وهو [انتماؤها] إلى هوية واحدة هي هوية الوطن الواحد"<sup>(٣)</sup>. خلقت هذه الشخصيّة من أشلاء أناس حقيقيين قُتلوا بطرائق مختلفة، فمنهم من مات على أثر انفجار سيارته ملغومة، أو بحادثة قتل، وبهويّات مختلفة (إسلاميّة ومسيحيّة ويهوديّة) في إشارة إلى مكونات المجتمع

(١) تمثلات الهوية في السرد الروائي، د. محمد فليح الجبوري، ود. فوزية لعبوس غازي: ١٤٢.

(٢) فرانكشتاين في بغداد، أحمد سعداوي، منشورات الجمل، بيروت- بغداد، ط١، ٢٠١٣ م: ١٦١.

(٣) تمثلات الهوية في السرد الروائي، د. محمد فليح الجبوري، ود. فوزية لعبوس غازي: ٩٢.

العراقي، الذين اشتركوا بالمأساة ذاتها وذاقوا مرارة القتل والرعب على خفيّة حالة الفوضى التي طالت الواقع السياسي والاجتماعي، مما قاد إلى انعدام الأمن.

وبهذا يرى الباحث أنّ سعادوي سعى "إلى اجتراح وجهة سردية مائزة لقراءة الهوية الوطنية تقوم على إعادة إنتاج هوية وطنية تمثل حقبة ومرحلة، وكأن هذه الهوية تلقم كل جذايات الهويات الممزقة لتعيد نفسها وتنتج هوية مشوهة يغيب عنها التلاؤم والانسجام وكأن كل جذاة تتصارع مع الأخرى بفعل التعارض الدلالي الذي تحمله تلك الجذايات بفعل انتماءاتها المذهبية والقومية والأيدولوجية"<sup>(١)</sup>. فغياب الهوية نتيجة حتمية لغياب الأمن، وانعدام أبسط مقومات الحياة، ومن هنا جاءت دراسة الباحث لرواية سعادوي لتسلط الضوء على قضية الصراع الهويّاتي.

ناقشت الباحثة مسار غازي موضوعة الهويّات، وما لحق بها من تهميش ونفي وإقصاء، كما سلّطت الضوء على الصراع الطائفي الذي ظهرت بوادره بعد الاحتلال الأمريكي على العراق عام ٢٠٠٣م، وذلك في كتابها (الإكليروس في الرواية العراقية)، فخصت بالدراسة رواية (مشرحة بغداد) لبرهان شاوي، التي كانت أنموذجاً للصراع الطائفي، والقتل المجاني الذي طال جميع التيارات الدينيّة، وترى الباحثة أنّ تلك الرواية "من الروايات الأكثر انهماما وانهماكا في إشكاليات الصراع الطائفي اليومي وفي أكثر تفاصيله تأثيرا وحضورا في الرواية العراقية وهو الصراع السياسي والديني بكل تصدعاته واختلالاته وإفرازاته الاجتماعية والنفسية"<sup>(٢)</sup>، كما عملت الرواية على إمطة اللثام عن وجه رجال الدين المنزوين خلف أقنعة دينية ليمارسوا القتل والنهب والاعتصاب، وقد تجلّى ذلك في شخصيّة الحاج آدم العراقي الذي يمارس فعل الإغواء والاعتصاب مع فتاة قاصرة، ثم يقوم بجلدها وجلد ذاته تكفيراً عن خطيئته. إذ ترى الباحثة في شخصيّة الحاج آدم

(١) تمثلات الهوية في السرد الروائي، د. محمد فليح الجبوري، ود. فوزية لعبوس غازي: ١٠٢.

(٢) الإكليروس في الرواية العراقية، د. مسار غازي: ١٩٨.

أ نموذجًا للشخصيات "المنافقة المتسترة بستار الدين والتي انتشرت في المجتمع العراقي بعد الاحتلال الأمريكي، وهي ذات سلطة ونفوذ قويين"<sup>(١)</sup> إن الاحتلال الأمريكي وما رافقه من تحطيم للبنى الثقافية، وتفكيك الترابط الاجتماعي، وانعدام الاستقرار السياسي، وظهور النزاعات الطائفية أدت إلى انعدام الحياة وشيوع ثقافة الموت في كل مكان وفي أية لحظة. قصرت الباحثة جهدها على هذه الرواية؛ بغية تجسيد الواقع المأساوي للمجتمع العراقي، وما رافقه من قتل ودمار وانعدام الحياة، واكتفت بالإشارة إلى بعض الروايات التي تشترك في الثيمة ذاتها في الهامش من دون تدعيم رؤيتها بنماذج روائية أخرى؛ لاستخلاص نتائج دقيقة في هذا المضمار<sup>(٢)</sup>.

أما بصدد الحديث عن الهوية المسيحية فإن الباحثة اتخذت من رواية (طشاري) لإنعام كجه جي أنموذجًا لتجسيد الصراع والتهميش الذي تعرّض له أبناء تلك الطائفة، وذلك في سياق حديثها عن بناء الذات/ جدل الداخل والخارج. عانت بطلة الرواية من ضياع هويتها وتشظيها بسبب انتمائها الديني، "فقد أدت أحداث العراق الدامية بعد (٢٠٠٣) إلى هجرة الدكتورة وردية بلدها العراق قسرا بعد أن قدمت كل ما لديها من أجل خدمته، فتعيش في آخر عمرها مغتربة من دون أسرتها تعاني آلام الغربة ووحشتها. ليس لشيء سوى أنها من الطائفة المسيحية"<sup>(٣)</sup> فعلى خلفية الأحداث التي عصفت بسماء العراق بعد الاحتلال الأمريكي، أصاب الهويات الفرعية التشرد، وتفكيك اللحمة الوطنية بين مكونات الهوية العراقية، وتمزيق النسيج الثقافي الجامع للمجتمع العراقي، وصولا إلى تدمير أسس التعايش التاريخي بين الجماعات المؤلفة للسكان وثقافتها الخاصة والمحلية"<sup>(٤)</sup> وسعت هذه الرواية إلى تعرية "الأنساق السياسية التي [تقف] وراء تشظي

(١) الإكليروس في الرواية العراقية، د. مسار غازي: ٢٠١.

(٢) م. ن: ٢٠١.

(٣) م. ن: ٤٣١.

(٤) مسيحيو العراق محنة الحاضر وقلق الماضي، دهام محمد العزاوي: ١٥٦.

الهويات، والتميز العنصري والصراع القائم بين المذاهب والأديان"<sup>(١)</sup>. بهذه النتيجة ختمت الباحثة دراستها، فقد رأت أنّ الدين قد تحوّل بفعل الصراع السياسيّ إلى مسوِّغ للنفي والتهجير، وباعت على فقدان الانتماء والتوافق، كما شكّل خطرًا على حرية الفرد داخل بلده.

وفي هذا السياق قصر الباحث الأكاديميّ قيس الجنابي جهده على روايتين تناولتا وضع الأقليات الصغيرة في العراق، وتحديداً وضع أبناء الدين المسيحيّ بعد الاحتلال الأمريكيّ، وذلك في روايتين: الأولى (طشاري) لإنعام كجه جي، والثانية (يا مريم) لسنان أنطون.

فالرواية الأولى على الرغم من انشغالها بتجسيد مصائر العائلات المسيحية وما تعرّضت له من تهديد، وتهجير، وتفجير للكنائس، إلّا إنّ جهد الباحث لم يكن في صلب مناقشة هذه القضية، كما أنّه ابتعد كثيراً عن تتبّع السياقات الاجتماعية، والثقافية، والسياسية التي أفرزت ذلك الوضع المرعب. كما أنّ دراسته تفتقر إلى مقومات البحث العلميّ في مقابل اقترابها من السرد الصحفي الذي انشغل فيه بتقديم تصوّر عامّ عن الرواية. وبإمكان القارئ أن يجد مصداقية رأينا في قراءة الكتاب، ولا سيما الصفحات من (٧٧-٨٠)<sup>(٢)</sup>.

الأمر ذاته ينسحب على رواية (يا مريم) التي انشغل سردها بحياة المسيحيين في العراق بعد الاحتلال الأمريكيّ، لكنّ رؤية الباحث لموضوعة الهوية شابها التعنيم

(١) الإكليروس في الرواية العراقية، د. مسار غازي: ٤٤٢.

(٢) يُنظر: الرواية العراقية بعد الاحتلال الأمريكي (هشاشة المأوى وأزمة الهوية)، د. قيس كاظم الجنابي، دار دجلة- عمان، ط١، ٢٠٢١م: ٧٧-٨٠.



والضبابية، فلم يضع أسئلة جوهرية تخدم موضوعه ومن ثم لم يخرج بنتائج من دراسته تلك، ويجد القارئ مصداقية ذلك في الصفحات المشار إليها في الهامش<sup>(١)</sup>.

يبدو أنّ الصراع السياسي والديني الذي طال أمده نتيجة الأزمات السياسية، والضغطات الاجتماعية، وكثرة الأحزاب السياسية، وما رافق ذلك من تصاعد حدة الأيديولوجيا، كلّ هذا أسهم في تدمير الحياة العراقية على الصعيد السياسي، والاجتماعي، والديني، وتحويل المجتمع إلى مجموعات متناحرة ومتصادمة بعد أن كان متوحدًا ومتربطًا بوشائج ذات طابع تاريخي<sup>(٢)</sup>. وبناءً على تلك المعطيات التي وردت في النصوص النقدية للمتون الروائية، التي اتخذت من الهوية المسيحية موضوعًا لها؛ بغية الوقوف على مسوغات عناية المنجزات الروائية بها، فجاءت في مجملها -المتون النقدية- مؤكدة العامل الحضاري الذي أدى دورًا مهمًا أسهم في بناء الهوية الوطنية، هذه الهوية التي أثبتت أحقية الديانة المسيحية بالوجود على أرض العراق، بعد محاولات أمريكا في العراق طمسها، في مقابل جعل المعيار الجامع للنسيج الاجتماعي العراقي قائمًا على التمييز على وفق هوياته الفرعية (العشائرية والدينية)، بعد إن كانت الهوية الوطنية هي الجامعة لهم بصرف النظر عن انتماءاتهم الفرعية<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظر: الرواية العراقية بعد الاحتلال الأمريكي (هشاشة المأوى وأزمة الهوية)، د. قيس كاظم الجنابي: ٩٠-١٠٠.

(٢) يُنظر: المواطنة والهوية الوطنية، نخبة من الباحثين، دار العارف- بيروت، ط١، ٢٠٠٨م: ٢١.

(٣) يُنظر: مسيحيو العراق محنة الحاضر وقلق الماضي، دهام محمد العزاوي: ١٥٩.

**ثالثًا: الأقلية الأيزيدية:** اختلف المؤرخون في جذور الديانة الأيزيدية، فهي من المسيحية، أم من المنوية، أم من الزرادشتية، أم أنها ديانة تعود إلى التاريخ القديم أيام بابل وسومر<sup>(١)</sup>، أو غير ذلك<sup>(٢)</sup>، أما عرقياً فيُظن أنهم من الأكراد<sup>(٣)</sup>.

تعد الهوية الأيزيدية من الهويات التي شغلت حيزاً محدوداً في المنجز الروائي، وهذا ما جعلها تشغل المساحة ذاتها في المنجزات النقدية المطبوعة. أهم حدث تعرّضت له الأيزيدية كان في عام ٢٠١٤م عندما احتلت داعش مدينة الموصل "فقد عوملوا ككفار أو مرتدين لا ذمة لهم، وهذا ما ضاعف محنتهم، فسببت النساء وقُتل الرجال بعد دخول "داعش سنجار" والمعروفة بين الكرد بشنكال، تعرضوا فيها إلى كارثة بشرية، فقد صاروا بين مسبية أو قتل أو لاجئ في ظروف صعبة للغاية"<sup>(٤)</sup>.

في سياق الحديث عن الهوية الأيزيدية، أفرد الباحث حبيب النورس في كتابه (الرواية العراقية من منظور النقد الثقافي) فصلاً تحدّث فيه عن الهوية وإشكالياتها، كما إنّه أشار إلى صعود هويات فرعية من بينها: الهويات القومية (الكردية والتركمانية والكلدو آشورية)، وبالعودة إلى النصوص الروائية التي استشهد بها؛ لتدعيم مزاعمه نجدها لا ترقى إلى مستوى يمنحها فرصة الصعود وإثبات وجودها، كما إنّ هذه الهوية لم تشكل ظاهرة في

(١) يُنظر: جغرافية المعتقدات والديانات- مبادئ وأسس... محتوى ومنهج -تحليلات مكانية، محسن عبد الصاحب المظفر، دار صفاء للنشر والتوزيع- الأردن، ط١، ٢٠١٠م: ٤٤٢، والقومية الإيزيدية - جذورها - مقوماتها - معاناتها، أمين فرحان جيجو، رسالة ماجستير، ٢٠١٠م: ١٢ و ١٣ و ١٧-١٠٠، والأديان والمذاهب بالعراق ماضيها وحاضرها، رشيد الخيون: ٦٦-٦٧.

(٢) يُنظر: جغرافية المعتقدات والديانات- مبادئ وأسس... محتوى ومنهج -تحليلات مكانية، محسن عبد الصاحب المظفر: ٤٤١.

(٣) يُنظر: جغرافية المعتقدات والديانات- مبادئ وأسس... محتوى ومنهج -تحليلات مكانية: ٤٤٢، والقومية الإيزيدية - جذورها - مقوماتها - معاناتها: ١٢ و ١٣ و ١٧-١٠٠، والأديان والمذاهب بالعراق ماضيها وحاضرها، رشيد الخيون: ٦٦-٦٧.

(٤) الأديان والمذاهب بالعراق ماضيها وحاضرها، رشيد الخيون: ٢٤٨.

الرواية العراقية ليتم الوقوف عندها، وبحث مسوّغات صعودها وبروزها على الساحة الثقافية والسياسية، فالباحث استشهد بنصين روائيين فقط، وهذان النصان لا يمكن عدّهما ظاهرة تستدعي الوقوف عندها، والقول بأنّها هويّات صاعدة<sup>(١)</sup>.

الأمر الآخر والأهم أنّ النصوص الروائية لم يحلّلها تحليلاً ثقافياً يوضّح مسوّغات صعودها في عراق ما بعد ٢٠٠٧م -بحسب مدّة الدّراسة-، وهذا يُشير إلى غياب الرؤية عند الباحث، وقصور في فهم الهوية وآليات الاشتغال عليها، كما إنّ السبب قد يعود إلى قصر المدّة الزمنية التي قيّد الباحث نفسه فيها، فربما الروايات الصادرة بين عامي ٢٠٠٧- ٢٠١٠ لم تشهد بروزاً لتلك الهويّات مما أوقع الباحث بهذه الإشكالية.

هذا الغموض، والتعتيم، والضبابية انسحب على الهويّات بفروعها، إذ لم يُشر الباحث صراحة إلى الهويّات الفرعية الصاعدة المرفوضة، ولم يُبيّن لنا مسوّغات صعودها لا سيما وهو يبحث في الأنساق الثقافية التي هي محور اشتغاله<sup>(٢)</sup>.

في سياق الحديث عن أدب الأقليات، نجد الباحثة الأكاديمية خالدة حاتم علوان قد أصدرت مجموعة من المؤلفات انشغلت برصد الأدب المعنيّ بالأقليات العرقية الموجودة في العراق<sup>(٣)</sup>، ومن بين مؤلفاتها التي تدخل ضمن محور الأقلية الأيزيدية كتاب (أدب الأقليات العراقية دراسة في تفكيك الصورة النمطية عن الأيزيديين).

(١) النصوص التي اقتبسها تعود لرواية (كاشان) لخالد الوادي و (الحفيدة الأمريكية) لإنعام كجه جي. يُنظر: الرواية العراقية من منظور النّقد الثقافي، حبيب النورس: ٨٩- ٩٠.

(٢) يُنظر: م. ن: ٩٨- ١٠٧.

(٣) يُنظر: الروائيون العراقيون اليهود دراسة في الثقافة والتمثيل والتجريب الروائي: د. خالدة حاتم علوان، وأدب الأقليات العراقية دراسة في تفكيك الصورة النمطية عن الأيزيديين، د. خالدة حاتم علوان، دار ومكتبة عدنان- بغداد، ط١، ٢٠١٩م، وصورة بغداد الافتراضية في المخيال اليهودي العراقي، وحفريات أنثوية دراسة في القص النسوي العراقي اليهودي المغيب، وسلطة السرد في إعادة ترتيب العلاقات في التمثيل الفني لروايات المحكي البغدادي اليهودي.

جاءت دراسة الباحثة في أربعة فصول، جعلت الفصل الأول من نصيب التعريف بالهوية الأيزيدية، وطقوسها، ومعتقداتها كما قدّمتها الدراسات الثقافية المعنية بتلك الهوية؛ لما لهذا الفصل من أهمية كبيرة في إضاءة المناطق المعتمة من طبيعة تلك الهوية، التي قادت إلى تزايد الملابس والريبة من حاملها.

استكملت الباحثة مشروعها في إيضاح صورة الأيزيديين التي قدّمتها النصوص الروائية، فجاء ذلك في الفصل الثاني الموسوم بـ (صورة الأيزيديين في الأدب). إذ رصدت الباحثة تلك الصورة في حقتين مختلفتين: الحقبة الأولى جسّدت صورة الأيزيديين في الروايات الصادرة بعد عام ٢٠٠٣م، في حين أنّ الحقبة الثانية قدّمت صورتهم في الروايات الصادرة بعد عام ٢٠١٤م، أي بعد احتلال داعش لمدينة الموصل، وتعرّض أبناء تلك الطائفة إلى أبشع الجرائم والتكثير بهم.

ثم خصّت الباحثة رواية (عذراء سنجار) للروائيّ وارد بدر السالم، بالتحليل وتفكيك الصورة النمطية التي رسمتها للأيزيديين، إذ قدّمت تلك الرواية صورة شاملة لممارساتهم، وطقوسهم، وعلاقتهم بالآخر والسلطة.

وختمت دراستها بالفصل الرابع الذي ناقشت فيه مسوّغات التأسيس لأدب القضية الأيزيدية، ولا سيما بعد تزايد العناية بأدب تلك الطائفة في عام ٢٠١٤م.

ومسوّغات دراسة الباحثة لأدب الأقليات جاء نتيجة تعرّض صور الأيزيديين "للتنميط بفعل الثقافة، الذي انسحب لاحقاً على المجتمع العراقي ككل، وفي محاولة لتفادي الصراعات القادمة ضدهم تسعى الدراسة إلى تفكيك التصورات الذهنية المنمطة عنهم التي تسببت في حرب عسكرية فالحرب في الأصل ثقافية قادت إلى عسكرية لاحقاً"<sup>(١)</sup>. تلك الصورة المنمطة تولّدت نتيجة عوامل عديدة سارت في مسارين واسعين:

(١) أدب الأقليات العراقية دراسة في تفكيك الصورة النمطية عن الأيزيديين، د. خالدة حاتم علوان: ١٨.

المسار الأول ديني متعلق بطبيعة تلك الديانة، وممارساتها، وعقائدها التي أدت إلى خلق ضبابية حولها. والمسار الثاني سياسي اتخذ من تلك الممارسات الغامضة ذرائع لتهميشها، وإقصائها، وزعزعة تماسكها.

منهجية الباحثة اتخذت محورين: المحور الأول درست فيه صورة الأيزيديين في الروايات الصادرة بعد عام ٢٠٠٣م -أي قبل احتلال داعش لمدينة الموصل-، وبعد عام ٢٠١٤م -أي بعد احتلال داعش لمدينة الموصل-. أما المحور الثاني فجعلته من نصيب رواية عذراء سنجار لما لها من خصوصية تمثلت في "قدرتها في تضمين أساليب جديدة استطاعت ان توظف تفاصيل الواقعة من الجوانب [كافة] التي حاولت الاقتراب فيها من الواقع، ويسمى ذلك الأسلوب بالتجريب في الفن الروائي"<sup>(١)</sup>. هل فعلا انفردت هذه الرواية بتلك الخصوصية؟ أو اشتركت معها روايات أخرى؟ أو هو مسوغ أرادته منه الباحثة تمويه القارئ عن قصورها في تتبع صورة الأيزيديين في الروايات الأخرى؟ هذه الأسئلة سنُجيب عنها في الفقرات القادمة.

والملاحظ على المسارين كليهما اكتفاء الباحثة بإيراد البنية الدالة على الطقوس الدينية، والمعتقدات، والممارسات، وطبيعة العلاقة التي تربطهم مع الآخر من دون الوقوف على تلك النصوص بغية تحليلها، إذ بإمكان القارئ العودة إلى الفصلين الثاني والثالث من دراسة الباحثة<sup>(٢)</sup>.

كما إنَّها سعت من ذلك كله إلى مناقشة قضية التأسيس لأدب الأقلية الأيزيدية، ووجدت أنه يسير في خطين: "تعلق الأول بخطاب التسامح الذي تبنت فيه النصوص

(١) أدب الأقليات العراقية دراسة في تفكيك الصورة النمطية عن الأيزيديين، د. خالدة حاتم علوان: ١٣٣.

(٢) يُنظر: م. ن: ١١٢ - ١٧٦.

التعريف بالأيزيديين فكراً وعقيدة وممارسة وجغرافياً، فيما تعلق الثاني بخطاب الإدانة الذي وضحت فيه أساليب القهر وانتهاك حقوق الإنسان<sup>(١)</sup>.

جاءت النصوص الروائية مشحونة بالكثير من الإشارات القيمة التي كان بإمكان الباحثة اعتمادها للوقوف على المضمرة الثقافي الحقيقي فيها؛ بغية إضاءة تلك النصوص، واستكناه ما فيها من دلالات على وجود خطاب مضاد ثقافي وأيديولوجي عالمي ومحلي وضع معتقدي تلك الديانة بتلك المنطقة القلقة من الزمان والمكان معاً. إذ إن على الناقد الثقافي أن يتسلح بعدة معرفية كاملة تمكّنه من قراءة الخطابات الإبداعية ذات الحملات الثقافية للوصول إلى المضمرات القابعة في عمقها، والوصول إلى المؤثرات التي كوّنتها.

اعتنت الباحثة الأكاديمية فوزية الجابري بالحديث عن الهوية الأيزيدية عند وقوفها على رواية (عذراء سنجار) لوارد بدر السالم في كتابها (المركز والهامش في الرواية). لقد تعرّضت هذه الهوية إلى شتى صنوف التهميش والتتكيل من لدن الدواعش الذين احتلوا مدينة سنجار والموصل، ف "الأيام العصبية التي عاشها أهالي سنجار في خضم احتلال داعش. لم تمنعهم من محاولة إثبات الهوية، فهم لم يستسلموا بيأس أمام ويلات داعش، فقد كانت معظم الشخصيات الروائية تمتلك إرادة لمواجهة الاحتلال"<sup>(٢)</sup>. مارس الاحتلال الداعشي بحق أهالي سنجار أبشع المجازر، فأدت أفعاله إلى انهيار إنساني وأخلاقي بسبب أنّ أهالي سنجار أيزيديون وليسوا مسلمين، فما كان من أصحابها إلا أن يخوضوا صراعاً من أجل إثبات هويتهم التي كادت أن تُسلب منهم، وتوصّلت الباحثة من دراستها للرواية إلى نتائج تجلّت في أن الهوية السنجارية مرّت بثلاثة أطوار أوجزتها بالآتي: "أ-مرحلة التشظي والضياع ومثل هذه المرحلة في النص الروائي شخصية (سريست). ب-مرحلة التمسك

(١) أدب الأقليات العراقية دراسة في تفكيك الصورة النمطية عن الأيزيديين، د. خالدة حاتم علوان: ١٧٩.

(٢) المركز والهامش في الرواية [عذراء سنجار] انموذجاً، د. فوزية لعبوس الجابري، دار الرضوان للنشر والتوزيع-

عمان، ١٩، ٢٠١٩م: ٦٢.

بكل علامة تفضي إلى الوطن وتدل عليه بوصفها عنواناً وهوية. ت- إثبات الهوية وتأكيداً، ورفض البديل ونبذ، وقد واجه ذلك بأشرس أنواع العنف وأقسامها<sup>(١)</sup>. لم تكن النتائج التي توصلت إليها الباحثة وحدها المتواضعة، بل الدراسة بمجملها تفنقر إلى رؤية واضحة تبحث في تداعيات التهميش والإقصاء الذي تعرّضت له الهوية الأيزيدية، وأثر الاحتلال الداعشي وأبعاد سياسته على الحياة الثقافية والاجتماعية في تلك المدينة المحنّلة، كما إنّها لم تعقد صلة بين النتائج الإبداعية والواقع الثقافي في تلك المدّة التي ضمّنتها الرواية.

ما جاء في أغلب المتون الروائية التي سلّطت الدراسات النقدية الأضواء عليها أنّ المجتمع العراقي لم يكن مجتمعاً طائفيّاً، فقد اشتركت مكوناته جميعاً في بناء البلد، ورفده بنشاطاتهم العلمية والفكرية والاقتصادية، ولكن ما جرى من أحداث سياسية، ونزعات طائفية على مرّ التاريخ أشاعت مبدأ الطائفية السياسية؛ لتكون الأداة الممسكة بزمام الأمور، فقد قادت إلى شيوع ثقافة الفوضى، ومظاهر الفساد في كلّ مفاصل الحياة، وانعدام الأمن، ولم تقف عند هذا الحدّ، بل تعدّته إلى تحويل المجتمع العراقي إلى طوائف متناحرة، ولّد نوعاً من الاحتقان الطائفي بين أطراف المجتمع العراقي جميعها.

على مستوى الأقلية اليهودية وجدنا أنّ الدافع وراء توجّه النقاد إلى الكتابة عنها يعود إلى تعرّض تلك الهوية إلى مضايقات، وتهجير، ونفي، بفعل اجتماع عاملي الدين والسياسة معاً، هذه العوامل ولّدت حالة من الفوضى، والتشتت، وانعدام الاستقرار النفسي والمكاني، مما حفّز الروائيين للكتابة عن الهوية اليهودية؛ لإثبات تمسّكهم بهويّتهم، وانتمائهم لوطنهم العراق، ومن ثمّ عناية النّقد بتلك النتائج الإبداعية.

الأمر ذاته انسحب على الهويّتين المسيحية والأيزيدية، إذ ولّدت العوامل السياسية شرخاً عميقاً، كما أحدثت زعزعة في صفوف المسيحيين والمسلمين، باتباع سياسة القتل،

(١) المركز والهامش في الرواية [عذراء سنجار] انموذجاً، د. فوزية لعبوس الجابري: ٧٠.

والتهجير، وتفجير دور العبادة التابعة لهم، إذ تكمن خطورة الفكر الطائفي أنه "يقود إلى التمزق والتشردم حتى ضمن إطار الفئة الواحدة نفسها، وهو ما نجده تحقق في العراق بعد العام 2003، إذ إن جميع الفئات قد تشردمت، وتمزقت إلى فئات أصغر متناحرة ومتضادة في أحيان، ومتقابلة بما فيهم المسيحيون أنفسهم"<sup>(١)</sup>. أمّا فيما يتعلّق بالحديث عن هويّة الأقلية الأيزيديّة، فإنّها تعرّضت للتهميش والتشطي لا سيما بعد عام ٢٠٠٣م لاشتداد الصراع الدينيّ، فجاءت عناية الأدب الروائيّ بها بعد الأحداث التي جرت لتلك الطائفة بعد عام ٢٠١٤م.

وبالعودة إلى طبيعة النّقد الذي انشغل بمسوّغات ميل الروائيين إلى الحديث عن وضع الأقلّيّات، لم يصل النّقد إلى مرحلة الوعي بأهميّة الموضوع، ولم يُكتب نقد يوازي الوعي الإبداعيّ لدى الروائيّ، باستثناء بعض الدّراسات التي قدّمت نقدًا مستقيضًا يستجلي أبعاد الموضوع، من بينها دراسة الباحث عبد الله إبراهيم، والباحث عماد جاسم.

(١) مسيحيو العراق محنة الحاضر وقلق الماضي، دهام محمد العزاوي: ١٦٧.



**الفصل الثالث: سؤال الآخر**

**-الآخر المختلف**

**-الآخر المؤتلف**

البحث في سؤال الآخر يستدعي سؤال الهوية؛ لما بينهما من ارتباط تكاملي، "فالهويات تتكون نتيجة لعبة الاختلاف، وهذا يعني على أساس اختلافها عن الهويات الأخرى، فتفترض أن لها معنى إيجابياً من خلال ما تستبعده"<sup>(١)</sup>، فوجود الآخر أمرٌ ضروريٌّ في الحياة الثقافية والسياسية تقتضيه النزعة المنفتحة على الآخر بجوانبه كافة؛ لأنه يتعلّق بكلّ ما يقع خارج الذات، كما إنّ الرؤية للآخر ترتكز على عوامل عدّة أهمّها الثقافة، والتاريخ، والرؤية الدينية، فبوساطة هذه العوامل تتعيّن الذات وتتحدّد أبعادها<sup>(٢)</sup>، فهو النقطة المركزية لقياس الذات "وهذه النقطة المركزية ليست ثابتة بصورة مطلقة، فقد يتحدّد الآخر بالنسبة إليّ كفردٍ، أو إلى جماعة معينة قد تكون داخلية كالنساء بالقياس إلى الرجال، والفقراء بالقياس إلى الأغنياء، أو خارجية بالقياس إلى المجتمع بصورة أعم"<sup>(٣)</sup>، فالآخر على وفق هذه الرؤية ليس معنًى مضافاً من الخارج تحمي به الذات نفسها من التوحّد، بل هو هوية ذاتية تمنح الذات بعدها الوجودي<sup>(٤)</sup>.

يعتقد سارتر بضرورة وجود الذات في عالم الآخرين؛ لأنّ وجودها يحقّق هويّتها، ويحدّد سماتها الاجتماعية<sup>(٥)</sup>، ولكن من جانب آخر فإنّ هذه الضرورة التي تمنح الفرد وجوده الحيويّ، تسهم في الحدّ من حرية الذات، وشقّ طريق أصالتها الخاص بها<sup>(٦)</sup> فيؤدّي إلى انفصال الذات عن الآخر، وربما يتطوّر إلى شعور الذات باغترابها.

(١) مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، طوني بينيت وآخرون: ٤١.

(٢) يُنظر: الإنسان ومشكلاته المعاصرة الآخر - الاغتراب - الانتظار - الأمل، د. حسن يوسف، أجيال لخدمات النشر والتسويق، ط١، ٢٠٠٨م: ٥٢. ويُنظر: صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي، سعد فهد الذويخ، عالم الكتب الحديث، الأردن - إربد، ٢٠٠٩: ١٠.

(٣) تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، د. نادر كاظم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، دار فارس للنشر والتوزيع - عمان، ط١، ٢٠٠٤م: ٢٠.

(٤) يُنظر: الذات عينها كآخر، بول ريكور، تر: د. جورج زيناتي، المنظمة العربية للترجمة - بيروت، ط١، ٢٠٠٥م: ٥٨٨.

(٥) يُنظر: الإنسان ومشكلاته المعاصرة الآخر - الاغتراب - الانتظار - الأمل، د. حسن يوسف: ٨٥.

(٦) يُنظر: الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، د. حليم بركات، مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت، ط١، ٢٠٠٦م: ٤٨.

هناك مفاهيم متعدّدة ترتبط بمفهوم الآخر كالأنا، والاختلاف، والأقليات، والجندر وغيرها، وقد جاء في تعريف الآخر أنه " فرد أو جماعة لا يمكن تحديدهم إلا في ضوء مرجع هو (الأنا) فإذا حدّدنا هويّة الأنا كان الآخر فرداً أو جماعة يحكم علاقته بالأنا عامل التمايز وهو تمايز إطاره الهويّة أحياناً والإجراء في أحيان أخرى"<sup>(١)</sup>، ولأنّ مفهوم الآخر يدخل في فروع المعرفة المختلفة، فإنّه على أنواع أجملها (البازعي) بالآخر الفلسفيّ أو الفكريّ، والآخر النفسانيّ، والآخر الإبداعيّ، والآخر الأنثروبولوجيّ، فضلاً عن الآخر الثقافيّ (الدينيّ، الشعبيّ، الحضاريّ)<sup>(٢)</sup>.

يتحدّد مفهوم الآخر على وفق سياقين: "السياق الأول معرفي وفي ضوءه يبدو "الآخر" مفهوماً تكوينياً أساسياً للهويّة، أي للذات وهي تحدّد هويّتها، فلا هويّة بدون "آخر" [...] أمّا السياق الثاني، فسياق قيمّي/ أخلاقي يكتسب "الآخر" من خلاله قيمة أو موقعاً في سلّم تراتبي يكون من خلاله مقبولاً أو مرفوضاً، طيباً أو سيئاً. وبالطبع فإنّ هذين السياقين غالباً ما يجتمعان، فيكون تحديد الهويّة جزءاً من موقف قيمّي أو أخلاقي"<sup>(٣)</sup>، وبهذا المعنى فإنّ الآخر جزء من الذات، ويدوران في حلقة متداخلة لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، إذ إنّ نفي الآخر يؤدي إلى بتر الذات؛ لأنّه جزء ضروري لاكتشافها<sup>(٤)</sup>.

ركّزت الدّراسات التي انشغلت بصورة الآخر "على المختلف إثنيّاً أو عرقياً أو حضارياً بمعنى واسع. لم يُعنّ الباحثون كثيراً، على المستوى السوسيوولوجي، بالآخر المختلف فكرياً أو عقدياً، في الوقت نفسه، بالذي ينتمي إلى عرق أو ثقافة أو مجتمع واحد

(١) الدّراسات الثقافية ودّراسات ما بعد الكولونيالية، د. مصلح النجار وآخرون، الأهلية للنشر والتوزيع - الأردن، ط ١، ٢٠٠٨م: ٥١.

(٢) يُنظر: الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف، سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، ط ١، ٢٠٠٨م: ٣٧.

(٣) م. ن: الصفحة نفسها.

(٤) يُنظر: في مسألة الآخريّة ضمن كتاب صورة الآخر العربي ناظراً ومنظوراً إليه، تحرير الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٩م: ٢٢. ويُنظر: تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي: ١٦.

مع الآخرين [...] وقد دل الواقع الراهن على أن اختلاف "الأخوة- الأعداء" في القضايا الفكرية والأيدولوجية قد يكون أكثر شراسة ودموية<sup>(١)</sup>. فطبيعة العلاقات بين الجماعات هي التي تحدّد نوع العلاقة، ومدى استمرارها؛ لأنّ الذات لا يمكنها إثبات ذاتيتها من دون وجود الآخر المختلف فكرياً، وعقائدياً، وثقافياً، واجتماعياً.

على الرغم من وجود أنواع كثيرة للآخر، كالآخر المرأة بالنسبة للرجل، والعكس، والآخر المسلم بالنسبة للمسيحي واليهودي، والعكس، والآخر المختلف في الموقع الجغرافي، واللغة، والثقافة... فقد أجزها الدكتور عبد العظيم السلطاني بقوله: "كلّ ما هو خارج الذات الفردية هو "الآخر" بالنسبة لتلك الذات، وكل ما هو خارج ذات الجماعة الفكرية أو العقائدية هو "الآخر" بالنسبة لتلك الجماعة، وهكذا صعوداً إلى مستوى ذات الأمة. حيث "الآخر" بالنسبة لذات أمتنا هو الغربيّ أو غير الغربيّ"<sup>(٢)</sup>، إلا أننا سنقصر دراستنا على الآخر الغربيّ فقط، ونتابع طبيعة العلاقة بين العربيّ والغربيّ، وصورته في المخيال العربيّ.

ما نسعى إلى إيضاحه هنا معرفة كيف نظر النّقد الروائيّ العراقيّ إلى موضوعه الآخر؟ وكيف عالجه؟ وما طبيعة موقفها من الذات؟ وهو في حقيقته موقف الإبداع الروائيّ أولاً، ومن ثمّ موقف النّقد ثانياً.

### أولاً: الآخر المختلف

ثمّة دراسات ثقافية متعدّدة في الخطاب النّقديّ الروائيّ العراقيّ تجعل نصب عنايتها رصد صورة الآخر المختلف، الآخر الذي يكنّ لنا العدا، أو نعتقد أنّه يُضمر العدا في تعاطيه مع صورتنا المتخيّلة في ذاكرته. من هنا حاول النّقد الروائيّ الوقوف

(١) صورة الآخر العربي ناظراً ومنظوراً إليه: ١١١.

(٢) خطاب الآخر خطاب نقد التّأليف الأدبي الحديث أنموذجاً، د. عبد العظيم السلطاني، دار الأصالة والمعاصرة- ليبيا، ط١، ٢٠٠٥م: ١٦-١٧.

على تلك الصورة وتفكيكها؛ بغية الإمساك بالمرجعيات الحاضرة لها، والكيفيات التي تجلّت من خلالها.

من تلك الدّراسات ما نجده في كتاب الباحث محمد قاسم لعبيبي الموسوم بـ (الرواية العراقية وسردية الاختلاف)، وناقش فيه موضوعة الآخر وقدم دراسة موسّعة لصوره بمختلف أشكاله، وما يعيننا هنا هو تتبّع صورة الآخر الغربيّ المختلف كما صورته الرواية العراقية -بحسب تخصيص الباحث-.

كانت مناقشة صورة الآخر الغربيّ من نصيب الفصل الثاني من كتابه، إذ جعله في ثلاثة مباحث. خصّ المبحث الأوّل بدراسة صورة الآخر الخارجيّ، أمّا المبحث الثاني فمن نصيب صورة الآخر الداخليّ، بينما انشغل المبحث الثالث برصد اتجاهات رؤية الآخر.

وبالعودة إلى المبحث الأوّل نراه قد قسّم الآخر الغربيّ على خمسة أنواع، هي: الآخر المعادي، والآخر الصديق، واختلاف القيم، والملاذ الآمن والوطن المنشود، وصورة المرأة. في كلّ قسم من تلك الأقسام اختار ثلاث روايات لتكون الأنموذج على ذلك النوع من الآخر، وما يبدو على تلك الروايات أنّها منتقاة انتقاء عشوائياً من دون التقييد بتتبّع التسلسل الزمنيّ لصدورها.

سنقتصر في دراستنا لأنواع الآخر التي ذكرها الباحث على نوعين لا غير، هي الآخر المختلف (العنصريّ والاستعماريّ)، والآخر المؤتلف (الصديق والملاذ والمرأة)؛ وذلك لأن اختلاف القيم حتماً سيؤدّي إلى سوء فهم وربما يصل إلى مرحلة العداء، وهو ما يندرج ضمن تقسيم الآخر المختلف. أمّا الملاذ الآمن والوطن المنشود فله صلة بالآخر الصديق. ومن هنا لا نجدُ ضيراً من دراسة الآخر تحت عنوان المختلف والمؤتلف.

رصد الباحث صورة الآخر المختلف في ثلاث روايات هي: (الوليمة العارية لعلي بدر، ورياح شرقية رياح غربية لمهدي عيسى الصقر، وقوة الضحك في أورا لحسن

مطلق). يرى الباحث أنّ (الوليمة العارية) قدّمت حالة "توثيقية لمرحلة تاريخية، استطاعت الكشف عن الكثير من المعاني والقضايا المتعلقة بالآخر المعادي، مستفيدة من الحدث أو الواقعة التاريخية في تشكيل التجربة الروائية"<sup>(١)</sup>، فالرواية قدّمت الآخر العثماني بوصفه محتل الأراضي العراقيّة، كاشفة عن وسائله القمعيّة، وجرائمه البشعة ضد المعارضين والمقاومين لوجوده على أراضيهم.

أمّا رواية (رياح شرقية رياح غربيّة) فقد انشغلت بتجسيد النفوذ الأجنبيّ في العراق بوصفه القوة الأكبر عبر امتلاكه لرأس المال، والمتحكّم في رقاب أبناء الشعب، إذ يدير (المستر فوكس) إحدى الشركات العاملة في مجال صناعة السفن في مدينة الفاو، ويكشف سلوكه عن مدى احتقاره للشرق، ونظرته الدنيّة لهم، وأنهم -في نظره- غير قادرين على إدارة شؤون بلادهم. يرى الباحث أنّ سلوك (فوكس) نابع "من اعتقاده بعدم قدرة العرب على إدارة شؤون بلادهم، وما هذه الحياة التي يعيشونها إلا من فضائل بلاده عليهم، لا بل يرى أن العربي لا يفهم إلا لغة القوة، ولا يمكن له إلا أن يكون محكوماً دائماً، تحركه الشدة والحزم"<sup>(٢)</sup>. فالوعي الروائيّ مدركٌ لسياسات الغرب في إدارة شؤون بلدان الشرق، ومدرك لأطماعهم في فرض هيمنتهم عليها، فضلاً عن رؤيتهم المتعالية على الشرق بوصفه عاجزاً عن النهوض بواقعه وإثته به حاجة إلى تدخّل بلاده المتفوّقة حضاريّاً وعلميّاً بحسب تصوّره.

أمّا رواية (قوة الضحك في أورا) فإنّ الباحث يراها قد تناولت قضية الآخر من رؤية مغايرة، تتمثّل في تقديم الآخر لا عبر صورته الاستعماريّة، بل عبر أهداف الشخصية الإنكليزيّة (أوليفر) الذي سعى إلى الاستحواذ على آثار مدينة أور وتهريبها إلى بلاده؛ لتحقيق بعض رغباته بالاستحواذ على الشرق، وتجريده من إرثه الحضاريّ. إذ يقول

(١) الرواية العراقية وسردية الاختلاف قراءة لوعي الذات والعلاقة مع الآخر، محمد قاسم لعبيبي، دار الفراهيدي للنشر - بغداد، ط ١، ٢٠١١م: ٩٢.

(٢) م. ن: ٩٤.

الباحث: "لقد تبين أن الآخر عدو يسعى للسيطرة على المدينة، ولا سيما إرثها الحضاري"<sup>(١)</sup>.

ويخلص الباحث إلى نتيجة ترى أن عدوانية الآخر "تتمثل في ممارساته المختلفة، التي تنطلق من الشعور بالتفوق [والاستعلاء] ساعية إلى سلب الحرية والكرامة، فضلاً عن محاولة طمس الهوية، والعمل على تحقيق أهدافه الكبرى في السيطرة والتحكم بخيرات الشعوب"<sup>(٢)</sup>. يظهر مما تقدّم أنّ النظرة إلى الآخر الغربي لم تبتعد عن كونه الآخر المختلف، والاستعماريّ الذي يسعى إلى نهب ثروات البلد، وهي صورة ترسّخت في الذاكرة العربيّة عبر ممارسات البلدان الغربيّة التي مارست احتلالها الحقيقيّ، فكانت الرواية مؤثّقة لتلك التصورات وتلك الممارسات.

وجهد الباحث في هذا السياق قد اقتصر على رصد سلوكيات الآخر، وأساليبه التي تؤكد عدوانيته واستغلاله للأراضي العربيّة وبسط نفوذه فيها، من دون الوقوف على مسوّغات شيوع تلك الصور في الإبداع الروائيّ. فالوعي الروائيّ قدّم نماذج مختلفة عن سياسة الغرب، وتعاملهم مع الشرق، ورؤيتهم إليه، في مقابل انحسار الوعي النقديّ لدى الباحث وهو يستجلي صورة الآخر.

لم تكن دراسة الباحث على درجة عالية من الوعي النقديّ، ولم يلتقط الأفكار والمعاني الغائرة في الخطابات الروائيّة. فعلى سبيل المثال، لم يقف الباحث على أبعاد غاية الروائيّ من بثّ أفكاره على لسان الصحفي الألماني (مارك) أحد شخصيات رواية (وعلى الدنيا السلام) لذنون أيوب، ومن بين تلك الأفكار، قوله بشأن مقتل صديقه العربيّ (حامد) بعد عودته إلى العراق "كان عليه. لو لم يتقدم للخدمة لقتلتم إنه جبان يحب السلامة، لقد اتهمه البعض بالشيوعية، والبعض بالرجعية وحتى بالتفاهة الانتهازية،

(١) الرواية العراقية وسردية الاختلاف قراءة لوعي الذات والعلاقة مع الآخر، محمد قاسم لعبيبي: ٩٩.

(٢) م. ن: ١٠٠.

وحتى الجاسوسية، إن حقائبكم لا تحوي غير التهم"<sup>(١)</sup> مثل هذه الأفكار وغيرها كان على الباحث الوقوف عندها، وكشف مسوِّغات شيوعها، لا سيما وأنها تُدين الوعي العربي، وثقافته، وصادرة من ذات غريبة.

وفي سياق رصد صورة الآخر قدّم الباحث الأكاديمي نجم عبد الله كاظم دراسة موسّعة، كشفت عن طبيعة العلاقة بين الأنا والآخر بناءً على نصوص روائية عالجت تلك القضية. جاء كتابه (نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة) في ثلاثة أقسام: عُني القسم الأول منه بفصليه الأول والثاني بتقديم مهاد نظريّ استجلى فيه طبيعة العلاقة بين الشرق والغرب، وكيف حدث اللقاء بينهما، وموقف بعضهما من بعض. في حين انشغل القسم الثاني بفصوله الأربعة بدراسة صورة الغرب بكلّ جوانبه استناداً إلى النصوص الروائية التي رصدت الآخر الغربي، وعرضت طبيعة العلاقة بين الطرفين. أمّا القسم الثالث فقد انشغل ببيان مستويات العلاقة بالآخر الغربي، ووجد أنّها لا تخرج عن ثلاثة مستويات هي: ١- فشل العلاقة بالآخر، ٢- تواضع العلاقة مع الآخر، ٣- التحمّس للعلاقة بالآخر.

قبل الدخول في تفصيلات الكتاب، علينا أن نوضّح مسوِّغات الباحث في تقديم مهاد نظريّ عن علاقة الشرق بالغرب واقعاً/ حقيقةً خارج إطار المتخيّل الروائيّ، ليعود بعدها مستكملاً مسيرته البحثية في تقديم صورة الآخر كما جاءت في المتخيّل الروائيّ تحديداً. هذه المسوِّغات أعلن عنها الباحث صراحة في مقدمة كتابه بقوله: "هذه العلاقة، أيّاً كان نوعها أو تنوعها، لا بد أن تكون قد اعتمدت رؤية كل من طرفيها للآخر وما قادت إليه من رسم كل من الطرفين -العرب أو الشرق، والغرب- للطرف الآخر. ومن هذا المنطلق كان طبيعياً أن تسعى دراستنا، قبل النظر في نوعية علاقة الـ (نحن) العرب بـ (الآخر) الغربي في المتخيّل المتمثل في الرواية العربية، إلى محاولة كشف صور الغرب والغربيين كما تكونت

(١) وعلى الدنيا السلام، دنون أيوب: ٩٨.



عند العرب خارج هذا المتخيل، والرؤى التي وراءها<sup>(١)</sup> وهكذا فإن غاية الباحث تكمن في معرفة رؤية المبدع للآخر الغربي، وأسباب طغيانها على وعيه، ومدى اختلافها عن حقيقة الغربي وثقافته وطبيعة حياته.

رصد الباحث في النصوص الروائية موضع الدراسة خمسة أشكال للآخر الغربي السلبي، تراوحت بين الغربي بصورته العدوانية الاستعمارية، والعنصري، والمتعالي، والمريب المقلق، والأمريكي القبيح. كل هذه الأشكال درسها في الفصل الثالث من كتابه.

درس الباحث عشر روايات قدّمت الآخر الغربي بصورته الاستعمارية، مثلثتها الروايات الآتية: (سباق المسافات الطويلة) لعبد الرحمن منيف، و(عابر سرير) لأحلام مستغانمي، و(مكابدات عبد الله العاشق) لعبد الخالق الركابي، و(ملائكة الجنوب) لنجم والي، و(الشاهدة والزنجي) لمهدي عيسى الصقر، و(الحدود البرية) لميسلون هادي، و(حليب المارينز) لعواد علي، و(ليل الملاك) لنزار عبد الستار، و(الميراث) لسحر خليفة، و(الغبار الأمريكي) لزهير الهيتي.

أمّا صورة الغرب العنصري الذي ينظر إلى العربي بمنظار الفوقية فجسّدتها ثلاث عشرة رواية، هي: (سباق المسافات الطويلة) لعبد الرحمن منيف، و(رقص على الماء) لمحمود البياتي، و(الرحلة) لرضوى عاشور، و(الموت الجميل) لمحمود سعيد، و(التوأم المفقود) لسليم مطر، و(الولع) و(التشهّي) لعالية ممدوح، و(حافة التيه) لمحمود سعيد، و(نورا) لناجي التكريتي، و(أمريكانلي) لصنع الله إبراهيم، و(طفل الـ CNN) لإبراهيم أحمد، و(الحدود البرية) لميسلون هادي. يرى الباحث أنّ ما تقدّمه الشخصيات الروائية على أنّه موقف عنصري من الآخر الغربي أهو فعلاً كذلك؟ أم أنّه مترسّخ في لا وعي تلك الشخصيات؟ أم هو رؤية الروائي التي يسقطها على شخصيات روايته؟ فيعتقد الباحث أنّنا "كثيراً ما نفسرّ أو نرى الكثير من الأقوال والسلوكيات لما نواجهه في الغرب أو من الغرب،

(١) نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة، د. نجم عبد الله كاظم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ط١، ٢٠١٣م: ٢٠.

على أرض الواقع، على أنه عنصرية أو استعلاء أو تمييز منه ضدنا، وغالباً ما لا يكون كذلك، بقدر ما يكون تطبيقاً لقوانين، أو مزاجاً، أو نوعاً من الإجراءات الأمنية التي يفرضها ظرف معين<sup>(١)</sup>، هذا من جانب، ومن جانبٍ آخر فإنّ تلك الممارسات نفسرها انطلاقاً "من أفكار مسبقة أو تصوّر للغرب يرتسم في أذهاننا ولا نريد أن نستبدله بتصور آخر قد يكون هو الصحيح"<sup>(٢)</sup>. وهذا يعني أن مكنم الخلاف -من وجهة نظر الباحث- هو طبيعة الواقع الثقافي، والعادات، والسلوكيات التي يمارسها الغربي، وهي عنده مقبولة ومستساغة ولكنها من وجهة نظر العربي نوع من الريبة، والحذر، وربما تصل إلى مرحلة العدا. هذه الفكرة مترسّخة في أذهان العرب، ولا يسعون إلى استبدالها، أو على الأقل النظر إلى الموضوع بحياديّة ومن زاوية أخرى أكثر موضوعيّة.

رؤية الباحث تلك عن موقف الروائيين من الآخر بصورته السلبية العنصريّة، يعمّمها على المواقف الأخرى المتمثّلة بصورة الآخر المتعالي والمقلق، إذ يرى الباحث إنّها منطلقة من إحساس الروائي، ورؤيته للآخر، كما إنّها قد تصدر من الناس العاديين، وأحياناً من المثقفين والأكاديميين فتكون "نظرة الشك والتشكيك وعدم الثقة شبه المهيمنة على هؤلاء إلى الاستشراق والمستشرقين، مع فارق الأسباب والمبررات والعوامل التي تدفعهم إلى ذلك، لتكون في كثير من الأحيان، في هذه الحالة، محقّة ومصيبة، ولكنها بالتأكيد ليست محقّة بشكل مطلق"<sup>(٣)</sup>. وهذا يعني أنّ الوعي السياسي، والأيديولوجي هما من أشدّ العوامل تأثيراً على وعي الروائي لحظة الخلق الإبداعي، ورسم شخصيّاته، وتوظيف الشخصية الغربيّة. فالنظرة للآخر الغربيّ لم تكن قائمة على مبدأ الآخر الغيري، بل بوصفه الآخر المستعمر والعدو، وهي نظرة جاءت نتيجة انعكاس الواقع على وعي الروائي، وطبيعة العلاقة التي تربط العربي بالآخر الغربي.

(١) نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة، د. نجم عبد الله كاظم: ١٢٣.

(٢) م. ن: الصفحة نفسها.

(٣) م. ن: ١٣١.

يعتقد الباحث أن الصراع مع الآخر سواء أكان تاريخياً أم حضارياً أم استعماريًا "لا يخبو أو، على الأقل، لا يختفي في كل لقاء بين الشرق أو العرب والغرب - وضمنًا أمريكا بشكل خاص- وهو صراع كان صريحاً أحياناً. وقد تمثل هذا الصراع في العديد من الروايات على امتداد تاريخ الرواية العربية"<sup>(١)</sup>. فصورة الغرب الاستعماري لا تغيب عن الوعي الروائي لحظة رسم شخصياته الروائية، ولهذا تمارس سطوتها على المبدع فيقدم الشخصية الغربية في تلك الصورة السلبية.

في السياق ذاته عنيت الباحثة (ماجدة هاتو هاشم) بدراسة روايات ما بعد الاستعمار في كتابها (الرواية العربية ما بعد الحداثية)؛ لأن تلك الروايات اعتنت بتحطيم السرديات الكبرى، وهدم المقولات الثابتة، وتقويض المركز من أجل إعلاء الهامش، وهي كلّها نتائج ما بعد الحداثة التي تؤمن بالتعددية الثقافية.

من بين الموضوعات التي ناقشتها الباحثة، ورأتها شديدة الضرورة، ووقفت عندها الروايات هي: موضوعة تقويض المركز، وقضايا النسوية، والجسد، والآخر الجندي... فضلاً عن قضايا أخرى جاءت موزعة على فصول كتابها، وخصت بالفصل الثاني المعنون ب (تمظهرات الرواية العربية ما بعد الحداثية تقويض المركز وانبثاق الهامش) لدراسة الخطابات التي سعت إلى هدم المركز في مقابل منح الهامش حرية إثبات ذاته.

وقد قسّمت الباحثة الفصل على مبحثين: تناولت في المبحث الأول (رواية ما بعد الاستعمار أو ما بعد الكولونيالية). أمّا في المبحث الثاني فقد درست الرواية النسوية؛ لأنّ كلاهما سعى "إلى تقديم خطاب قائم على تقويض مركزية الثقافة الاستعمارية وإعادة النظر في خطابها [...] على حين أصبح رفض السلطة الأبوية والذكورية أساس عمل الرواية النسوية"<sup>(٢)</sup>.

(١) نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة، د. نجم عبد الله كاظم: ٢٦٣.

(٢) الرواية العربية ما بعد الحداثية تقويض المركز - الجسد - تحطيم السرديات الكبرى، د. ماجدة هاتو هاشم، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، ط١، ٢٠١٣م: ١٧٢.

في المبحث الأول ناقشت الباحثة ثلاثة موضوعات مرتبطة بالعلاقة الحاكمة بين الشرق والغرب، وهذه الموضوعات: الشرق المتخيّل، وتأكيد الهوية، والشرق والغرب-العلاقة الملتبسة. اختارت الباحثة أربع روايات لتكون عينات دراستها، وجدتها تشترك في تقديم صورة الشرق من منظور الآخر الغربيّ على أنّه مقصّيّ ومهمّش شأنه شأن الفئات المهمّشة كالمجنون والشاذ والمنحرف، وتلك الروايات هي (موسم الهجرة إلى الشمال) للطيب صالح، و(كم بدت السماء قريبة) لبنتول الخضيرى، و(سباق المسافات الطويلة) لعبد الرحمن منيف، و(وليمة لأعشاب البحر) لحيدر حيدر.

بطل رواية موسم الهجرة إلى الشمال يسعى إلى الانتقام من الغرب وغزوه عن طريق إغواء نسائه، وسحرهنّ بجمال الشرق المتخيّل، وفي هذا الصدد تقول الباحثة: "وواضح أن إقامة مصطفى سعيد لهذه العلاقات لا ينبع من حاجة أوروبية/شبقية، بل نابع من الرغبة في تدمير الآخر/المستعمر في عقر داره، كأحد أنواع رد الفعل على [استعمارهم]، طالما ليس هناك قدرة على تدميره فعلياً على الأرض"<sup>(١)</sup>. أعادت الرواية تدوير ما أشاعته الإمبريالية، وروّجت له؛ لأن الإمبريالية ترى الشرقيّ شبقياً، ولا يشغل فكره غير الجنس والنساء. فتقديم شخصيّة مصطفى سعيد في رواية (الطيب صالح) في تلك الصورة أكّدت تبنيّ الروائيّ لأفكار الثقافة الإمبريالية. وبالانتقال إلى رواية (بنتول الخضيرى) نصادف الأمر ذاته، إذ توافق امرأة إنكليزية على الزواج من رجل شرقيّ انطلاقاً من إعجابها بالشرق وصورته المتجسّدة في ذهنها، ولكنّها ما إن تصل إلى بغداد مع زوجها حتى تبدأ بوادر الانشقاق وانعدام التوافق بالتضخّم يوماً بعد آخر إلى أن ينتهي بهما الحال إلى الانفصال؛ لأنّها "لا ترى في القرية وأهلها سوى مجموعة متخلفة من البشر الذين تصفهم بالعتة والأمية [...] ويبدو واضحاً أن سمة البدائية والحيوانية كالفعل الجنسي المرتبط بالاغتصاب، هي السمات التي تؤسم بها والدة الرواية أهل القرية، إذ ترى فيهم الآخر غير المتحضر الذي يتحول إلى كائن غريزي خطير وشرير

(١) الرواية العربية ما بعد الحداثيّة تقويض المركز - الجسد - تحطيم السرديات الكبرى، د. ماجدة هاتو هاشم: ١٨٦.

أمام السيد المتحضر الأبيض-أي صورتها هي"<sup>(١)</sup>. فهنا تتضح درجة التماهي بين رؤية الروائية والباحثة في تدعيم الصورة السلبية التي رسّخها الغرب في أذهانهم عن العرب، ومحاولتهم إعدامها وتأكيد لها لتكون صورة مستساغة لدى العربي نفسه ومقبولة، وهذه المساعي جزء من مشروع الثقافة الإمبريالية التي سعت إلى تحقيقها، وإشاعتها في مرحلة ما بعد الحداثة، فكان على الباحثة التركيز عليها والوقوف عندها لا سيما وهي تبحث في الرواية ما بعد الحداثيّة.

وبالانتقال إلى موضوعه (الشرق والغرب- العلاقة الملتبسة) نجد الباحثة قد اتكأت على الروايات ذاتها التي استجلبت منها صورة الشرق المتخيّل في الفكر الغربي، فضلاً عن تكرار ما قالته في موضوعه (الشرق المتخيّل)، وهو تكرار مخلّ أفقد الدّراسة حيويّتها، وقيمتها.

يتّضح مما ورد آنفاً أنّ الباحثة لم تُحسن تقسيم دراستها للآخر، فضلاً عن ضبابيّة الرؤية أو انعدامها في بعض المواضع<sup>(٢)</sup>. أمّا في المواضع التي وقفت عندها الباحثة فجاءت صورة الأنا العربيّ مطابقة لما رسّخته الثقافة الإمبرياليّة، التي ترى في الغرب المركز وما عداه الهامش، وهذه الرؤية تبنتها بعض الروايات التي وقفت عندها الباحثة وهي أربع روايات لا غير، ولكنّها غابت عن وعيها النّقديّ، ولم تلتفت إليها.

وفي السياق ذاته درس الباحث سعد محمد رحيم صورة الآخر الاستعماريّ في كتابه (سحر السرد أدب ما بعد الكولونياليّة)، إذ خصّ الفصل الأوّل من القسم الثالث لمناقشة إشكاليّة العلاقة مع الآخر في إطار الأعمال الإبداعية الروائيّة، فقام بدراسة روايتين هما: (سباق المسافات الطويلة ومدن الملح لعبد الرحمن منيف)، وفي هذا الصدد يقول: "وفي هذا السياق نقع على محاولات زائفة كثيرة، تفصح عن نرجسية استيهامية متهافئة، أو قصر نظر وضبابية في رؤية إشكالية العلاقة مع الآخر بابعادها، لا

(١) الرواية العربية ما بعد الحداثيّة تقويض المركز- الجسد- تحطيم السرديات الكبرى، د. ماجدة هاتو هاشم: ١٩١.

(٢) يُنظر: م. ن: ١٨٦-١٩٣.

السياسية فحسب، بل الثقافية والأخلاقية أيضاً، في مقابل محاولات انطوت على قدر من التبصر والإحاطة التاريخية الجديرة بالإعجاب"<sup>(١)</sup>.

وجد الباحث أنّ رواية (سباق المسافات الطويلة) قد صورت قضية صراع المراكز الإمبريالية "للاستحواذ على مفاصل الثروة والسلطة في دولة شرقية نفطية هي إيران.. إن رجالات الاستخبارات البريطانية والأميركية في المدة التي قاد فيها مصدق ثورته وحكم، تناور وتتآمر وتتصادم، لا ضد هدفها "إيران" فحسب بل ضد بعضها بعضاً"<sup>(٢)</sup>. فهو هنا يصور الجانب العدائي الكامن في الآخر الغربي، ورؤيته لغيره، وطريقة تفكيره تجاهه.

أمّا في رواية منيف الثانية (مدن الملح) فيجدها الباحث قد اتخذت من الصحراء "إطاراً مسرحياً لتحولات أصابت صميم البنى والعلاقات بفعل ظهور الغرب -قوة اقتصادية وسياسية- من أجل النفط وأهداف إمبريالية أخرى"<sup>(٣)</sup>. يبدو أنّ دراسة الباحث للآخر الغربي في القسم الثالث من كتابه آف الذكر، لم تكن أكثر من تجسيد حي لفكرة الهيمنة الاستعمارية على البلدان العربية خلال المرحلة الجديدة من مراحل الاستعمار، لكن دراسة الباحث لتلك الروايتين كانت مقتضبة جداً<sup>(٤)</sup> وهي تتناول موضوعة الرواية ما بعد الكولونيالية، ولم تدخل في التفاصيل الدقيقة لها.

شغلت موضوعة الآخر الغربي فصلاً واحداً من كتاب الباحث، واقتصر جهده في استجلاء صورة الغربي على روايتين لا غير قدّمتا رؤية الغربي، ومساعيه في الاستحواذ على ممتلكات الشرق، ونهب خيراته، وفرض سطوته عليه، بينما جاء عمله توصيفياً لتلك

(١) سحر السرد دراسات في الفنون السردية (الرواية- السيرة والسيرة الذاتية-أدب ما بعد الكولونيالية- أدب الاستشراق)، سعد محمد رحيم، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع- سورية، ٢٠١٤م: ١١٢.

(٢) م. ن: ١١٢.

(٣) م. ن: ١١٣.

(٤) يُنظر: م. ن: ١١٢- ١١٤.

الروائيتين من دون الاستشهاد بنصوص روائية توضح رؤية الروائي وموقفه من الآخر الغربي.

لم تخرج دراسة الباحث حبيب النورس عن سياق النظرة إلى الآخر الغربي، وتحديداً الأمريكي على أنه المحتل، والمدمر للعراق الذي احتله بعد سقوط النظام الصدامي في عام ٢٠٠٣م. درس الباحث في الفصل الأول من كتابه المعنون بـ (الرواية العراقية من منظور النقد الثقافي) الأنساق المهيمنة في الروايات العراقية الصادرة بين عامي ٢٠٠٧ - ٢٠١٠م، وأول نسق وقف عنده هو الموقف من الاحتلال؛ ليرصد مساحات اشتغاله في الروايات العراقية، والأثر الذي خلفه على مختلف الصعد السياسية والاجتماعية والثقافية، وفي هذا السياق يقول: "ولما كانت الرواية هي سرديات حياتنا، فإنها تمثل بالضرورة هوية المجتمع وقيمه، وانعكاس ما يحصل في التاريخ على الاتجاهات السردية المختلفة، ولهذا فإن التمزق، والانقسام والاحتراب المجتمعي تشكل في ضوء احتلال يسعى إلى هذا التقسيم، ويتبناه"<sup>(١)</sup>.

ناقش الباحث نسقين شكلاً ظاهرة في الروايات العراقية التي تعاملت مع الآخر الأمريكي، فبعد أن رأت فيه الأنموذج العدائي والمحتل للبلد وقفت بالضد منه، فما كان من المجتمع العراقي غير اتخاذ موقفين هما: موقف الرفض للاحتلال، وموقف المقاوم له.

في سياق رصد نسق الرفض للاحتلال، وقف الباحث عند ثماني روايات، هي: (حارس التبغ) لعلي بدر، و(سلطة السيف) لعادل إبراهيم، و(نجمة البتاويين) لشاكر الأنباري، و(رياح السموم) لعبد الزهرة علي، و(الحفيدة الأمريكية) لإنعام كجه جي، و(حلم وردي فاتح اللون) لميسلون هادي، و(الظلال الطويلة) لأمجد توفيق، و(كنت ميتاً) لموسى الهاشمي، وتوصل إلى نتيجة أنّ هذه الروايات جميعها قدّمت صورة رافضة للمحتل؛ لأنّ الاحتلال أسهم "في تحويل هذا النسق إلى نسق مهيمن هو الإحساس المتنامي بأنّ الاحتلال أدى إلى تمزيق النسيج الوطني وتشظي هوية المجتمع وبلورة مفاهيم جديدة قد

(١) الرواية العراقية من منظور النقد الثقافي، حبيب النورس: ٢٢.

تؤدي إلى تقسيم العراق، مثل الإرهاب<sup>(١)</sup>، فضلاً عن أنه -الاحتلال- عمق فكرة "أن هذه القوات المحتلة جاءت لسرقة ثروات البلد وإنها قد لا تعمل على سرقة فحسب وإنما لتدمير وسرقة التراث ونهب الإرث الحضاري الذي يملكه العراقيون"<sup>(٢)</sup>.

أما نسق المقاومة وهيمنتته على الروايات العراقية، فإن الباحث قد أشار إليه في روايتين لا غير، هما: (سلطة السيف، والحفيدة الأمريكية)، مستشهداً بنص واحد من كل رواية، مع غياب تقديم مسوّغ يجعله يتكئ على هاتين الروايتين لا غيرهما من بين الروايات الكثيرة.

اقتصرت دراسة الباحث على رصد صورة الآخر المختلف، الذي يُنظر إليه على أنه العدو والمحتل الطامع بغزو البلد، ونهب إرثه الحضاري. هذه الرؤية تكوّنت نتيجة الاحتلال الذي تعرّض له العراق على يد أمريكا بعد عام ٢٠٠٣م، إذ عانى الشعب العراقي في ظلّ الاحتلال من أقسى صنوف الضياع والحرمان على الصعد كافة، وهذا الواقع الذي جسده الاحتلال انعكست صورته على الإبداع الأدبي -الشعري والروائي- فكان واحداً من المرجعيات التي رفدت المتخيّل الروائي لإنتاج صورة للآخر الغربي.

والملاحظ على النصوص المدروسة التي قدّمها الباحث أنه يغلب عليها القراءة الشارحة -شرح المضامين، وهذه القراءة تُعد المرحلة الأولى من مراحل القراءة الثقافية، بينما تفكيك النصوص وتأويلها واستكناه المضمّن وكشف المخفي لم نجد له أثراً في جهد الباحث، بدلالة أنّ ما قدّمه الباحث، ووقف عنده هو أنساق ظاهرة سطحية، إذ إنّ نسق رفض المحتل، ونسق مقاومته هي أنساق ظاهرة كان الأولى بالباحث وضعهما في حلقة واحدة تكون فيها الأنساق بعضها في مواجهة البعض الآخر؛ لاكتشاف تأثير النسق الأول بالثاني ودلالته عليه، أو العكس، هذا فضلاً عن البحث في المؤثرات الخارجية التي ولّدت هذين النسقين.

(١) الرواية العراقية من منظور النّقد الثقافي، حبيب النورس: ٣١.

(٢) م. ن: ٣٢.



احتلّ الآخر الأمريكيّ مساحة واسعة من الروايات العراقيّة والنقود التي كُتبت عليها ولا سيما تلك التي صدرت بعد عام ٢٠٠٣م، إذ مثلّ الاحتلال الأمريكيّ على العراق قوة مؤثرة وفاعلة في إحداث تغييرات شتّى على الواقع العراقيّ في مختلف الصعد والمجالات، فما قام به الحاكم العسكريّ بول بريمر عن طريق القوانين والتشريعات التي سنّها أدت إلى تفكيك الدولة، وتحطيم بناها، وتمزيق وحدة الصف الوطني، وتشظي الهوية الوطنيّة، وغيرها من القضايا التي تركت آثارها إلى يومنا هذا. من بين الكتب النقديّة التي رصدت الآخر الأمريكيّ كتاب (أمريكا والأمريكّي في الرواية العربيّة) لنجم عبد الله كاظم، إذ نجده يخصّ الآخر الأمريكيّ بالدراسة. قسّم الباحث كتابه على أربعة أقسام، ناقش في القسم الأول بفصليه الأوّل والثاني رؤية العرب للآخر الغربيّ، والسبل التي منحتم المعلومات الكافية لتقديم صورة ذلك الآخر، مع تدعيم آرائه بذكر الروايات التي تحدّثت عن الآخر.

ومن بين السبل التي ذكرها الباحث، وكانت عاملاً مؤثراً في النظرة إلى الغرب هي: الاحتلال وما رافقه من تدعيم النظرة السلبية للآخر الغربيّ، والبعثات الدراسيّة والعلميّة، والهجرة إلى الغرب أو الإقامة فيه، كذلك السياحة والسفر التي ساعدت على الاحتكاك بالآخر ومعرفة عاداته وثقافته وسبل عيشه...، وأخيراً دور الإعلام ووسائل الاتصال والثقافة في تقديم صورة للآخر سواء أكانت إيجابية أم سلبية.

وبالانتقال إلى القسم الثاني من كتابه الذي ناقش فيه (صور الأمريكيّ في الرواية العربيّة)، نراه قد قسّمه على أربعة فصول، عالج في الفصل الأوّل منه صورة الأمريكيّ القبيح، وأفرد الفصل الثاني منه لمناقشة صورة الأمريكيّ المريبة -وهاتان الصورتان سنناقشهما هنا في هذا المحور-، وخصّ في الفصل الثالث صورة المرأة الأمريكيّة، في حين ناقش في الفصل الرابع صوراً أخرى للآخر.

ما يعيننا في هذا المحور -الآخر المستعمر- دراسة الباحث للآخر الأمريكيّ القبيح؛ لأنّ إطلاق صفة القبح على الأمريكيّ جاءت من طبيعته الاحتلاليّة، ومواقفه المعادية للعرب. جعل الباحث أنموذجه الروائيّ الذي قدّم صورة أمريكا القبيحة/ المحتلّة،

(الشاهدة والزنجي) لمهدي عيسى الصقر. إنَّ تعامل الكولونيل الأمريكيّ مع الفتاة (نجاة) بقسوة ووحشيّة، يؤكّد العداء الكامن في الآخر؛ لأنّ الكولونيل -كما يراه الباحث- "لا يُمثّل نفسه فدسب، بمعنى أنه ليس مجرد فرد، ولأنّ الرواية ومن ورائها الكاتب تريد أكثر من رسمٍ مجردٍ للشخصية، بل هي تريد أولئك الذين ينتمي إليهم الكولونيل، تعي الفتاة العراقية (نجاة)، بمعزل عن مدى إقناع هذا الوعي لنا، أن المسألة تتعدى حدود الكولونيل الفرد إلى الأمريكان كلهم"<sup>(١)</sup>.

أشار الباحث إلى ثماني رواياتٍ قدّمت الآخر الأمريكيّ بالصورة المقفلة والمرببة، وهي (وتشرق غرباً) لليلي الأطرش، و(سباق المسافات الطويلة) لعبد الرحمن منيف، و(الكناري) لأفنان القاسم، و(خارطة الحب) لأهداف سويف، و(أمريكانلي) لصنع الله إبراهيم، و(نورا) لناجي التكريتي، و(ليل الملاك) لنزار عبد الستار، و(شاي العروس) لميسلون هادي، ووقف في التحليل عند ثلاث روايات هي (وتشرق غرباً، والكناري، وسباق المسافات الطويلة).

وجد الباحث أنّ رواية (وتشرق غرباً) قدّمت إحدى الشخصيات الأمريكيّة التي تُثير الريبة بسبب مظهرها العام، وقدمها إلى فلسطين في غير موسم السياحة، فضلاً عن وجودها بمفردها من غير دليل، وفي هذا الصدد يقول الباحث: "وتتمثل الشخصية المريبة في سائحة أمريكية منظوراً إليها من بطلة الرواية، الصبية الفلسطينية (هند) التي تستوقفها هذه السائحة في مشهد تجمّع للناس من حولها في الشارع"<sup>(٢)</sup>. هنا رصد الباحث صورة الآخر الأمريكيّ في الروايات العربيّة من دون الوقوف على مسوّغات تقديم تلك الصورة، بل اقتصر جهده على التنبّع والتقصّي فقط.

(١) أمريكا والأمريكيّ في الرواية العربيّة، د. نجم عبد الله كاظم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، دار فارس للنشر والتوزيع - عمان، ط ١، ٢٠١٦م: ٥٦ - ٥٧.

(٢) م. ن: ٦٢.

عالج الباحث في القسم الثالث من كتابه روايات عربية أخرى مثلت أمريكا والأمريكي، فضلاً عن الروايات التي ذكرها في القسم الثاني. خصّ الفصل السابع لرواية (اللجنة) لصنع الله إبراهيم، والفصل الثامن لـ (الرحلة، أيام طالبة مصرية في أمريكا) لرضوى عاشور، والفصل التاسع لـ (شاي العروس) لميسلون هادي. اختار الباحث في هذا القسم روايتين لكتّاب مصريين، والثالثة لكاتبة عراقية، وهذه المختارات لا تتناسب والتعميم في عنوان القسم (روايات عربية تمثلت أمريكا والأمريكي)، كما أنّ المسألة لم تقف عن حدود اختيار الروايات لروائيين من بلدين مختلفين فقط، بل انسحب الأمر على مساحة تمثل أمريكا والأمريكي في تلك الروايات، فضلاً عن حقيقة انتماء تلك الروايات إلى الجنس الروائي، والأمر الأهم مدى إيضاح تلك الصورة التي قدّمها الروايات للآخر الأمريكي. وهذا ما سنفصل القول فيه.

كانت المساحة التي شغلها الفصل السابع لتحليل رواية (اللجنة) بحدود سبع عشرة صفحة، لم يرد فيهما ذكر للآخر الأمريكي وهو موضع دراسة الباحث - إلا في حدود صفتين ونصف الصفحة<sup>(١)</sup>، وهي إشارة مهمة جداً وذات دلالات غنية لو وظّفها الباحث توظيفاً دقيقاً لقدّم نتائج غنية تُثري كتابه؛ ذلك لأنه تعرّض إلى الثقافة الأمريكية، ومدى سيطرتها على شعوب العالم عن طريق تعميم منتجاتها الاستهلاكية كشركات تصدير الكوكا كولا، فضلاً عن الأجهزة الألكترونية، والطائرات<sup>(٢)</sup>. وفي هذا السياق يرى الباحث أنّ الرواية تشير ضمناً وأحياناً تُعلن صراحةً عن تعرّضها "للثقافة الأمريكية وتأثيرها في العالم وفي الوطن والسلطة والناس، وللعولمة قبل انطلاقتها الصريحة كما هي اليوم، وللعلاقات الأمريكية العربية: الكوكا كولا، وتأسيس بنك عربي أمريكي جديد، والاستعانة بمكتبة السفارة الأمريكية وغيرها"<sup>(٣)</sup>. أمّا باقي صفحات الفصل فقد شغلها بالحديث عن

(١) أمريكا والأمريكي في الرواية العربية، د. نجم عبد الله كاظم: ١١٥-١١٧

(٢) للاستزادة يمكن الاطلاع على دراسة الدكتور عبد العظيم السلطاني (إضاءات نقد النقد على كتاب أمريكا والأمريكي في الرواية العربية للدكتور نجم عبد الله كاظم) المنشورة ضمن كتاب نجم عبد الله كاظم.. أكثر من حياة بقلم نخبة من نقاد وروائيين عراقيين وعرب، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، ٢٠٢١م: ٧٣.

(٣) أمريكا والأمريكي في الرواية العربية، د. نجم عبد الله كاظم: ١١٥.

اللامعقول في روايات اللجنة، ومدى ارتباطها وعلاقتها بروايات كافكا، وهي قضايا شغلت وعي الباحث عن التركيز على موضوعه الرئيس وهو تمثّلات الأمريكيّ في الرواية.

وبالانتقال إلى الفصل الثامن من القسم ذاته، الذي قصره على رواية (الرحلة، أيام طالبة مصرية في أمريكا) لرضوى عاشور، نلاحظ قلة النصوص المقتبسة من الرواية. وهذه النصوص مع قلتها - إذ اقتصرقت اقتباسات الباحث على ثلاثة نصوص لا غير - نجد نصاً واحداً يحمل دلالة أمريكا، إذ إنّ النصّ يُفصح عن رؤية البطلة لأمريكا، وموقفها المسبق عنها الذي يفتقر إلى الموضوعيّة.

هذا إلى جانب غياب التحليل الدقيق للرواية، والاكتفاء بالسرد الإنشائيّ لصورة أمريكا في تلك الرواية، فضلاً عن أنّ الرواية تُدرج في سياق السيرة الذاتية، وليس الجنس الروائيّ؛ وهذا ما يؤكّده وجود العلامات البارزة المؤكّدة جنسها السير ذاتي التي لم تغب عن وعي الباحث، فقد أشار إليها في مقدمة دراسته لها، وفي ختام حديثه عنها<sup>(١)</sup>، ويبدو أنّ ما حفّز الباحث لإدراجها في كتابه، عنوان السيرة الحاملة للفظة أمريكا، فضلاً عن ثراء النصّ بالقيم الثقافية، وتعدّد وجهات النظر الخاصة بالآخر الأمريكيّ التي حملتها شخصيّات السيرة التي تخدم غرضه لو كان خارج حدود الدّراسة الروائيّة، لكن ما يؤخذ على الباحث إغفاله تلك القيم الثقافية، ووجهات النظر، وعدم التركيز عليها.

أمّا في الفصل التاسع الذي جعله من نصيب (شاي العروس) لميسلون هادي، فإنّه ركّز نظره على صورتين للآخر الأمريكي، الأولى متمثلة بصورة أمريكا العدو/القبيحة، التي تقف وراء دمار العراق بلد (محمود)، والثانية تجسّدها شخصيّة (ريبيكا) الطبيبة النفسانيّة التي تعالج (محمود) بعد لجوئه إلى أمريكا لإصابته بالعمى نتيجة القصف الأمريكيّ على العراق. هذه الصورة تؤكّد الجانب المشرق من أمريكا، أو الجانب المتناقض كما تصوّره الرواية، التي تستغرب من تحوّل البلد العدو -أمريكا- إلى ملاذ آمن للهارب إليها من جحيم بلده العراق الذي صيرّته أمريكا إلى خراب. لكن الجانب المشرق يكمن في

(١) يُنظر: أمريكا والأمريكّي في الرواية العربيّة، د. نجم عبد الله كاظم: ١٣١، و١٤٢.

المعاملة الإنسانية من لدن الطبيبة مع المريض محمود، وتقديمها المساعدة لشفائه من العمى، فضلاً عن سلوكها الذي يخلو من الحقد والعدائية على الرغم من أنّ المريض ينتمي إلى بلد يعد عدواً لبلدها.

بعد رحلة البحث في كتاب (أمريكا والأمريكى في الرواية العربية) وجدنا أنّ الباحث قد خصّ عشر روايات بالدراسة والتحليل، توزّعت على فصول كتابه، وهذه الروايات هي: (١-الشاهدة والزنجي، ٢-وتشرق غرباً، ٣-كناري، ٤-سباق المسافات الطويلة، ٥-الثلج الأسود، ٦-نيويورك ٨٠، ٧-أمريكانلي، ٨-اللجنة، ٩-الرحلة، أيام طالبة مصرية في أمريكا، ١٠-شاي العروس). ينتمي كتاب الروايات إلى بعض البلدان العربية، فمثلاً (الشاهدة والزنجي وشاي العروس) ينتمي مؤلفاهما إلى العراق، و(تشرق غرباً والثلج الأسود) للأردن، و(سباق المسافات الطويلة) للسعودية، و(نيويورك ٨٠ وأمريكانلي واللجنة والرحلة، أيام طالبة مصرية في أمريكا) لمصر. كانت غاية الباحث من دراسة تلك الروايات استجلاء صورة الآخر الأمريكي، تلك الصورة التي لم تخرج عن إطار النظرة السلبية والعدائية للآخر الأمريكي، ومسوّغات تلك الرؤية تراوحت بين الصورة التي كونها العربي في مخيلته عن طريق البعثات، ووسائل الاتصال، والإعلام، والسياحة. والصورة التي تألفت نتيجة الاحتلال الأمريكي للعراق، فعمّق من الشعور بالطابع العدائي والاستعماري المتجذّر في أعماق الوعي الأمريكي.

لكن دراسة الباحث في مجملها لم تغطّ معظم الروايات العربية كما يُشير إليه عنوان الكتاب، ولا حتى المدّة الزمنية التي أشار إليها في التمهيد، التي ذكر فيها أنّه سيدرس الروايات العربية في العراق وبلاد الشام الصادرة بين عام ١٩٨٠ و ٢٠١٠<sup>(١)</sup>. هذا فضلاً عن اقتصار دراسته على الجانب الوصفي، الذي يُعنى برصد صورة الآخر الأمريكي فقط من دون الوقوف على مسوّغات شيوعها في الروايات العربية عامة، والرواية العراقية

(١) يُنظر: إضاءات نقد النقد على كتاب أمريكا والأمريكى في الرواية العربية للدكتور نجم عبد الله كاظم، د. عبد العظيم رهيف السلطاني، بحث منشور ضمن كتاب: نجم عبد الله كاظم.. أكثر من حياة: ٦٦ - ٦٨.

خاصة، كما إنّه ابتعد كثيراً عن موضوعه الرئيس ولا سيما في القسم الثالث بفصوله الثلاثة التي وردت فيها إشارات قليلة جداً عن صورة الأمريكيّ، في مقابل انشغال الباحث بقضايا أخرى لا علاقة لها بمضمون الدراسة.

لم تقف الجهود النقديّة عند تتبّع صورة الآخر الأمريكيّ في الإبداع الروائيّ، بل سعت بعض الدراسات إلى رصد صورة الآخر الغربيّ عمومًا، ومن تلك الدراسات كتاب الباحث الأكاديميّ سمير الخليل الموسوم بـ (الرواية سرداً ثقافياً سسيولوجياً الثقافة وأرختها وتسيبها). شغلت رواية (ترنيمه امرأة.. شفق البحر) لسعد محمد رحيم عناية الباحث؛ ليرصد من خلالها ثقافة التعامل مع الآخر وأنساقها.

شغلت مساحة دراسته لتلك الرواية خمس صفحات وكذا سطر، ومجموع النصوص المقتبسة من الرواية ثلاثة نصوص لا غير، أدرج النصوص واحداً تلو الآخر<sup>(١)</sup>، يسبقهما نتيجة أكد فيها أنّ "[الاحتكاك] مع الآخر الذي شكل دائماً وعبر التاريخ البعيد والقريب، الغازي والمنافس والمزاحم والمستغل، هو احتكاك أنداد متعادلين، متوازنين في كل شيء، وهذا هو الوهم السياسي بعينه"<sup>(٢)</sup>.

كذلك يرى الباحث أنّ "رؤية التشابك والتداخل والتصارع هي النظرة الصائبة لتأريخ العلاقة مع الآخر، وهذه هي الحقيقة بعينها منذ بدايات الاحتكاكات الأولى في غابر الأزمان ولحد هذه الساعة، بهذا المعنى يصبح من الممكن النظر إلى عملية التورط الجدلي في الحوار مع الآخر كنوع من النضال الجمعي، لا كنضال تحقّقه ذات مفردة عارية من تحصناتها ومقاوماتها ومناعاتها تحاول [استعادة] "السلام" بكل تعقيداته، بل كنضال جمعي تتصارع فيه مصالح متعددة لكسب مواقع بعينها"<sup>(٣)</sup>، فالواضح من رؤية الباحث أنّ العامل المهيمن على طبيعة العلاقة بالآخر، النظرة الجمعيّة،

(١) يُنظر: الرواية سرداً ثقافياً سسيولوجياً الثقافة وأرختها وتسيبها، د. سمير الخليل: ٢٧١-٢٧٢.

(٢) م. ن: ٢٧١.

(٣) م. ن: ٢٧٣.

أو الرؤية الشمولية التي ترى في الآخر عدوًّا، والمحتل بصرف النظر عن طبيعة الفرد المنتمي إلى البيئة والثقافة المغايرة، وكذلك عدم فصله عن الواقع السياسي ومخططاته ورؤيته وموقفه من البلدان العربيّة. من هنا جاء الحكم على الآخر الغربيّ خاضعًا لأيديولوجيات ومعايير محدّدة مسبقًا.

يبدو أنّ الغالب على دراسة الباحث أنّها لم تُعَنّ بدراسة الآخر الغربيّ على نحو شموليّ، أو أن تكون دراسته هي غاية الباحث الجوهرية، بل جاءت ضمناً مع مجموعة من الدراسات المنفرقة لمجموعة روايات، كلّ واحدة منهنّ درست تحت عنوان مستقل بها. وقد شغلت موضوعة الآخر دراسة واحدة لرواية واحدة لا غير، خلت من التحليل الثقافيّ الذي قيّد الباحث نفسه به.

وما يدخل في سياق رصد الآخر الغربيّ كتاب الباحث علي جواد عبادة المعنون بـ (المضمّرات الإشهارية في الرواية العراقية)، الذي نراه قد وقف في فصله الثالث المعنون بـ (التقمص التّقديّ ومحاكاة المشتهر/ كساء لفت الأنظار) على ثلاثة موضوعات، وزّعها على محاور ثلاثة. وفي هذا الصدد يقول: إنّ محاور الفصل جاءت "موزّعة على ثلاثة تصورات ثقافية نحسبها شكّلت نوقاً سائداً وهو علاقة الشرق بالغرب، والأفكار النسوية الجديدة، وتفكيك الخطاب الديني، والسعي لهدمه"<sup>(١)</sup>. هذه هي الموضوعات التي ناقشها الباحث، التي رآها شديدة الضرورة، إذ إنّ المحور الأول من الفصل قد انشغل بموضوعة الشرق وعلاقته بالآخر الغربيّ -وهو محور اشتغالنا هنا- انطلاقاً من فكرة الآخريّة، وكيفية انبثاقها من حجم الصراع المستمر بين الإنسان والإنسان. في حين عُنِيَ المحور الثاني بقضايا النسوية وطبيعة الثقافة العربيّة ونظرتها للمرأة. أمّا المحور الثالث فكان من نصيب مناقشة بعض الروايات التي اشتهرت لسببين: أولهما حضورها اللافت الذي يحقّق لها الفوز بالجوائز، فتكون بوصلة للروايات الأخرى لمحاكاتها والتأليف على منوالها. وثانيهما: الروايات التي تشتهر لأسباب دينية أو أخلاقية تؤدّي إلى منع تداولها، فتكون محقّزة لبعض

(١) المضمّرات الإشهارية في الرواية العراقية حقبة ما بعد الانفتاح، د. علي جواد عبادة: ١٦١ - ١٦٢.

الروائيين لكتابة روايات تقترب من أسلوبها وموضوعها، انطلاقاً من مبدأ كل ممنوع مرغوب.

ناقش الباحث في المحور الأول بعض الجمل الثقافية التي أشاعتها هيمنة الإمبريالية على الشرق وروّجت لها، فهي روّجت لثقافة إعلاء شأن الغربي في مقابل الحط من شأن الشرقي. من هنا سارت دراسة الباحث في مسارين تبعاً لما شاع في النصوص الروائية، وهذان المساران هما: أولاً الشرق الممسوخ: سرديات الامتثال والخضوع، وثانياً: التضرع السردية.

عني الباحث في المسار الأول بواقع الشرق، وصورته التي رسّختها الإمبريالية الغربية ومصالحها الاستعمارية، فجاءت النصوص الروائية العراقية -بناءً على مدار اشتغال الباحث- داعمة للخطاب الثقافي الكولونيالي القائم على مسخ صورة الشرق؛ لتتماهى مع ما ترسخ في المخيال الغربي عبر التراكم الثقافي.

ومن بين النصوص الروائية العراقية الكثيرة التي كانت داعمة لتلك الأفكار، اختار الباحث ثلاث روايات لا غير لتكون الأنموذج على ذلك، وهذه الروايات هي: (فرانكشتاين في بغداد) لأحمد سعادوي، و(متاهة آدم) لبرهان شاوي، و(عازف الغيوم) لعلي بدر.

أكدت رواية سعادوي -بحسب رأي الباحث- تخلف الشرقي، وثقافته البدوية، وتفوقه في الماضي، مع رفض محاولات النهوض بواقعه. كل هذه القضايا كشف عنها الحوار الذي دار بين شخصيات الرواية، وأهمها دلالة حوار (السعدي رجل الأناقة والفخامة) و (السوادي الصحفي)، وهذا الأخير كان يُمني نفسه "بأن يصبح مثل السعدي بعلاقته، وأناقته، مجده خاضعاً خضوعاً تاماً ومتماهياً مع الرؤى الكولونيالية التي رسمت صورة ممسوخة للشرقي بوصفه كائناً لا يهتم حتى بنظافته؛ لذا فهو به حاجة لأن يُمثل دائماً، فقد تمكنت هذه الرؤى الكولونيالية من وعي على الروائي نفسه، وجعلته معترفاً



بتخلف الشرق، ودونيتهم"<sup>(١)</sup>. ويعتقد الباحث أنّ هناك مسوّغات لما ذهب إليه الروائي، التي قادته إلى تبني تلك الطروحات الثقافية أهمّها: هيمنة تلك الطروحات، وشغلها مساحة واسعة في التنظير النقديّ للثقافتين العربيّة والغربيّة، مما ساعد على تسرب تلك الطروحات إلى ذهن الروائيّ وتغلغلها في عمق ثقافته ورؤيته. وقد يكون هذا التسرب والتغلغل يحمل بعداً سلبياً يقوم على التقاط الرائج ثقافياً، وتدويبه سرديّاً؛ ليُحقّق رواجاً لها وإقبالاً على شرائها<sup>(٢)</sup>. وهذه المسوّغات في مجملها حققت امتثالاً للرؤية الكولونياليّة وخضوع الشرق لها.

كذلك تبنت رواية (برهان شاوي) تدعيم تلك الطروحات عبر "تدوير الصورة النمطية للشرقي في المخيال الغربي، وإعادة إنتاجها، فقد أعاد شاوي بوصفه ولي أمر شخصيات الرواية صورة نمطية عن ولع الشرقي بالجنس وعدم اكتراثه للمرأة وعوالمها النفسية، وامتهانها بوصفها جسداً شبقاً"<sup>(٣)</sup>، وهذه الرؤية ذاتها انسحبت على رواية علي بدر (حارس الغيوم) التي لم تتعد كثيراً عن تبني الخطاب الكولونياليّ، وتأكيد المركزية الغربيّة.

وبالانتقال إلى المسار الثاني، نجد الباحث قد ناقش مسألة التضرّع السرديّ، ويعني به تضرّع العربيّ للآخر الأوربيّ انطلاقاً من فكرة الخضوع والتبعية للمركز. والعينات التي اختارها الباحث، هي ثلاث روايات أيضاً اقتصرت على (طائفتي الجميلة) لمرتضى كزار، و(طشاري)، و(الحفيدة الأمريكيّة) لإنعام كجه جي. هذه الروايات قدّمت صورة واضحة لمحنة الشرقي، وحاجته للآخر الغربيّ ليكون ملاذه، فضلاً عن خضوع العربيّ له، إذ يرى الباحث أنّ تلك "المقولات الإمبريالية التي تمسخ صورة الشرق، وتحوله إلى أرض

(١) المضمّرات الإشهارية في الرواية العراقية حقبة ما بعد الانفتاح، د. علي جواد عبادة: ١٦٨.

(٢) م. ن: ١٦٩.

(٣) م. ن: ١٧٠.

الرديلة والعنف، وتجرده من الحس الإنساني، تضرر تحتها رُقي الغرب، وانفتاحه، وتمتعه بالحياة الإنسانية الكريمة"<sup>(١)</sup>.

وجد الباحث في النصوص الروائية التي عالجت العلاقة بين الشرق والغرب، أنها تنطلق من أيديولوجيا ترى في الآخر الغربي المركز وترى في بلده البلد المتحضّر، بخلاف الشرق الذي تغلب عليه صفة الدونية والتخلف والتبعية. هذه الرؤية كرّستها الثقافة الإمبريالية وروّجت لها، فوجدت صداها يتردّد على السنة الشرقيّ مؤكّداً ترسيخ تلك الرؤية، وتنبّئها اعترافاً منه بأفضليّة الغربيّ على العربيّ الذي ما زال قابلاً في دائرة التخلف.

### ثانياً: الآخر المؤتلف

لم تقتصر جهود الدّراسات الثقافيّة على رصد الآخر المختلف، بل تعدّته إلى الآخر المؤتلف الذي تربطه علاقة طيبة مع الأنا العربيّ، أو يكون موطناً بديلاً عندما تتعدم مبررات الحياة الكريمة والأمانة في بلده الأمّ. ما يندرج ضمن الآخر المؤتلف صورة الآخر الصديق والإنسانيّ أو الملاذ والوطن البديل، وكذلك صورة المرأة الغربيّة.

تلك الصور قدّمتها النصوص الروائيّة، ووقف عندها النّقد الروائي؛ ليرصد مسوّغات تلك الرؤية. ومن تلك الدّراسات ما نجده في كتاب الباحث محمد لعبيبي الموسوم بـ (الرواية العراقية وسردية الاختلاف) الذي رصد صوراً إيجابية للآخر قدّمها روائيون وروائيات، هي: (وعلى الدنيا السلام) لذنون أيوب، و(نورا) لناجي التكريتي، و(حبل السرة) و(شوفوني) لسميرة المانع، و(امرأة القارورة) لسليم مطر، و(الوليمة العارية) لعلي بدر. إذ كان عامل الانبهار بحضارة الغرب، وبرقيتها، وبتفوّقها الدافع وراء تقديم الآخر الغربيّ بوصفه الصديق، والملاذ الآمن.

لقد قدّمت روايات (سميرة المانع، وسليم مطر، وعلي بدر) الآخر الغربيّ بوصفه الوطن والملاذ الآمن، فضلاً عن أنّه مصدر الرقي والتحضّر والتفوّق، في مقابل إحساس

(١) المضمّرات الإشهارية في الرواية العراقية حقبة ما بعد الانفتاح، د. علي جواد عبادة: ١٨٣.

الأنا بالنقص والدونية، ومثل هذا الوعي المنتصر للآخر الغربي، والداعم لنظرته المتعالية لم يغفل عنه الباحث، فيرى أن مثل "هذه السياقات التي ترد على لسان الشخصيات، توضح مدى التأثير غير المدروس أحياناً بالآخر، [ويستبطن] في داخله الحث على التغيير لإنتاج وعي مختلف بالواقع"<sup>(١)</sup>. وفي هدي هذا القول يبدو أن الإعجاب بالآخر الغربي، والهروب إليه من جحيم الواقع - ولأبي سبب كان - مصدره التبعية للآخر المتحضر والمالك لزمّام تقدّم الشعوب الأخرى المتخلفة عن ركب التطور والرقي. هذا الوعي الخاضع لهيمنة الثقافة الإمبريالية كان المسيطر على فكر المبدع، وقد أشار إليه الباحث.

كما أشارت دراسته إلى نظرة العربي للمرأة الغربية، وهي نظرة لا تخرج عن إطار الرؤية السلبية المتمثلة في تحررها وانفلاتها من جميع القيود. اختار الباحث روايات (رياح شرقية رياح غربية) لمهدي عيسى الصقر، و(أمس كان غدا) لكازم الأحمد، و(الضفة الثالثة) لسعد محمد علي لتكون عينات دراسته؛ وذلك لاشتراكها في تقديم صورة المرأة على إنها إما متحررة من جميع القيود، وإما معجبة إعجاباً شديداً بالشرقي.

يعتقد الباحث أن تعامل الرجل الشرقي مع المرأة الغربية نابع من تعويض "عن نقص معين قد يكون حرماناً من عطف وأمان، فيحاول الشرقي بواسطتها تعويض القمع الجنسي الذي عاشه في بيئة من أجل إثبات الذات (رجولته). ويبدو انها في النهاية محاولة من قبل الروائيين لجعل المرأة الغربية رمزاً لمادية الغرب، بينما يرمز الرجل الشرقي لروحانية الشرق"<sup>(٢)</sup>. هذا يعني أن الآخر/ المرأة لم تكن في نظر العربي إلا وسيلة لإشباع رغباته الجنسيّة، وهي النظرة ذاتها التي ينظر بها إلى المرأة العربية. بمعنى إن ثقافة الشرق كانت المسوّغ لترسيخ رؤية المرأة الغربية على هذا النحو.

كذلك لم تخلُ دراسة الباحث الأكاديمي نجم عبد الله كاظم الموسومة ب (نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة) من الوقوف على صورة الآخر المؤتلف، إذ لم يقتصر جهده

(١) الرواية العراقية وسردية الاختلاف، محمد قاسم لعيبي: ١١٨.

(٢) م. ن: ١٢٢.

على رصد الصورة السلبية للآخر الغربي في النصوص الروائية، بل رصدت الصورة المناقضة لها، صورة الآخر المؤلف. ناقش الباحث هذه الصورة في خمس عشرة رواية قال عنها إنها وردت في سياق الحديث عن الآخر بصورته السلبية، فيرى "إن مظاهر الغرب الإيجابية التي تمثلت في هذه الروايات غالباً ما جاءت، ومرة أخرى بسبب غلبة صور الغرب السلبية على أرض الواقع وبالتالي في عوالم الروايات المتخيلة، متداخلة مع المظاهر السلبية، وقد تبدو ظاهرياً أحياناً مضطربة، لكن هذا التداخل، وما قد يبدو اضطراباً، لا يأتي مبرراً بواقع الأمور التي ذكرناها فحسب، بل بطبيعة الفن الذي تأتي فيه أيضاً، نعني الرواية، وخصائصها، حيث انحسار الرؤية الواحدة وغلبة الموضوعية والحوارية وتعددية الشخصيات"<sup>(١)</sup>. فالباحث يرى أنّ النظرة للآخر الغربي مصدرها إمّا الانبهار بحضارة الغرب، أو هي الوطن البديل والملذذ الآمن فجاءت بعض الشخصيات حاملة لتلك الرؤية المتصالحة مع الآخر.

كذلك درس الباحث مجموعة من الروايات؛ ليرصد نظرة العربي للمرأة الغربية التي انطلقت من رؤاهم الثقافية، وقيمهم، وعاداتهم، إذ رأى أن صورة المرأة الغربية في النصوص الروائية التي درسها لم تتعدّ الأنماط الثلاثة وهي: (صورة المرأة المنفلتة، والعاشقة للشرقي، والمعتدة بنفسها).

يرى الباحث أنّ وضع المرأة الغربية، ونظرة العربي لها، وتقييمها نابعة من "الفهم والتقاليد والقيم العربية أو الإسلامية أو الشرقية التي يستظلون بها، حين يريدون تقييم وضع المرأة. وعليه لم نكن لنتوقع أن لا يسقط هذا الفهم على رؤية حتى الكثيرين من النخبة المثقفة وضمنهم الأدباء العرب ليظهر شيء من هذا في صور وأشكال المرأة الغربية في الرواية العربية"<sup>(٢)</sup> بمعنى أنّ الكاتب قد ينطلق في تصوير هذا النوع من الآخر، على وفق المعايير الفكرية المسبقة التي تحملها الشخصية العربية عن الآخر،

(١) نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة، د. نجم عبد الله كاظم: ١٥٠ - ١٥١.

(٢) م. ن: ١٧٥.

استناداً إلى خلفياته الأيديولوجية التي ينطلق منها، كما في النظرة إلى العلاقة بين الأنا أو الرجل العربي والمرأة الغربية من ناحية الجنس.

ناقش الباحث عشر روايات صوّرت المرأة الغربية على أنها منفلثة، وغير ملتزمة بقيم الشرف، ومتحررة من القيود جميعها، وتلك الروايات التي وقف عندها هي: (حليب المارينز) لعواد علي، و(العزف في مكان صاخب) لعلي خيون، و(نورا) لناجي التكريتي، و(ذاكرة الجسد) لأحلام مستغانمي، و(امرأة من طابقين) و(قبو العباسيين) لهيفاء بيطار، و(رقص على الماء) لمحمود البياتي، و(كم بدت السماء) قريبة لبتول الخضير، و(الثلج الأسود) لمحمد أزوقة، و(أمس كان غدا) لكازم الأحمد. هذه النظرة إلى الآخر الأنثوي وبحسب اعتقاد الباحث - "كثيراً ما تنطلق كلياً أو جزئياً منا، ومن قيمنا ومثلنا، وعاداتنا، ومن فهمنا نحن النسبي للقيم والشرف والأخلاق، لترتكب هذه النظرة غير قليل من الأخطاء في المنظور المطلق للشرف والأخلاق. ولعل هذا يبرر أن تتسلل هذه الصورة حتى إلى أذهان المتعلمين والمثقفين، بل الأدباء وعموم المبدعين"<sup>(١)</sup>. وعليه فالمعايير التي يعتمد عليها العربي في تقييم الآخر الغربي الأنثوي تحديداً خاضعة لثقافة العربي، ودرجة وعيه، ونظرته القاصرة لمفهوم الشرف والمثل العليا، وهي نظرة بها حاجة إلى وعي أكثر تحرراً، وانفتاحاً؛ لتقبل الآخر وثقافته، وعدم إطلاق أحكامٍ تعميمية تسيء للآخر، وتحط من شأنه.

أمّا صورة المرأة العاشقة للشرقي، فإنّه رصدها في ست روايات، هي: (السيدة فيينا) لسهيل إدريس، و(الساخن والبارد) لفتحي غانم، و(الثلج الأسود) لمحمد أزوقة، و(مرّ الصيف)، و(واحة الغروب) لبهاء طاهر، و(التوأم المفقود) لسليم مطر. وجد أنّ هذه الروايات قدّمت المرأة "مغلوباً على أمرها أمام العربي أو الشرقي مع صورة هذا العربي ساحراً معشوقاً أو غازياً للمرأة الغربية قلباً وجسداً، وكثيراً ما يأتي هذا بنرجسية واضحة

(١) نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة، د. نجم عبد الله كاظم: ١٧٨-١٧٩.

من البطل أو الراوي أو حتى الروائي من خلفهما"<sup>(١)</sup>، وكأنّ العربيّ يسعى إلى الانتصار على الغربيّ عن طريق استعمار الأنثى بامتلاك قلبها وجسدها. كما إنّ الروايات تهدف من كلّ ذلك إلى تقديم صورة للأنا العربيّ بوصفه مرغوباً به، وموضع إعجاب. هذه النظرة نابعة من الطابع الذكوريّ ورغبته في التسلّط وامتلاك ما يرغب به، فمحاولاته في فرض هيمنته على المرأة العربيّة الخاضعة لسلطته قادتة إلى ممارسة سلطته على امتلاك الأنثى الغربيّة متخيلاً، وكأنّه يستطيع تحقيق ذلك واقعاً لو أُتيحت له فرصة اللقاء بها على أرض الواقع.

في حين انحسرت مساحة الروايات المدروسة لاستجلاء صورة المرأة المعتدّة بنفسها والمتسلّطة لتقتصر على أربع روايات لا غير، هي: (الثلج الأسود) لمحمد أزوقة، و(عابر سرير) لأحلام مستغانمي، و(عمارة يعقوبيان) لعلاء الأسواني، و(أمس كان غداً) لكازم الأحمدى. يعتقد الباحث أنّ إيراد المرأة الغربيّة متسلّطة ومتعالية ربما يكون في حقيقته "جزءاً مما يراه العربي من نوايا وأفعال غير بريئة وغير إيجابية للغرب والغربيين في عالم الرواية المتخيّل، وربما كما يراه الروائيون أنفسهم على أرض الواقع مما لا يكون حقيقة كما يرونه. فبعض ذلك يأتي نتيجة اختلاف التجربة والمثّل والقيم والعادات والنظرة الغربيّة النمطية إلى الشرق والعرب والإسلام"<sup>(٢)</sup>.

وفي هدي تلك المعطيات، نجد أنّ دراسة الباحث قد عزّت الوعي الثقافيّ للمبدع الروائيّ وهو ينظر إلى المرأة الغربيّة بمنظار ثقافته المتواضعة، وسلطته الذكوريّة الراغبة بامتلاك جسد الأنثى حقيقةً أو خيالاً. فتصوير الرجل الشرقيّ الراغب باستباحة جسد الأنثى/ الغربيّة يخفي في طياته رؤية الإمبرياليّة المتمثّلة في ترسيخ صورة الشرقيّ الشبقيّة، وأنّه لا يهّمه سوى الجنس غاضاً البصر عن قيمة المرأة واستقلالها بجسدها وكيونتها.

(١) نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة، د. نجم عبد الله كاظم: ١٨٦.

(٢) أمريكا والأمريكّي في الرواية العربيّة، د. نجم عبد الله كاظم: ١٩٨.

لم تكن دراسة الباحث نجم عبد الله كاظم الموسومة بـ (نحن والآخر...) الوحيدة في مجال رصد صورة الآخر الغربي، بل قدّم دراسة أخرى تناولت الآخر الأمريكي في كتابه (أمريكا والأمريكي في الرواية العربيّة)، ولكنّ المبدع العربيّ في نصوصه الروائيّة قدّم الشخصية الأمريكيّة انطلاقاً من نرجسيته العالية التي تسعى إلى النهوض "بشرقه وبأناسه الشرقيين ويُسقط الغرب وممثليه، في مجال أو ميدان أو عالم هو سيّدُه المطلق، نعني عالم العمل المتخيل الذي هو روايته، حتى وإن كان ذلك مصطنعاً أو غير مقنع"<sup>(١)</sup>. ناقش الباحث هذه الرؤية في ثلاث روايات قدّمت الأمريكيّ بمختلف مستوياته الثقافيّة والاجتماعيّة مهزوماً أمام العربيّ، وأنّه منعزل وفاقد للأمان... وتلك الروايات التي وقف عندها هي: (الثلج الأسود) لمحمد أزوقة، و(طفل الـ CNN) لإبراهيم أحمد، و(أمريكانلي) لصنع الله إبراهيم، إذ منح الكاتب (رواية الثلج الأسود) مساحة أوسع من نظيراتها، مستغرياً من أسلوب كاتبها الذي مع انطلاقه من "تجربة ومعايشة ومعرفة تفصيلية بالأمريكان، فإنه يكتب عن عالم الغرب بمجمعه وأفراده ونسائه بالنفس الذي يكتب به كتاب انطلقوا في كتاباتهم عنه من المعرفة به من خلال وسائل الإعلام والسماع أو السياحة، ومن شريقيّتهم ومفاهيمهم عن المجتمع والإنسان والمرأة والعلاقات، أو من ميكانزم الدفاع، المؤدي إلى الهجوم الذي تبناه خطاب ما بعد الاستعمار، فتكون الصورة المشوهة جزئياً أو كلياً لهذا الغرب"<sup>(٢)</sup> فملاحظة الباحث كانت دقيقة في مجالها؛ لأنّ الروائيّ بالغ كثيراً في اعلاء شأن العربيّ في مقابل تقزيم الآخر الأمريكيّ، وإظهاره بصورته السلبيةّ.

وفي السياق ذاته واصل الباحث تقديم صورة الأنثى الغربيّة، وتحديدًا الأمريكيّة في الروايات العربيّة في كتابه ذاته؛ لمناقشة صورة الأنثى في المنظور العربيّ، ومسوّغات تلك النظرة، فوجد أنّ "واقع المرأة في الغرب، غير العادي وغير المألوف للعرب وإلى حد ما لعموم الشرقيين، دفع بالعديد من الكُتّاب إلى اتخاذ المرأة، في كثير من الأحيان، رمزاً

(١) أمريكا والأمريكيّ في الرواية العربيّة، د. نجم عبد الله كاظم: ٨٦.

(٢) م. ن: ٩٣ - ٩٤.

للغرب أو إنموذجاً له أو صورة له"<sup>(١)</sup>. وهذا يعني أنّ اختلاف الثقافة، وطبيعة الحياة، كانت المسوّغ لرؤية العربيّ إلى المرأة الغربيّة على أنّها منفلتة أخلاقياً، وغير آبهة بالعلاقات الأسريّة.

استجلى الباحث هنا صورتين للمرأة الأمريكيّة في روايتين، هما (التلج الأسود لمحمد أزوقة، ونيويورك ٨٠ ليوسف إدريس) اشتركتا معاً في النظر إلى المرأة على أنّها عاشقة للعربيّ، ومعجبة به وبأسلوبه وثقافته إلى درجة تقودها إلى فعل كلّ شيء لتتال شرف إعجاب العربيّ بها، فضلاً عن رغباتها الجنسيّة وعدم تحرّجها من عرض نفسها للعربيّ، إذ يقول الباحث عن الأمريكيّة (جانيت) التي أعجبت بالعربيّ (سعيد): "فهذه المرأة القوية والمعتدة بنفسها والممثلة لمجتمعها وحضارتها وغربها، كما يُظهرها الروائي بكرم منقطع النظير، تقع أسيرة رجولة الشرقيّ ووسامته وسحره"<sup>(٢)</sup>. كما إنّ الباحث انتقد رؤية الروائيّ للشخصيّتين بوصفهما ممثّلين للشرق والغرب، وليس بوصفهما الآخر المختلف، تجسّدها علاقة الاختلاف بين الرجل العربيّ والمرأة الأمريكيّة، إذ يرى الباحث أنّ هذه المقابلة تكشف "عن سطحية تفكير الغربيّ وبعده عن أن يكون متفوقاً، خصوصاً حين يتعلق الأمر بالسياسة والتاريخ والجغرافيا والثقافة العامة [...] لكنّ إعجاب الأمريكيّة (جانيت) بالعربيّ (سعيد) يتخطى هذا إلى إظهار التفوق العربيّ أو الشرقيّ حتى في أصغر الأمور"<sup>(٣)</sup>.

أمّا في رواية (نيويورك ٨٠) فإنّ الباحث يرصد الرؤية الدنيّة للمرأة الأمريكيّة<sup>(٤)</sup> من منظور المثقف العربيّ.

(١) أمريكا والأمريكّي في الرواية العربيّة، د. نجم عبد الله كاظم: ٧١.

(٢) م. ن: ٧٥.

(٣) م. ن: ٧٧.

(٤) م. ن: ٨٣.



يتّضح أنّ الوعي الثقافيّ لدى الروائيين محكومٌ بالترجسيّة العالية، والهيمنة الذكوريّة المفرطة مما قاد الباحث إلى الحكم عليها بافتقارها إلى قوّة الإقناع الفنيّ.

وفي هذا السياق أفرد الباحث الأكاديميّ قيس كاظم الجنابي باباً من كتابه (الرّواية العراقيّة بعد الاحتلال الأمريكي)؛ ليُنَاقش فيه علاقة العربيّ بالآخر الغربيّ، فكانت دراسته تلك من نصيب الباب الثالث.

جاءت خطة الباب متضمّنة أربعة فصول، درس في كلّ فصل رواية واحدة بعنوان مستقل، باستثناء الفصل الأوّل الذي درس فيه روايتين للروائيّ أسعد الجبوري، تحت عنوان (صوت الآخر في روايتي الحمى المسلحة وديسكولاند). وعلى مدار المساحة التي شغلتها دراسة الباحث لرواية (الحمى المسلحة)، والنصوص التي اقتبسها للكشف عن صوت الآخر الغربيّ، لم نعثر على أيّة فقرة تناقش هذه المسألة، فضلاً عن عدد النصوص المقتبسة للتحليل، وهما نصّان لا غير. تضمّن النصّ الأوّل إشارة إلى الجانب الفنتازي، في حين أنّ النصّ الثاني يدخل في صلب موضوعه، وهذا النصّ هو "وها قد جئت لبلاد الغرب مع فرق الصليب الأحمر لإنقاذه لتصبح لاجئاً تجلس إلى طاولة وتشعر بالنشوة من كونك مخلوقاً ما زال حياً بعيداً عن النزاعات العرقية وحروب القبائل وغياب الديمقراطية. إنها فضائل الغرب عليك يا توتميتو"<sup>(١)</sup> هذا هو النصّ الوحيد الذي يشير صراحة إلى علاقة العربيّ بالآخر الغربيّ، لكنّ تحليل الباحث ابتعد كثيراً عن مناقشة تلك العلاقة<sup>(٢)</sup>، مما يعني خروج الباحث عن مدار الدّراسة وهدفها الثقافيّ، والانشغال برصد الأبعاد الفانتازيّة في الرواية.

وبالانتقال إلى الرواية الثانية التي وقف عندها الباحث، نراه -ومن الصفحات الأولى- مشغولاً بالسرد السحريّ إلى جانب بعض الإشارات إلى العلاقة بالآخر الغربيّ وطبيعة العلاقة معه. إنّ نصيب الآخر في دراسة الباحث لرواية (ديسكولاند) كان أوفر

(١) الحمى المسلحة، أسعد الجبوري، الشركة العربية الأوربية للصحافة والآداب - كوينهاكن، ط ١، ٢٠٠٠م: ٥.

(٢) يُنظر: الرّواية العراقية بعد الاحتلال الأمريكي (هشاشة المأوى وأزمة الهوية)، د. قيس كاظم الجنابي: ١٥٧.

حظاً من سابقتها؛ فقد عزز طبيعة العلاقة بالآخر بنصوص روائية تؤكد صدق ادّعاءاته. ومن بين أنواع العلاقات بالآخر كانت علاقة الارتباط الأسريّ -الزواج- بين الرجل/ العربيّ والمرأة/ الغربيّة، كذلك علاقة عدائيّة تمثّلت بعدم تقبّل الآخر الغربيّ للعربيّ، وفي هذا الصدد يقول الباحث: "وقد وصف الكاتب الآخر بطريقة كشفت شعور [الآخر] بالعداء، وإحساسه بعدم التوافق، حتى أن إحدى العجائز ارتكبت جريمة قتل طفلة تركية اسمها (سنداش) على رجل بوسني اسمه (سلمان)"<sup>(١)</sup> بدافع عدائيّ يرى في الآخر المختلف، والمشارك في وطنه على أنه مصدر كلّ ما هو سلبيّ.

ومصدر العداء سببه أيضاً اختلاف الثقافة بين العربيّ والغربيّ، إذ نجد في ثقافة الغرب ما تدعو إلى التعامل الإنسانيّ مع الحيوانات، وفي هذا الجانب أورد الباحث وجهة نظر إحدى شخصيات الرواية الأوروبية بقوله: "فقد قرن (لانكسن) العلاقة مع الآخر من خلال العلاقة مع الكلاب التي يعدها العرب المسلمون حيوانات نجسة"<sup>(٢)</sup>. وفي هدي ما سبق يمكننا القول: إنّ العلاقة بين الأنا العربيّ، والآخر الغربيّ -في هذه الرواية تحديداً- لم تكن علاقة ودّية وإنسانية، بل علاقة قائمة على رفض الآخر وعدم تقبله.

وبناءً على ما سبق يمكننا القول: إنّ ما جاء في الفصل الأول الذي شغل مساحة إحدى وعشرين صفحة، خمس صفحات لا غير هي مجمل ما يتعلّق بموضوعه صوت الآخر في الروايتين -عينات الدّراسة-، وما عداها كان كلاماً إنشائيّاً يفنقر إلى التحليل العميق، وجاء منشغلاً برصد الخيال والعوالم السحرية في الروايتين، هذا فضلاً عن مساحات البياض التي وُضعت في الكتاب من دون أيّة فائدة تُذكر.

وبالانتقال إلى الفصل الثاني الذي درس فيه رواية (ترنيمة امرأة.. شفق البحر) لسعد محمد رحيم تحت عنوان (الهويّة والاستغراب). لم يوضّح الباحث نوع الهويّة التي سيبحث عنها في تلك الرواية، ولكننا وجدناه مشغولاً برصد الثيمات التي تؤكد الجانب

(١) الرّواية العراقية بعد الاحتلال الأمريكي (هشاشة المأوى وأزمة الهوية)، د. قيس كاظم الجنابي: ١٦٣.

(٢) م. ن: ١٦٧.

الميتا سردي أو الما ورائي في الرواية، وهذا يعني أنّ الباحث كان يبحث عن الهوية السردية تحديداً.

هنا يرد سؤال حول علاقة تلك الدراسة بعنوان الباب (الآخر في سرديات الهويات) وإجابة هذا التساؤل ترد في الصفحات الأخيرة من الفصل ذاته حين أشار الباحث إلى أن علاقة الشرق بالغرب قد "أخذت جانباً مهماً من الرواية، من خلال علاقة السارد/ البطل (سامر) بعشيقته (كلوديا)، وهي علاقة مثيرة، ما زالت تستند الى تراكم هائل من العداء بين الحروب والجسد [...] فقد بدأ الغرب أولاً حالماً بالاستحواذ على جسد واقتصاديات الشرق، كما أصبح معيناً للاثار والأجواء الساحرة"<sup>(١)</sup>. فالحروب بين البلدين كانت العامل وراء تلك النظرة السلبية، كما عمقت الفجوة بينهما.

إذا كان الباحث في الفصل الثاني لم يحدّد نوع الهوية التي هو بصدد دراستها، فإنّه في الفصل الثالث قد أشار في السطر الثاني من الصفحة الأولى إلى تركيز الفصل على الهوية اليهودية؛ بوصفها العنصر الفاعل في سرد أحداث الرواية، ولكن المتنبّع لمجمل صفحات الفصل التي لم تتعدّ إحدى عشرة صفحة لا يجد نصّاً مقتبساً، ولا تحليلاً منهجياً يتناول موضوعة الهوية اليهودية، سوى نصّ واحد<sup>(٢)</sup> استشهد به ليس بوصفه مؤكّداً للهوية اليهودية، بل لتأكيد الجانب العفويّ في سرد الرواية.

جاءت دراسة الباحث لرواية (قارئ الطين) لحسن فالح في هذا الفصل منشغلة برصد دور الشخصيات، والمكان، وطريقة السرد. أمّا تعرّضه لموضوعة الهوية اليهودية فقد كان تناولاً خجولاً. هذا فضلاً عن ابتعاد موضوعة الفصل بمجمله عن الآخر وتحديدًا الآخر الغربيّ بحسب ما أشار إليه الباحث في مدخل الباب المتضمّن تلك الفصول.

وهذا الأمر عينه ينسحب على دراسته لرواية (الهروب خطوة أخرى) لتوفيق حنون المعموري في الفصل الرابع، فعلى الرغم من التناول الخجول للواقع السياسيّ في دراسة

(١) الرواية العراقية بعد الاحتلال الأمريكي (هشاشة المأوى وأزمة الهوية)، د. قيس كاظم الجنابي: ١٨٣.

(٢) م. ن: ١٨٩.

الباحث لتلك الرواية، إلا أنه لم يُغطِّ تغطية واضحة وصريحة، ولم يقف عنده الباحث ليستخلص مسببات الهروب، والواقع السياسي في تلك الحقبة.

وفي ختام دراستنا لكتاب الباحث، وجدناه قد خصَّ الباب الثالث لدراسة الآخر، ويبدو من تقسيماته للفصول أنه قد خصَّ كلَّ فصل بقسم من أقسام الآخر. فمثلاً درس في الفصل الأول (صوت الآخر في روايتي الحمى المسلحة وديسكولاند)، وقصد بالآخر هنا الآخر الأوروبي. أمّا في الفصل الثاني مع عدم تصريحه بنوع الهوية التي يريد الوقوف عندها في رواية (ترنيمه امرأة.. شفق البحر)، إلا أننا استنتجنا أنه يبحث عن الهوية السردية. بينما الفصل الثالث الذي ابتعد كثيراً عن دراسة الآخر بكلِّ أشكاله، فمع أنّ الرواية (قارئ الطين) تتعرّض إلى الهوية اليهودية وما أصابها من تشتت وضياح، إلا أنّ الباحث قد انشغل بقضايا شتت فكره وأبعدته عن موضوعه الرئيس. وهنا يمكننا القول بعدم وضوح الرؤية عند الباحث وهو يتناول الآخر بالدراسة والتحليل.

لم تبتعد دراسة الباحث الأكاديمي (فاضل عبود التميمي) عن رصد علاقات الاتصال بين العرب والغرب، إذ منح في كتابه (دراسات ثقافية في الرواية والرحلة والمقالة) فرصة تتبّع طبيعة الاتصال بينهما، وما يعيننا هنا هو ملاحقة جهده في ميدان الرواية فقط.

قسّم الباحث كتابه على ثلاثة أقسام، ففي القسم الأول (الرواية) اختار خمس روايات لتكون عينات دراسته، وكلّ رواية تتضمّن موضوعاً مستقلة عن الأخرى، تمّت دراستها انطلاقاً من رؤية ثقافية، تستجلي الجوانب الثقافية في كلّ رواية.

تضمّنت الرواية الرابعة فقط مناقشة العلاقة الحاكمة بين الشرق والغرب عن طريق الاستشراق، ف جاء عنوان الدراسة (ملاحم الاستشراق والحوار الحضاري في رواية: (ترنيمه امرأة.. شفق البحر) للروائي سعد محمد رحيم؛ وذلك لأنها تضمّنت "ثيمتين مهمتين من ثيمات الوعي الإنساني السابح في فضاء العلاقة الرابطة بين الشرق، والغرب أعني (الاستشراق) الذي بدت ملامحه واضحة القسّمات في تفوّحات بطله الرواية الإيطالية

(كلوديا)، وكذلك في (الحوار الحضاري) الذي جاء ليكمل ما بدأه عصر الاستشراق القديم من انفتاح على (الآخر) بهدف إيجاد انسجام حضاري، ونفسي بين الشعوب<sup>(١)</sup>. إذن، طرفا الحوار هما (كلوديا) الإيطالية، و(سامر) العراقي، وكلّ منهما ينتمي إلى ثقافة تختلف عن الأخرى، ومع هذا فُتِن (سامر) بجمال (كلوديا)، وشعر معها بالأمان، ولها فضلٌ عليه بإنضاج وعيه؛ لذلك قرّر الارتباط بها، ولكنّ العلاقة تنتهي بالانفصال؛ لاختلاف الوعي الثقافي، وتقاطع وجهات النظر، وصعوبة تقبل الآخر.

يبدو أنّ الوعي الثقافي لدى الروائيّ قاده إلى تقديم صورة (كلوديا) بتلك الهيئة، وهي صورة تتماهى مع ما تبنته طروحات الإمبريالية التي أُعيد عرضها من منظور الشرق "بعد أن نجح الاستشراق في توجيه خطابه إلى مجموعة غير قليلة من المثقفين العرب، والشرقيين عن أن أوربا المنفذة التي لها القدرة على صياغة الإنسان الشرقي صياغة جديدة تجعله أكثر نضجا، وحضارة، فهي أوربا الواقعية التي تخطت عصر الرومانسية، والعواطف المبتذلة، والتشبث بالماضي لتنتقل نحو حاضرها المنفتح على العلم، والمعرفة"<sup>(٢)</sup>.

هذا فضلا عن الحوارات التي دارت بين شخصيات الرواية، التي كشفت عن العلاقة المتوترة بين الشرق والغرب، وعلاقة التابع بالمتبوع<sup>(٣)</sup> وهي حوارات تسير في اتجاهين: إمّا أنّ الرواية سعت إلى تعرية منظومة الفكر الاستشراقيّ عبر بثّ الأفكار على ألسنة الشخصيات الروائية، وإمّا أنّها تبنت تلك الأفكار وروجت لها. وفي هذا السياق يقول الباحث: إنّ الحوارات لم تكن من إنتاج الشخصيات "إنّما هي خطابات تمّ انتاجها، وأعيد تسويقها في المجتمعات التي ينتمي إليها المتحاورون، وإنّ المحاور لا سلطة له على خطابه؛ لأنه في حقيقة الأمر يمارس نقل الحجج ليشيع تداولها، وليست له القدرة على

(١) دراسات ثقافية في الرواية والرحلة والمقالة، د. فاضل عبود التميمي: ٨٧.

(٢) م. ن: ٨٩.

(٣) يُنظر: م. ن: ٩٦ - ١٠٢.

إنتاجها بما يخالف المرجعيّات التي ينتمي إليها"<sup>(١)</sup>. فقول الباحث هذا يسير مع الاتجاه الثاني الذي روج لثقافة الغرب ومساعيه، وهذه الثقافة ترى أنّ الوعي الثقافيّ لدى العربيّ لا يؤهله إلى إدارة ذاته بذاته، وإنّما به حاجة إلى من يأخذ بيده ليواكب التطوّر والتحضّر الذي وصل إليه الغرب.

وفي ضوء المعطيات السابقة توصّلنا إلى نتيجة تجلّت بأن الوعي النقديّ لدى النّاقّد لم يكن على درجة عالية من المعرفة وهو يتناول الإبداع الروائيّ المنشغل برصد العلاقة بين العربيّ والغربيّ. فمجمال الخطابات الروائيّة التي وقف عندها النّقّد كانت داعمة للخطابات الثقافيّة الكولونياليّة، ومن بين الأفكار التي عملت على ترسيخها في الثقافة العربيّة فكرة مسخ صورة الشرق وتبني فكرة التبعية للغرب باستثناء بعض الدّراسات التي يمكن إجمالها بالآتي: نحن والآخر في الرواية العربيّة المعاصرة، والمضمرات الإشهارية في الرواية العراقيّة.

(١) دراسات ثقافية في الرواية والرحلة والمقالة، د. فاضل عبود التميمي: ١٠٤.

## الفصل الرابع: سُؤال السلطة السياسيّة

السلطة مفهومٌ جوهريٌّ في الخطاب الثقافيّ، دارت حول ترسيم حدوده المفاهيميّة وتمثّلاته نقاشات وروى متعدّدة تختلف باختلاف منظومتها المعرفيّة والاجتماعيّة والسياسيّة، بعضها فلسفيّ، والآخر سياسيّ، والثالث نقديّ ثقافيّ.

عرّف (جان مينو) السلطة بقوله: "هي ممارسة نشاط ما على سلوك النّاس، أي القدرة على التأثير في ذلك السلوك وتوجيهه نحو الأهداف والغايات التي يحدّدها من له القدرة على فرض ارادته"<sup>(١)</sup>، ويرى (موريس دوفرليه)\* أنّ للسلطة معنيان: أوّلها معنويّ، والآخر ماديّ. فالسلطة بمعناها المعنويّ تعني القوّة والقدرة على السيطرة التي تمارس من الحاكم أو مجموعة من الحكّام على المحكومين والتي تتمثّل في إصدار القواعد القانونيّة الملزمة للأفراد في إمكانيّة فرض هذه القواعد على الأفراد باستعمال القوّة الماديّة، أما السلطة بمعناها الماديّ، فتعني الأجهزة التي تقوم بممارسة السلطة بمعناها المعنويّ والتي يطلق عليها اصطلاحاً الأجهزة التنفيذيّة<sup>(٢)</sup>.

وينبغي أن نميّز بين مفهوم (السلطة) و (التسلّط)؛ لأنّ السلطة في المفهوم الفلسفيّ والأخلاقيّ ضرورة اجتماعيّة لتنظيم أمور المجتمع، وضرورة أخلاقيّة لتحقيق العدالة بين الأفراد، ومشروعها يحتاج إلى القوّة التنفيذيّة، فيما يعطي مفهوم التسلّط معاني الظلم والقهر والإرهاب والإكراه والتردّد والعنف<sup>(٣)</sup>، وهذا القول يقود إلى التمييز بين شرعيّة السلطة التي هي حق اجتماعيّ سياسيّ يشكّله التنظيم الاجتماعيّ، وكون السلطة واقعيّاً سياسياً هدفه التسلّط بلا شرعيّة<sup>(٤)</sup>. وتهدف السلطة الشرعيّة إلى إشاعة التوازن وتنظيم علاقات العناصر

(١) مدخل إلى علم السياسة، جان مينو، تر: جورج يونس، منشورات عويدات- بيروت، ط ١٩٨٢، م: ٢٠٨٨. نقلًا عن ميشال فوكو المعرفة والسلطة، تر: عبد العزيز العيادي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٤ م: ٤٤.

\* عالم سياسة فرنسي (١٩١٧- ٢٠١٤) ومحامٍ وأستاذ قانون، متخصص في القانون الدستوري.

(٢) يُنظر: السلطة السياسية في نظرية الدولة، د. ماهر عبد الهادي، دار النهضة العربية، ط ٢، ١٩٨٤ م: ٣٩.

(٣) يُنظر: بانوراما نفسية، د قاسم حسين صالح، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ط ١، ٢٠٠٥ م: ١٠٥ -

١٠٨، ويُنظر: الطاغية، إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الوطني للثقافة- الكويت، ط ١، ١٩٩٤ م: ١٦.

(٤) يُنظر: سيكولوجية السلطة بحث في الخصائص النفسية المشتركة للسلطة، سالم القمودي، مكتبة مدبولي -

القاهرة، ط ١، ١٩٩٩ م: ٦٥.



المكوّنة للجماعة في إطار الفلسفة السائدة<sup>(١)</sup>، ومعيّار تحديد صلاحية السلطة أو فسادها، وشرعيّتها أو لا شرعيّتها يكمن في الكيفيّة التي تمارس بها، والطرائق التي تتّبعها، والوسائل التي تعتمدّها في إدارة عمليّة الحكم<sup>(٢)</sup>، واستنادًا على رأي (جون كينيث جالبريث) \* القائل بوجود ثلاث كميّات أساسيّة تستند عليها السلطة في تنفيذ قوانينها وقراراتها وأوامرها، وكلّ كميّة تؤدّي نتائج وغايات تختلف عن الأخرى، وهذه الكميّات أجمّلها بالآتي: ١- الكميّة القسريّة التي تقوم على العنف والقوّة والتهديد بالسجن أو التعذيب أو التصفية الجسديّة، ولهذا تُعدّ القوّة أدواتها الأساسيّة. ٢- الكميّة التعويضيّة التي تقوم على تقديم المكافآت الماديّة وغايتها من ذلك إخضاع الفرد، وكسب ولاءه وإخلاصه مقابل ما يتمتّع به من هدايا وعطايا وإغراءات ماديّة تمكّن السلطة من تحقيق خضوع الفرد وإذعانه لممارساتها، وحفظ أسرارها، وغض البصر عن خطاياها ٣- الكميّة التلاؤميّة التي تقوم على آليات الحوار الموضوعي، والإقناع المنطقي؛ لكسب ود الفرد واستجابته لسياسات السلطة بمحض إرادته من دون إكراه أو اغتصاب<sup>(٣)</sup> فإنّنا سوف نتابع تلك الكميّات ومعرفة أيّهما الأكثر تداولًا وانتشارًا في الواقع السياسيّ العراقيّ بعد عام ٢٠٠٣م.

يمكننا القول: إنّ السلطة بمعناها العام تمارس دورًا مزدوجًا في تشكيل الخطاب الروائيّ والنقديّ على السواء، فمن جانب الخطاب الروائيّ نجدُ تأثيرها واضحًا على المبدع بوصفه عنصرًا في المجتمع، فسواء أكان متماهيًا مع السلطة أم متمردًا عليها فإنّها تتغلغل في عمقه، ونمط تفكيره، وتشكيل فلسفته، ومن جانبٍ آخر فإنّها تفرض هيمنتها على وعي المتلقّي، وتشكيل فكره بوصفه عنصرًا في المجتمع أيضًا.

أمّا دور السلطة في تشكيل الخطاب النقديّ فإنّه تأثيرٌ مزدوجٌ أيضًا على الناقد والمتلقّي للخطاب النقديّ بوصفهما خاضعين لهيمنتها في حالتها التماهي أو التمرد؛ ولهذا

(١) يُنظر: علم الاجتماع السياسيّ أسسه وأبعاده، صادق الأسود، مطابع وزارة التعليم العراقيّة- بغداد، ١٩٩٠م: ١٦٣.

(٢) يُنظر: ميشال فوكو المعرفة والسلطة، تر: عبد العزيز العيادي: ٦٢.

\* سياسيّ أمريكيّ (١٩٠٨-٢٠٠٦) وهو اقتصادي أمريكي كندي ومسؤول عام ودبلوماسي، وعضوًا في هيئة التدريس بجامعة هارفارد لمدة طويلة.

(٣) يُنظر: سيكولوجية السلطة، سالم القمودي: ٣٩-٤٣.

فإنّ سؤال السلطة سيكون عن كيفية ظهورها وليس عن ماهيتها؛ لأنّ السلطة ظاهرة غير خبيثة، وترتبطها بالذات الإنسانية علاقات سلطوية<sup>(١)</sup>.

وعلى الرغم من وجود أشكال متعدّدة للسلطة في الخطاب النقديّ الثقافيّ، التي تختلف وسائلها باختلاف ممارسيها، فإنّ دراستنا هنا سنقصرها على تتبّع أثر السلطة السياسيّة من دون أشكال السلطة الأخرى؛ وذلك لأنّنا تطرّقنا إلى أثر السلطة الاجتماعيّة في المبحث الذي خصصناه لسؤال النسويّة، وناقشنا فيه مسوّغات قوّة السلطة الاجتماعيّة في بعض المواقف، وانحسارها في مواقف أخرى. أمّا السلطة الدينيّة فوقفنا عندها في مبحث سؤال الهويّة، وعرضنا فيه الدور الكبير الذي تمارسه سلطة الدين على حياة الأفراد واستقرارهم عندما تقف مع الحراك السياسيّ أو ضده.

### السلطة السياسيّة

المراد بالسلطة السياسيّة تلك التي تدير المجتمع المدنيّ بأكمله، وتدبّر تنظيم العلاقات بين الجماعات بشكلٍ يكفل لها بقاءها مندمجة بالمجموع، ويوفّر لها الإرادة اللازمة لمواجهة التحوّلات الخارجيّة والداخلية<sup>(٢)</sup>، إذ تعبّر عن وجود فئة حاكمة في المجتمع تتولّى ممارسة السلطة، وبطبيعة الأمر وجود فئة محكومة تلتزم بالولاء والطاعة، وتعدّ أحد الأركان الأساسيّة للدولة إذ تتولّى حكم الشعب وترعى شؤونه وإدارته وحمايته عبر تنظيم استثمار ثرواته لحفظ الأمن والنظام<sup>(٣)</sup>.

تختلف السلطة السياسيّة وطبيعتها من مجتمع لآخر من حيث العناصر الماديّة أو المعنويّة المكوّنة لها، لذا صار من الضروريّ العناية بظاهرة السلطة السياسيّة وفهمها والتعرّف على طبيعة تنظيمها داخل النظام السياسيّ ومحاولة فهم مكوّناته التي تميّزها عن

(١) يُنظر: نقد العقل الغربي "الحداثة ما بعد الحداثة"، مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي - بيروت، د. ط، ١٩٩٠م: ٩١.

(٢) يُنظر: السلطة السياسيّة: جان وليام لابييار، تر: إلياس حنا إلياس، منشورات عويدات، بيروت - لبنان، ١٩٧٧م: ٥٠.

(٣) يُنظر: مبادئ القانون الدستوري والنظام الدستوري في العراق، د. محمد طه حسين الحسيني، مكتبة دار السلام القانونية الجامعة، العراق - النجف، ٢٠١٦م: ٢٧ - ٢٨.

بأبقي الظواهر السياسية، حتى يستطيع كل من يريد النظر إليها التفريق بسهولة بينها وبين المفاهيم الأخرى.

ثمة دراسات ثقافية في الخطاب الروائي العراقي جعلت نصب عنايتها تفكيك المرجعيات الثقافية المنتجة للنص الإبداعي، بغية الوقوف على شيوع السلطة السياسية، وأشكال تجلياتها، وأثرها في الواقع العراقي في النصوص الإبداعية، ومن بين تلك الدراسات كتاب (الخطاب الروائي النسوي العراقي) للباحث محمد رضا الأوسي. قدم الباحث فرشة نظرية انشغلت بالحديث عن مفهوم النسوية، وتمييزه عن المفاهيم الأخرى كالنسوي والنسائي باستعراض آراء النقاد والباحثين في هذا السياق، ثم استقر على تبني مفهوم النسوي في دراسته للدلالة على الأدب الصادر من ذات أنثوية. أما مسوغ تحديد عينات الدراسة التي تراوحت بين عام ١٩٧٣ وهو تاريخ صدور أول رواية انسجمت مع محدّدات العنوان، وانتهاءً بـ ٢٠٠٧ تاريخ تسجيل الموضوع، وذلك لمقاربة موضوعها عبر التساؤل عما إذا كان الخطاب الروائي النسوي العراقي قد استثمر هذه الموجهات الثقافية واستند إليها في تقويض الصور التي أنتجتها الثقافة الذكورية للمرأة؟ وعما إذا نجح في إعادة تشكيل الذات والعالم على نحو مغاير للتشكيل النمطي الذي درج المخيال الذكوري على إنتاجه لهما<sup>(١)</sup>، هذا فضلاً عن سعيه للكشف عن "الاستراتيجية التي تبناها في التحرر من تبعيته لتلك الثقافة"<sup>(٢)</sup>. أما سبب انتكائه على النقد الثقافي للكشف عن الأنساق الثقافية المتغلّظة في عمق الخطاب النسوي العراقي بوصفه "شأطا فكريا ينقد الثقافة ويحلل النشاط المؤسسي بالاعتماد على مناهج مستقاة من اتجاهات ما بعد الحداثة ولا سيما التفكيك والتأويل"<sup>(٣)</sup>.

وبالعودة إلى خطة الباحث نجده قدّم كتابه على ثلاثة فصول، تناول في الفصل الأول تمثيل الهوية، وفي الفصل الثاني تمثيل الجسد، وفي الفصل الثالث تمثيل السلطة. في الفصل الأخير -كما في فصليه السابقين- بدأه بمدخل بيّن فيه مفهوم السلطة

(١) الخطاب الروائي النسوي العراقي، محمد رضا الأوسي: ١٥.

(٢) م. ن: الصفحة نفسها.

(٣) م. ن: الصفحة نفسها.

واختلافها عن مفهوم التسلط، لينتقل بعد ذلك للحديث عن السلطتين الاجتماعيّة والسياسيّة كما صورتها النصوص الروائيّة المنتخبة في دراسته.

في سياق رصد السلطة السياسيّة وقف الباحث على أربع روايات، هي (ما بعد الحب) و(في الطريق إليهم) لهدية حسين، و(حبل السرة) لسميرة المانع، و(عندما تستيقظ الرائحة) لدنى غالي. وهذه الروايات اشتركن جميعها في رصد وسائل السلطة الموصوفة بالتعسفيّة، وهي حقبة حكم صدام.

فرواية (ما بعد الحب) كشفت عن سياسات النظام الحاكم، وجرائمه البشعة، وأساليبه في تحجيم معارضيه، وطريقته في إدارة شؤون البلد والمجتمع، إذ يرى الباحث الأوسّي أنّه كرّس "سياسة (فرق تسد) الأمر الذي حملته على تصفية كل من يخرق هذه التابوات، بأساليبه الأكثر قمعا ووحشية؛ لأن جلاديه لم يكتفوا بمصادرة حياة السجناء السياسيين فحسب، وإنما عمدوا تشويه ملامحهم وتقطيعهم، وألزموا حراس السجن بإهانة ذويهم المنظرين في الباب [بوصفهم] ذوي "خونة"<sup>(١)</sup>. هذا فضلا عن سياسة تكميم الأفواه، وإعدام كلّ من يقف بوجه السلطة، وغيرها من الأساليب المعلن عنها صراحة في النصّ الروائيّ، فجاءت دراسة الباحث لها مقتصرة على رصدها وشرحها من دون تحليلها أو تأويلها، وسبر أغوارها للوقوف على المسكوت عنه وهو ما يفرضه عليه النقد الثقافيّ الذي ألزم نفسه به في مقدّمته النظرية. من جانب آخر لم تكن هذه الرواية الصادرة في عام ٢٠٠٣م هي أول رواية تناولت موضوع السلطة السياسيّة، فهناك روايات كثيرة تناولت الموضوع تسبق روايته المنتقاة وتدخل ضمن حقبة دراسته، ومنها رواية (المخاض) لغائب طعمة فرمان الصادرة عام ١٩٧٤م التي تناولت الواقع العراقيّ السياسيّ بعد عام ١٩٥٨م ورواية الرجع البعيد لفؤاد التكرلي الصادرة عام ١٩٨٠م التي رصدت مرحلة مهمّة من تاريخ العراق السياسيّ والاجتماعيّ الذي تميّز بشيوع ثقافة العنف، وكذلك رواية (الحرب في حي الطرب لنجم والي عام ١٩٩٣م، وامرأة القارورة لسليمان مطر ١٩٩١م، وغيرها من الروايات. أمّا بشأن النصوص الروائيّة الصادرة من ذات أنثويّة فنجد

(١) الخطاب الروائيّ النسويّ العراقيّ، محمد رضا الأوسّي: ٢٠١.

رواية (حبيل السرة) التي شغلت المرتبة الثانية من دراسته، التي صدرت في عام ١٩٩٠م، ورواية (كم بدت السماء قريبة) لبتول الخضيرى عام ١٩٩٩م، التي أدانت السلطة السياسية ذات الصبغة التعسفية القسرية، وبرزت أساليبها القمعية وأثرها في تخريب المنظومة الأخلاقية والثقافية للمجتمع العراقي، وفي هذا السياق يقول الباحث: "واستهلت برصد الأساليب القمعية للسلطة القسرية في إدارة عملية الحكم، وكيفية تعاطيها مع رعاياها في الداخل والخارج، وتحويلها الدائم على العنف "طقة طقة" في فرض إرادتها وبسط سيطرتها، ومواجهة خصومها ومعارضيه بمن في ذلك المقيمين في الخارج هرباً من بطشها وسطوتها"<sup>(١)</sup>.

هذا الانتقاء العشوائى للروايات وجدناه قد انسحب على روايتي (عندما تستيقظ الرائحة الصادرة في عام ٢٠٠٦م، وفي الطريق إليهم عام ٢٠٠٤م)، إذ وظفت الأخيرة معظم الأساليب التي مارسها الحاكم فكانت دليلاً على "إدانة النظام الحاكم وفضح نموذج القمعي، عبر تشكيل فضاء سردي كانت معظم شخصياته من ضحايا سياساته في عقود متوالية"<sup>(٢)</sup>.

اقتصر جهد الباحث في كتابه آنف الذكر على رصد الأساليب التي اتبعتها صدام حسين طيلة مدة حكمه للعراق، ومثلتها المنجزات الروائية، فكانت مجموع الروايات التي وقف عندها أربع روايات نسائية، وثقت حقبة تاريخية مهمة من تاريخ العراق، فجاء جهد الباحث مقصوراً على تتبعها، من دون الكشف عن جوانب ظهورها، أو العمل على إبراز مسوغات انشغال الإبداع الروائي بها، ولا شك في أنّ عدم توظيف إجراءات النقد الثقافي يُعد خروجاً منهجياً وقع الباحث به.

والملاحظ على تلك الروايات أنّها انتقبت على وفق اشتراكها في قيمة واحدة، وهي رصد وسائل السلطة السياسية في حقبة نظام الحكم في العهد الصدامي.

(١) الخطاب الروائي النسوي العراقي، محمد رضا الأوسي: ٢٠٤.

(٢) م.ن: ٢٢٠.

لم تخلُ دراسة الباحث حبيب النورس من رصد هيمنة السلطة السياسيّة، وأثرها في تشكيل الواقع الاجتماعيّ، وذلك في كتابه (الرواية العراقية من منظور النّقد الثقافي). قسّم كتابه على ثلاثة فصول، عالج في الفصل الأوّل أنساقاً وجدها مهيمنة في الروايات العراقيّة الصادرة بعد عام ٢٠٠٧م، كما تناول موضوعة الهويّة وأسباب ظهور بعضها وانحسار بعضها الآخر، فكان هذا من نصيب الفصل الثّاني، بينما كان نصيب الفصل الثّالث معالجة جملة من الأنساق التي بدأت بالظهور على الساحة الروائيّة.

وما يعنينا هنا في هذا المبحث، الفصل الثّالث من دراسة الباحث؛ لأنّه عالج أثر السلطة السياسيّة، وممارساتها الإجراميّة عن طريق تصوير الجسد المنتهك من لدن السلطة. وما قاده إلى عدّ هذا النسق -الجسد المنتهك- نسقاً في طور التشكيل، ولم يكن واضحاً في روايات ما قبل عام ٢٠٠٣م وجود "الرقابة التي، كانت لا تسمح بتمرير مثل هذا النوع من الكشف المباشر، ولاسيما إذا كان هذا الكشف يفضح انتهاك الجسد، الذي مورس من أجهزة الأمن الحكومية إبان حكم الدكتاتورية السابقة"<sup>(١)</sup> هذا يعني أن الواقع السياسيّ في تلك الحقبة فرض هيمنته على مفاصل الحياة جميعها، فكان كلّ شيء يخضع لرقابة أجهزة الأمن مما انسحب على الإبداع الأدبيّ. إذ لم يكن يُسمح بنشر أي منجز إبداعيّ يتضمّن تلميحاً أو تصريحاً بطبيعة الواقع السياسيّ، وأزمة المجتمع الناتجة من سوء إدارة السلطة السياسيّة.

اختار الباحث اثنتي عشرة رواية لتكون عيّنات دراسته، هي (مقامة الكيوسين) لطفه حامد الشبيب، و(شروكية) لشوقي كريم، و(خضرد والعصر الزيتوني) لنصيف فلك، و(بوهيميا الخراب) لصالح صلاح، و(الحفيدة الأمريكيّة) لإنعام كجه جي، و(الظلال الطويلة) لأمجد توفيق، و(النهار الذي يلي البارحة) لحسن حافظ، و(عين الدود) لنصيف فلك، و(نصف جسد) لأزهار رحيم، و(هيت لك إقليمياً) لوداد الجوراني، و(الذباية على الوردية) لخضير ميري، و(مكنسة الجنة) لمرتضى كزار.

(١) الرواية العراقية من منظور النّقد الثقافي، حبيب النورس: ١٣٧.

ما يُلاحظ على دراسة الباحث أنّه اكتفى باقتباس النصوص الروائيّة التي تُدين السياسة الحاكمة في تلك الحقبة، من دون تحليلها تحليلًا منهجيًا، والوقوف على مسوّغات تجسيدها في المنجز الروائيّ. بمعنى أنّ جهد الباحث قد انصبّ على الوصف فقط من دون التحليل، وبإمكان القارئ العودة إلى الصفحات الآتية ليتأكد من دقّة ملاحظتنا<sup>(١)</sup>.

هناك من الباحثين من درس العلاقة بين المثقّف والسلطة السياسيّة، ومنهم الباحث محمد فاضل المشلب في كتابه الموسوم بـ (الإنّتلجينسيا العراقيّة في عالم علي بدر الروائي). في الفصل الأوّل من كتابه المعنون بـ (الإنّتلجينسيا والآخر) درس الباحث ثلاث علاقات للمثقّف، هي: المثقّف وعلاقته بالسلطة الدينيّة، والمثقّف وعلاقته بالسلطة السياسيّة، والمثقّف وعلاقته بالمرأة.

وما يعيننا هنا علاقة المثقّف بالسلطة السياسيّة؛ لأنّ علاقة المثقّف بالسلطة الدينيّة قد وقفنا عندها في المبحث الثاني من دراستنا عند الحديث عن سؤال الهويّة، وكذا الحال مع المثقّف وعلاقته بالمرأة الذي درسناه في المبحث الأوّل تحت عنوان سؤال النسويّة.

وفي سياق رصد جوانب السلطة السياسيّة على المثقّف، وقف الباحث عند روايتين من روايات علي بدر هما: (الجريمة، الفن، وقاموس بغداد)، و(أساتذة الوهم)، ويرى الباحث أنّ أسلوب القمع "مُورس ضدّ المثقّف [بوصفه] مركز وعي مناهض، وغير مهادن لِمَا هو كاتم لهامش حرّيته ومُعادي لحقوق أقرانه، والإبداع وأجناسه المتعددة، ودوره في كشف ثغرات السلطة"<sup>(٢)</sup>.

فالرواية تحكي قصة طائفة تدعى بالخواجة، اخذت على عاتقها تأليف قاموس يضمن للمجتمع حياة يسودها السلام والتصالح وخالية من القمع والأحقاد، ولكنّ تلك الطائفة تُحارب من السلطة السياسيّة؛ لأنّ أعضاءها جميعهم من المثقّفين، والمتبحرين بعلوم القرآن والفلك والرياضيات والرسم والموسيقى، وهم أشدّ الفئات خطورة على السلطة الحاكمة؛ بوصفهم حاملين سلاح العقل والتنوير. وفي هذا السياق يقول الباحث: "وعلى

(١) يُنظر: الرواية العراقية من منظور النّقد الثقافي، حبيب النورس: من ١٣٧ إلى ١٤٧.

(٢) الإنّتلجينسيا العراقية في عالم علي بدر الروائي، محمد فاضل المشلب: ٥٨.

الرغم من أنّ قاموس بغداد بشكله العام لا يقترب من السلطة والدين بشكل كبير وخطير، إلا أنّ خطر الطائفة ظلّ قائماً على نسق سلطة المجتمع بتقليديته وانغلاقه، وخطراً على أرياب السياسة والتجارة، فهي جماعة تأبى الانصياع والخضوع لسيف السلطة<sup>(١)</sup>.

أمّا رواية (أساتذة الوهم) فإنّ الباحث وجدها قد انشغلت بالحديث عن جماعتين أدبيّتين: الأولى عُرفت باسم (جماعة الساعة الخامسة)، وتتألف من خمسة شعراء، والثانية عُرفت باسم (جماعة بهيّة)، تجلّت أعمالها بتأليف القصائد وكتابة الروايات وتوقيعها باسم بهيّة<sup>(٢)</sup>. وفي سياق الحديث عن الجماعة الثانية يرى الباحث أنّ "محتوى الجماعة الفكري وأساليبهم الغريبة في الكتابة وتوقيع المنشور باسم الجماعة لا الفرد يدلّ على رفض متتالٍ للسلطة الدكتاتورية ومعارضتهم إيّاها من خلال منظور الفن لا السياسة"<sup>(٣)</sup>.

كذلك أشار الباحث إلى أنّ السلطة في تعاملها مع المثقّف قد ذهبت "مذهب القسوة والعنف والكتب، وحسب تدرجها التاريخي الذي لا تختلف فيه الممارسات القمعية سوى في الأساليب والتقنيات، فمن السلطة في العصر العباسي وقمعتها للعلماء بغداد ومثقفها (الطائفة الخواجية)، إلى السلطة العثمانية وتوظيفها الدين بوصفه قناعاً مقدساً لتمير قراراتها الصغرى والكبرى وتعزيزاً لبقائها، إلى السلطة في تاريخ العراق المعاصر وانهايار نسق المثقّف الفاعل أو صاحب المشروع الثقافي"<sup>(٤)</sup>.

وبناءً على تلك المعطيات يمكننا القول: بوضوح الرؤية عند الباحث وهو يدرس العلاقة بين المثقّف والسلطة السياسيّة، هذا فضلاً عن وقوفه الحسن عند النصوص الروائيّة الداعمة لموضوعه، وتحليلها تحليلاً يستند على منهجيّة سليمة.

(١) الإنجليزيسيا العراقية في عالم علي بدر الروائي، محمد فاضل المشلب: ٥٩.

(٢) م.ن: ٦١ - ٦٢.

(٣) م.ن: ٦٣.

(٤) م.ن: ٧٠.



ويدخل في هذا السياق دراسة الباحث فارس نايف الفايز الموسومة بـ (تمثّلات الموت في الرواية العراقية)، ووجد أنّ السلطة بممارساتها وأساليبها أدّت إلى تفتّشي ظاهرة الموت المجاني.

في الفصل الأوّل من كتابه درس ظاهرة انتشار الموت قتلاً إمّا على أيدي السلطات السياسيّة بوسائلها الإجماعيّة والتغييب في السجون، وإمّا بإشغال الناس بالحروب وزجّهم في ساحاتها ليُلاقوا الموت وجهاً لوجه، أو بتتبع سياسة أشدّ خطورة وأكثر فتكاً بالناس ألا وهي شيوع الإرهاب؛ ليبقى العراق في دائرة الموت والخراب والرعب. كلّ هذه الأساليب رصدها الباحث في مجموعة من الروايات العراقيّة التي صدرت بين عامي (٢٠٠٣ - ٢٠١٣م).

في سياق رصد وسائل السلطة السياسيّة، وكيفيّة إدارتها للبلد عبر النصوص الروائيّة وقف الباحث على أربع روايات هي: (الطعنة) لمحمود سعيد، و(تل الرؤوس) لسالم حميد، و(دروب الفقدان) لعبد الله صخي، و(بوهيميا الخراب) لصالح صلاح، كشفت جميعها ممارسات حصلت في حقبة حكم صدام، ووسائله الإجماعيّة ضد المعارضين لحكمه وجبروته.

يرى الباحث أنّ الرواية كشفت النقاب عن ممارسات السلطة ضد المثقّفين، واتباع شتّى الطرائق لتحجيم حريّتهم، وإخماد صوتهم، وإرعابهم خوفاً من محاولاتهم لرفض الواقع السياسيّ، فلم يكن أمام السلطة غير تغييبهم في السجون، واغتصابهم، أو قتلهم، وهذا ما جرى لأحد شخصيّات رواية (الطعنة) وهو أستاذ جامعي تمّ اختطافه من دون معرفة مصيره، وفي هذا الصدد يقول الباحث: "لقد كانت الضحية من النخبة الأكاديمية المثقفة المستقلة هذه النخبة هي التي شكّلت مجتمع الرواية، وهم فئة عاشت بطش السلطة وقهرها وملاحقاتها والتجسس عليها، وانتهاك خصوصيّتها، لا لشيء سوى أنهم مستقلون، أو لديهم بعض الرؤى المتقاطعة مع السلطة"<sup>(١)</sup>.

أمّا رواية (تل الرؤوس) فإنّها كشفت عن وسيلة أخرى من وسائل السلطة لقمع المعارضين لها، فيرى الباحث أنّ السلطة في تلك الرواية أسفرت "عن وجهها البشع،

(١) تمثّلات الموت في العراقية: فارس نايف الفايز: ١٨.

فتجعل الموت مشاعاً، وفرجة تجمع الناس للتجمهر حولها، بمنظر من تشيؤ الذات الإنسانية وصيرورتها هدفاً لمخالب الموت، كذبيحة بين يدي الجزار [...] وهكذا لا بد أن يفهم الناس درس السلطة فيما معنا، وإما لا مكان لكم فوق الأرض التي نحكمها"<sup>(١)</sup>.

مشاهد الموت لم تقف عند حدود السلطة السياسيّة، بل تعدتها إلى الحروب التي فرضها الحاكم الدكتاتوري، فكانت كالرحى تطحن أشلاء الناس من دون كلل ولا توقّف. وقف الباحث عند أربع روايات قدّمت وثائق تدين الحروب، وتجسّد آثارها، وحجم الخراب الذي لحق بأبناء الشعب العراقي، وهذه الروايات هي (المحرقة) لقاسم محمد عباس، و(أرصفة الجحيم) لصالح مطروح السعيد، و(المنطقة الخضراء) لشاكر نوري، و(خضرقذ والعصر الزيتوني) لنصيف فلك<sup>(٢)</sup>.

أمّا مشاهد الإرهاب فإنّ الباحث وجد في الرواية العراقيّة حرصاً على "ملاحقة هذه الظاهرة حين تفتت في وسطنا، فتابعها بالوصف، والتحليل، وتسجيل أدق تفاصيلها، وعرضت ما يعانیه مجتمعا المبتلى من ويلاتها، وسعت كذلك إلى تفسير أسبابها، ومعرفة الجهات التي تدير هذه الأعمال المتطرفة، ودعم العصابات المجرمة في ما تقترفه من قتل وتدمير وتفجير وتشويه"<sup>(٣)</sup>. فكانت عينات الباحث روايتين هما (قيامه بغداد) لعالية طالب، و(عجائب بغداد) لوارد بدر السالم.

جاءت رواية (قيامه بغداد) متضمّنة دلالات تكشف عن ظاهرة تهجير السنّة والشيعية على السواء، لا سيما بعد اشتداد حدّة الصراع الطائفيّ بعد عام ٢٠٠٣م، فيقول الباحث: "فبهذه الصراحة وبهذا التجاوز للمسكوت عنه، رفعت الرواية الغطاء عن الجراح الفاعرة، وأعلنت عن محنة العقل والروح والفكر والوطن، وضجت بمصائب الأبرياء

(١) تمثلات الموت في الرواية العراقيّة: فارس نايف الفايز: ٢١.

(٢) يُنظر: م.: من ص ٢٧ إلى ٣٢.

(٣) يُنظر: م. ن: ٣٥.

الضائعين، وسط مخططات الذين جعلوا من إراقة الدماء وسيلة للمناصب ولتحقيق الثراء<sup>(١)</sup>.

أمّا رواية (عجائب بغداد) فإنّ الباحث يرى أنّ نقطة شروع السرد بدأت "مع حادث تفجير ضريح الإمامين العسكريين في سامراء، وتحديدًا مع مقتل الصحفية أطوار بهجت في 22 / 2 / 2006 فيباشر السارد من هذه النقطة في تغطية الاحتراب الطائفي وتحت ظروف تعد من أكثر الأزمنة خطورة"<sup>(٢)</sup>.

وعلى وفق ما أوردناه آنفًا يمكننا القول: إنّ الباحث قد رصد واقع المجتمع العراقيّ في ظلّ الحكم الدكتاتوري، وما خلفه من مظاهر ساهمت جميعها في تشويه الحياة، وانعدامها، فضلًا عن تفشي الموت في كلّ مكان وزمان. فجاءت دراسته مهمّة في سياقها، وإجادته في تقديم صورة الحياة التي صوّرتها الروايات العراقية المتحرّرة من التبويّة والأيديولوجيا التي تمجّد ذلك النظام.

مظاهر العنف تلك، وانتشار الموت المجاني في كلّ مكان، وقف عندها الباحث الأكاديميّ باسم صالح في كتابه الموسوم بـ (رواية العنف دراسة سوسيونصيّة في الرواية العراقية ما بعد ٢٠٠٣)، فقد رصد فيه الواقع السياسيّ والاجتماعيّ في عراق ما بعد ٢٠٠٣م. اقتصرت دراسة الباحث على ثلاث روايات قدّمت صورة واضحة لمشاهد العنف، وانتشار الموت؛ نتيجة انفلات الأمن، وضعف سلطة الدولة، وانهايار منظومة القيم والمبادئ، فقد ربط الباحث بين سياق الواقع، والإبداع الروائيّ، فكان شيوع القتل واشتعال الحرب الأهليّة مُعطيات حتميّة تؤدّي لولادة نصوص إبداعية مثقلة بحمولات الواقع المرير، وصوره المرعبة.

قسّم الباحثُ دراسته على ثلاثة فصول، رصد في الفصل الأوّل وسائل السلطة وآلياتها في تشويه الجسد، فهو هنا يُسلطُ الضوء على السلطة القسريّة التي تميل إلى اتباع وسائل البطش والتتكيل وتخريب الحياة. أمّا في الفصل الثاني فقد انشغل بتصوير المكان

(١) تمثلات الموت في الرواية العراقية: فارس نايف الفايز: ٣٦.

(٢) م. ن: ٣٨.

والزمان الذي شهد بطش السلطة، وممارساتها القمعية؛ وذلك لأن لكل حقبة زمنية حاكمًا تختلف سياساته، وولاؤه لبلده وأبناء شعبه من حاكم آخر، ودرجة تأثير ذلك الحاكم على الأمكنة تختلف باختلاف نسبة خطورتها وتهديدها لمصالحه، وسياساته.

بينما الفصل الثالث ناقش فيه الباحث قضية تناص الروايات عينة الدراسة مع بعض المسرحيات والأفلام التي كانت نقطة الضوء لاقتباس فكرتها في تقديم نصّ إبداعيّ يجسدّ الواقع المرير الذي صيرته السياسات الخاطئة برجالاتها إلى عالم خيالي، كلّ شيء فيه يفوق الواقع، ويعجز العقل على استيعابه وتقبّله.

وبالعودة إلى عيّنات الدراسة التي هي (أموات بغداد) لجمال حسين علي، و(فرانكشتاين في بغداد) لأحمد سعداوي، و(مشرحة بغداد) لبرهان شاوي، فقد اشتركن في تقديم صورة لواقع مدينة بغداد تحديداً بعد عام ٢٠٠٣م؛ وذلك لوجود مساحة من الحرية لدى المبدع تولدت نتيجة حالة الفوضى التي أصابت البلد مما هيأت له فرصة تصوير الواقع بعنفه، ودماره، وانعدام الحياة فيه.

يرى الباحث أنّ الجسد العراقيّ الذي مثّله الروايات أصبح "عرضة للموت العنيف والتمثيل من طرف الآخر المعادي، أو عرضة للتمزيق من خلال التفجيرات والسيارات الملغمة. إذ تحولت بغداد عبر استمرار هذا النمط من الموت العنيف إلى مشرحة كبيرة تنتشر فيها جثث الضحايا في كل مكان"<sup>(١)</sup>. هذا هو واقع العراق ما بعد ٢٠٠٣م الذي تحوّل إلى ساحة تُعرض فيها جثث القتلى، إذ لا نجدُ بصيص أمل يعيد الثقة بعودة الحياة الطبيعية، واستنشاق هواء نقي بدل الهواء المنبعث من رائحة البارود والسيارات الملغمة.

وبالانتقال إلى الفصل الثاني من دراسة الباحث، الذي خصّصه لدراسة الفضاء السرديّ المنقل بمشاهد العنف، فإنّ الباحث قد اختار ثلاث روايات تُشير في عنوانها إشارة صريحة للمكان بغداد، وهي (أموات بغداد، وفرانكشتاين في بغداد، ومشرحة بغداد)، فكان على الباحث أن يقدّم مسوّغات دراسته لتلك الروايات تحديداً، وأن يخرج بنتائج تخدم غايته

(١) رواية العنف دراسة سوسيونصية في الرواية العراقية ما بعد ٢٠٠٣، د. باسم صالح، دار الشؤون الثقافية

العامة- بغداد، ط١، ٢٠١٧م: ٣٧.

من ذلك الانتقاء بدل الاكتفاء بإشارات متفرقة عند حديثه عن كل رواية، ومسوّج وجود لفظة بغداد في عنوانها، من ذلك ما قاله عن رواية فرانكشتاين في بغداد: "فهي لا تختلف عن سابقتها في اختيارها للعاصمة بغداد لتجسيد ثيمة العنف الذي حلّ في البلاد بعد التغيير، وفي حضور مكان (بغداد) في عنوان الرواية"<sup>(١)</sup>. مثل هذه الدلالات الغنيّة في سياقها يبدو أنّها قد غابت عن وعي الباحث؛ لأنّه لم يفرد لها فقرة لا في خاتمة الفصل، ولا في خاتمة الدّراسة بمجملها، ويمكن التأكّد من الأمثلة الدالّة على قولنا في صفحات دراسته<sup>(٢)</sup>.

لم يكن ما ذكرنا هو العيّنات الوحيدة، للدّراسات النّقديّة موضع البحث، فهناك دراستان أيضاً رصدتا تمثّلات السلطة، وأثرها على الفرد عامّة والمتقّف خاصّة في منجزات الروائيّ فؤاد التكرلي، كانت الدّراسة الأولى للباحث محمد عبد الحسين هويدي الموسومة بـ (تمثّلات السلطة ومرجعياتها الثقافيّة في روايات فؤاد التكرلي، والدّراسة الثانية قدمتها الباحثة الاء قحطان عبد الرحمن الموسومة بـ (صورة المثقّف في روايات فؤاد التكرلي).

وعند تتبّع دراسة الباحث -محمد هويدي- لرصد أشكال السلطة التي تجلّت في روايات التكرلي، نجده خصّص الفصل الثاني من كتابه لدراسة الآخر وعلاقته بالسلطة، فجاء عنوان فصله (الآخر والسلطة وتمثلها السردي)، ودرس فيه أصناف الآخر التي تراوحت بين (الآخر المجتمعيّ، والآخر العائليّ، والآخر الجنسيّ (الأنثويّ)، والآخر السياسيّ، والآخر الاقتصاديّ، والآخر الدينيّ)، وما يدخل في سياق دراستنا هو الآخر السياسيّ.

سعى الباحث إلى تسليط الضوء على الآخر السياسيّ، وأثره في شخصيّات عالم التكرلي الروائيّ وبناء أحداثه، ولكنّ الباحث لم يُوفّق في إدراج روايتي (بصقة في وجه الحياة)، و(الوجه الآخر) ضمن الروايات التي سعى عن طريقها إلى إيضاح أثر السلطة السياسيّة؛ وذلك لأنّ الروائيتين لم تنشغلا برصد الواقع السياسيّ، وهذا ما قاد الباحث إلى

(١) رواية العنف دراسة سوسيونصية في الرواية العراقية ما بعد ٢٠٠٣، د. باسم صالح: ٧٨.

(٢) يُنظر: م. ن: ٨٩، و١١٧-١١٩.

عدم التوفيق في تقديم نصوص روائية مقتبسة من الروايتين تؤكد صدق فرضياته، وهذا الإخفاق يمكن للقارئ أن يجده في بعض صفحات الدراسة<sup>(١)</sup>. هذا من جانب، ومن جانب آخر لم نجد مسوغاً وراء تقديم روايتي (بصقة في وجه الحياة، والوجه الآخر) على الروايات الأخرى التي سبقتها في الظهور\*، وهو تقديم سار عليه الباحث في مجمل فصول دراسته<sup>(٢)</sup>.

وهذا التقديم نفسه وجدناه في دراسة الباحثة الاء قحطان في كتابها (صورة المثقف في روايات فؤاد التكرلي)، التي قيّدت نفسها به من دون وجود مسوغ لذلك<sup>(٣)</sup>.

انشغلت الباحثة باستجلاء صور المثقف في إبداع التكرلي الروائي، فجاءت دراستها موزعة على بابين: خصت بالباب الأول دراسة (المهيمنات والاتجاهات الفكرية)، فقسمته على مباحث ثلاثة، جعلت المبحث الأول من نصيب الواقعية وأثرها في المثقف، والمبحث الثاني للوجودية وأثرها في المثقف، والمبحث الثالث للفرويدية وأثرها في المثقف. أمّا الباب الثاني فجعلته في مباحث ثلاثة أيضاً، قصرت المبحث الأول على المثقف وموقفه من التراث، والثاني للمثقف وموقفه من السلطة السياسية، والثالث للمثقف وموقفه من المرأة.

وبالرجوع إلى دراسة الباحثة لمعرفة موقف المثقف من السلطة السياسية، نراها قد أوقعت نفسها في إشكاليتين: الأولى تتجلى في إدراجها ثلاث روايات لا وجود فيها لأثر السلطة، وهذه الروايات هي: (بصقة في وجه الحياة، والوجه الآخر، وخاتم الرمل). والثانية أنها اتكأت على إدراج شخصيات روائية اعتقاداً منها بأنها شخصيات مثقفة، في حين أنّها

(١) يُنظر: تمثلات السلطة ومرجعياتها الثقافية في روايات فؤاد التكرلي، د. محمد عبد الحسين هويدي: ١٥٧-١٥٨.

\*يمكن ملاحظة ذلك بتتبع تواريخ طباعة كل رواية، الوجه الآخر ١٩٦٠، والرجع البعيد ١٩٨٠، وخاتم الرمل ١٩٩٥، والمسرات والأوجاع ١٩٩٨، وبصقة في وجه الحياة ٢٠٠٠.  
(٢) يُنظر على سبيل المثال الفصل الثاني بمباحثه جميعها التي تبدأ من ص ٤٩ إلى ٩٦، والفصل الثالث بمباحثه أيضاً من ص ١٠٨ إلى ٢٠٦، والفصل الرابع من ص ٢١٦ إلى ٣٠٣. تمثلات السلطة ومرجعياتها الثقافية في روايات فؤاد التكرلي، د. محمد عبد الحسين هويدي.

(٣) يُنظر: الفصل الأول من كتابها ص ٤٧ إلى ٦٢، والفصل الثاني ص ١٤٣ إلى ١٥٤.

لا علاقة لها بالمتقف ودوره في الحياة. على سبيل المثال نذكر شخصية (محي) من رواية (بصقة في وجه الحياة)<sup>(١)</sup>، هذه الشخصية ليست مثقفة لأن دورها في الرواية اقتصر على سرد معاناتها داخل الأسرة، فهو والد فتيات متحررات من سلطة العائلة، ولا دور للأب في تحجيم سلوكيات بناته<sup>(٢)</sup>. الأمر الآخر غياب أي أثر للسلطة السياسية على تلك الشخصية.

الأمر ذاته ينطبق على شخصية (عبيد الجاجي) في رواية (الوجه الآخر)، فالمساحة التي شغلتها تلك الشخصية من الرواية ودورها الهامشي لم يسعفاها لتكون شخصية مثقفة ذات رؤى وتطلعات تخدم واقع المجتمع الروائي، أو صاحبة رسالة تسعى إلى تحقيقها.

وثمة موضع ضعف آخر في الدراسة، وهو أن النصوص التي اقتبسها من الروايات كانت تفتقر إلى القدرة على تدعيم الدراسة لتصل إلى ما تهدف إليه، إذ إن النصوص المقتبسة في وادٍ والتحليل في وادٍ آخر، ويمكن للقارئ رصد هذا بالعودة إلى الصفحات الآتية<sup>(٣)</sup>.

وإجمالاً يمكننا القول: إن الباحثة قدّمت قراءة مبتسرة للنصوص، ولم تعالجها معالجة دقيقة تمكّنها من اكتشاف المثقف الحقيقي، ودوره في المجتمع، واختلافه عن الإنسان العادي، ومسوغات معاداة السلطة له، ومحاربه، وتلفيق التهم له لترجّحه في السجون وتحرمه من حريته، وإخماد صوته بوساطة النفي. وهذا الجهد المبتسر ضيّع على الباحثة فرصة تقديم قراءة ثقافية كاشفة لطبيعة العلاقة المتوتّرة بين المثقف والسلطة حين يُشكّل المثقف خطراً يُهدّد أمن السلطة، ويُعكّر صفوها عبر امتلاكه وعياً ثقافياً يمكنه أن يقود الجماهير ويحرّضها لرفض الظلم والاستبداد.

(١) يُنظر: صورة المثقف في روايات فؤاد التكرلي، الاء قحطان عبد الرحمن: ١٧٤.

(٢) يُنظر: بصقة في وجه الحياة، فؤاد التكرلي، منشورات الجمل، ٢٠٠٠م: ٥٧.

(٣) يُنظر: صورة المثقف في روايات فؤاد التكرلي، الاء قحطان عبد الرحمن: من ص ١٧٥ إلى ١٨٠.

للسلطة السياسيّة جوانب أخرى تتجاوز إشغال الناس بالحروب وزجّهم بها، وتغييب معارضيتها في السجون ليُلاقوا حتفهم، بل شملت تلك الجوانب تفشّي ظاهرة الدين المزيف وسلطته الخطيرة على الناس البسطاء محدودي الوعي المعرفي والثقافي، فضلاً عن شيوع سلطة الأيديولوجيا، وسلطة الهوية. هذه الجوانب رصدها الباحث غانم الزبيدي في كتابه (شوارع نيرودا)، وعدّها أشكالاً للسلطة السياسيّة أو الوجه الآخر لها، وفي هذا السياق يقول: إنّ "استبداد السلطة السياسيّة، بكل أشكالها، أصل كل فساد وفاعلاً في تمزيق الإنسان العراقي وتحطيمه وتغذية آلة العنف المتوغلة في أشكال السلطة التي أحرقت الحياة وجعلتها رماداً"<sup>(١)</sup>.

وفي معرض حديثه عن سلطة الدين المزيف، يُورد الباحث مسوّغات شيوعه بعد عام ٢٠٠٣م بقوله: "جاء النكوص عن الدين اليوم في الثقافة العربية: فكرياً وأدبياً؛ بسبب ردة الفعل من الثقافة الطائفية الدينية التي غلبت على المجتمع العربي من جهة، وبسبب الفهم الخاطئ للدين الذي أنتج العنف والإرهاب والإقصاء والتمزق والتخلف الذي تعيشه المجتمعات العربية من جهة أخرى"<sup>(٢)</sup> هذا الفهم الخاطئ للدين، والموقف منه تجلّت صورته في الروايات العراقيّة، ومن بين الروايات التي وقف عندها الباحث هي: (حدائق الرئيس) لمحسن الرملي، و(وحدها شجرة الرمان) و (يا مريم) لسنان أنطون، و(حلم وردى فاتح اللون) لميسلون هادي كاشفاً عن مرجعياتها الثقافية، وموقفها من الدين.

يرى الباحث أنّ رواية (حدائق الرئيس) قد قدّمت موقفاً واضحاً من الدين المزيف الذي ظهر نتيجة انهيار المنظومة السياسيّة، إذ "جسّدت الرواية ثقافة الدين المشوه المنتج للعنف في المجتمع، من خلال انتقاء شخصيات تمارس الخداع والمكر وباسم الدين"<sup>(٣)</sup> هنا تتضح رؤية الباحث، وموقفه من الدين المزيف الذي تفشّى في ظلّ انهيار

(١) شوارع نيرودا استراتيجيات الرواية العراقية بعد 2003 أشكال السلطة وصور المثقف، د. غانم حميد الزبيدي:

.١٥٢

(٢) م. ن: ١٥٦ - ١٥٧.

(٣) م. ن: ١٦٢.



القيم والثقافة، وتردّي الوضع السياسي والاجتماعي، وهي رؤية تماهت كلياً مع رؤية الروائي وموقفه.

وهذا الوضوح في الرؤيتين لكل من الباحث والروائي قد خفت في رصده لسلطة الدين في الروايات الأخرى، ويمكن للقارئ التأكد من ذلك بالرجوع إلى دراسة الباحث لرواية (وحدها شجرة الرمان، وحلم وردى فاتح اللون)، ففي الرواية الأولى لم يوفق الباحث في تقديم نصوص روائية تؤكد أثر الدين المزيف في تفشي ثقافة العنف والقتل<sup>(١)</sup>، وكذا الحال مع الرواية الثانية<sup>(٢)</sup> التي غلب عليها السرد الإنشائي مع قلة النصوص الروائية الداعمة لرؤية الباحث المتجسدة في الدراسة.

وبالعودة إلى وسائل السلطة وممارساتها القمعية، نجد أنّ السجن أبرزها، فهو القمع المعلن الذي تمارسه السلطة للحدّ من حرية الفرد الفكرية والاجتماعية. هذه الوسيلة تحدثت عنها الباحثة مسار غازي في كتابها الموسوم بـ (الإكليروس في الرواية العراقية)، إذ جاء الفصل الثاني بمحاوره معنياً بدراسة أشكال السلطة التي تراوحت بين (المؤسسة الأسرية، والمؤسسة الانضباطية/ السجن، والتهمير والنفي، والهوية)، وما يعيننا هنا هو دراسة الباحثة لمؤسسة السجن؛ بوصفها أداة السلطة، فاختارت الباحثة أربع روايات لتكون عينات دراستها، هي (القلعة الخامسة) لفاضل العزاوي، و(بعد رحيل الصمت) لعبد الرضا محمد صالح، و(بنادق النبي)، و(عين الدود) لنصيف فلك.

صوّرت رواية (القلعة الخامسة) معاناة بطلها الذي "يلقى القبض عليه في مقهى في بغداد من دون ذنب ويرمى به في قلعة للسجناء السياسيين وهي القلعة الخامسة التي كانت تقع في قلب مدينة بغداد، فيكون شاهداً على بطش السلطة الفاشية"<sup>(٣)</sup>. فعن طريق هذه الشخصية ومعاناتها الناتجة من بطش السلطة وتكيلها بالناس -ولا سيما المثقفين منهم- تجلّت لنا بوضوح طبيعة السلطة الحاكمة في تلك الحقبة، وممارساتها

(١) يُنظر: شوارح نيرودا استراتيجيات الرواية العراقية بعد 2003 أشكال السلطة وصور المثقف، د. غانم حميد الزبيدي: ١٦٦ - ١٦٧.

(٢) يُنظر: م. ن: من ١٧٧ إلى ١٧٥.

(٣) الإكليروس في الرواية العراقية، د. مسار غازي: ١٢٩.

الوحشيّة، وجرائمها ضد الإنسان والإنسانيّة. أمّا رواية (بعد رحيل الصمت) فإنّ الباحثة تراها قد كشفت "النقاب عن أبرز صور الاستبداد والقمع والاستلاب والتشويؤ في أقبية التعذيب اللإنسانية القائمة بحق الإنسان العراقي بسبب انتماءاته العقديّة"<sup>(١)</sup>. هذا يعني أنّ السلطة السياسيّة تُدرك مقدار الأثر الذي يتركه الدين ورجالاته على الناس عامّة.

لكن السجن في رواية (بنادق النبي) صيرته السلطة السياسيّة مدرسة لتخريج منظّمات إرهابيّة خاضعة لايدولوجيّتها، ومعتنقة لأفكارها، مؤمنة بفكر أحادي يتماهى مع غايات السلطة وأهدافها، وفي هذا الصدد تقول الباحثة: "فعندما يخضع السجن إلى سيطرة قوة أخرى ذات آيدولوجيا نفعية فإنه يتحول إلى ثكنة قمعية للآخر المختلف سياسياً وفكرياً [وعقدياً]"<sup>(٢)</sup>. هذه الأيدولوجيا المفروضة على السجين في السجون التابعة للسلطة تجلّت آثارها بوضوح على السجناء في السجون التابعة لإيران أعقاب الحرب العراقيّة-الإيرانيّة، وهذا ما وجدته الباحثة مهميّناً على رواية (عين الدود) للروائيّ نصيف فلك، إذ قالت بشأنها: إنّها "حاولت تمثيل العنف ثقافياً بوصفه قيماً تشكلت وأسساً اجتماعية اهتزت، ولكن هذا التمثيل سيطرت عليه آيدولوجية الكاتب التي تمثل عقدة من الدين لارتباطه بالسلطة"<sup>(٣)</sup>. فالباحثة ترى في رؤية الروائيّ، وموقفه المتمثّل برفضه للدين الخاضع لايدولوجيا السلطة، وتشريحه بأفكارها مسوّغات لتقديم رؤيته بتلك اللغة المشحونة بالسباب، وقلة الذوق، وانحطاط اللغة تماهياً مع انحطاط الواقع الاجتماعيّ والثقافيّ والدينيّ في ظلّ أنظمة حكم استبداديّة تتعامل مع الدين تعاملاً يخدم مصالحها.

وفي ضوء المعطيات السابقة يمكننا القول: إنّ دراسة الباحثة لأثر السلطة في أربع روايات اشتركت جميعها في تأكيد واحد من أساليب السلطة المتمثّلة بالسجن. وعلى ما يبدو أنّ تركيز الباحثة على تلك الوسيلة القمعيّة من دون غيرها من الوسائل والممارسات، هو تأثيرها الكبير على مصائر الناس في تلك الحقبة الزمنيّة، وبوصفها الوسيلة الأكثر شيوعاً لدى السلطة. إذ مارست السلطة أشنع جرائمها في السجون، هذا فضلاً عن الآثار

(١) الإكليروس في الرواية العراقيّة، د. مسار غازي: ١٣٢.

(٢) م. ن: ١٣٥ - ١٣٦.

(٣) م. ن: ١٣٩.

النفسيّة والجسديّة التي تصيب السجين في حال لو قُدِّر له الخروج من السجن، إذ يظلُّ يُعاني من تبعات تلك الممارسات مدّة طويلة.

وعليه فقد أجادت الباحثة في انتقاء العيّنات الروائيّة التي كشفت بوضوح عن تلك الممارسات، وتماهت مع رؤية الروائيين في النظرة إلى السلطة والموقف منها، وهي رؤية رافضة للسلطة.

انفردت دراسة الباحث سمير الخليل الموسومة بـ (الرواية سرداً ثقافياً)، بالوقوف على واحدة من الروايات العراقيّة التي تناولت حقبة حكم الملك فيصل الثاني وعائلته المالكة، وما جرى لهم من وقائع عسكريّة وانقلابات دمويّة ولدت ما يُعرف بثقافة العنف، وتلك الرواية هي (الملك في بيجامته) لخضير فليح الزبيدي، التي حاول الباحث من دراسته لها استكناه الأنساق الثقافيّة المتغلّظة في عمق التاريخ العراقي المعاصر.

وعند تتبّعنا دراسة الباحث لتلك الرواية الغنيّة بالمرويّات التاريخيّة التي قدّمت وثيقة مهمّة لوقائع جرت في تاريخ العراق، التي على إثرها غيرت نظام الحكم من ملكي إلى جمهوري، فإنّ دراسته لها تكاد تخلو من التحليل النقديّ، واكتفت بإيراد نصوص مقتبسة من الرواية، ويمكن للقارئ العودة إلى صفحات الدراسة<sup>(١)</sup>. بمعنى أنّ المرجعيّات الثقافيّة التي نظر من خلالها الباحث سمير الخليل إلى الرواية كانت ذات نزوع وصفي للأحداث التاريخيّة التي نهضت عليها الرواية، ولم يتمكّن من سير أغوار النصّ بالشكل الذي يعيد إنتاج التاريخ تأويلياً بما يكشف عن تسييسه وأدلجته.

فالنسق السياسيّ الظاهر الذي عبّر عنه الروائيّ صراحة، والمتمثّل في الحديث عن اغتيال العائلة المالكة، قد أشار إليه الباحث ونقله من دون تعليق نقديّ عليه يُبيّن المخفي والمضمر وراء توظيفها في المتن الروائيّ.

اقتصرت دراستنا هذه على أحد عشر كتاباً قدّمت دراسات نقديّة لنصوص روائيّة رصدت الواقع السياسيّ للمجتمع العراقيّ، منها ما جاء عنوانه حاملاً للفظّة (السلطة)

(١) يُنظر: الرواية سرداً ثقافياً سسيولوجيا الثقافة وأرختها وتسييسها، د. سمير الخليل: ١٤٧ و ١٤٩ و ١٥٣ و

١٥٥ و ١٥٦ و ١٥٧ و ١٦١ و ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٤.

تصريحاً، ومنها من حمل بين طياته حديثاً عنها، وبعض تلك الدراسات كانت مُخففة في تقديم نصوص نقدية تستجلي واقع السلطة السياسية في الحقب المشار إليها في المتون الروائية، بخلاف بعضها الآخر الذي نجح في توصيل رسالته النقدية.

وما يُلاحظ على مجمل تلك الدراسات النقدية أنها رصدت شكلاً واحداً من أشكال السلطة، ألا وهو السلطة القسرية القائمة على العنف، والإكراه، والقسوة، أو التسلُّط بمعناه الواسع. هذا يعني أنّ المدّة التاريخية التي وثقتها الروايات، ووقفت عندها الدراسات النقدية الثقافية تنعدم فيها مظاهر السلطة السياسية القائمة على إدارة البلد، والنهوض بواقعه، وبناء مجتمع متماسك، ليحلّ محلّه التسلُّط، والفوضى والانهيارات المتلاحقة.

## **الباب الثاني: الرؤية الثقافية وأدوات النصّ النقديّ**

### **الفصل الأول: آليات الاشتغال النقديّ**

### **الفصل الثاني: موجهات الرؤية النقديّة**

### **الفصل الثالث: أدوات صياغة النصّ النقديّ**

## توطئة

يتناول هذا الباب الجوانب الفنية المغروسة في النصوص النقدية التي تتناولها دراستنا. ومفهوم الجوانب الفنية سنتعامل معه باتساع ليشمل طبيعة الرؤية الثقافية التي حرّكت ناقد النصّ الإبداعيّ (الروائيّ) لينقد بهذه الطريقة، فضلاً عن أدوات إنتاج النصّ النقديّ. فالنصّ النقديّ نسيجٌ له جسد وله روح منهجية وثقافية ويحملُ مضموناً، ومضمونه تناولناه في الباب الأول. أمّا تفصيلاته ذات البعد الخاص بنسيج النصّ وروحه فإنّ هذا الباب يتكفّل به.

ولكلّ ناقد رؤية نقدية نابعة من خلفيات ثقافية ومقاصد قرائية، تمارسُ تأثيراً كبيراً في توجيه الرؤية بمسار معين يُحدده مقتضى الاشتغال الفكريّ والقيميّ. لذلك جعلنا هذا الباب في ثلاثة فصول: ناقشنا في الفصل الأول منه آليات الاشتغال النقديّ لدى الناقد، فالمراد بمصطلح التشكّل المرحلة التي تتجلّى فيها درجة وعي الناقد/ الباحث، وبراعته في توجيه القراءة النقدية توجيهاً سليماً، يُحقّق فيه غايته من الممارسة النقدية، ويؤسّس لقراءة لها شخصية متميزة. ولما كان التشكّل يتألف من مجموعة من العناصر التي يبني منها الخطاب، وتحثّد في سياق تكويني متآلف أصبح تحقّق عنصري الاندماج والتماسك أمراً ضرورياً، من هنا سعينا في هذا الفصل إلى الكشف عن كيفية تشكّل الرؤى النقدية؟ ولماذا يذهب الناقد الثقافيّ بهذا الاتجاه؟

بينما ناقشنا في الفصل الثاني موجّهات الرؤية النقدية، فكلّ ناقد يحمل رؤية نقدية تتباين من ناقد إلى آخر في طبيعة اشتغالها، أو مرجعيات تكوّنها بيد أنّها متّفقة في الهدف الذي تقصده وهو بلورة دلالة ثقافية للنصّ الروائيّ. وعند تتبّع التأثيرات الثقافية التي وقع تحت سطوتها الباحثون المعنيون بهذه الدراسة بشكلٍ مبدئي وجدناها متجلية في ثلاثة موجّهات لا غير، هي: الموجّه المعرفي، والموجّه الاشهاري، وأخيراً الموجّه الأكاديمي.

أمّا الفصل الثالث فرصدنا فيه أدوات صياغة النصّ النقديّ؛ لأنّ كلّ ناقد يتسلّح بأدوات نقدية يتّضح من خلالها مقدار الوعي المعرفيّ لديه، وبها تتشكّل لغته النقدية، وأسلوبه الخاص. وهذه اللغة لا تعتمد على التحليل البسيط، أو محاكاة النصّ الإبداعيّ محاكاة

سطحيّة، بل هي لغة نقديةّ حاملة للدلالات ومنتجة لها في الوقت نفسه، وتلك اللغة تتباين في مستوياتها بين السعة والعمق من ناقد إلى آخر على وفق خبراته النقدية، ورؤيته للنصّ المنقود، وزاوية اشتغاله. ونتيجة لهذا سيسير الفصل في ثلاثة مسارات: يبحثُ المسار الأول في لغة النصّ النقديّ التي تختلف عن لغة الكتابة الإبداعية، والمسار الثاني في قضية دقّة استعمال المصطلح النقديّ الثقافيّ، وما يعترّيه من اضطراب أو إخفاق في تطبيقه، والمسار الثالث يبحثُ في أدوات صياغة النصّ النقديّ وتشمل الدقّة في الجوانب النحويّة والصرفيّة والأسلوبية، والدقّة في الإخراج الكتابي، واستعمال علامات الترقيم، وغيرها من القضايا ذات الصلة بصياغة النصوص النقدية المكتوبة ودلالاتها وقدرتها على التوصيل.

ثمة مصطلحات إشكالية على الرغم من بدايتها، وشيوعها في الاستعمال الثقافي والأدبي بيد أن فهمها مشروط بما تُضاف إليه. ومصطلح التشكّل واحدٌ من هذه المصطلحات الإشكالية التي تتطلّب على الصعيد النظريّ وقفة تجلّي ماهيته، أو في أقلّ تقدير توجيهه توجيهًا محددًا يخدم الدّراسة التي يظهر فيها قطبًا مركزيًا.

ويتطلّب منّا تسوير مفهوم ما الرجوع إلى المظان أو المعجمات اللغوية التي رصدت الجذر اللغويّ للمفهوم، فقد ورد الجذر (ش ك ل) في المعجمات العربية حاملةً دلالة الصورة أو الهيئة التي تبقى في ذهن المتلقّي<sup>(١)</sup> بمعنى الظهور النهائيّ للمشكّل.

أمّا الدلالة الاصطلاحية لمفهوم التشكّل فلا تبتعد عن هذا المعنى اللغويّ، فالتشكّل اصطلاحًا يُمثّل "المرحلة النهائية التي تأخذ فيها الأسماء مسمياتها، والأشياء تعريفاتها، والحدود معانيها، والطبقات هوياتها، والحروف نقاطها، والخطوط معالمها، بحيث تتمظهر التجربة في أعلى درجة من درجات تكوّنها في حاضنة الصنعة"<sup>(٢)</sup>، أو هو انسجام عناصر ذات طبيعة لغوية أو غير لغوية وتتاسقها من أجل إنتاج معنى النصّ<sup>(٣)</sup>.

إذ يمكننا القول: إنّ مصطلح التشكّل يُراد به المرحلة التي تتجلّى فيها درجة وعي الناقد/ الباحث، وبراعته في توجيه القراءة النقدية توجيهًا سليمًا، يُحقّق فيه غايته من الممارسة النقدية، ويؤسّس لقراءة مميزة ومتفردة لها خصوصيتها. ولما كان التشكّل يتألّف من مجموعة من العناصر التي ينبني منها الخطاب، وتحتشد في سياق تكوينيّ متألّف أصبح تحقّق عنصرى الاندماج والتماسك أمرًا ضروريًا.

لكلّ ناقد رؤية نقدية منبثقة من جملة من الأفكار، والمبادئ، والتصورات، وتكون مادتها الخام السياق السياسي، والاجتماعي، والثقافي، والديني. وهذه الرؤية تحتاج إلى منهج يوطر فاعليتها الإجرائية للقراءة النقدية، ويُساهم في تحديد معالمها، فكلّ منهج نقدي لا يخلو

(١) يُنظر: الصحاح: ٥/ ١٧٣٥، ولسان العرب مادة شكل.

(٢) التشكيل الشعري الصنعة والرؤيا، د. محمد صابر عبيد، دار نينوى- دمشق، ط١، ٢٠١١م: ١٢.

(٣) يُنظر: البناء والتشكيل في الرحلة الحديثة (أطروحة دكتوراه)، نصير جابر الفتلاوي، جامعة القادسية، كلية الآداب، ٢٠١٧م: ٩.



من رؤية نقدية تشغل موقع الصدارة في الممارسة النقدية، وهذه الأخيرة تستند على "مركزات نظرية تنطلق منها، أو إلى مفاهيم تستعملها، تندرج الممارسة في حقل نشاطها"<sup>(١)</sup>. وعندما يحصل نضج في مسار الرؤية النقدية وانفتاحها، في مقابل الحفاظ على خصوصية المنهج وعلميته تتجلى دلالات القصد القرائي، وتتضح الرؤية وخصوصية تشكيلها<sup>(٢)</sup>، أما إذا انحرف المسار باتجاه الرؤية وابتعد عن المنهج فإنه سوف يُسبب قصوراً منهجياً، وكذا الحال لو مال باتجاه المنهج على حساب الرؤية.

أسلفنا فيما تقدم أن التشكل مشروط بما يُضاف إليه، فعندما نقول: تشكل الرؤية النقدية، ونجمعها تشكلات الرؤية النقدية فإننا نعني بهذه العتبة المرحلة النهائية التي تتكشف بها الرؤية النقدية مُظهرةً مرجعياتها، وطبيعة تكوينها، واستراتيجيات نموها وتفاعلها مع النصّ الروائي المنقود.

لقد أوصلتنا المعاينة القرائية للمتون عينة الدراسة إلى رؤى نقدية متباينة في طبيعة اشتغالها، أو مرجعيات تكوينها بيد أنها متفقة في الهدف الذي تقصده وهو بلورة دلالة ثقافية للنصّ الروائي، ويمكن تقسيم هذه الرؤى النقدية التي تشكلت في الدراسات الثقافية العراقية التي عالجت النصّ الروائي إلى: تشكلات سياقية، وأخرى نسقية، وثالثة لسانية، وهذا الرصد يُحتم علينا تقديم إجابات عن تساؤلات متعددة، أهمها: كيف تشكلت تلك الرؤية النقدية؟ ولماذا يذهب الناقد الثقافي بهذا الاتجاه؟ وذلك لأنّ كلّ نصّ أدبي يُنتج في سياق ثقافة ما، وكلّما قرئ في سياق ثقافي مغاير أعطى معنى آخر، ووفقاً لهذا تتعدّد معاني تلك النصوص تبعاً لتعدّد السياقات التي تُقرأ في ضوءها، وعليه فالنصّ الأدبي يتأسس من سياقات ثقافية، ودلالات أيديولوجية قد تعلق على الدلالة الظاهرة والمعلنة في النصّ.

قبل البدء بدراسة المتون النقدية ذات الرؤى الواضحة، علينا أن نُشير إلى بعض المتون النقدية التي غابت فيها الرؤية المنهجية النقدية لأسبابٍ قد تكون متعلقة بطبيعة تلك

(١) في معرفة النص، يمني العيد، دار الآفاق الجديدة، دار الثقافة الدار البيضاء- بيروت، ط٢، ١٩٨٤م: ١٣-١٥.

(٢) يُنظر: النظرية النقدية القراءة، المنهج، التشكيل الأجناسي، د. محمد صابر عبيد، الدار العربية للعلم ناشرون- بيروت، ط١، ٢٠١٥م: ١٠.

الدراسة التي هي عبارة عن مجموعة أبحاث متفرقة جُمعت في كتابٍ مستقلٍّ أمثال كتاب (دراسات ثقافية الجسد الأنثوي، الآخر، السرد الثقافي)<sup>(١)</sup>، و(الهوية والإرهاب قراءة في إمكانات السرد الروائي العراقي)<sup>(٢)</sup>، و(كتابات في النسوية)<sup>(٣)</sup>، و(تمثيلات الهوية في السرد الروائي)<sup>(٤)</sup>، و(دراسات ثقافية في الرواية والرحلة والمقالة)<sup>(٥)</sup>. أو أنّها تناولت مجموعة روايات تمت دراسة كلّ واحدة منهنّ تحت عنوان مستقلٍّ مما أبعدها عن سؤال الدراسة الجوهري، وشنت رؤية الباحث، أمثال كتاب (الرواية العراقية بعد الاحتلال الأمريكي هشاشة المأوى وأزمة الهوية)<sup>(٦)</sup>. انعكس ذلك التشتت على مجمل مفاصل الدراسة، مما قاد إلى غياب التنظيم المنهجيّ في اختيار عينات الدراسة ذات الموضوعات المتشابهة والحديث عنها، وهذا ما وجدناه متجلياً بوضوح منذ الفصل الأول الذي عنوانه ب(هشاشة المأوى). قسم الباحث هذا الفصل باستعمال أرقام في أعلى الصفحة، بدأها بالرقم ١ وختمها بالرقم ٧ من دون أن تكون لتلك المنهجية غاية تُذكر، أو فائدة تُغني الدراسة، وما يؤكّد قولنا هذا: إنّ الصفحة المعنونة برقم ١ و ٢ جعلها تنظيراً لمصطلح المأوى، ثم انتقل للتطبيق في الصفحة ذات العنوان ٣ وقد درس فيها روايتين: الأولى (بلدة في علبة) لحامد فاضل تحدّثت عن السجن بوصفه المكان الهش والمرعب، والثانية (فسحة للجنون) لسعد محمد رحيم تناولت المدينة التي تحوّلت إلى مكانٍ مرعبٍ في ظلّ الحرب العراقية الإيرانية. وهذا يعني أنّ هاتين الروائيتين تناولتا مكانين مختلفين اشتركا في الهشاشة وانعدام الأمن والاستقرار، ولكن لماذا تمّ إدراجهنّ تحت رقم مستقلٍّ أصبح بمنزلة عنوان أو رمز لهنّ؟

ثم انتقل الباحث في رقم ٤ إلى دراسة رواية (اللا أين) لحامد شبيب التي تناولت المكان/ القارب، و(مثلث الموت) لعلي لفته سعيد التي تناولت مدينة كربلاء. أما في رقم ٥ فقد درس ثلاث روايات، هي: (على أبواب بغداد) لقاسم حول، و(لماذا تكرهين ريمارك؟)

(١) د. سمير الخليل ود. طانية حطاب.

(٢) د. كريمة نوماس المدني.

(٣) عبد الغفار العطوي، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق، ط ١، ٢٠١٩م.

(٤) محمد فليح الجبوري ود. فوزية لعيوس الجابري.

(٥) د. فاضل عبود التميمي.

(٦) د. قيس كاظم الجنابي.

لمحمد علوان جبر، و(اعترافات زوجة رجل مهم) لناطق خلوصي. اشتركت هذه الروايات الثلاث بالحديث عن تدهور الأوضاع في الأسر المفككة والمتهالكة.

وفي هدي المعطيات السابقة لا توجد هناك فائدة من ذلك التقسيم بحسب الأرقام، طالما أنّ كلّ رواية تناولت مكاناً يختلف عن المكان في الرواية الأخرى باستثناء الروايات في القسم رقم ٥، إذ كان بإمكان الباحث الاكتفاء بالعنوان الذي وضعه أوّل الفصل (هشاشة المأوى) وتقسيم عيّنات دراسته على وفق الأمكنة التي تتضمنها.

والأمر ذاته ينطبق على جهده في الفصل الثاني الذي درس فيه (أزمة الهوية)<sup>(١)</sup>، إذ لم نجد مسوّغاً يستدعي تقسيم خطة دراسته على أرقام تعلو كلّ فقرة تتناول رواية معيّنة، فالموضوع الذي تتحدّث عنه واحد وهو (أزمة الهوية)، والروايات التي انتخبها الباحث كان من المفترض أن تتضمن تلك الموضوع، وتُفصّل فيها القول، وهذا لا يستدعي فصل كلّ رواية على حدة. هذا فضلاً عن أنّ الباحث لم يُقدّم دراسة جادة ورصينة تقف على أعتاب تلك الروايات لتحليلها وتُفكّك ظاهرة أزمة الهوية وتشطّيبها في ظلّ مرحلة تاريخية مهمّة وخطيرة كانت الفيصل في تغيير مجرى العراق من نواحيه جميعها السياسية، والاجتماعية، والدينية، والثقافية، ألا وهو الاحتلال الأمريكي للعراق.

أمّا على مستوى خطة الدراسة فيمكننا رصد غياب الرؤية في تقسيم فصول دراسته، إذ وجدنا أنّ الدراسة مقسّمة على أبواب<sup>(٢)</sup>، ولكنها غير متساوية في توزيع الفصول، فمثلاً تضمّن الباب الأوّل فصلين، والباب الثاني والخامس والسادس ثمانية فصول، بينما تضمّن الباب الثالث أربعة فصول فقط، وجاء الباب الرابع في سبعة فصول. وليس هذا فحسب، بل إنّ بعض الفصول أُدرجت عنوة وأقحمت إقحاماً في بعض الأبواب؛ لعدم وجود مسوّغ يدعو

(١) يُنظر: الرواية العراقية بعد الاحتلال الأمريكي هشاشة المأوى وأزمة الهوية، د. قيس كاظم الجنابي: ٣٧ - ٥٥.

(٢) يُنظر: قائمة المحتويات: ٥.

إلى إدراجها تحت عنوان الفصل الرئيس، ومنها ما جاء في الباب الثاني<sup>(١)</sup>، والباب الخامس<sup>(٢)</sup>.

بعد هذه الصفحات التي تناولت الدراسات التي جاءت الرؤية النقدية فيها مشوشة نذهب إلى المتون النقدية الخاضعة لرؤية نقدية واضحة، وجدناها موزعة بين ثلاث رؤى، هي: التشكلات السياقية، والتشكلات النسقية، والتشكلات اللسانية.

### أولاً: التشكل السياقي:

تُعنى الدراسات السياقية بالمحيط الخارجي للنص، إذ يوفر هذا المحيط فرصاً مغرية تجذب الباحث إلى البحث في سياقات النص ليكون المعين على تأويله وتحليله وفهم دلالاته. والرؤية السياقية تقوم على أساس تأويل الخطاب السردية بناءً على واقعة مأخوذة من السياق، وعليه يكون السياق هو الفاعل الذي شكّل الرؤية النقدية.

وقد رصدنا في معابنتنا القرائية للمتون النقدية سياقين لا غير، ساهما في تشكيل رؤية الباحثين النقدية، وهما السياق التاريخي والسياق الاجتماعي، أما السياق النفسي فلم نجده واضحاً في مجال بحثنا ولم يكن حاضراً ضمن الموجهات السياقية للنقد الثقافي، مما أبعدنا عن دائرة اشتغالنا؛ لأنه لم يشكل ظاهرة نقدية تستدعي الوقوف عندها.

### -السياق التاريخي

في السياق التاريخي يتم الاستعانة ببعض أنواع المعرفة ذات الجذور التاريخية المتعلقة بالمشكلات الإنسانية، والقوى الاجتماعية التي شكّلت الحاضر<sup>(٣)</sup>، وفي مضمارة

(١) يُنظر: الرواية العراقية بعد الاحتلال الأمريكي هشاشة المأوى وأزمة الهوية، د. قيس كاظم الجنابي: ٥٧ - ١٣٥.

(٢) يُنظر: م. ن: ٣٠١ - ٣٦٩.

(٣) يُنظر: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية، د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني - بيروت، ومكتبة المدرسة - بيروت، ١٩٨٢م: ج/ ٢٢٩.

الإبداع الأدبيّ نقوم برصد الوقائع التاريخية، وتحليلها للوصول إلى نتائج تُغني الدّراسة الثقافية.

من الكتب النقديّة التي اتكأت على السياق التاريخيّ للنصّ الروائيّ في تحديد مسار رؤيتها الكتب الآتية: (السرّد والاعتراف والهوية) لعبد الله إبراهيم، و(أدب الأقليات العراقية دراسة في تفكيك الصورة النمطية عن الايزيديين) لخالدة حاتم علوان، و(الرواية سرداً ثقافياً سسيولوجيا الثقافة وأرختها وتسييسها) لسمير الخليل، و(الروائيون العراقيون اليهود دراسة في الثقافة والمتخيل والتجريب الروائي) لخالدة حاتم علوان.

وبالعودة إلى كتاب الباحث عبد الله إبراهيم (السرّد والاعتراف والهوية) وجدناه ينطلق في دراسته للروايات المنتخبة من السياق ذاته، فعند وقوفه على رواية (اليهوديّ الحالي) لعلي المقري قام بتتبّع حياة الشخصية الرئيسة والأحداث التي جرت له؛ بغية الوصول إلى التحوّلات التاريخية التي تشكّلت في ضوءها هويّته. وعن طريق هذه الشخصية جاء سرد الأحداث التاريخية التي جرت على أبناء الطائفة اليهودية، ورحلات السبي التي تعرّضوا لها على مرّ التاريخ.

يرى الباحث أنّ سرد قصّة الحب التي دارت بين المسلمة فاطمة واليهودي سالم كشفت "الخلفية المركّبة من ضروب الكراهية السائدة بين المسلمين واليهود في اليمن، وأمّاطت اللثام عن الحلم اليهوديّ بالرحيل إلى أرض الميعاد حسب الرواية التوراتيّة [...] ولعلّ الرواية تكون قد أسهمت في فضح سريان المكوّن الدينيّ في تغذية مفهوم خاطئ للهويّة قائم على الانغلاق والثبات"<sup>(١)</sup>. فسياق السرّد الروائيّ بما فيه من مرجعيّات ثقافيّة وتاريخيّة واجتماعيّة قاد الباحث إلى التفتيش في تلك المرجعيّات ليبيّن رؤيته عليها.

وكذا الحال عند وقوفه على رواية (قصّة عن الحب والظلام) لعاموس عوز، التي درس فيها الباحث المكان وأثره في تأكيد الهويّة اليهودية، إذ يقول الباحث في هذا السياق: إنّ الرواية عرضت "تفاصيل الرواية الصهيونيّة لنشأة إسرائيل بوصفها دولة عبريّة أعادت

(١) السرّد والاعتراف والهوية، د. عبد الله إبراهيم: ٩٦.

لم الشتات اليهودي، فانسجم بسرده الاستقصائي مع المرويات التوراتية [...] فعلى أرض فلسطين جرى استبدال جماعة بجماعة، وهوية بهوية<sup>(١)</sup>.

تشكّلت الرؤية النقدية في هذا النصّ النقديّ من الخلفية التاريخية للصراع اليهوديّ مع المسلمين، هذا الصراع الذي يضرب في جذور تاريخية عميقة لعلّ أظهرها تمثلاً ما كشف عنه الخطاب الدينيّ/ القرآن الكريم من صور لليهود ومماحكاتهم مع المسلمين، فالقارئ التاريخيّ حنّت الوعي النقديّ للناقد على تبني تأويلًا ثقافيًا موصولًا بالبعد التاريخاني للدلالة.

ويدخل في سياق رصد القارئ التاريخيّ كتاب الباحثة خالدة حاتم علوان الموسوم بـ (أدب الأقليات العراقية دراسة في تفكيك الصورة النمطية عن الايزيديين). سعت دراسة الباحثة إلى تقديم صورة الأيزيديين على مرّ التاريخ؛ للوقوف على عمليات السبي والقتل والتتكيل التي تعرّضوا لها بسبب ديانتهم، ولما كانت تلك الطائفة مغيبة اجتماعيًا أخذت الباحثة على عاتقها دراسة الواقع السياسيّ والدينيّ والثقافيّ لتلك الهوية من منظورين: الأول اجتماعيّ تاريخيّ، والثاني أدبيّ؛ بغية الوصول إلى عوامل تغييب تلك الطائفة التي يقف المعتقد الدينيّ الغامض في مقدّماتها، فضلاً عن رصد المرجعيات الثقافية التي مارست دوراً مهماً في ترسيخ صورة الأيزيديين في الأذهان. أمّا في سياق المنظور الأدبيّ فكان همّ الباحثة منصباً على رصد دور الأدب في فك اللبس، وإيضاح الغامض، وتقديم رؤية مغايرة لما شاع عنهم وعن طبيعة ديانتهم الغامضة، وفي هذا السياق تقول الباحثة: "ولما كانت تلك النصوص الروائية مستوفية لشرطها التاريخي في مزامنتها [للأحداث]، فلقد عمدت دراستنا إلى الكشف عن دور الأدب في المساهمة في تقديم الصورة الحقيقية عن تلك الديانة"<sup>(٢)</sup> وقولها هذا يُشير إلى رؤيتها النقدية المنبثقة من سياق النصّ.

(١) السرد والاعتراف والهوية، د. عبد الله إبراهيم: ١٠٦. ويُنظر أيضاً دراسته لرواية (وداعاً بابل)، نعيم قطّان:

١١١، و(شلومو الكردي وأنا والزمن)، سمير نقاش: ١٢٧، و(حارس التبغ)، علي بدر: ١٤٩.

(٢) أدب الأقليات العراقية دراسة في تفكيك الصورة النمطية عن الايزيديين، د. خالدة حاتم علوان: ١٩.

كما إنَّ الباحثة قد منحت روايةً (عذراء سنجار) للروائيِّ وارد بدر السالم خصوصيةً تمثَّلت في جعلها الأنموذج الذي ستقوم بدراسته تفصيلياً؛ وذلك لما تتمتع به الرواية من قدرة على "تضمين أساليب جديدة استطاعت ان توظف تفاصيل الواقعة من الجوانب [كافة] التي حاولت الاقتراب فيها من الواقع، ويسمى ذلك الأسلوب بالتجريب في الفن الروائي"<sup>(١)</sup>. تتحدَّث الرواية عن أحداث دخول داعش للموصل عام ٢٠١٤م، ويُعد هذا التاريخ لحظة انعطاف في تاريخ الثقافة العراقية؛ نتيجة تعرُّض مكَّون مهم من مكَّونات المجتمع العراقيِّ إلى الإبادة والسبي والتنكيل مما أضعف الارتباط بالوطن، وعرض الترابط الأسريِّ والدينيِّ إلى التشتت، فكانت محاولات داعش لاحتلال الموصل واحدة من طرائق تفكيك النظام الثقافيِّ الدينيِّ.

وعرضت الباحثة الطقوس الدينية التي تضمَّنتها الرواية قيد الدِّراسة، ففي سياق الحديث عن المعتقدات الدينية التي يؤمن بها الأيزيديون تقول الباحثة: "حاول الروائي الإشارة إليها وتوضيحها سواء في المتن عبر ممارسات الشخصيات او حواراتها او في الهامش عند التعريف بالمكان او الممارسة او المعتقد"<sup>(٢)</sup> وهذا يعني أنَّ سياق النصِّ الروائيِّ فرض عليها الركون إلى رؤية تنطلق من سياق النصِّ.

هذا فضلاً عن قضايا أخرى رصدتها الباحثة واكتفت بتوصيفها، ولكن جُلها مرتبطة بتاريخ الأيزيديين وبعاداتهم وسلوكياتهم؛ بغية الوقوف على مسوغات تهميش تلك الطائفة، التي يقف العامل الدينيِّ في مقدِّمتها، فكَلِّما ارتبط الدين بظاهرة ما اشتدَّ الصراع واحتدم وتشعبت جذوره.

الأمر الآخر أنَّ حديثها عن الهوية الأيزيدية جاء رداً على سياسات الحملة التي قادها تنظيم داعش لتفكيك النظام الثقافيِّ الدينيِّ، أي احتلال داعش لأرض الموصل، وإبادة الأقلية الأيزيدية هي دعوة لتفكيك النظام الدينيِّ، وتفكيك الارتباط بالوطن، والانتماء المكاني.

(١) أدب الأقليات العراقية دراسة في تفكيك الصورة النمطية عن الأيزيديين، د. خالدة حاتم علوان: ١٣٣.

(٢) م. ن: ١٣٨.

ولم تبتعد دراسة الباحث الأكاديمي سمير الخليل الموسومة بـ (الرواية سرداً ثقافياً سسيولوجيا الثقافة وأرخنتها وتسييسها) عن هذا السياق، إذ إنّ رؤية الباحث انبثقت من عناصر مهيمنة على سياق النصّ الروائيّ، فعند وقوفه على الأمكنة التي تضمّنتها رواية (ملائكة الجنوب) لنجم والي، وهذه الأمكنة (مقبرة الإنكليز، ودار الاستراحة الذي بناه الإنكليز في المدينة، ومرقد النبي العزيز) كانت المنطلق للتحليل؛ وذلك لغرض توضيح الدلالة التاريخية للمكان وتحولاته الثقافية.

يرى الباحث أنّ الدلالات التاريخية التي حفلت بها الأمكنة في روايات ملائكة الجنوب قد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بحياة الأقلية اليهودية، إذ ركّزت على "شخصياتها وعاداتها وصناعاتها وأعمالها وبيساتينها وعقاراتها وزواجاتها ومصاهراتها وأيام حزنها ونكباتها بحيث أعطى انطباعاً للقارئ النزيه أنه إزاء رواية يهودية"<sup>(١)</sup>. من هنا ينطلق الباحث من رؤية تقف على النقيض من رؤية الروائيّ؛ لأنّ رؤية الأخير اعتنت بسرد الأمكنة ذات العلاقات الأنطولوجية والتاريخية بأقلية عاشت مدّة طويلة في تلك المدينة، ألا وهي الأقلية اليهودية، رغبةً منه في التلميح وربما التصريح بأحقية تلك الأقلية بالانتماء إلى المكان، إلّا أنّ الباحث وجد في رؤية الروائيّ بعداً أيديولوجياً وحبّاً مضمرًا وميولاً إلى جانب اليهود، وتأييداً لأفكار الحركة الصهيونية ومساعدتها في تفكيك المنطقة العربية. ففي سياق رصد الخطابات الروائية التي أظهرت تعاطفاً مع اليهود، يورد الباحث نصوصاً مقتبسة من كتاب الاستشراق توضّح غايات المشروع الصهيونيّ ووسائله؛ كي "تفهم حجم المس الشيطاني الذي يُعاني منه، حتى لا يأتي أحد المتحدلقين من أبناء المنطقة ليسوق لنا بضاعته الفاسدة. أو حتى لا يأتي أحد الأشباح المتعولمين حديثاً لكي يلقننا درساً في التكريح والإذلال"<sup>(٢)</sup> وبهذه اللغة المتحاملة والقاسية أعلن الباحث رفضه لرؤية الروائيّ، وجعل تلك الاقتباسات جواباً على ميل رواية (ملائكة الجنوب) إلى تسليط الضوء على تاريخ اليهود في

(١) الرواية سرداً ثقافياً سسيولوجيا الثقافة وأرخنتها وتسييسها، د. سمير الخليل: ٢٣.

(٢) م. ن: ٣٣.



العراق وتحديداً مدينة العمارة، والأمكنة التي تؤكد وجود اليهود فيها، فرؤية الروائي بحسب اعتقاد الباحث "تتوسل الاندماج أو الانصهار بالمشروع الثقافي الغربي"<sup>(١)</sup>.

وبناءً على المعطيات السابقة يقف السياق التاريخي للأمكنة ودلالاته وراء تشكيل رؤية الباحث النقدية، فحمولات السياق التاريخي تضرب جذورها العميقة بقضية جوهرية تتعلق باليهود، وصلتهم بالأرض العربية، هذه القضية التي أثارت جدلاً واسعاً، وأخرجتها عن سياقها المرتبط بالدين إلى سياقات أخرى ترتبط بالسياسة، فيكون الصراع السياسي محفزاً على تأجيحها وتشعبها. من هنا تشكلت رؤية الباحث النقدية للكشف عن الملابسات التاريخية التي يتضمّننها الخطاب الروائي المتعلق بالقضية اليهودية، وصلتها بالمشروع الصهيوني.

إنّ هذا التقصي للشكّلات النقدية ذات النزوع السياقي التاريخي تكشف عن ضاغط خارجي أو سياق محايث للنصّ يساهم في إنتاجه وبلورة دلالاته، وقد تمثّل هذا الضاغط التاريخي بتواريخ محدّدة لعلّ أكثرها تمثلاً هو الصراع اليهودي والإسلامي، وإذا ما رمنا تبريراً لهذا التكتيف التاريخي فلأنه صراع مدعم ومحصن بخلفية دينية، إذ كلما تدخل الدين في صراع ما قويت جذور ذلك الصراع وتشعبت.

وفي هدي رصدنا للمتون النقدية الثقافية ذات الرؤى المنبثقة من سياقات تاريخية، يمكننا القول: إنّ تلك المتون الأربعة وحدها التي اشتركت في الانطلاق من رؤية تاريخية اتخذت من قضية الصراع اليهودي/الإسلامي محوراً لها، لمسوغات قد تتعلق بالخلفية الدينية، وبالجزور التاريخية العميقة لوجود المكوّن اليهودي في أرض العراق.

### -السياق الاجتماعي-

يؤكد المنهج الاجتماعي على وفق ما نظّر له المنظّرون "الدلالة الاجتماعية للأدب والفن، وبيان الصلة بين الأثر الأدبي، والمجتمع الذي أنتجه، وهو في تفسيره وتقويمه للأثار الأدبية يصدر عن هذه الدلالة الاجتماعية"<sup>(٢)</sup> التي تُعنى بالجانب المضموني، وطبيعة

(١) الرواية سرداً ثقافياً سسيولوجيا الثقافة وأرخنتها وتسييسها، د. سمير الخليل: ٣٢.

(٢) المذاهب النقدية، ماهر حسن فهمي، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، د. ت: ١٨٢. وينظر: التحليل الاجتماعي للأدب، السيد ياسين، دار التنوير- بيروت، د. ت: ١٥٣.

الموضوعات، ومدى صلتها بالواقع الاجتماعي، ومن هنا تكمن إفادة المنهج الاجتماعي للأدب في تناوله الأعمال الأدبية "ذات الطابع الاجتماعي، فيحدد الأصول التي ينشأ منها العمل الفني، ويفسّر ما ينطوي عليه من معان ودلالات"<sup>(١)</sup>. فمن دون معرفة الظروف الاجتماعية والملابسات التي أسهمت في إنتاج النصّ الأدبيّ يتعدّر علينا الوصول إلى دلالاته، وكلّما كان المجتمع حافلاً بالصراعات والخلافات وانعدام الاستقرار تحفّز المبدع لتوظيف تلك الصراعات في إبداعه؛ لأنّه جزءٌ من المجتمع الذي ينتمي إليه، وما الكتابة إلا وسيلة من وسائل رفض ذلك الواقع.

وفي هذا السياق تندرج دراسات ليست بالقليلة يُمكن إجمالها بالآتي والوقوف على بعضٍ منها: (السردي النسوي الثقافة الأبوية، الهوية الأنثوية، الجسد) لعبد الله إبراهيم، و(نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة) لنجم عبد الله كاظم، و(الرواية العربية ما بعد الحداثيّة) لماجدة هاتو هاشم، و(السلطة في الرواية العراقية) لأحمد رشيد الددة، و(رواية المرأة العربية من ١٩٩٠ إلى ٢٠٠٧م في ضوء النقد النسوي) لهدى حسين الشيباني، و(أمريكا والأمريكي في الرواية العربيّة) لنجم عبد الله كاظم، و(الإنجليزيّة العراقية في عالم عليّ بدر الرّوائي) لمحمد فاضل المشلب، و(رواية العنف دراسة سوسيونصية في الرواية العراقية ما بعد ٢٠٠٣) لباسم صالح، و(تمثّلات السلطة ومرجعياتها الثقافية في روايات التكرلي) لمحمد عبد الحسين هويدي، و(أدب الأقليات العراقية دراسة في تفكيك الصورة النمطية عن الايزيديين) لخالدة حاتم علوان، و(الإكليروس في الرواية العراقية) لمسار غازي، و(الدراسات النسوية من وجهة نظر الرجل) لعبد الغفار العطوي.

وأول دراسة نقف عندها في إطار الدراسات الثقافية ذات التوجّه الاجتماعي هي دراسة الباحث عبد الله إبراهيم الموسومة بـ (السردي النسوي، الثقافة الأبوية، الهوية الأنثوية، الجسد)، ففي معرض حديثه عن رواية (كم بدت السماء قريبة) لبتول الخضيرى قام بتتبّع واقع الشخصيات الروائيّة انطلاقاً من سياق اجتماعي ثقافيّ. صوّرت الرواية علاقة زوجين

(١) النقد الفني دراسة جمالية وفلسفية، جيروم ستولنيتز، ترجمة: فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر -

بيروت، ط٢، ١٩٨١م: ٦٨٤ - ٦٨٥ .

ينتميان لبيئتين ثقافتين مختلفتين لم يُفلاحا في إقامة شراكة ناجحة، وتحقيق تواصل اجتماعي وعاطفي.

رصد الباحث التباين الثقافي والعلاقة الملتبسة وصعوبة الاندماج بين عالمي الشرق والغرب واختلاف العادات والسلوكيات عن طريق شخصية الزوج العراقي والزوجة الإنكليزية، فهذا التباين الثقافي والاختلاف حال دون ولادة هوية جامعة ليس بين الشخصيات بوصفها علامات سردية، إنما بينها بوصفها رموزاً ثقافية، فالمحمولات الأيديولوجية المتنازعة للشخصيات، وأقصد بذلك الأمّ والأب، حالت دون ظهور فكرة الشراكة، وتقاسم الأدوار<sup>(١)</sup> فالمسار الثقافي والاجتماعي المتناقض بين الطرفين عزز فكرة الرفض وعدم الانسجام.

وفي ظلّ الرصد القائم على سياق اجتماعي لم يغفل الباحث عن الإشارة إلى دور الروائية في تجسيد مظاهر الاستلاب الأنثوي وتماھيها معه، عن طريق تقديم صورة للأنثى خاضعة فيها خضوعاً تاماً لسلطة الأب الذي أحدث موته صدعاً في حياة ابنته التي كانت ثمرة تلك الشراكة غير المتكافئة بين ثقافتين مختلفتين، "إذ كانت تريد اكتساب هويتها الشرقية بوجوده، وباختفائه توارى الأمل، فالأبوة كرّست إحساساً بالنقص، ورسخت عدم [القدرة] على مواصلة طريق الكمال، وباختفائها أصبح العجز أمراً قائماً"<sup>(٢)</sup> فالروائية هنا أفصحت عن علاقة التبعية، والامتثال للسلطة الأبوية، وعززت مقوماتها؛ لأنّ الفتاة فقدت هويتها، وعجزت عن إثبات وجودها ومواصلة حياتها بعد موت الأب. هذا التماهي الذي لم تشعر به الروائية وهي ترسم شخصياتها الأنثوية وعالمها الروائي، لم يغفل الباحث عن الإشارة إليه.

وتطغى الرؤية السياقية ذات الجانب الاجتماعي على مجمل دراسة الباحث، وتكاد تكون المهيمنة والمتحكّمة في توجيه مسار رؤيته، ومن الروايات التي وقف عندها ودرسها من منظور اجتماعي روايتي (مريم الحكايا)، و(دنيا) لعلوية صبح. اشتركت هاتان الروايتان في تقديم نموذج للسلطة الأبوية ذات ثقافة اجتماعية متأزمة، جرّدتها الحرب من كلّ ما

(١) السرد النسوي، الثقافة الأبوية، الهوية الأنثوية، الجسد، د. عبد الله إبراهيم: ١١٤.

(٢) م. ن: ١١٢.

يمت إلى الرجولة بصلة، وشوّهت أعماقهم، وشلت قدراتهم النفسية والجسدية، فراحوا يبحثون عن كائن ضعيف يستطيعون من خلاله استعادة رجولتهم، وأثبتت ذاتهم وغطرستهم، فلم يكن أمامهم غير المرأة يمارسون عليها سلطتهم ويخوضون غمار الحرب من خلالها. وفي هذا السياق يقول الباحث: 'فضحت الرؤية السردية الأنثوية عالماً هشاً وممزقاً ومنهاراً، فلا يمكن تمثيله بسرد متماسك' [...] ومن المفهوم أنه بمقدار تماسك السياق الاجتماعي الحاضر للكتابة تظهر كتابة متماسكة<sup>(١)</sup>.

إجمالاً يمكن القول: إنّ السياق الاجتماعي كان المهيمن على تشكيل رؤية الباحث النقدية؛ بغية الوقوف على طبيعة الواقع الاجتماعي والثقافي لمجتمع الرواية، وطبيعة الثقافة التي تسيطر على وعيهم وسلوكياتهم ونظرتهم إلى الآخر المختلف عنهم في العادات والمبادئ وحتى الثقافة.

ولم تبتعد دراسة الباحث الأكاديمي نجم عبد الله كاظم الموسومة ب (نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة) عن سياق الدراسات التي انبثقت رؤية الباحث النقدية من روافد سياقية اجتماعية؛ إذ إنّ تقسيم فصول دراسته جاء في هدي ما ورد في الخطابات الروائية، فاستدعت تقسيم الآخر الغربي على الاستعماري والعنصري، والمتحضر والإنساني والصديق، وغيرها من صور الآخر التي قدّمتها تلك الروايات.

تلك الدراسة رصدت رؤية العربي للآخر الغربي، وهي رؤية مستوحاة من طبيعة الواقع الاجتماعي والثقافي الذي يفصل بين العرب والغرب، فالسياق الاجتماعي الذي أنتج تلك الخطابات أفصح عن الأثر الكبير الذي تركه الاستعمار والاحتلال في نفوس أبناء المجتمع العربي، ولهذا نجد السياقات الروائية تنظر إلى الآخر/ الغربي على أنه العدو، أو الاستعماري، أو المريب.

أمّا في سياق رصد صورة المرأة الغربية المنفلتة كما قدّمتها الروايات، فإنّ الباحث يقف عند قول إحدى شخصيات رواية (نورا) لناجي التكريتي، الذي يقول فيه: "الفتاة الأوروبية تبدأ الجنس في الرابعة عشرة من عمرها، إنّ لم يكن قبل هذا التاريخ بكثير..

(١) السرد النسوي، الثقافة الأبوية، الهوية الأنثوية، الجسد، د. عبد الله إبراهيم: ١٢٢.

وما ان تتعدى العشرين حتى تكون قد التقت بالكثيرين"<sup>(١)</sup>، أمّا تعليق الباحث على هذا النصّ فيقول: "وواضح بالطبع ما تحقّقه نظرة (مصطفى) وجملته الأولى من إساءة تريدها الرواية للمرأة الغربية. ولكن المؤلف يجعل بطله يضيف عبارة (إن لم يكن قبل هذا التاريخ بكثير)"<sup>(٢)</sup> وعليه يبدو أنّ سياق النصّ فرض على الباحث أن تسير دراسته في هذا الاتجاه؛ لأنه أراد من ذلك تقديم صورة لطبيعة الحياة الاجتماعية والثقافية لكلّ من الشرق والغرب، وكيف يؤثّر الاختلاف الثقافيّ بين الطرفين على طبيعة العلاقات، مما يخلق فجوة قد يصعب تخطيها لإقامة علاقة شراكة وتكافؤ بينهما.

ويدخل في السياق ذاته دراسة الباحثة هدى الشيباني الموسومة بـ (رواية المرأة العربية من ١٩٩٠ إلى ٢٠٠٧م في ضوء النقد النسوي)، إذ إنّ الغالب على رؤيتها أنّها تنكئ على سياق النصّ ذي الدلالات الاجتماعية. وفي معرض حديثها عن الراوي ودوره في سرد الأحداث، تعتمد الباحثة على جملٍ نصيّة تكشف عن دور الراوي، وعند وقفها على رواية (شجرة الفهود) لتقاسيم العشق تصف لنا الباحثة موقف الراوي من السرد بقولها: "تظهر هنا شخصية (غزالة)، في عرض مشهدي يخبرنا عن شيخوخة (غزالة)، وتمسكها بالحياة، وحبها للغنج على الرغم من تقدمها بالعمر، من غير تدخّل راوٍ عليم يخبرنا بذلك"<sup>(٣)</sup>، وقد وضّحت الباحثة في الهامش المراد بمصطلح العرض المشهدي، وهو قيام الشخصيات بالحديث عن نفسها سواء بالقول أو الفعل من دون تدخّل السارد أو الراوي العليم.

والسرد بهذه الطريقة، أو جعل الأنثى هي المسكة بزمام سرد الحكّي في الروايات الأنثويّة تحديداً له غايات لم تغفل عنها الباحثة. وعليه تتجلى لنا غايتها من رصد الراوي وأنواعه في السرديات الأنثويّة، ومسوّغ انطلاق رؤيتها من سياق النصّ، وذلك لوعي الروائيّة "بأهميّة إفساح المجال لصوت المرأة بالظهور، وتسنّم موقع سرد الأحداث من وجهة نظرها، وهي وجهة النظر التي طالما أقصيت، وأهملت، واستبدلت بتصورات ذكورية"<sup>(٤)</sup>.

(١) نورا، ناجي التكريتي: ١٣٢.

(٢) نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة، د. نجم عبد الله كاظم: ١٨٠.

(٣) رواية المرأة العربية من ١٩٩٠ إلى ٢٠٠٧م في ضوء النقد النسوي، هدى حسين الشيباني: ١٢٢.

(٤) م. ن: ١٢٥.

فالمنزلة الاجتماعية التي حظيت بها الأنثى بعد تغيير الوعي الثقافي، مكنتها من ولوج عالم الكتابة، والتعبير عن الذات، ومشاركة الرجل في القول والفعل، بدلاً من الانزواء في أماكن مظلمة.

وبالانتقال إلى المروي له، فإنّ الباحثة أعلنت عن أن غاية دراستها له، هي توظيف المروي له لتفكيك السلطة الذكورية من جانب، وتحديد وظائف المروي له في الروايات الأنثوية من جانب آخر. فالأنثى المبدعة تسرد الأحداث لمتلقٍ قد يكون حاضراً في النصّ الروائيّ أو غائباً، كما تكتب لقارئ أو جمهور قراء، وهذا السرد لا يخلو من رؤية تسعى من ورائها الروائية إلى إيصال رسالة ما.

وقد وقفت الباحثة عند رواية (كم بدت السماء قريبة) لبتول الخضيرى، وعلمت توجه الخطاب إلى المروي له الأب، الذي هو "رمز السلطة البطيركية، يكشف عن استراتيجية واعية في ذهن الرواية لتفكيك النظام الأبوي، فالبطلة الرواية لا تثور على هذا النظام وتخرقه [...] بل تتجاوز مرحلة التمرد والثورة المباشرة على النظام الأبوي، ومقاطعته، وتهميشه أو تهشيمه إلى محاولة تفكيك هذا النظام"<sup>(١)</sup>. فالسرد بتلك الطريقة لا يُلغي دور أحد على حساب الآخر، لكنّه في الوقت ذاته يُجرد الأب/الرجل من تسلّطه ودكتاتوريته مع الحفاظ على قيمته وكيانه، أي أنّ السرد منح كلّ شخصيّة حقّها.

من هنا يمكن القول بانشغال الباحثة برصد مواقع الأنثى في السرد، وهي مواقع تستمد صورتها الحقيقيّة من الواقع الاجتماعيّ والثقافيّ الذي تعيشه المرأة، ولما تغيّرت النظرة إلى الأنثى بفضل التغييرات الجذرية التي أصابت الثقافة والوعي الجمعي، ومواكبة الأنثى ذاتها لتلك التغييرات ووعيها التام بها، قامت بتوظيف ذلك في السرد؛ لأنّ الكاتبة المبدعة هي جزء من ذلك الواقع، وترى أنّ الواجب يملّي عليها أنّ تتصدّى لكلّ محاولات التهميش والإقصاء التي تتعرّض له الأنثى.

(١) رواية المرأة العربية من ١٩٩٠ إلى ٢٠٠٧م في ضوء النقد النسوي، هدى حسين الشيباني: ١٤٠. ويُنظر أيضاً حديثها عن وظائف المروي له في رواية بنات رياض لرجاء عبد الله الصانع: ١٤٦.

من هنا يتّضح دور السياق الاجتماعيّ في تشكيل رؤية الباحث، فلما كانت المرأة تعاني التهميش والإقصاء من الآخر/ الرجل الذي يحتل مركز الصدارة في فرض الأحكام والتوجيهات والوصاية على المرأة، أخذت الأخيرة على عاتقها التصديّ لذلك التهميش والحجب والإقصاء عبر فعل الكتابة والرجوع إلى المصادر التاريخية التي تضمن للمرأة حقوقها، وقداستها، وقيمة ذاتها، في مقابل إثبات هشاشة النظام الأبويّ وخواء سلطته.

وبناءً على ما سبق نرى أنّ السياق بما فيه من أحداث تاريخية وسرود وأمكنة كان الباعث والمتحكّم في توجيه رؤية الباحث، وطريقته في التعامل مع الخطاب الروائيّ.

### ثانياً: التشكّل النسقيّ:

التشكّل النسقيّ هنا قائم على أساس النسق الذي شكّل البحثُ عنه "هاجس القراءة النسقيّة التي كانت تنطلق من متصورات بنويّة، ويتعامل بعضها مع مفهوم محايت ومغلق للنسق وبعضها الآخر تفسح في النظر إليه من زوايا تباينت من رؤيا إلى رؤيا أخرى"<sup>(١)</sup>، وعليه تتشكّل الرؤية النقديّة من التفتيش عن الأنساق انطلاقاً من القرائن ذات الصلة بالخطاب المدروس، ثمّ تعود إلى الخطاب باتجاه القرائن الثقافية<sup>(٢)</sup>، إذ لا يمكن إدراك الوعي الثقافيّ إلّا في ضوء إدراك النصّ الموجود/ الحاضر، والثقافة الغائبة/ المضمرة، فالوعي بالثقافة يُعدّ سمة أساسية في القراءة الثقافية للنصّ الأدبيّ.

هناك دراسات نقديّة كثيرة اتخذت من النقد الثقافيّ والدراسات الثقافية منطلقاً في دراستها، فكان همّها وشغلها الشاغل البحث عن الأنساق المضمرة والمخفية التي اختبأت تحت غطاء الجمالي في الخطابات الروائيّة. ورؤية الناقد هنا انبثقت من البحث عن تلك الأنساق؛ للوصول إلى الرؤية الثقافية النسقيّة للنصّ الروائيّ، ومسوّغات طمر أنساقه وتغييبها في أعماق الدلالات المتعدّدة. وأول كتاب نقف عنده للباحث حبيب النورس الموسوم بـ

(١) القراءة النسقية سلطة البنية ووهم المحايتة، د أحمد يوسف، الدار العربية للعلم ناشرون - بيروت، منشورات الاختلاف - الجزائر، ط ١، ٢٠٠٧م: ٤٠٣.

(٢) يُنظر: مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، ديفد ديتش، تر: محمد يوسف نجم، دار صادر - بيروت، ١٩٦٧م: ٥٩٣.

(الرواية العراقية من منظور النقد الثقافي دراسة في تحولات الأنساق الثقافية)، وفي هذا الكتاب أعلن الباحث عن رؤيته المنبثقة من الأنساق المخبوءة في المنجز الروائي العراقي منذ العتبة الأولى (العنوان)، كما إنه أكد ذلك في مقدّمة كتابه بقوله: "جاء اختياري لدراسة الرواية العراقية، دراسة ثقافية، تخضع لمعايير النقد الثقافي ومنهجياته، ولم تكن هذه الدراسة معنية بصورة أساسية بالنص الروائي قدر عنايتها بما يحمل من أنساق وشفرات"<sup>(١)</sup>. وعند الولوج في تطبيقات الباحث التحليلية، لمعرفة مدى استيعابه لركائز منهجية قادرة، وجدناها قد انشغلت برصد الأنساق وما فيها من قيم ثقافية.

لقد تشكّلت رؤية الباحث من روافد نسقية؛ لما لها من أهمية في دراسة المنجزات الروائية الصادرة بين العامين (٢٠٠٧ - ٢٠١٠)م، وبالوصول إلى تلك الأنساق يمكننا الوقوف على المتغيرات التي أصابت القيم الثقافية والاجتماعية والدينية لعراق ما بعد عام ٢٠٠٣م، هذه التغيرات التي وجدت الأرضية المناسبة لها نتيجة الانفتاح على العالم، وتوفّر وسائل الاتصال الحديثة، وغيرها من السبل والوسائل بعدما كان المجتمع العراقي يعيش حالة من العزلة الثقافية والاجتماعية، والانغلاق عن العالم بتأثير من النظام السياسي الأحادي.

ويمكننا أن نقف على بعض النصوص الروائية التي رصدها الباحث في الفصل الأول من دراسته الذي شغله بدراسة الأنساق المهيمنة، إذ يقول في معرض حديثه عن رواية (نجمة البتاويين) لشاكر الأنباري: إنّ تفكّك النسيج الاجتماعي، وتصدّع البنى الاجتماعية للمجتمع العراقي بعد الاحتلال انتج "العصبيات العشائرية والطائفية الحزبية والتكالب على الثروة والسلطة وعمليات النهب الجماعي وبرز عصابات الجريمة المنظمة"<sup>(٢)</sup>. كلّ هذه التفاصيل لم تكن خافية في الخطاب الروائي، ولم يغفل عنها الروائي، بل أشار إليها بصراحة وعلانية من دون ترميز أو تورية. وقولنا هذا يؤكد النصّ الروائي الذي اقتبسها الباحث: "جاء الأمريكيان وحلّوا الجيش والأجهزة، وحطموا كل المؤسسات السابقة، ومن البديهي جداً أن يحلّوا الجيش، لكي نتحول إلى شعب من قصص مرعبة [...] إذاً زوال الدولة وحل الأجهزة والتحطيم المقصود للمؤسسات هي عوامل لاستشراء العنف والخطف

(١) الرواية العراقية من منظور النقد الثقافي دراسة في تحولات الأنساق الثقافية، حبيب النورس: ٧.

(٢) م. ن: ٢٨.



والقتل والتسليب"<sup>(١)</sup>. وكان يمكن للباحث أن يُضيف نسقاً آخر غير الذي وقف عنده، وهذا النسق المضمّر هو نسق الخراب والفوضى الذي انتجه الاحتلال، وسعى إلى ترسيخ آثاره في أفراد البلد المحتل؛ لينشغل الناس به، وبكيفية ترميم حياتهم، وإعادة الاستقرار لها. في مقابل انشغال المحتل بتحقيق طموحاته، وسرقة خيرات البلد، والسيطرة على نظام الحياة سياسياً واجتماعياً وثقافياً، ولا يتم له ذلك من دون إشغال الناس بقضايا كبيرة يصعب عليهم تجاوزها بسهولة كالقضايا الطائفية، والنزاعات العشائرية؛ ولهذا كثرت الأحزاب الطائفية وبلغت ذروتها في أعقاب الاحتلال الأمريكي، ودخل البلد في صراع دموي بين أطراف المجتمع الواحد، وكل ذلك تمّ بتخطيط منظم من المحتل.

أمّا في سياق حديثه عن نسق إخفاء الفعل الجنسي، وعدم الحديث عنه صراحةً في الروايات العراقية. فإنّ الباحث يعلّل ذلك الإخفاء بقوله: "العلاقة أو الفعل الجنسي هنا جاء ضمن نطاق زواج شرعي وهو من الصور النمطية المتكررة في الأدب العربي/ العراقي والتي تبين هيمنة هذه الصورة وما لها من قدسية في المجتمع العراقي"<sup>(٢)</sup>. هنا اكتفى الباحث بالإشارة إلى نسق القداسة للفعل الجنسي من دون الإشارة إلى روافد تلك القداسة؛ لأنّ تلك الروافد عدّت بمنزلة الأنساق التي بقيت مهيمنة على ثقافة المجتمع ووعيه. ولمّا كانت عيّنات الدراسة مقيّدة بالروايات الصادرة بين عامي ٢٠٠٧ و ٢٠١٠م، وهي حقبة لم تخلُ من تأثير التيارات الدينية، والأعراف الاجتماعية التي تؤمن بقيم ثقافية وأخلاقية تفرض على المبدع الالتزام بتلك القيم، مما حتمّ عليه الابتعاد عن التصريح بالقضايا الجنسية، والعلاقات الحميمة بين الرجل والمرأة.

وفي مقابل هيمنة هذا النسق، ظهر نسق آخر يحتفي بالجسد الأنثوي، ولا يضع قيوداً على تفصيلات الاستمتاع بجسدها، ومسوّغات ذلك أرجعها الباحث إلى الحرية في الكتابة والانفتاح بعيداً عن قيود الدين والأعراف والأخلاق، وهو انفتاح تمتّع به أدباء

(١) نجمة البتاويين، شاعر الأنباري: ١٤.

(٢) الرواية العراقية من منظور النقد الثقافي دراسة في تحولات الأنساق الثقافية، حبيب النورس: ٤٤.

الخارج<sup>(١)</sup>، فضلاً عن أن الاحتفاء بالجسد الأنثوي نوعٌ من التمرد على النظام الأبوي الذي حجب المرأة، وفرض قيوده على حريتها<sup>(٢)</sup>.

ولكن ما يؤخذ على الباحث التحليل المقتضب ورصد الظاهرة البارزة في النص من دون التعمق في التحليل، وكشف أنساقه المضمرة، ويتجلى ذلك بوضوح في فصله الثالث الذي وقف فيه على الأنساق التي هي في طور التشكيل<sup>(٣)</sup>، وليس هذا فحسب، بل وجدنا أن المبحث الثالث من الفصل ذاته يخلو من أي تعليق نقدي يغوص في أعماق النص للوصول إلى الدلالات الثقافية الثابتة في النص، بل وعدم استثماره لآليات النقد الثقافي الذي يبيح له الانفتاح على ما يحيط بالنص لغرض فهم القيم الثقافية والأنساق المضمرة في الإبداع الروائي وإبرازها. فعلى الرغم من أهمية الموضوع وهو الوقوف على نسق الجسد المنتهك، ولا سيما الجسد المنتهك من سلطة الدولة إلا أن الباحث اكتفى بجمع النصوص من الروايات العراقية التي تنطوي على مشاهد الجسد المنتهك من دون تحليلها أو التعليق عليها.

وتدخل دراسة الباحث هادي الخزرجي الموسومة بـ (الرواية العربية الممنوعة دراسة ثقافية تطبيقية) في سياق الرؤية الثقافية المنبثقة من تشكلات نسقية، إذ أفصحت عتبة العنوان الأولى عن توجه الدراسة باتجاه الدراسات الثقافية التي تعمل على ربط الإبداع الأدبي بالسياق الثقافي الذي أنتجه.

وأول تجليات الرؤية النقدية الثقافية للباحث اتضحت في عنوان دراسته الذي خصّه بملاحقة الروايات العربية الممنوعة؛ ذلك أن مسوّغ منعها مرتبط بثقافة السياق الثقافي والاجتماعي والديني الذي ولدت في أحضانه. فإذا كان سبب المنع دينياً فهذا يعني أن الثقافة الدينية لا تتسجم وتوجهات المبدع وغاياته، التي -ربما- يكون في مقدّمها نقد السلطة الدينية ورؤيتها وأفكارها. وكذا الحال لو كان الدافع وراء المنع سياسياً أو اجتماعياً.

(١) الرواية العراقية من منظور النقد الثقافي دراسة في تحولات الأنساق الثقافية، حبيب النورس: ٤٧.

(٢) م. ن: ٥٠.

(٣) م. ن: ١١١ وما بعدها.

رؤية الباحث تمثلت في دراسته لمجموعة من الروايات العربية الممنوعة بتقديم عرض نقدي ذكر فيه أغلب الآراء النقدية التي قيلت بحق الرواية - عينة الدراسة، فعلى سبيل المثال عند وقوفه على رواية (أولاد حارتنا) لنجيب محفوظ التي مُنعت لأسباب دينية، قدّم الباحث الآراء النقدية التي قيلت بحقها، ووقفت على أسباب منعها<sup>(١)</sup>، ثم انتقل إلى عرض الجمل الثقافية والرموز والأنساق التي تضمّنتها. ومن جملة الرموز ذات الجانب الثقافي الديني الأسماء التي وردت في الخطاب الروائي، إذ يرى الباحث أنّ الأسماء التي عنون بها الروائيّ فصول روايته هي عبارة عن رمز يُراد به شيء ما، فالرمز أدهم يُشير إلى "آدم" (٤)، جبل إلى النبي موسى (٤)، رفاعه إلى النبي عيسى (٤)، قاسم إلى النبي محمد (ص)، أما الأخير، وهو (عرفة) فيشير إلى المعرفة والعلم<sup>(٢)</sup>. إنّ رؤية الباحث هنا بدأت من النصّ ثم انتقلت إلى السياق الثقافي الذي أنتجه، مما قادها إلى الوصول إلى تلك الدلالة العميقة عن طريق دلالة الألفاظ والمسميات الصريحة التي أعلن عنها سياق النصّ.

وكذا الحال عند دراسته لروايتي (الخبز الحافي، وأنا أحياء)<sup>(٣)</sup> وفقاً لمعيار الروايات الممنوعة أخلاقياً، إذ يبدأ الباحث بعرض الآراء النقدية التي تؤكد مسوغات المنع، ثم ينتقل إلى الحديث عن الجمل الثقافية والأنساق المضمرّة، لكن ما يؤخذ على الباحث أنّه اكتفى برصد تلك الجمل والأنساق<sup>(٤)</sup> من دون تحليلها تحليلاً ثقافياً يوضّح سبب انتماء الرواية إلى الأدب المكشوف، ومسوغات احتفاء الرواية بمشاهد الجنس والألفاظ الدالّة على المكشوف والصريح. حتى أنّ تلك المشاهد والجمل أدّت إلى منع الرواية، انطلاقاً من واعز أخلاقيّ. فكان على الباحث استثمار تلك المادة الغنيّة بالدلالات والأنساق المضمرّة في كشف طبيعة المجتمع العربيّ آنذاك، لا سيما وهو يستعين بآليات النّقد الثقافيّ كما يقول.

(١) يُنظر: الرواية العربية الممنوعة دراسة ثقافية تطبيقية، هادي رزاق الخزرجي، دار المعارف للمطبوعات - بيروت، ط ١، ٢٠١٥م: ٤٨ - ٥٧.

(٢) م. ن: ٦٤.

(٣) (الخبز الحافي) لمحمد شكري، و(أنا أحياء) لليلي بعلبكي.

(٤) يُنظر: الرواية العربية الممنوعة دراسة ثقافية تطبيقية، هادي رزاق الخزرجي: ١١٣ - ١٢١.

ولم تبتعد دراسة الباحثة حنان محمود جميل الموسومة بـ (الهوية في الرواية العراقية بعد سقوط بغداد عام ٢٠٠٣م) عن مسار الدراسات ذات الرؤى الثقافية.

أعلنت الباحثة عن رؤيتها في دراسة الروايات العراقية الصادرة بعد عام ٢٠٠٣م، والمتضمنة الحديث عن موضوعة الهوية بالانكفاء على "النقد الثقافي، الذي يعد واحداً من المناهج الحديثة والشاملة"<sup>(١)</sup>، فهي فضلاً عن عدّها النقد الثقافي منهجاً وليس ممارسة نقدية - وهذا خطأ في فهم ماهية النقد الثقافي - قد أعلنت عن رؤيتها المتمثلة بكشف الأنساق الثقافية.

وبالعودة إلى دراستها لرواية (ليل علي بابا الحزين) لعبد الخالق الركابي، وجدناها تُعنى بثلاثة أنساق رصدناها من تقسيمات الباحثة لأنموذج الشخصيات التي حفلت بها الرواية، وهي كلّ من نسق تغيير القيم بفعل العامل الاقتصادي وتدهوره في أعقاب الاحتلال الأمريكي، وهذا قاد إلى شيوع نسق آخر وهو نسق تبدل الانتماء الوطني بانتماءات أخرى تضمن للفرد استمراره بالحياة، وتوفير وسائل العيش، أمّا النسق الثالث الذي تجلّى بوضوح بعد عام ٢٠٠٣م هو نسق الإسلام السياسي، الذي تمثّل بدخول رجال الدين إلى السياسة، والاحتماء باللباس الديني لتحقيق مآربهم وتسويق بضاعتهم. كلّ تلك الأنساق أشارت إليها الباحثة في معرض حديثها عن الانتماء الوطني للشخصيات. ففي سياق حديثها عن شخصية يحيى الذي غير انتماءه الوطني والذي شاركه الكثيرون بهذا التبدل "بعد الذي حصل في البلد، متناسيا القيم والمبادئ"<sup>(٢)</sup>. وعلى ما يبدو أن هذا التغيير الانتمائي والتبدل بالقيم جرى نتيجة الوضع المأساوي الذي عاشه الأفراد في ظلّ حكومة همّها السلطة مما أدخل البلد في مأزق اقتصادي، وفقر ومجاعة. وزاد الأمر سوءاً بعد الاحتلال الأمريكي ودخول البلد في فوضى عارمة، وخراب طال مفاصل الحياة جميعها، فأصبح التمسك بالقيم والانتماء الوطني ضرب من الجنون والعبث.

(١) الهوية في الرواية العراقية بعد سقوط بغداد 2003، حنان محمود جميل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر -

بيروت، ط١، ٢٠١٨م: ١٨.

(٢) م. ن: ١٣١.

أمّا في سياق حديثها عن شخصيّة (غازي الفياض) الذي جعلته أنموذجاً "لهوية الإسلام السياسي، التي تتخذ من المساجد منبرا لتسويق أجندات خاصة بأصحابها، والتي تلبس ثوب الدين لتحقيق غايات"<sup>(١)</sup>. وانطلاقاً من قول الباحثة هذا يمكننا القول: إنّ نسق الدين السياسيّ واحدٌ من الأنساق التي تغلغت في عمق المجتمع العراقيّ، وامتدّت جذوره وتشعبت بتشعب الصراعات بين الأطياف الدينيّة، تلك الصراعات التي سعى الاحتلال إلى تأجيجها وإشعال نيرانها لينشغل المجتمع العراقيّ بها، وتتسع الفجوة بين طوائفه؛ ليتسنى للمحتل تحقيق غاياته والوصول إلى أهدافه بأقصر وقت.

في الفصل الثاني من كتابها الذي حاولت فيه رصد الهويّات العراقيّة التي وردت في الخطابات الروائيّة، كان المفترض أن تحدّد الباحثة الأنساق المضمرة في سياقات الخطاب الروائيّ بناءً على رؤيتها التي حتمت عليها الاتكاء على النقد الثقافيّ، فضلاً عن الاستعانة باستراتيجيات التفكيك ومناهج أخرى، لكنّ الباحثة لم تُوفّق في كشف النسقيّات الثقافيّة. ولم تقف دراستها عند هذا الحدّ بل أنزاحت -دراستها- إلى الذاتيّة والتحليل الانطباعيّ الذي لا يستند على منهجيّة بقدر استناده على رؤية الباحثة وموقفها من النصّ.

ولم يقتصر الأمر على افتقار الدّراسة إلى الجانب المعرفيّ بالمنهج النقديّ، بل تعداه الأمر إلى قلة عيّنات الدّراسة. فالروايات التي وقفت عندها الباحثة، التي تجلّت فيها الهويّة الكرديّة لا تتناسب والمدة الزمنيّة التي تضمّنتها حقبة الدّراسة. فحقبة الدّراسة كما مثبتة في العنوان تُشير إلى أنّها شملت الروايات العراقيّة الصادرة بعد عام ٢٠٠٣م، وهي مدّة مفتوحة، ولكن لو وقفنا عند السنة التي صدر فيها الكتاب وهو عام ٢٠١٨م، نجد أنّ المدة الزمنيّة خمس عشرة سنة، ومجموع الروايات التي ذكرتها الباحثة ثلاث روايات لا غير، هي: (رواية نباح) للكاتب الكردي محمد موكري، و(عالم صدام حسين) لمهدي حيدر، و(ليالي الكاكا) لشاكر الأنباري<sup>(٢)</sup>. هذه الروايات مع قلّتها اقتصرت دراسة الباحثة فيها على الجانبين الوصفي والتاريخيّ المتعلّقين بحياة الأكراد.

(١) الهويّة في الرواية العراقيّة بعد سقوط بغداد 2003، حنان محمود جميل: ١٤٠.

(٢) يُنظر: م. ن: ٧٣-٧٧.

وكذا الحال مع الهوية التركمانية التي رصدتها الباحثة في رواية (آخر الملائكة) لفاضل العزاوي لا غير<sup>(١)</sup>، وما يُحسب على الباحثة أنّ هذه الرواية لا تدخل ضمن مدة الدراسة؛ لأنها صدرت في عام ١٩٩٢ م. والهوية المسيحية في رواية (طشاري) لإنعام كجه جي<sup>(٢)</sup>، أمّا الأقلية الصابئية فقد رصدتها في ثلاث روايات، هي: (عالم صدام حسين)، و(ملائكة الجنوب)، و(حجاب العروس)<sup>(٣)</sup>، والأيزيدية في (الطريق إلى تل المطران)، و(ملائكة الجنوب)، و(يا مريم)<sup>(٤)</sup>، واليهودية في (ملائكة الجنوب)، و(عالم صدام حسين)، و(حجاب العروس)، و(وداعا بابل)، و(نزولة وخيط الشيطان)<sup>(٥)</sup>.

وما يمتلكه الناقد أو الباحث من رصيد معرفي يُعد أدوات تساعد على التنقيب في الخطاب الأدبي؛ لمعرفة التحولات والدلالات التي ينطوي عليها الخطاب، وكيفية تطورها وانتقالها من سياق إلى آخر، ومن دون ذلك الكم المعرفي يتحوّل الخطاب إلى شفرة معقّدة يتعدّد على القارئ فتح مغاليقه، واستكناه خفاياها، والوصول إلى دلالاته العميقة والمضمرة.

كذلك تندرج دراسة الباحث عماد جاسم الموسومة بـ (الهوية المسيحية في الرواية العراقية دراسة تحليلية لروايات ما بعد عام ٢٠٠٣) في خانة التشكّل النسقي؛ لأنّ الباحث أعلن عن رؤيته في التعامل مع الخطاب الروائي، وهي رؤية تبحث في الأنساق عن طريق الاستعانة بالنقد الثقافي الذي عدّه الباحث منهجاً، واتكأ عليه في دراسته للروايات عينة الدراسة؛ لما يمتاز به من تعدّد في الأدوات، وتنوّع في زوايا النظر، فضلاً عن انفتاح مساحته على مختلف الحقول الاجتماعية والنفسية والسياسية<sup>(٦)</sup> مما منح الباحث/ الناقد حرية الخوض في غمار النصّ واستنطاقه.

(١) يُنظر: الهوية في الرواية العراقية بعد سقوط بغداد 2003، حنان محمود جميل: ٧٩ - ٨٠.

(٢) يُنظر: م. ن: ٨٠ - ٨٣.

(٣) يُنظر: م. ن: ٨٤ - ٨٩.

(٤) يُنظر: م. ن: ٨٩ - ٩١.

(٥) يُنظر: م. ن: ٩٣ - ١٠٠.

(٦) يُنظر: الهوية المسيحية في الرواية العراقية دراسة تحليلية لروايات ما بعد عام ٢٠٠٣، عماد جاسم: ١١، و٣٨.

وعند الإمعان في دراسة الباحث، وعرض رؤيته النقدية، وجدناها مكبلة بقيود البنيوية باستثناء بعض المساحات التي ربط فيها بين الشخصيات الروائية الحاملة للهوية المسيحية وشخصية المبدع ذاتها. ففي الفصل الأول من كتابه الذي خصصه لدراسة (خطاب الذات المسيحية في الرواية العراقية)، وقف على ثلاث روايات قدّمت الذات المسيحية، وكلّ رواية درسها بمعزل عن الرواية الأخرى. فعلى سبيل المثال، بدأ بدراسة الذات المسيحية في رواية (الحفيدة الأمريكية) لإنعام كجه جي وأفرد لها مبحثاً خاصاً بها، وعندما انتهى منها انتقل لدراسة الذات المسيحية في رواية (طشاري) للروائية نفسها وأيضاً جعلها بمبحث خاص بها، وكذا الحال مع رواية (يا مريم) لسنان أنطون. وكلّ رواية جعل لها عنواناً فرعياً ذا صلة بعنوان الفصل الرئيس (خطاب الذات المسيحية).

ويبدو أن اختيار الباحث للروايات في الفصل الخاص بدراسة (خطاب الذات المسيحية)، انطلق من ذات المبدع وربطها بالذوات المسيحية الموظفة في الروايات؛ لأن الروائيين كليهما ينتميان للطائفة المسيحية. وما يُحسب على الباحث أنه لم يبحث عن الأنساق المضمرة في تلك الخطابات، وإنما انشغل برصد الأنساق الظاهرة من دون أن تكون أدواته في الكشف عن المخبوء خلفها، فجاءت تحليلاته لتلك النصوص لا تخرج عن إطار ما موجود في النصّ. ونستدل على ما توصلنا إليه تحليله لهذا النصّ المقتبس من رواية (الحفيدة الأمريكية) الذي تقول فيه: "لا أُرغب في الاستجابة لهذه المؤلفة اللجوج التي تراحمني على الكمبيوتر وتجلس لصقي كأننا ثنائي يعزف مرغما على بيانو واحد"<sup>(١)</sup>. وتعليق الباحث على هذا النصّ جاء في سياق تأكيد "وجود صراع هويات وأيضاً تبادل أدوار بين الروائية والمترجمة (بطل الرواية) لتصل إلى حالة مرضية نفسية وهو انفصام الشخصية [...] مخاطبة الشخصية للكاتبة التي تشرف على سير الأحداث لتعلن المترجمة تمردها الرمزي بصفته نوعاً من صراع مطروق في توجهات السرد الحديث لتبادل الأدوار بين الشخصية المتخيلة والروائية المبدعة للنص"<sup>(٢)</sup> وهذا التعليق مع عدم خروجه عن سياق النصّ، فإنّ الباحث قد خلط بين رؤيتين إحداهما ترى في النوع من الكتابة الذي هو

(١) الحفيدة الأمريكية، إنعام كجه جي: ٣٤.

(٢) الهوية المسيحية في الرواية العراقية دراسة تحليلية لروايات ما بعد عام ٢٠٠٣، عماد جاسم: ٥٥ - ٥٦.

في أصله إحدى تقنيات السرد ما بعد الحداثي والمعروف بالميتا سرد أو الميتا رواية، أنه دليل على انفصام الشخصية، أو ما يُعرف بعلم النفس بالشيذوفينيّة، لكنّ هذا الانفصام لا ينطبق على حالة الشخصية وتداخلها بحالة المؤلّفة، وإنّما هو تقنية وظفتها الروائيّة لغاية تعذّر على الباحث الوصول إليها، وإظهارها، أمّا الرؤية الثانية التي استدرّك فيها ما توصل إليه في رؤيته الأولى من أنّه نوع من تبادل الأدوار بين الذات المؤلّفة والشخصية المتخيّلة.

وفي سياق تعليقه على واحد من الحوارات المهمّة التي جرت بين الجدة رحمة وحيدر، نصل إلى نسق مهم أشار إليه الباحث إشارة سريعة بقوله: "فالمُتلقي يتضح له من هذا الحوار أنّ الروائية أرادت تجسيد صراع الأجيال القيمي الذي يخرج من نطاق هويّة أو ديانة إلى أخرى"<sup>(١)</sup> فالنسق الذي يمكن استنتاجه انطلاقاً من رأي الباحث المذكور آنفاً، وبالعودة إلى الخطاب الروائيّ، نسق صراع القيم. وهو صراع بين جيلين ينتميان إلى هويّة دينيّة واحدة، ولكن عاش كلّ منها في ظلّ ظروف وأزمات حتمت عليه تغيير بعض من قيمه واستبدالها بأخرى. فالجيل الأوّل (جيل الجدة والأم) أظهرنا تمسّكهم الشديد بهويّتهم الوطنيّة، وبانتمائهم إلى بلدهم على الرغم من تعرّضهم إلى النفي والتهجير، في مقابل الجيل الثاني (جيل الأحفاد) الذي لا يعترف بالانتماء الوطنيّ؛ لأنّهم ولدوا وتربّوا في بيئات جديدة ذات ثقافة ومبادئ وقيم تختلف عن التي تربي عليها آباؤهم، أو أنّهم ولدوا في خضم الصراعات والحروب وعندما وجدوا الأمان في بلد آخر تخلّوا عن هويّتهم الوطنيّة ولم يجهدوا أنفسهم بالتمسّك بها؛ لأنّه جيل يريد أن يشعر بإنسانيّته الحرّة، وينعم بحياة كريمة أينما كانت وحين وُجدت.

وبالانتقال إلى المبحث الثاني من الفصل ذاته، الذي جعله من نصيب رواية (طشاري) لإنعام كجه جي، نراه يربط بين ذات المؤلّفة المسيحيّة وذات الشخصية المتخيّلة المسيحيّة هي الأخرى. ففي معرض حديثه عن التلاحم الاجتماعيّ بين أطراف المجتمع العراقيّ في نصّ رواية (طشاري) نراه يُحيله على رؤية المبدعة، إذ يقول: إنّ تحليل "خطاب الذات في ضوء رؤية الكاتب المسيحي للشخصية المسيحيّة ما يجسد أبجديات تبلور

(١) الهوية المسيحية في الرواية العراقية دراسة تحليلية لروايات ما بعد عام ٢٠٠٣، عماد جاسم: ٥٨.



الروح الوطنية عند العمة وريدة متخذة من البيئة الاجتماعية منطلقاً لفهم المناخ الذي كان سائداً، والذي أسهم في تعزيز الشعور الجمعي ذي اللحمة الوطنية وذوبان الهويات الفرعية في بوتقة المصاهرة الاجتماعية<sup>(١)</sup>. انطلاقاً من قول الباحث أننا يمكننا القول: إن النسق الذي أرادت الذات المبدعة بثه في ثنايا خطابها، هو نسق الانتماء الوطني. هذا النسق الذي أشار إليه الباحث في أكثر من موضع، إلا إنه لم يذكره على أنه أحد الأنساق المهيمنة في خطابات الذات المسيحية.

ومع أن الباحث أعلن عن رؤيته، ومسوغات اختيار عنوان الفصل وعيّناته، وهي اشتراك روايات الفصل الثلاث بصدورها من ذوات مسيحية، وهذا ما يؤكده قوله: إن ما يوحد تلك الروايات أن "كتابها من الروائيين المسيحيين المغتربين (إنعام كجه جي وسان أنطوان) المهتمين بمتابعة ظروف المسيحيين متخذين من خطاب الذات شكلاً آخر من أشكال إيصال المغزى من وراء كتابة روايات تدور في فلك البحث عن الهوية أو تشظي الهوية"<sup>(٢)</sup>. هذه النقطة الجوهرية لم تُغيب عن وعي الباحث، إلا أنه لم يُقسّم الفصل على وفق الأنساق المهيمنة في تلك الخطابات، فضلاً عن تقييد نفسه بسياقات النص من دون الانفتاح على المساحات الشاسعة التي يُبيح له النقد الثقافي السياحة فيها.

ويدخل في سياق البحث عن الأنساق الثقافية دراسة الباحثة الأكاديمية فوزية لعبوس الجابري الموسومة بـ(المركز والهامش في الرواية [عذراء سنجار] انموذجاً)، وكما هو واضح من دلالة العنوان أنها خصت رواية (عذراء سنجار) لوارد بدر السالم بالدراسة؛ لأنها انشغلت بتصوير الواقع الاجتماعي والثقافي والديني في ظل الاحتلال الداعشي لمدينة الموصل، ولكنّ الغالب على دراسة الباحثة ورؤيتها طغيان الرؤية ذات السياق الاجتماعي من دون الخوض في تفصيلات الأنساق التي تشكلت من ذلك الواقع، وهيمنت عليه في ظل الثقافة التي فرضها داعش بصرف النظر عن نوع الثقافة، سواء أكانت ثقافة جيدة أم سيئة.

(١) الهوية المسيحية في الرواية العراقية دراسة تحليلية لروايات ما بعد عام ٢٠٠٣، عماد جاسم: ٧٥.

(٢) م. ن: ١١٣.

وليس هذا فحسب، بل إنَّ الباحثة لم تكتفِ برصد السياق الاجتماعيّ، وواقع الأفراد في ظلّ بيئة خيم عليها الظلم والوحشيّة والأفعال الإجراميّة والسلوكيات التي تنافي القيم والمبادئ الإنسانيّة، بل انشغلت كذلك برصد الأساليب الفنيّة<sup>(١)</sup> التي لجأت إليها الرواية - عيّنة الدّراسة-، وهذه الأساليب لا تدخل في سياق الدّراسة الثقافيّة وسؤال بحثها، فضلاً عن أنّها أدخلت محور المتعاليات النصيّة<sup>(٢)</sup> من دون استثمارها في الحديث عن علاقة تلك العتبات وثقافة المكوّن الأيزيديّ الدينيّة والاجتماعيّة.

تنتمي دراسة الباحث حميد عبد الوهاب البدراني الموسومة بـ (العنف الرمزيّ مقارنة جندريّة في الرواية النسويّة) إلى حقل الدّراسات الثقافيّة، إذ يسعى إلى استجلاء مظاهر العنف الرمزيّ الذي تعرّضت له المرأة في الواقع وعبرت عنه الروائيّة فنيّاً في الروايات العراقيّة الواقعة بين عامي ٢٠٠٣ - ٢٠١٣ م. وتكمن ميزة العنوان أنّه خصّص نوعاً واحداً من أنواع العنف الذي واجهته الأنثى، من دون البحث في أنواع العنف الأخرى الجسديّة واللفظيّة، ولكن دلالة العنوان اتّسعت وأصبحت عائمة بوجود مصطلح (النسويّة)؛ وذلك للجدل القائم حول دلالة المصطلح، فبعض النقاد يرى أنّ المراد به -مصطلح النسويّة- الأدب المتضمّن قضايا الأنثى سواء أكان صادراً من ذات أنثويّة أم ذكوريّة، وبعضهم الآخر قال بقصر المصطلح على الإبداع الصادر من ذات الأنثى. وهذا الرأي الأخير تبناه الباحث في دراسته، وأعلن عنه بقوله: "اقتصرت عينة هذه الدراسة على أعمال الروائيات العراقيات بغية حصر وتركيز مادة البحث آخذين بنظر الاعتبار أنّ المرأة هي الأقدر لأسباب مفهومة على التعبير عن قضاياها وتطلعاتها"<sup>(٣)</sup>. وليس هذا فحسب، بل راح الباحث يُعلن عن رؤيته في التعامل مع الخطاب الأنثويّ من خلال الاتكاء على معطيات النّقد الثقافيّ<sup>(٤)</sup>؛ انطلاقاً من الاعتقاد باستحالة انفصال العنف عن ثقافة المجتمع الذي أنتجه، فضلاً عن أنّ العنف في جوهره ظاهرة ثقافيّة بصرف النظر عن قيمة تلك الثقافة من حيث كونها مقبولة أم لا.

(١) يُنظر: المركز والهامش في الرواية [عذراء سنجار] انموذجاً، د. فوزية لعيوس الجابري: ٧١ - ١٠٢.

(٢) يُنظر: م. ن: ١٠٣ - ١١٩.

(٣) العنف الرمزيّ مقارنة جندريّة في الرواية النسويّة، د. حميد عبد الوهاب البدراني: ١ - ٢.

(٤) م. ن: ٦.

ورؤية الباحث تلك تحتم علينا إدراج دراسته في سياق الرؤى النقدية المنبثقة من جوانب نسقية، ولكن بعد التتبع والتقصي في الخطابات التي استشهد بها في سياق رصد مظاهر العنف الرمزي، وقيامه بتحليلها، وجدناها تفتقر إلى التحليل الثقافي الخاضع لآليات النقد الثقافي الذي يبحث عن المضمرة، وغير المصرح به، والمخبوء بين طيات الخطابات الصريحة ذات الدلالات الظاهرة. ونستدل على غياب التحليل القائم على رصد الأنساق المهيمنة والمتحركة في توجيه الخطابات بتلك الوجهة، ومسوخ تعنيف المرأة واحتقارها، نقف على قول الباحث في سياق تعليقه النقدي على نص اقتبسه من رواية (زينب وماري وياسمين) لميسلون هادي، إذ يقول عنه: "وافق إبراهيم في مرحلة ذهول الحب على كل شروط أسرة ياسمين لكن دخولها في عصمته، لم يكن يعني لديه سوى دخولها في ملكيته"<sup>(١)</sup>. هذا التعليق النقدي جاء في سياق وصف علاقة ياسمين بزوجها إبراهيم الذي فرض عليها الامتناع عن وضع كل أدوات الزينة وارتدائها، وهذا ما يؤكد النص الروائي المقتبس "وبعد ذهول الحب دخلت في ذهول الصمت، فرميت كل أدوات الزينة إلى سلة المهملات، لأن إبراهيم كان يقول إن وجهي أجمل بدون مكياج، وملابسي أفضل بدون عطر ويدي أستر بدون أساور"<sup>(٢)</sup>. ولو خرج الباحث من سياق النص وربطه بالواقع الثقافي والاجتماعي الذي أنتج هكذا خطابات، وهو خروج يبيحه له النقد الثقافي الذي يفتح على مساحات واسعة تثري النص وتساهم في فتح مغاليقه، لكشف عن النسق الفحولي القار في الثقافة العربية، وفي اللاوعي عند الرجل (الأب أو الزوج) الذي يؤكد تبعية المرأة للرجل، وأنها سلعة يبيح له استهلاكها كيفما شاء هو المهيمن على رؤية إبراهيم لزوجته، وطريقة تعامله معها.

وفي سياق آخر يرصد الباحث وعي الأنثى ورغبتها في التحرر من قيود الأعراف الاجتماعية، وإزاحة أعباء الخوف من سلطة الذكر بصرف النظر عن نوع العلاقة التي تربطه بالأنثى، وذلك بوقوفه على النص الآتي "هنا لندن، عرض للبضائع الجميلة الفاخرة، عرض الأجساد، وهنا كل من حبلت ببلدها أحبت مستشفيات لندن [...] وهنا لا أخ رقيب

(١) العنف الرمزي مقارنة جندرية في الرواية النسوية، د. حميد عبد الوهاب البدراني: ٦٠.

(٢) زينب وماري وياسمين، ميسلون هادي: ١١٥.

ولا زوج، ولا أب، إنها الأوقات السعيدة، والتجديف ضد الأحبة المزيفة والعباءات<sup>(١)</sup>. ويحلّ الباحث هذا النصّ بقوله: "يبجل النصّ ثقافة الآخر، التي تغيب عنها الرعاية الأسرية والاجتماعية فقط لأنها تترك أفقاً مفتوحاً للحريات الجنسية، مقابل تبخيس ثقافة الذات المقرونة بالزيف"<sup>(٢)</sup>. يبدو أنّ النسق المهيمن هنا نسق الاحتفاء بالجسد الأنثويّ الذي عدّ واحداً من القضايا التي تبنّتها النسويّة، وجعلته جزءاً من حريّتها وتحقيق كينونتها؛ لأنّها وحدها التي تمتلك حقّ الاحتفاء به، وحق مشاركتها مع من ترغب. هذه الرؤية غابت عن وعي الباحث وهو يحلّل النصّ الذي يفترض أنّه يبحث عن أنساقه المضمرّة، هذا من جانب. ومن جانب آخر أن النصّ الروائيّ يُشير إشارة خفيّة إلى هشاشة القيم العربيّة، والمبادئ التي تتلاشى مع أول عاصفة تهب في وجه حاملها من أفراد المجتمع. هذه الإشارة لو وقف عندها الباحث لأضفى على دراسته جانباً معرفياً ونقدياً مهماً في سياقه.

ولم تكن تلك الدّراسات وحدها التي استأثرت بمعطيات النّقد الثقافيّ، بل يدخل فيها أيضاً كتابا الباحثة الأكاديميّة نادية هناوي<sup>(٣)</sup>، والباحث حيدر جمعة العابدي<sup>(٤)</sup>.

وبناءً على الإحصائيّة التي قمنا بها للمتون النّقدية في مجال بحثنا، وجدنا أنّ الدّراسات النّقدية المستندة في رؤيتها على معطيات النّقد الثقافيّ لا تتجاوز تسع دراسات، وهي مع قلّتها لم تطبّق إجراءات النّقد الثقافيّ تطبيقاً يؤكد استيعاب الباحثين لتلك الإجراءات، وهذا قاد إلى قصور في تقديم دراسة تفصّل القول في مضمرات الخطاب الروائيّ، وتوضّح الأنساق المطمورة في أعماقه، وتستجلي جوانب الظاهرة ودلالاتها البعيدة.

(١) العنف الرمزي مقارنة جندرية في الرواية النسوية، د. حميد عبد الوهاب البدراني: ٩٦.

(٢) م. ن: ٩٦.

(٣) تمظهرات النقد الثقافي وتمفصلاته قراءة تطبيقية، والجسنة بين المحو والخط (الذكورية/ الأنثوية) مقاربات في النقد الثقافي.

(٤) الأنساق الواقعية والرمزية في الرواية العراقية ما بعد ٢٠٠٣، دار الفؤاد للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٧م.

### ثالثاً: التشكل اللساني:

الرؤية النقدية هنا تتطلق من لغة النصّ، والتأويل الثقافي الذي ينطلق من اللغة ليس بوصفها عنصراً جمالياً، بل بوصفها بذرة لإنتاج التأويل الثقافي، إذ يمكن تفسير اللفظة أو العلامة "وفهم دلالتها من خلال البحث في علاقتها بنظام الخطاب، وعلاقتها بسياق الثقافة أو النسق الثقافي، الأمر الذي يمكّننا من دراسة المكوّن الدلالي من منظور ثقافي"<sup>(١)</sup>، وهذه المكوّنات الدلالية تعيننا على الوصول إلى الدلالة الثقافية عن طريق السياق الخطابي الذي وردت فيه.

من بين الدراسات النقدية التي تتشكل رؤيتها من منطلقات لسانية، كتاب الباحث محمد رضا الأوسي الموسوم بـ (الخطاب الروائي النسوي العراقي دراسة في التمثيل السردية)، ونستدل على ذلك تحليله لرواية (نبوءة فرعون) لميسلون هادي انطلاقاً من مفردات لغوية معبأة بدلالات كشفت عن وعي الروائية ودرجة امتثالها للثوابت الذكورية القارة في الوعي الجمعي. يُفكّك الباحث عتبة عنوان الرواية ليصل إلى نتيجة مفادها أنّ تلك الرواية قد "امتثلت لثوابت الثقافة الذكورية وتبنت منظورها في تمثيل الذات والآخر طبقاً لثنائياتها التي جعلت طرفها الأول (الذكر) معادلاً لكل ما هو إيجابي، والطرف الثاني (الأنثى) معادلاً لكل ما هو سلبي"<sup>(٢)</sup>، وهذه النتيجة أكّدها العنوان عندما أسندت الروائية "النبوءة إلى الذكر وليس إلى الأنثى بصرف النظر عن دلالتها، في تناص واضح مع المرجعيات البطرياركية التي خصت الذكر بهذا الدور وجعلته مقتصرًا عليه، ونفته عن الأنثى انسجاماً مع ثوابتها"<sup>(٣)</sup>. من هنا يمكننا القول: إنّ اللغة الروائية، أو الألفاظ عدّت المفاتيح الرئيسة لانطلاق الباحث في رؤيته ودراسته النقدية.

(١) لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، د. عبد الفتاح أحمد يوسف، الدار العربية للعلم ناشرون - بيروت، منشورات الاختلاف - الجزائر، ط ١، ٢٠١٠م: ١٦.

(٢) الخطاب الروائي النسوي العراقي دراسة في التمثيل السردية، محمد رضا الأوسي: ٦٤.

(٣) م. ن: ٦٤. ويُنظر أيضاً قول الباحث بشأن اسم حنان واستبداله بحدام في رواية زجاجة الوقت لهدية حسين:

وفي السياق ذاته وقف الباحث عند رواية (ما بعد الحب) لهدية حسين، ووجد في عنوان روايتها نسفاً متمرداً أعلن عن ذات أنثوية تؤسس لهوية ثقافية رافضة لهويتها العاطفية التي كُتبت بها؛ "لأن عنوان الرواية وجه فعالية القراءة بوصفه الثريا المضيفة لمسارها، ووضع المتلقي أمام زمنين حاسمين: زمن مضى وانتهى، وهو زمن الهوية السابقة (الهوية العاطفية) التي مثلتها الشخصية الرئيسية نادية [...] وزمن الـ (ما بعد) وهو زمن الهوية الجديدة/ الهوية الثقافية"<sup>(١)</sup> وهذه الهوية الثقافية جسدتها (هدى) إحدى شخصيات الرواية الرئيسية.

إنّ انكفاء الباحث على اللغة/ الألفاظ في تشكيل رؤيته الثقافية جاء نتيجة إدراكه لدور اللغة الكبير في ترسيخ الثقافة، والتحكّم في اللاوعي الجمعيّ، إذ يتجلّى خطر اللغة في تدعيم السلطة الذكورية، وتهميش الآخر الأنثويّ عبر الألفاظ التي شاعت وترسّخت في ذاكرة الجماعة، وتغلّغت في عمق الثقافة فصارت تمارس دورها وتأثيرها من دون أن يعي الفرد شدة تأثيرها ودورها الكبير. من هنا حرص الباحث على رصد أثر اللغة وأهميتها ودرجة وعي الروائيّ بدور اللغة.

ينطلقُ الباحثُ علي جواد عبادة في كتابه الموسوم بـ (المضمرات الإشهارية في الرواية العراقية) في رؤيته النقدية من مرجعيات لسانية تتضمنها النصوص الروائية المنتخبة للدراسة والتحليل، ومن بين الجمل الثقافية التي وقف عندها ثنائية (نحن والآخر) أي (الشرق والغرب)؛ لأنّها من الثنائيات التي "تمكنت من اختراق الوعي الجمعي؛ بفعل قوة الحاضنة التبشيرية التي تبنتها، ويتمحور فحوى هذه الجمل الثقافية حول كون العرب أمة الخرافة والغرب أمة العقل، حتى اختمرت هذه الجمل في الوعي واللاوعي على حد سواء"<sup>(٢)</sup>. فسعى الباحث إلى تفكيك تلك الثنائيات للوقوف على مسوّغات توظيفها في النصوص الروائية.

(١) الخطاب الروائي النسويّ العراقيّ دراسة في التمثيل السرديّ، محمد رضا الأوسي: ٧٤-٧٥. ويُنظر أيضاً تحليله لرواية (خسوف برهان الكتبي)، لطيفية الدليمي: ١٢٥. وأيضاً تحليله لاسم (فتنة) إحدى شخصيات رواية (الأشلاء المقطعة)، أمال كاشف الغطاء: ١٤٠

(٢) المضمرات الإشهارية في الرواية العراقية حقبة ما بعد الانفتاح، د. علي جواد عبادة: ١٦٣.

وفي سياق رصد صورة الشرق في الروايات العراقية، التي جاءت متماهية مع الرؤية التي رسختها الثقافة الإمبريالية، وأشاعتها في الأوساط العربية، وقف الباحث على ست روايات تقمص مؤلفوها تلك "الرؤى الامبريالية في رواياتهم سرداً وحواراً ووصفاً حتى ليشعر القارئ المطلع على الدراسات الثقافية الكولونيالية وما بعدها بتماهي الروائي مع هذه التوجهات تماهياً كلياً، وتقمصه الجلي لها"<sup>(١)</sup>. فعن طريق الألفاظ التي ترد في ثنايا الرواية ينطلق الباحث في تحليله، واستخلاص رؤية الروائي. ومن بين الروايات التي وقف عندها الباحث (فرانكشتاين في بغداد) لأحمد سعداوي، إذ يقف على حوار جرى بين شخصيتين من شخصيات الرواية هما (الصحفي محمود السوادي، والصحفي والكاتب علي باهر السعدي)، يتضمن هذا الحوار جملاً ثقافية تدين الشرقي وثقافته ودرجة وعيه، فما كان من الباحث إلا الوقوف عندها، والانطلاق منها في التحليل والتأويل. كانت الألفاظ التي وردت على لسان الشخصيتين خاضعة خضوعاً تاماً ومتماهية "مع الرؤى الكولونيالية التي رسمت صورة ممسوخة للشرقي بوصفه كائناً لا يهتم حتى بنظافته؛ لذا فهو به حاجة لأن يُمثل دائماً، فقد تمكنت هذه الرؤى الكولونيالية من [وعي الروائي نفسه]، وجعلته معترفاً بتخلف الشرق ودونيتهم"<sup>(٢)</sup>. هذا وغيره من الشواهد الروائية الأخرى التي وقف عندها الباحث<sup>(٣)</sup>، التي انبثقت من روافد لسانية.

أمّا الجمل الثقافية الأخرى التي رصدها الباحث تمثلت في نقد الثقافة الأبوية، والاحقفاء بالجسد الأنثوي، وقد تشكلت رؤيته النقدية من منطلقات لسانية. ففي معرض حديثه عن دلالة اسم (سرمد برهان الدين) أحد شخصيات رواية (التشهي) لعالية ممدوح، يتجلى لنا بوضوح عنايته بالألفاظ ودلالاتها، إذ يقول: "فالدلالة الرمزية التي تحاith الاسم ترشدنا إلى هذه الزعزعة المقصودة بدلالة متناهية من قبل المؤلفة، فسرمد هو الأزلي غير المنقطع الخارج عن مقولات الزمان والمكان [...] وقد اكتسبت هذه الأزلية والديمومة من البرهان

(١) المضمرة الإشهارية في الرواية العراقية حقبة ما بعد الانفتاح، د. علي جواد عبادة: ١٦٧.

(٢) م. ن: ١٦٨.

(٣) نذكر على سبيل المثال تحليله لرواية متاهة آدم: ١٧٠، وعازف الغيوم: ١٧٤، وطائفتي الجميلة: ١٧٦، وغيرها. يُنظر: م. ن: ١٧٠-١٨٣.

الديني أي من الرؤية الدينية للذكر<sup>(١)</sup>، فجوهر نقد الثقافة الأبوية، واخللة مركزيتها، وهدم سلطتها تجلّى في جهد الروائية المتمثّل في "تعرية هذا الأزلي، وتسفيه هذا البرهان الديني، الذي منح الرجل حق الوصاية على الأنثى، وجعلته مسجى على سرير المرض"<sup>(٢)</sup>. وهذا التحليل المنبثق من بنية النصّ وألفاظه عدّ الرافد المشكّل لرؤية الباحث النقديّة.

وبناءً على ما سبق يمكننا القول: إنّ اعتماد الباحث على التشكّل اللسانيّ في توجيه مسار رؤيته الثقافية جاء نتيجة تأكيد سلطة اللغة وأثرها الخطير في تدعيم كثير من المفاهيم المتعلقة بعلاقة الشرقيّ بالآخر الغربي، ونظرة الأخير الدونية للشرقيّ هذا من جانب، ومن جانب آخر أكّد الباحث دور اللغة في تأكيد الهيمنة الذكوريّة وطبيعة ممارساتها بحقّ الأنثى بوصفها الكائن الضعيف والمهمّش والمقصي.

ولم تتعد دراسة الباحثة عالية محمود الموسومة بـ(الشخصية الجنوبية في الرواية العراقية) عن سياق الدّراسات الثقافية ذات الرؤى المنبثقة من سياقات لسانيّة، إذ تجلّت رؤيتها بوضوح عند دراساتها للشخصية الجنوبية في العديد من الروايات الصادرة بين الحقبين (١٩٩٠ و ٢٠١٠). وقد تناولت الباحثة أسماء الشخصيات موضحة دلالة كلّ تسمية، وفي هذا السياق تقول عن إحدى شخصيات رواية (أيوب) للروائيّ هشام الركابي أنّ أيّوب جبر يمثّل "نموذجاً مزدوجاً لصبر الجنوبي وتحمله الظلم والاضطهاد والتهميش من قبل السلطة أولاً، ويمثّل إدانة لإيديولوجيا الشخصية لأنها حاولت التنصل من واقعها وبحثت عن أمجاد شخصية على حساب مبادئها ثانياً"<sup>(٣)</sup> من هنا كانت دلالة الألفاظ والمسميات الموجهة لدراسة الباحثة وتشكيل رؤيتها؛ لأنّها المعين على تقديم تصوّر واضح ودقيق لطبيعة الشخصية الجنوبية التي قدّمتها الروايات، ومسوّغات ذلك التقديم الذي يكشف عن درجة الإقصاء والتهميش والدونية التي تلحق بالجنوبي لمجرّد ذكر هذه اللفظة.

(١) المضمّرات الإشهارية في الرواية العراقية حقبة ما بعد الانفتاح، د. علي جواد عبادة: ١٩٤.

(٢) م. ن: الصفحة نفسها.

(٣) يُنظر: الشخصية الجنوبية في الرواية العراقية دراسة سوسيو نصية في رواية الأنا الجنوبية، د. عالية خليل إبراهيم، دار علوان الجديدة- سورية، ط١، ٢٠١٧م: ٦٣-٦٤.



هذا التباين الثقافي في العادات والتقاليد والقيم والمبادئ بين الجنوبيّ الريفيّ وابن المدينة سلّطت الباحثة الضوء عليه في دراستها هذه، ولكن ما يؤخذ عليها أنّها اكتفت برصد الظاهرة وتحديد التباين من دون الوقوف على مسوّغات ذلك. فعلى سبيل المثال عند دراستها لظاهرة التصريح بأسماء الشخصيات الروائيّة أو حذفها في الروايات الجنوبيّة، فإنّ جهدها اقتصر على رصد المواضع التي ذُكر فيها الاسم أو حُذف منها، مع التعليق المقتضب على دلالة كلّ تسمية<sup>(١)</sup> ولكن من دون ربطه بالسياقين الاجتماعيّ والثقافيّ الذي استدعى تلك الأسماء والدلالة الحاملة لها، فضلاً عن مسوّغات تكرار أسماء بعينها وربطها بأوصاف لا تخلو من قصديّة.

ويدخل في السياق ذاته دراسة الباحث عمار عزت الموسومة بـ(الهويّة الرمز التناسل دراسة سوسيو ثقافيّة في الرواية العراقيّة فرانكشتاين في بغداد أنموذجاً)، إذ انطلق في مفاصل كثيرة من دراسته من منطلقات لسانيّة في تحليل عيّنات روايته. وفي سياق حديثه عن الهويّات الملتبسة في رواية (فرانكشتاين) لأحمد سعداوي، يقف عند جملة من العبارات والألفاظ التي أفصح عنها الخطاب الروائيّ، وكشف عن اللبس الحاصل في هويّات الأفراد. يُعد اختيار المكان (حي البتاويين) -الذي يُعد واحداً من أحياء مدينة بغداد- قد تمّ بقصديّة وعن دراية بأهميّته وبدرجة حساسيّته، وهذه الأهميّة لم تكن خافية عن وعي الباحث، فقد سعى إلى إبراز تلك الأهميّة عن طريق حوارات الشخصيات، وتعاقب الهويّات في ذلك المكان، وقد أثبتت الحوارات عائديّة المكان إلى الطائفة اليهوديّة، وهي حقيقة مهمّة في سياقها سعى الخطاب الروائيّ إلى الإفصاح عنها، ومن ثمّ وضّح تلك الحقيقة الخطاب النقديّ الذي قدّمه الباحث مستعيناً بالجمال اللسانيّة والحوارات التي وردت على لسان الشخصيات الروائيّة، وتوصّل إلى نتيجة مفادها أنّ الرواية تسعى "إلى نسف فكرة الأصل

(١) يُنظر: الشخصية الجنوبية في الرواية العراقيّة دراسة سوسيو نصية في رواية الأنا الجنوبية، د. عالية خليل إبراهيم: ٤٢-٦٥، وكذا الحال عند دراسته للحوار ١٠٤-١١٥، وأيضاً عند دراسته لصورة المؤلف الجنوبي يُنظر: ٢٨٨-٢٩٦.

والنسب الواحد لصالح فكرة تداخل الأصول في النسيج الاجتماعي، ويشي حديث العتاك ردًا على محمود السوادي بهذه الثيمة التي كشفتها الرواية من خلال ذكر الأمكنة<sup>(١)</sup>.

أمّا في سياق الحديث عن حالة الفوضى والخراب اللذين يعجّ بهما الخطاب الروائيّ، فإنّ الباحث قد توصّل إليه عن طريق العبارات التي تقوّمت بها إحدى شخصيات الرواية بقولها: "أنا أرى الجميع مسؤولين بطريقة أو بأخرى عن هذا الحادث... المناطق التي آوت القاعدة وقدمت لها الدعم فعلت ذلك بسبب الخوف من المكون الآخر، والمكون الآخر هذا جنّد نفسه وصنع ميليشيا لحماية نفسه من القاعدة. صنع آلة موت مضادة بسبب الخوف من الآخر"<sup>(٢)</sup>. هذا النصّ الروائيّ يتحدّث عن حادثة جسر الأئمة الذي يربط منطقة الكاظمية بالأعظمية التابعتين لمدينة بغداد، وتلك الحادثة جرت في عام ٢٠٠٥م أثناء قيام أبناء المكوّن الشيعيّ بأداء مراسيم زيارة الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) في ذكرى استشهاد، وعندما أُشيع خبر وجود انتحاريّ على الجسر المكتظّ بالزوّار أصابهم الرعب والهلع فجرى تدافع بينهم وسقط الكثير منهم في نهر دجلة. هذه الكارثة وقعت في الحقبة التي شهدت صراعًا طائفيًا بلغ ذروته بعد عام ٢٠٠٣م، إذ باحتلال القوات الأمريكيّة للعراق زرعت بذور التفرقة بين المكوّنين الشيعيّ والسنيّ، فانشغل الناس بتخليص أنفسهم من مأزق الوقوع بيد متطرفي المكوّن الآخر؛ لذلك كان كلّ فريق يسلك طريقًا خاصة به لحماية نفسه من خطر الآخر الذي بات يهدّد أمنه واستقراره، وبات العدو له.

ومن الألفاظ التي كان النصّ الروائيّ مشحونًا بها انطلق الباحث في تأكيد صورة الخراب، والعنف الذي طال البلد في تلك الحقبة التي يدّعي فيها كلّ طرف أنّه على صواب، وفي هذا السياق يقول: إنّ صناعة "صورة العدو أو تصوير الآخر عدوا معناه تعميق الفجوة أو تفتيت الأواصر الذهنية والمادية التي تربط مكونات المجتمع. وأكثر من ذلك تفتيت نواة

(١) الهوية الرمز التناسل دراسة سوسيو ثقافية في الرواية العراقية فرانكشتاين في بغداد أنموذجاً، عمار عزّت، دار الشؤون الثقافية- بغداد، ط١، ٢٠٢١م: ٥٤. ويُنظر أيضاً دراسته لبعض شخصيات الرواية ذات الدلالة اللسانية: ٦٥-٦٠-٥٩.

(٢) فرانكشتاين في بغداد، أحمد سعداوي: ١٣٧.

الهوية التي تنجذب له كل الجماعات داخل المجتمع الواحد"<sup>(١)</sup>. من هنا يمكن القول: إنّ اللغة كانت المعين والمنطلق لتشكيل رؤية الباحث؛ لما لها من أثر كبير في تدعيم جملة من الأفكار، وأثرها الكبير أيضاً في الكشف عن خفايا الخطاب ومضمراته.

وبعد فحص العينات المتعلقة بمجال اشتغالنا، لم نعثر على دراسات أخرى انبثقت رؤيتها النقدية من منطلقات لسانية غير التي ذكرناها آنفاً، ووقفنا عندها. فتلك الدراسات مع قلّتها كانت مُدركة لوظيفة اللغة، ودورها الكبير في ترسيخ الأفكار، والقيم، والقضايا المتعلقة بواقع المرأة والنظرة الثقافية إليها، والعلاقات بين الشرق والغرب، فضلاً عن القضايا ذات الصلة بالدين والمعتقد.

(١) الهوية الرمز التناسل دراسة سوسيو ثقافية في الرواية العراقية فرانكشتاين في بغداد أنموذجاً، عمار عزّت:

## الفصل الثاني: موجّهات الرؤية النقدية

-موجّه معرفي

- موجّه إلهاري

- موجّه أكاديمي

لكل ناقد رؤية نقدية نابعة من خلفيات ثقافية ومقاصد قرائية، تمارس تأثيراً كبيراً في توجيه الرؤية بمسار معين يُحدده مقتضى الاشتغال الفكري والقيمي. وعند تتبع التأثيرات الثقافية التي وقع تحت سطوتها الباحثون المعنيون بهذه الدراسة وجدناها متجلية بثلاثة موجهات لا غير، هي الموجه المعرفي، والموجه الإشهاري، وأخيراً الموجه الأكاديمي.

وقبل الخوض في تفصيلات كل موجه ارتأينا أن نُشير إلى موجه آخر لم يُشكل ظاهرة ل يتم إدراجه ضمن الموجهات التي أشرنا إليها، ولكن لوجود ما يمثله في العيّنات النقدية التي أخضعناها للفحص والنقد حتم علينا الإشارة إليه هنا في مدخل هذا الفصل. وهذا الموجه هو الموجه الأيديولوجي الذي هيمن على رؤية الباحث الأكاديمي نجم عبد الله كاظم عند تأليف كتابه (نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة). تقف الأيديولوجيا وراء تأليف بعض الكتابات النقدية، إذ يتغيا الناقد من السير باتجاه معين ذي جانب أيديولوجي غايته الرئيسة إيصال فكرة معينة قد تكون ذات توجهات سياسية، أو دينية، أو ثقافية. والأيديولوجيا تنطوي على نسق معرفي غايته تكييف الفرد لعالمه، واندماجه معه، بصرف النظر عما ينطوي عليه ذلك النسق من زيف أو حقيقة<sup>(1)</sup>؛ لأن الأيديولوجيا على الرغم من حضورها في أي عمل أدبي أو نقدي؛ فإنها تبقى خطرة حين تكون مباشرة ومقصودة.

وكتاب الباحث يحمل ارهاصات التوجه الأيديولوجي، بدءاً من الجملة الأولى التي قالها في مقدّمة كتابه، وانتهاءً بخاتمته التي عنونها ب (نحن والآخر إلى أين).

إن مسوّج دراسة الباحث لموضوعه الآخر جاء في سياق تقديم رؤية شاملة لطبيعة العلاقة التي تربط بين ال (نحن/ الشرق)، و(الآخر/ الغرب) انطلاقاً من السياق الثقافي، وانفتاح الشرق على بلدان العالم، والاحتكاك الحضاري بثقّى وسائله، وربطه بالسياقين السياسي والاجتماعي اللذين عبّرت عنهما الروايات الحاملة لتلك الرؤى والتصوّرات. وما

(1) يُنظر: البنية ذات الهيمنة التناقض والتنافر، لوي ألتوسير، تق: فريال جبوري غزول، مجلة فصول - القاهرة،

مج ٥، ع ٣، ١٩٨٥م: ٤٤.

حفزه على ذلك إقامته في إحدى دول الغرب ومعايشته لعاداتهم وثقافتهم ونمط حياتهم وأفكارهم مدة وصلت إلى سبع سنوات بحسب تصريحه في مقدّمة كتابه<sup>(١)</sup>.

تساؤلات كثيرة شغلت وعي الباحث، وحاول استنباط إجاباتٍ عنها من رؤى الروائيين التي جاءت مبنوثة في ثنايا خطاباتهم الإبداعية، وتلك الرؤى يحدّها مساران: الأول واقعي نابع من تجارب المبدعين أنفسهم، والثاني فنيّ حتمت عليهم الموضوعية أن ينوعوا في تقديم شخصياتهم. وأهمّ تساؤل حاول الباحث الإجابة عنه كان يخصّ مدى نجاح العلاقة بين الشرق والغرب، ولكنّه رهن إجابته برؤية كلّ رواية، واختلافها عن رؤية الرواية الأخرى، كما إنّ نجاح العلاقة أو إخفاقها متعلّق أيضاً برؤية كلّ رواية<sup>(٢)</sup>، فكانت الغاية من دراسته الوصول "إلى ما يشكل الرؤية المهيمنة والأكثر إقناعاً في الروايات، ممثلة بما تراه الشخصيات المتخيلة ومن خلفها الكتاب ليكون في النتيجة، الرؤية التي قد تنطبق على أرض الواقع ممثلة في رؤية الناس/ العرب للآخر الغربي ولمستقبل العلاقة به"<sup>(٣)</sup>. ويبدو أنّ الباحث قد تبنّى إحدى الرؤى التي أجابت عن سؤال مدى نجاح العلاقة بين الشرق والغرب؟ تلك الرؤية عبّرت عنها رواية (الحدود البرية) لميسلون هادي عبر الشخصية الرئيسية (خالد) الذي يمثّل الشرق، و(انستازيا) التي تمثّل الآخر الأمريكيّ تحديداً. لجأ خالد إلى أوروبا، وحاول الاندماج مع هذا العالم عبر علاقة الزواج من الأمريكية (انستازيا)، إلا أن تلك العلاقة تنتهي بالفشل والانفصال؛ لإحساس العربيّ بأنّ زوجته تسعى إلى امتلاكه، فيقرّر الانفصال عنها<sup>(٤)</sup>. هذه الرؤية التي ختم بها الباحث كتابه تشير إلى صعوبة تحقّق الاتصال الناجح والمثمر بين الشرق والغرب، -وربما أراد من ذلك أمريكا فقط- وحتى لو تكلّل بالزواج فسوف ينتهي بالانفصال نتيجة ولادة أجيال جديدة هجينة.

(١) يُنظر: نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة، د. نجم عبد الله كاظم: ١٣.

(٢) يُنظر: م. ن: ٢٦٤.

(٣) م. ن: ٢٧٢-٢٧٣.

(٤) يُنظر: م. ن: ٢٧٣.

غير أنّ مجموعة موجهات أخرى غير الأيديولوجيا هي التي كانت حاضرة وبوضوح في أعمال الباحثين موضع الدرس، على هذا النحو:

### أولاً: الموجه المعرفي

تعد المعرفة موجهًا مهمًا في الممارسات النقدية، فهي تُسهم بمتطلبات الواقع الثقافي بإنتاج نصوص نقدية تُفصح عن الحاجة المعرفية.

ويدخل في سياق الحاجة المعرفية إلى دراسات تُدرك قيمة السرد المعروف بأدب الاعتراف، كتاب الباحث عبد الله إبراهيم الموسوم بـ (السرد والاعتراف والهوية). تتبع رؤية الباحث من إدراكه للمادة الثرة التي يتضمّنّها أدب الاعتراف، ويقف في مقدّمها كشف موقع الكاتب في مجتمعه، ورسْم هويّته من دون تزييف أو تضليل، وأخيرًا تقديم رؤيته للعالم من دون ضبابية أو تعتيم. من هنا اعتنى الباحث بأدب الاعتراف الذي ما زال يُنظر إليه في الأدب العربيّ على أنّه "جملة أسرار، أو على أنّه مدوّنة فضائح، فسوء الظنّ يتربّص بالكتاب والقراء على حدّ سواء، ولا غرابة أن نجد ندرة فيه [...] إذ يعمّق الخوف الضمني من المتلقين رغبة في الصمت لدى الكاتب [...] وكل هذا يتعارض مع وظيفة أدب الاعتراف الذي يستبطن المناطق المخفية من حياة الأشخاص"<sup>(١)</sup>. ودعا الباحث إلى ضرورة أن يأتي الاعتراف متّصلًا بالسياق الثقافيّ الحاضن له؛ للوصول إلى "خريطة التحوّلات الاجتماعية والفكرية والشخصية، وبيان علاقة الكاتب بكلّ ذلك تأثرًا وتأثيرًا، وإلاّ أصبحت الكتابة خداعًا، ثمّ أخيرًا ينبغي أن يُمنح الكاتب الفرصة والمناسبة والحقّ في تقديم اعترافه في الوقت الذي يراه مناسبًا"<sup>(٢)</sup> وعليه فإنّ رؤية الباحث انطلقت من موجهات معرفية على دراية بأهمية تلك المدونات السردية المعروفة بأدب الاعتراف، وبقيمتها التي تفوق قيمة الصمت أحيانًا كثيرة.

ومن بين كتبه النقدية الأخرى التي أنتجت في سياق معرفيّ يُدرك متطلبات الواقع الاجتماعيّ والثقافيّ لملاحقة النتاجات الروائية الصادرة من ذات أنثوية، كتابه الموسوم بـ

(١) السرد والاعتراف والهوية، د. عبد الله إبراهيم: ٥ - ٦.

(٢) م. ن: ٧.

(السرد النسوي - الثقافة الأبوية، الهوية الأنثوية، والجسد)، إذ يعي الباحث أهمية الكتابة النسوية التي "تتصدّ التعبير عن حال المرأة، استناداً إلى تلك الرؤية في معابقتها للذات وللعالم، ثم نقد الثقافة الأبوية السائدة، وأخيراً اعتبار جسد المرأة مكوناً جوهرياً في الكتابة"<sup>(١)</sup>. انطلق وعيه من إدراكه لنضوج الوعي الأنثوي الذي زرع المفاهيم الراسخة في عمق الثقافة العربية، تلك الثقافة التي غيّبت المرأة وحجبت حريتها، وكتمت صوتها لتتسجم والدور الذي تفرضه الثقافة بجعل المرأة تابعة للرجل. من هنا كان الوعي المعرفي الموجه الأول لسير دراسة الباحث باتجاه ملاحقة الإبداع النسوي الذي أنتج وعياً مغايراً ورؤية أنثوية "هي في عمومها رؤية ترفع اعتراضاً جوهرياً - معلناً أو مضمراً - ضدّ الرؤية الذكورية التي صاغت الوعي الاجتماعي العامّ صوغاً أحادياً يفتقر إلى التنوع والتعدّد"<sup>(٢)</sup>.

وعلى الرغم من كلّ ما قدّمته المرأة، وسعت إلى خط مساره وتحقيقه، إلا أنّ رؤيتها التي عبّرت عنها عن طريق الكتابة قد رسمت "بوادر تفكّك ذلك العالم، وصرّحت بضرورة خلخلة القيم التقليدية الداعمة له، فكان السرد يضطرب في إحالة دلالية لا تخفى عن العالم المضطرب الذي قام السرد بتمثيله"<sup>(٣)</sup>. بمعنى أنّ الوعي الأنثوي أصبح مُدرِكاً لخطورة القيم التقليدية، ولدورها في تدعيم سلطة الذكر وتهميش الأنثى. من هنا أدرك الباحث قيمة تلك النتاجات الروائية التي جسّدت ذلك النضوج الفكري والثقافي لدى المرأة، فسأط الضوء عليها لمعرفة مستوى النضج الذي وصلت إليه، ومدى اطلاعها على الحركات النسوية التي شاعت في العالم الغربي، وتأثرها بتلك الحركات.

ويدخل في السياق ذاته كتاب الباحث محمد رضا الأوسي الموسوم بـ (الخطاب الروائي النسوي العراقي دراسة في التمثيل السردية).

لم يغب عن وعي الباحث المستوى الثقافي الذي وصلت إليه الخطابات الأنثوية، ومساعدتها في مواكبة مسار الحركات النسوية في العالم الغربي. انطلقت رؤيته من اعتقاده

(١) السرد النسوي - الثقافة الأبوية، الهوية الأنثوية، والجسد، د. عبد الله إبراهيم: ٥.

(٢) م. ن: ٦.

(٣) م. ن: ٢٥٧.



بجدوى مبادرة "الرواية العراقية إلى الإسهام بشكل فاعل في تحقيق التغيير المنشود عبر تمثّلها لتلك الموجهات الثقافية، وتوظيفها في إعادة تشكيل ذاتها والعالم على وفق أحد اتجاهات الحركة النسوية"<sup>(١)</sup>. بمعنى أنّ حضور الأنثى المبدعة في مجال الكتابة والإبداع حقّق فرادة وتميّزاً لا يمكن إنكاره، لهذا استدعى من الباحث أن يقفَ عنده، ويستجلي التحولات الثقافية التي طرأت على وعي الأنثى المبدعة. المسوّغ الآخر الذي انطلق منه الباحث في دراسته، أنّ تلك الدّراسات التي تناولت إبداع الأنثى قد طالها التهميش والإقصاء والتغيب.

ومن الكتب النقدية المؤلفة بناءً على رؤية معرفية تعي حاجة الواقع لدراسات نقدية تلاحق المنجزات الروائية الخاضعة هي الأخرى لرؤية المبدع، ولأثر واقعه السياسي والاجتماعي والثقافي، كتاب الباحث علي جواد عبادة الموسوم بـ (المضمرات الإشهارية في الرواية العراقية).

أدرك الباحث أهمية هكذا نوع من الدّراسات النقدية التي تُحاكم الخطابات الروائية، وتُحاول الوقوف على مسوّغات إنتاجها، وتداولها بين جمهور القراء، وفي هذا السياق أدرج -الباحث- بعض التساؤلات ليُجيب عنها في مفاصل دراسته، وهذه التساؤلات متعلّقة بمعرفة العلاقة بين الرواية والإشهار، فهل "يعتمد الروائي في تشييد روايته على السبل، والآليات التي يستند إليها الإشهاري في الترويج لمنتج ما؛ من أجل جعل الرواية تصلُ إلى أكثر عدد من الجمهور أولاً، وجعلها تغير رؤيا العالم بالنسبة لقارئها عبر تغليب المواقف الفكرية، والرؤى والتصورات بأغوية السرد"<sup>(٢)</sup> هذا فضلاً عن معرفة مقدار خضوع الروائي في كتابة روايته إلى متطلبات السوق أو الموضة أم أنّه يكتب انطلاقاً من وعي ثقافي يتفقّى مسار النقد وبواكبه؟<sup>(٣)</sup>.

(١) الخطاب الروائي النسوي العراقي (دراسة في التمثيل السردي)، محمد رضا الأوسي: ١٤.

(٢) المضمرات الإشهارية في الرواية العراقية حقبة ما بعد الانفتاح، د. علي جواد عبادة: ٩.

(٣) يُنظر: م. ن: الصفحة نفسها.

وقد تجلّى وعي الباحث المعرفي بقوله: "لقد رصدت دراستنا في مباحثها الثلاثة حاكمية الخطاب الثقافي ولا سيما النقدي، وما يمتلكه من رؤى وأفكار وتصورات على وعي الروائي وهو يوثق عالمه السردي، ويمنح شخصياته مستويات فكرية متباينة"<sup>(١)</sup>. هذا القول يؤكد ميل الخطاب الروائي إلى إنتاج خطابات تحظى بعناية النقاد، وتخضع لمعايير النقد السائد، وربما تسير بمحاذاة الخطابات التي نالت شهرة وذاع صيتها في الأوساط النقدية، أو قد تُنتج خطابات إبداعية تُحاكي الواقع الراهن، وتجسد جوانبه الثقافية، وترصد ظواهر المجتمع فتكون نابعة من وعي نقدي يواكب الخطاب النقدي ويتقّى مساره. تتدرج في سياق الجانب المعرفي دراسة الباحث هادي رزاق الخزرجي الموسومة بـ (الرواية العربية الممنوعة دراسة ثقافية تطبيقية)، فالوعي المعرفي بقيمة الروايات الممنوعة لأسباب عدّة حفّزت الباحث على دراستها، وتتبع مساراتها، ومسوّغات منعها، فضلاً عن معرفة عمق الوعي الثقافي السائد آنذاك الذي لم يستسغ روايات معينة، مما حجبها عن الأنظار، وحرّمها من الذبوع والانتشار، وحجّم جمهورها. من هنا جاءت دراسة الباحث انطلاقاً من رؤيته التي وعت قيمة هكذا نوع من الدراسات.

ولأنّ هكذا نوع من الدراسات لا يكون البحث فيه منهجياً بمعزل عن ثقافة المجتمع السائدة آنذاك، ارتأى الباحث أن يستند جهده على آليات النقد الثقافي؛ لأن موضوع المنع ترتبط ارتباطاً جوهرياً بالسياق الثقافي الذي أنتج تلك الخطابات. وفي هذا الصدد يقول: "إن دراسة موضوع المنع هو من الموضوعات التي تتدرج بانسجام في إطار النقد الثقافي؛ إذ إن عمليات المنع لم تحصل لأسباب أدبية محضة إلا نادراً، كأن تكون الرواية الممنوعة ضعيفة، أو متدنية المستوى"<sup>(٢)</sup>، فقد حققت رؤيته انسجاماً معيناً يُناسب رؤية النقد الثقافي لتقديم رؤية أشمل للسياقات الثقافية التي أخرجت المنجزات الإبداعية الممنوعة من تحت عباءتها.

(١) المضمرة الإشهارية في الرواية العراقية حقبة ما بعد الانفتاح، د. علي جواد عبادة: ١٦١.

(٢) الرواية العربية الممنوعة دراسة ثقافية تطبيقية، هادي رزاق الخزرجي: ١١.

ويعد البحث في سياقات الخطاب الروائيّ الممنوع وجد الباحث أنّها تهدف بالدرجة الأساس إلى تقديم نقدٍ لاذعٍ للمجتمع، فالسبب يكمن في وعي المبدعين الذين "يرون المجتمع بثقافته ومستوى تفعله، مسؤولاً مباشراً عن بزوغ الظواهر التي جعلوها موضوعاً لرواياتهم. فالرواية مثلاً تنقد السلوك السياسي للحاكم، ولكنها في الأصل تحاكم المجتمع الذي سمح للسياسي بالتمادي، أو سمح للظاهرة المنحرفة أخلاقياً بالظهور والانتشار"<sup>(١)</sup>. من هنا تبرز أهمية الثقافة في ولادة خطابات إبداعية لا تقتصر على كلّ ما هو أدبي محض، بل تتسع مدياتها إلى تغلغلها في عمق تلك الخطابات، وأثرها في توجيه الإبداع بالوجهة التي تنسجم ونوع الثقافة السائدة.

ولم تبعد دراسة الباحث عماد جاسم الموسومة بـ (الهوية المسيحية في الرواية العراقية دراسة تحليلية لروايات ما بعد عام ٢٠٠٣) عن ذلك الوعي المعرفيّ بقيمة هكذا نوع من الدراسات، إذ يورد الباحث مسوّغات خوضه غمار البحث في موضوعة الهوية، وتحديدًا الهوية المسيحية في الروايات الصادرة بعد عام ٢٠٠٣م. ولا يخفى على القارئ ما لهذا التاريخ من أهمية؛ إذ إنّه شكّل انعطافة مهمة في تاريخ العراق، وانتقالة خطيرة من نظام إلى آخر مختلف تمامًا، ومن ثقافة إلى أخرى، ومن انغلاق إلى انفتاح، ومن ركود اقتصادي إلى انتعاش اقتصادي، وغيرها من الانعطافات التي طالت مفاصل الحياة جميعها.

يُصرّح الباحث بمسوّغات اختيار عنوان الدراسة، إذ جاء نتيجة عمله "المستمر في ميدان الإعلام والمجتمع المدني من جهة، وأثر موضوع الهوية في تماسك النسيج الاجتماعي من جهةٍ أخرى، وثانيًا: حداثة دقل الهوية المسيحية، الذي وجدته في الدراسة الأدبية بعامة والرواية بشكلٍ خاص في العراق"<sup>(٢)</sup>. ويؤكد هذا القول وجود مسوّغين حقًا للباحث على خوض غمار البحث في موضوعة الهوية، وعلى وجه الدقة الهوية المسيحية، وهما: أولاً المسوّغ الإعلاميّ وذلك انطلاقاً من ميدان عمل الباحث في مجال الإعلام، وإطلاعاً على التغيرات التي أصابت بنية المجتمع وهددت أمنه وزعزعت استقراره وشتتت وحدة صفوفه. ثانيًا: المسوّغ الريادي بوصف الحديث عن موضوعة الهوية

(١) الرواية العربية الممنوعة دراسة ثقافية تطبيقية، هادي رزاق الخزرجي: ٢٠٣.

(٢) الهوية المسيحية في الرواية العراقية دراسة تحليلية لروايات ما بعد عام ٢٠٠٣، عماد جاسم: ٩- ١٠.

المسيحية من الموضوعات البكر نسبياً التي لم يطرق الدرس ساحتها كثيراً، فكان بحثه يُقدّم دراسة نقدية للخطابات الروائية التي ترصد حياة الأقلية المسيحية في عراق ما بعد عام ٢٠٠٣م، وتوثق للأحداث التي عصفت بهم والتمهيش الذي لحقهم.

ومن الكتب الأخرى التي تحمل الوعي المعرفي كتاب الباحث الأكاديمي سمير الخليل الموسوم بـ (الرواية سرداً ثقافياً سسيولوجياً الثقافة وأرختها وتسيبها). الباحث وهو يؤلف كتابه كان يُدرك التحولات الثقافية التي صاحبت تاريخ الرواية، إذ لم تبق الرواية مجرد وسيلة للمتعة والتسلية، ولم تعد تُعنى بالجمالي فقط، بل بإمكان السرد الثقافي "أن يكون وسيلة للتعبير عن رؤية ثقافية فرعية أو مهيمنة، وقد أنتج ما يسمى بـ (الرواية الثقافية) التي ترتبط بالأفكار والعادات والتقاليد والسلوكيات لمجتمع ما"<sup>(١)</sup>، كما أنّ الرواية بإمكانها التعبير عن "واقعة ثقافية أو متخيلة، وقد تكون لها أكثر من زاوية نظر تمثل منظورات شخوص الرواية أو بعضها، إنها تشبه غيرها من النتاجات الثقافية من حيث خضوعها للمتغيرات المكانية والاجتماعية والسياسية"<sup>(٢)</sup>. فالموجه المعرفي هو الغالب على دراسة الباحث سمير الخليل، والدراسات التي أشرنا إليها آنفاً، وهي دراسات وقفت على ثيمات شكّلت ظواهر في الخطاب الإبداعي، مما حفّز النقد على تتبّع مساراتها، والوقوف عندها.

ومن الدراسات الأخرى التي تدخل في هذا السياق، كتاب الباحثة هدى حسين الشيباني<sup>(٣)</sup>، والباحثة عالية خليل إبراهيم<sup>(٤)</sup>، والباحث الأكاديمي باسم صالح<sup>(٥)</sup>، والباحث محمد عبد الحسين هويدي<sup>(٦)</sup>، والباحثة خالدة حاتم علوان<sup>(٧)</sup>، والباحثة هبة جاسم الطائي<sup>(٨)</sup>.

(١) الرواية سرداً ثقافياً سسيولوجياً الثقافة وأرختها وتسيبها، د. سمير الخليل: ١٣.

(٢) م. ن: الصفحة نفسها.

(٣) رواية المرأة العربية من 1900 إلى 2007م في ضوء النقد النسوي.

(٤) الشخصية الجنوبية في الرواية العراقية دراسة سوسيو نصية في رواية الأنا الجنوبية.

(٥) رواية العنف دراسة سوسيونصية في الرواية العراقية ما بعد ٢٠٠٣.

(٦) تمثّلات السلطة ومرجعياتها الثقافية في روايات فؤاد التكريلي.

(٧) أدب الأقليات العراقية دراسة في تفكيك الصورة النمطية عن الايزيديين.

(٨) اتجاهات نقد الرواية في صحيفة الأديب الثقافية ٢٠٠٣-٢٠١٦م، دار الينابيع، ٢٠١٨م.

## ثانياً: الموجه الإشهاري

ارتبط مفهوم الإشهار بالعامل الاقتصادي بالدرجة الأساس، عبر ترويجه لسلعة معينة أو فكرة ما مستعيناً بوسائل الاتصال والإعلام بمختلف أشكالها وأنواعها، إذ يتكفل الإشهاري بالترويج لها، والترغيب بها، فهو شديد الالتصاق بالحياة اليومية، وكثيف الحضور في تفصيلاتها<sup>(١)</sup>.

ولمّا كان الإشهار غير مقتصر على الجانب الاقتصادي، وهو متغلغل في ميادين الحياة كافة، فإنّه في الميدان المعرفي يستدعي "إقامة استراتيجية خطابية تمكنه من التعبير عن إمكانات التبدليل التي يفترضها كون إبلاغي يستند من أجل نجاحه إلى الجاهز والمعطى والمألوف"<sup>(٢)</sup>.

إذاً، فالمراد بالجانب الإشهاري وأثره في توجيه الرؤية النقدية، كتابة دراسات تُحاكي دراسات سابقة لاقت قبولاً واستحساناً من النقاد والقراء؛ لأهميتها، وقيمتها، ومضمونها المفكك لطبيعة الواقع الثقافي والاجتماعي الذي حفز على أن يُسير النقد بالاتجاه الذي ينسجم مع ذلك الواقع. أو أن تتجه الدراسات النقدية باتجاه الموضة وركوب موجة الحديث عن موضوعة تحمل أبعاداً ثقافية ودينية شكّلت انعطافة مهمة في تاريخ المجتمع العراقي تحديداً، ومنها موضوعة الإرهاب الذي تجلّى باحتلال داعش لمدينة الموصل عام ٢٠١٤م. فكانت هذه الحادثة المحفز والباعث على تأليف نصوص أدبية (شعرية وروائية) توثق مرحلة الانعطاف في تاريخ المجتمع العراقي، وتقف على جوانب ذلك الانعطاف، وأثره، وما رافقه من انهيار في منظومة القيم والأعراف، وتفكيك النسيج الاجتماعي، وانقطاع في أواصر التلاحم والانتماء الوطني.

من بين الكتب النقدية التي ركزت عنايتها على دراسة نصّ روائي يحمل بين طياته همّاً موجعاً أصاب مكوناً من مكونات المجتمع العراقي، وهو المكون الأبيدي، كتاب الباحث

(١) يُنظر: معجم السيميائيات، فيصل الأحمر، منشورات الاختلاف، ط١، ٢٠١٠م: ١١٤.

(٢) سيميائيات الصورة الإشهارية الإشهار والتمثلات الثقافية، سعيد بنكراد، منشورات الاختلاف، ط١، ٢٠١٦م:

حامد عبد الحسين حميدي الموسوم بـ (تشظيات الإرهاب والبعد الثقافي)، وكتاب الباحثة فوزية لعبوس الجابري الموسوم بـ (المركز والهامش في الرواية [عذراء سنجار] أنموذجاً.

وبالوقوف على كتاب (تشظيات الإرهاب) نجد الباحث يورد مسوّغاً لاختيار رواية (سبايا دولة الخرافة) للروائي عبد الرضا صالح محمد أنموذجاً لتأليف كتابه عليها بقوله: "رواية معاصرة، لها طابعها الإنساني والثقافي، وفيها من التسجيلية والتقريرية ما ينم عن براعة كاتبها، وقدرته على توصيف الحدث السوداوي الذي خيم على مدينة (الموصل الحدياء)"<sup>(١)</sup>. على الرغم من اقتصار الدراسة على رواية واحدة بصرف النظر عن مضمونها الثر، وموضوعها البكر، وما تتطوي عليه من جوانب ثقافية ودينية، فإن دراسة الباحث لم تتضمن ما يكفي من الموضوعية والعلمية في رصد الظواهر وتحليلها، وكشف الجوانب الثقافية والسياسية التي أنتجت الإرهاب وهيأت له الأرض الصالحة للظهور عليها، وغيرها من القضايا التي كان على الباحث تسليط الضوء عليها.

ويتجلى غياب الموضوعية في تقسيمات محاور الدراسة التي قسمها الباحث بناءً على الأحداث التي عرفت بحياة الشخصية الرئيسة في الرواية، وقد أجملها الباحث في الفهرست<sup>(٢)</sup>. والسمة الغالبة على تلك التقسيمات التشتت، وغياب المنهجية، واللغة الشارحة، ومصادقية قولنا هذا يؤكد قول الباحث الآتي: "عرض لنا الروائي صورة مصغرة لـ(الفيرا)، التي كانت [راغبة] في الانضمام الى داعش، ولأمور عرضناها سابقاً، لكن الروائي يعمد الى التأكيد على هذه الحالة السلبية، وهي التهافت على الانضمام الى داعش الإرهاب، هذا التطرف العالمي حيث [الأعداد] المتزايدة ومن مختلف بلدان العالم"<sup>(٣)</sup>. قوله هذا جاء في سياق الحديث عن الفتاة (الفيرا) التي انضمت وآخرون معها إلى صفوف داعش، وهو شرح لما ذكر في النص الروائي الذي درسه تحت عنوان (التهافت على داعش)، الذي شغل مساحة صفحة ونصف الصفحة.

(١) تشظيات الإرهاب والبعد الثقافي دراسة نقدية في رواية سبايا دولة الخرافة، حامد عبد الحسين حميدي، دار أوراق، ط ١، ٢٠١٨م: ٥.

(٢) يُنظر: م. ن: ١٠٣

(٣) م. ن: ٥٩.

ولم يكن الجانب الإشهاريّ غائباً عن وعي الباحث حبيب النورس لحظة اختيار عنوان دراسته الموسومة بـ (الرواية العراقية من منظور النقد الثقافي دراسة في تحولات الأنساق الثقافية). هذه الدراسة وإن كانت في جوهرها خاضعة لسلطة المؤسسة الأكاديمية؛ لأنها في الأصل رسالة ماجستير خاضعة لوعي المشرف وتوجهاته، فضلاً عن خضوعها لوعي الباحث، فإنها تسير في اتجاه الدراسات التي تسعى إلى مواكبة حركة التطور سواء على مستوى الموضوعات، أو الاتكاء على المناهج الحديثة التي شاعت في البيئات الغربية ولاقت قبولاً واستحساناً في الأوساط الأدبية العربية.

ولمّا كان النقد الثقافيّ يحظى بعناية شديدة على المستويين النظريّ والتطبيقيّ، سارت كثير من الدراسات في هذا الاتجاه، ومن بينها دراسة الباحث المذكورة آنفاً. وما يؤكّد هيمنة الجانب الإشهاريّ على رؤيته عدم خضوع دراسته لمعايير النقد الثقافيّ ومنطلقاته الإجرائية، وهذا ما أشرنا إليه في الباب الثاني من دراستنا<sup>(١)</sup>.

وفي سياق رصد هيمنة الجانب الإشهاريّ على الدراسات النقدية الثقافية، نجد كتاب الباحث الأكاديميّ نجم عبد الله كاظم الموسوم بـ (أمريكا والأمريكيّ في الرواية العربية) قد خضع إلى سلطة الإشهار؛ وذلك لأسبابٍ عدّة يقف في مقدّمها أنّ هذا الكتاب في مجمله، باستثناء ثلاثة فصول\* لا تتجاوز الأربعين صفحة من بين مائة وست وسبعين صفحة قد تمّت إضافتها، أمّا باقي فصول الكتاب فقد جرى ذكرها في كتابٍ سابقٍ للمؤلف نفسه.

فما جاء في الكتاب المذكور آنفاً ورد في كتابٍ للمؤلف نفسه قد أنجزه في عام ٢٠١٣م، وكان بعنوان (نحن والآخر في الرواية العربية). فعلى الرغم من سعة الدراسة وشموليّتها؛ في تناولها للآخر الأوروبيّ والأمريكيّ وهي دراسة رصينة في مجمل تفصيلاتها- إلا أنّ استقطاع ما قيل سابقاً عن الأمريكيّ في ذلك الكتاب وتوظيفه في كتابٍ آخر مستقل بعد ثلاث سنوات من صدور كتابه الأوّل (نحن والآخر) يُعدُّ فعلاً غير مستساغ.

(١) يُنظر: الفصل الأوّل من الباب الثاني: ١٩٧.

\* سيرد الحديث عنها مفصلاً

وكان بإمكان الباحث أن يجتنب نفسه من الوقوع في مأزق الخرق المنهجي والتكرار غير المستساغ لو اكتفى بإحالة القارئ إلى كتابه الأول -نحن والآخر-، وهو بهذا الفعل سوف يُقدّم لنفسه خدمة من جانبين: الأول، أنه سيُعرّف القارئ أو الدارس بدراسة مهمة وأكثر سعة ودلالة في هذا المجال. أمّا الثاني فيتمثل بما تتضمنه الإحالة من تسويق لكتابه، وتحفيز القارئ على البحث عنه واقتنائه أو الاطلاع عليه.

الأمر الآخر أنّ الباحث لو استثمر فرصة تأليف كتابٍ نقديّ يدخل في سياق الدّراسات الثقافية بتناوله لموضوعة تهدف إلى تقديم صورة عن أمريكا والأمريكيّ في الروايات العربيّة، وقام بتحليل نصوص روائيةً أخرى غير التي وقف عندها في كتابه (نحن والآخر) وقدم صورة الأمريكيّ كما وردت في تلك الخطابات الإبداعية، وقدم نتائج مهمة في هذا السياق لحصّن نفسه من تلك المآخذ التي أخذت على كتابه الذي نحن بصدد مناقشته، إذ إنّ أهمّ تلك المآخذ إبعاد روايات روائي سوريا والأردن من العينات المنتخبة للدراسة، فضلاً عن روايات أخرى عربيّة وعراقية لم يقف عندها الباحث وهي واقعة ضمن حقبة دراسته التي أشار إليها في التمهيد بقوله: ولأنّ ميدان هذه الموضوعة -نعني الرواية العربيّة- من السعة بحيث لا بد من أن تكون هناك نماذج مختارة تدخل المختبر النقدي فتُحلّل وتُدرس، كان تركيزنا، في هذه الدراسة، على الرواية العربيّة في العراق وبلاد الشام الصادرة بين عام ١٩٨٠ و ٢٠١٠<sup>(١)</sup>. فإذا كانت هناك روايات عربيّة كثيرة تُثري دراسة الباحث ضمن الرقعة الجغرافية والتحديد الزمني فلماذا أغفل دراستها وتحليلها؟ وما المسوّغ لإعادة تأليف كتابٍ لم يأتٍ بجديد عمّا قيل سابقاً عن الموضوع ذاته؟

وفي مقارنة سريعة بين محتويات الكتابين، يمكننا أن نُرشّد القارئ إلى جميع المواضيع التي اشترك الكتابان بذكرها. في المقدّمة: اشترك الكتابان بالمقدّمة ذاتها، وقد أشار الباحث إلى هذا الأمر في كتابه (أمريكا والأمريكيّ في الرواية العربيّة)<sup>(٢)</sup>، باستثناء تعديلات طفيفة شملت مقدّمة كتابه الثاني.

(١) أمريكا والأمريكي في الرواية العربيّة، د. نجم عبد الله كاظم: ٢٢.

(٢) يُنظر: مقدّمة كتاب نحن والآخر: ١٣، ومقدّمة كتاب أمريكا والأمريكي: ٩.



على مستوى التمهيد: جاء مطابقاً لما ورد في مقدّمة كتابه (نحن والآخر)، والاحتفاظ بالمدة الزمنية التي قصر جهده عليها في الكتابين، مع تغيير عبارة (ونحن نقدّم صورة الغرب ضمن بحثنا نحن والآخر الغربي) التي وردت في كتابه (نحن والآخر) واستبدالها بعبارة (ونحن نتناول صورة الأمريكيّ في الرواية العربيّة)<sup>(١)</sup>؛ وذلك لتنسجم وغاية الدّراسة في الكتابين كليهما.

وبالانتقال إلى فصول الكتابين، نرى أنّ الفصل الأوّل من كتابه (أمريكا والأمريكي) الذي جاء بعنوان (الروائي والعوامل المؤثرة في النظرة إلى الغرب والغربيين)<sup>(٢)</sup>، هو الفصل الثاني من كتابه (نحن والآخر) الذي كان بعنوان (رحلة الرواية العربيّة مع الآخر)<sup>(٣)</sup>.

أمّا الفصل الثاني المعنون بـ (الكتابة عن الغرب والغربيين روائياً)<sup>(٤)</sup>، فقد جاء مختصراً لما ورد في الفصل الثاني من كتابه (نحن والآخر)<sup>(٥)</sup>. وكأَنَّ الباحث فصل معلومات الفصل الثاني من كتابه (نحن والآخر) وجعله بفصلين لكتابه (أمريكا والأمريكي).

وعند الانتقال إلى القسم الثالث من كتابه، بفصوله الثلاثة التي تُعدّ إضافة لما قيل في كتابه (نحن والآخر)؛ نجدها لا تأتي بجديد، ولم تغنِ دراسته عن الآخر الأمريكي. فعلى سبيل المثال، نقف على دراسته لرواية (اللجنة) لصنع الله إبراهيم، التي درسها تحت عنوان: (اللجنة لصنع الله إبراهيم كافكا والكافكوية عربياً)، نجده قد شغل نفسه بالحديث عن الفانتازيا وأهمل رصد صورة أمريكا التي قدّمتها تلك الرواية<sup>(٦)</sup>. وكذا الحال في دراسته لروايتي (الرحلة، أيام طالبة مصرية في أمريكا) لرضوى عاشور<sup>(٧)</sup>، و(شاي العروس) لميسلون هادي<sup>(٨)</sup>، فمع قلّة النصوص المقتبسة من الروائيتين الحاملة لإشارات عن أمريكا،

(١) يُنظر: نحن والآخر: ١٧، وأمريكا والأمريكي: ١٩.

(٢) يُنظر: أمريكا والأمريكي في الرواية العربيّة، د. نجم عبد الله كاظم: ٢٣-٣٤.

(٣) يُنظر: نحن والآخر: ٦٥-٧٥.

(٤) يُنظر: أمريكا والأمريكي في الرواية العربيّة، د. نجم عبد الله كاظم: ٣٥-٤٦.

(٥) يُنظر: نحن والآخر: ٧٦-٩٢.

(٦) يُنظر: أمريكا والأمريكي في الرواية العربيّة، د. نجم عبد الله كاظم: ١٠٣.

(٧) يُنظر: م. ن: ١٢١.

(٨) يُنظر: م. ن: ١٣١.

نلاحظ غياب التحليل المنهجي، وعدم بروز الرؤية النقدية التي يُمكن أن تفضي إلى الوصول إلى رؤية الروائيين للأخر الأمريكي.

قدّمت الباحثة الأكاديمية نادية هناوي دراسة نقدية تدخل في ميدان الدراسات الثقافية التي اتّخذت من النقد الثقافيّ منطلقاً للبحث والتّقيب، بحسب ما يُشير إليه عنوان دراستها (الجسدنة بين المحو والخط الذكوريّة/ الأنثويّة مقاربات في النقد الثقافي). وبعد المعاينة القرآنية لدراساتها وجدناها قائمة على ثلاثة أشكال كتابية لم تسلم من الخط، وهذه الأشكال (الشعر، والقصة، والرواية)؛ وقد تجلّى الإرباك بوضوح منذ تقسيمات الفصول وعنواناتها. وما يؤكّد هذا أنّ الباحثة خصّصت الفصل الأوّل من دراستها لمناقشة موضوعة (الجسدنة والهيمنة الذكوريّة)<sup>(١)</sup>، وجعلت أنموذجها التطبيقيّ متناً نقدياً للناقد جمال جاسم أمين، ومنتاً آخر إبداعياً للشاعر نزار قباني، لترصد من خلالهما مقدار انصياع الرجل للمنظومة الذكوريّة التي تبيح له فرض العبوديّة على المرأة وتبعيتها له، لكن الدراستين كليهما لم تخضعا لرؤية نقدية واحدة؛ في حين يستدعي المتن النقديّ رؤية نقدية تتسجم وطبيعة المتن المنقود، وهي رؤية قد لا يمكن تطبيقها على متن إبداعيّ متنوع في طبيعته. هذا من جانب، ومن جانبٍ آخر فإنّ الفصل بمجمله لم يُجب عن أيّ تساؤل من الأسئلة التي وضعتها الباحثة في مقدّمة دراستها وسعت إلى الإجابة عنها في التطبيق النقديّ، وهي أسئلة جُلّها تصبُّ في ميدان رصد دور المرأة في إثبات ذاتها بوصفها قيمة لا حاجة، وهل استطاعت المرأة زعزعة الثوابت الذكوريّة الفازة في اللاوعي لدى الرجل، وكذلك لمعرفة الدور الذي أدّته المبدعات العربيات لتعزيز الأدب النسائيّ وترصين قواعده وفرضياته، وغيرها من الأسئلة التي تدور في هذا المضمّار<sup>(٢)</sup>. هذا فضلاً عن أنّ تحليلها لشعر نزار قباني لم يكن تحليلاً بالمعنى المنهجيّ، بل تصوّرات انطباعية لم تخضع لمعايير المناهج النقدية المعروفة.

(١) يُنظر: الجسدنة بين المحو والخط (الذكورية/ الأنثوية) مقاربات في النقد الثقافي، د. نادية هناوي، دار

الرافدين - بيروت، ط ١، ٢٠١٦م: ١٩.

(٢) وهذه الأسئلة يجدها القارئ في مقدّمة دراستها: ١٢ - ١٣.

أمّا الفصل الثاني الذي عنونته بـ(الجسدنة والشعر) فقد درست فيه نصوصاً للشاعرة ابتسام إبراهيم وقصائد نثر للشاعر زهير بهنام، والفصل بمبتيه يفتقر إلى التحليل المنهجي، والجانب الثقافي<sup>(١)</sup>، فضلاً عن أنّ الفصل لم يُحاول الإجابة عن تساؤل الباحثة عن دور الإبداع النسويّ في تطوير عجلة التقدّم والريادة.

والرأي ذاته ينطبق على دراستها لرواية (السماء تعود إلى أهلها) لوفاء عبد الرزاق، والقصة القصيرة (حشيشة الملاك) لغادة العبسي في الفصل الثالث<sup>(٢)</sup>.

وبناءً على ما قيل آنفاً يمكننا القول: إنّ دراسة الباحثة تدخل في سياق الدراسات الخاضعة لموجّه إشمهاري. فبعد إن جرى تغيير في الوعي الثقافي، وبدأت المرأة تحظى بحريتها في الحياة، وإثبات كينونتها، واستقلاليتها عن سطوة الرجل، وسلطته التي فُرِضت عليها عقوداً طويلة من الزمن، صارت قضية المرأة والحديث عنها، وعن دورها في الحياة الاجتماعية، وإبداعها في المجال الأدبيّ والعلميّ والأكاديميّ منطلقاً للكثير من الدراسات والبحوث الأكاديميّة. من هنا وضعت الباحثة الأكاديميّة نادية هناوي جملة من التساؤلات تصبّ في تتبّع إبداع المرأة في كتابات الرجل والمرأة على حدّ سواء؛ لمعرفة مقدار الوعي الذي يتسلّح به الرجل والمرأة وهما يتحدّثان عن قضية واحدة، وهل كان كلاهما على وعي بحركات التطور والتقدّم الذي أحرزته الحركات النسويّة في العالم، أو أنّه نوع من مخالفة السائد في مجالي الإبداع والنقد النابع من وعي ذكوري؟ وكان يمكن لها أن تُجيب عن تلك الأسئلة وغيرها التي طرحتها في مقدّمة دراستها<sup>(٣)</sup> عن طريق دراستها لكتاب الناقد جمال جاسم أمين، ونقدها لرواية وفاء عبد الرزاق، ولكنّ شيئاً من ذلك لم يحصل باستثناء نتيجة واحدة توصّلت إليها بعد دراستها لرواية (السماء تعود إلى أهلها)، التي رأت فيها محاولة لإنتاج شكل من أشكال "الرواية النسائية الجديدة ونمطا من أنماط الطرح الجنساني الذي يساوي ولا يغلب ويعادل ولا يميز وهدفه تدعيم الوعي النسائي بالهوية وجعله قادرا على

(١) حيث أنّ الغالب على تحليلات الباحثة أنّها تميل إلى الانطباعية، يُنظر: ١٠٨ - ١١٩، و١٢٢ - ١٣٦.

(٢) يُنظر: الجسدنة بين المحو والخط (الذكورية/ الأنثوية) مقاربات في النقد الثقافي، د. نادية هناوي: ١٣٩، و١٥٢.

(٣) يُنظر: م. ن: ١٢ - ١٣.

مجاراة الاخر ومساواته"<sup>(١)</sup>. وما عدا هذه النتيجة فإنّ الدّراسة في مجملها تسير في اتجاه والمسوّغات التي فرضت عليها تأليف ذلك الكتاب في اتجاه آخر.

يقف الإشهار في مقدّمة الدوافع وراء تأليف كتاب يُعالج موضوعة الهويةّ وتعدّدها في عراق ما بعد عام ٢٠٠٣م، وأكثر عام شهد صدور كتبٍ نقديةٍ ودراسات أكاديمية - طُبعت في السنة نفسها - عالجت موضوعة الهويةّ، وجاءت عنواناتها حاملة صراحةً للفظة الهويةّ، هو عام ٢٠١٨م. ففي هذا العام تحديداً طُبعت ستة كتبٍ نقديةٍ<sup>(٢)</sup> كان الموجهان الإشهاريّ والأكاديميّ فيها العاملين المؤثرين في توجيه رؤى النقاد والباحثين.

وأول كتاب نقف عنده (الهويةّ في الرواية العراقية بعد سقوط بغداد ٢٠٠٣م) للباحثة حنان محمود جميل، ويتجلّى الجانب الإشهاريّ في قولها: إنّ الاعتراف بموضوعة الهويةّ "بات واحداً من أهم المواضيع التي يتم تناولها هذه الأيام، خصوصاً أننا صرنا نرى أثر الهوية في تأجيج موضوع الصراعات في هذا البلد الذي لم يعد آمناً"<sup>(٣)</sup>. هذا فضلاً عن موجّه آخر خفي لم تعلن عنه الباحثة، يتمثّل في جانبها الثقافيّ والطبقيّ، فجنس الباحثة ينتمي إلى الجنس الأنثويّ الخاضع لسلطة الذكر وأيديولوجيته، والحديث عن قضية تمسّ المجتمع ككلّ تمثّل نوعاً من الاستقلالية والتحرّر من قيود الذكر وسلطته؛ لأنّها في تعبيرها عن قضايا تخصّها وبنات جنسها يُعدّ نوعاً من التمرد والحرية الفكرية. هذا من جانب، ومن جانبٍ آخر فإنّ حديثها عن موضوعة الهويةّ ولا سيما هوية الأقليات جاء نتيجة إحساسها بالهمّ المشترك الذي يجمعهما، فمتلما هي مهمّشة بسبب جنسها فإنّ هوية الأقليات هي الأخرى قد همّشت نتيجة ضعف مركزيتها، وقلة عددها مقارنة بهوية الأكثرية المتسيّدة.

(١) الجسدنة بين المحو والخط (الذكورية/ الأنثوية) مقاربات في النقد الثقافي، د. نادية هناوي: ١٥١.

(٢) وهذه الكتب: الهوية في الرواية العراقية بعد سقوط بغداد، حنان محمود جميل، وجدل الهوية في الرواية العراقية الجديدة، جميل الشبيبي، والهوية والسرد قراءة في إمكانات السرد العراقي، د. كريمة نوماس، والهوية في سرديات جمعة اللامي، إحسان جابر البخاتي، وتشظيات الإرهاب والبعد الثقافي، حامد عبد الحسين حميدي، والإرهاب والسرد، صادق ناصر الصكر.

(٣) الهوية في الرواية العراقية بعد سقوط بغداد 2003، حنان محمود جميل: ٢٠.

من هنا يمكن القول بوجود موجهين دفعا الباحثة إلى تأليف دراسة تتناول موضوعه الهوية في عراق ما بعد عام ٢٠٠٣م، هما الموجه الإشهاري، والموجه الثقافي/ الطبقي.

وحدود الإشهار في دراسة الباحثة لم تقف عند حدود اختيار العنوان، بل تعداه إلى المتن نفسه. فقد اتخذت من رواية (ليل علي بابا الحزين) للروائي عبد الخالق الركابي أنموذجاً للتحليل ورفع الستار عن الأنساق المخبوءة فيها، وهذا الاختيار هو الآخر خضع للجانب الإشهاري على مستوى المؤلف والمنجز الروائي، وفي سياق الحديث عن مسوغات اختيار الروائي يتجلى الجانب الإشهاري في أنّ رواياته حاصلة على العديد من الجوائز، إذ تقول: "ترجمت روايته (مقامات إسماعيل الذبيح) إلى اللغات الإنجليزية والإسبانية والفرنسية، وفازت بعض رواياته بجوائز عديدة منها (رواية سابع أيام الخلق) التي عُدتّ واحدة من أفضل عشرين رواية عربية في القرن العشرين من قبل الاتحاد العالم للكتاب العرب في دمشق وترجمت للغة الصينية"<sup>(١)</sup>، أمّا بشأن اختيار رواية (ليل علي بابا الحزين) تحديداً فلأنّها رُشّحت "للقائمة الطويلة لجائزة البوكر العربية عام ٢٠١٣م"<sup>(٢)</sup>. فالاختيار وفقاً لما تمّ التصريح به لا يخلو من جانب إشهاري يسعى للوقوف على روايات يحظى مؤلفها بشهرة في الأوساط الثقافية، في مقابل حظوة الرواية بجمهور جيد من القراء.

ولمّا كانت موضوعة النسوية وقضاياها من الموضوعات التي شغلت النقاد والباحثين، ودارت فيها دراسات كثيرة؛ للوقوف على مستوى الوعي الأنثوي الذي وصلت إليه الأنثى في مختلف المجتمعات، وتتفاوت درجة الوعي بتفاوت المستويات الثقافية الحاضر لتلك الخطابات الإبداعية. لم يخلُ جهد الباحث الأكاديمي سمير الخليل من تأليف كتاب يدخل في مضمار الدراسات المتعلقة بالأنثى وقضاياها؛ لذلك ألف كتاباً مشتركاً مع الناقدة الجزائرية طانية حطاب بعنوان (دراسات ثقافية الجسد الأنثوي، الآخر، السرد الثقافي)، وما يبدو على هذا الجهد المشترك خلوه من رؤية واحدة تضبط سياق التحليل الثقافي، وتدخله في باب الدراسات ذات التوجه الإشهاري؛ لأنّ الكتاب في أصله أبحاث متفرقة كتبت في أزمان متفاوتة، وكلّ بحث خاضع لرؤية نقدية تختلف باختلاف

(١) الهوية في الرواية العراقية بعد سقوط بغداد 2003، حنان محمود جميل: ١١٤.

(٢) م. ن: ١١٥.

الموضوع والعينة المدروسة والغاية من الدراسة. والمسوّغ لجمعهما في هذه الدراسة أفصح عنه الباحث بقوله: إن تلك الدراسات "هي في الأصل أبحاث كانت قد نشرتها الناقدة من قبل في مجلات عالمية محكمة، وجمعت هنا لما بينها من تواشج في تناول الثقافي"<sup>(١)</sup>.

وبالوقوف على المحاور التطبيقية التي تعود إلى الباحث سمير الخليل، نجده قد انشغل في دراسته لرواية (الرملة السوداء) لأسعد اللامي برصد البنية الداخلية للنص، وتتبع سيرة حياة الشخصية (نعيم)، ومعاناته من دون تسليط الضوء على السياق الثقافي والاجتماعي، والسياسي الذي أنتج ذلك الواقع، وتسبب في معاناة أجيال كثيرة. وعلى الرغم من أن الرواية غنية بمضامينها الفكرية والنقدية للواقع و الدين وسلطته، إلا أن الباحث ركز جلّ عنايته على قصّة حياة (نعيم) ومعاناته الفردية، ما يؤكد خلو دراسته من الجوانب الثقافية، تحليله للنصّ الروائيّ المقتبس من رواية أسعد اللامي بقوله: "ياخذ الراوي بالإسهاب التفصيلي الدقيق لكل تفاصيل البيت [الآمن] الذي غيره الزمن وأصبحت البضائع والأثاث تنهال عليه دون لذة أو طعم بعد أن كان كل شيء مفرحاً في سنين الحصار العصيبة"<sup>(٢)</sup> إذ إنّ الباحث لم يقف على التطور الثقافي، وانفتاح المجتمع العراقي/ البصريّ على العالم بفضل دخول التكنولوجيا الحديثة، وكثرة وسائل الاتصال بالعالم الآخر، وأثرها العميق في الوعي الثقافي الذي شهد انغلاقاً مرعباً قبل أن يعرف تلك الوسائل. هذه القضايا وغيرها التي تضمّنها الخطاب الروائيّ وأشار إلى بعضها الباحث إشارات خجولة وخاطفة كان الأولى به أن يقف عندها ويفصّل القول فيها؛ لأنّها تدخل في صميم دراسته الثقافية.

ويتجلى الجانب الإشهاريّ كذلك في الملاحق التي ألحقها في كتابه، وهي جلّها سلّطت الضوء على جهود الباحث سمير الخليل في ميدان النقد الثقافيّ، إذ قدّمت الناقدة طانية حطاب دراسة بعنوان (جهود د. سمير الخليل في النقد الثقافيّ)، وهذه الدراسة أُدرجت في الملاحق<sup>(٣)</sup>، وليس تلك الدراسة فحسب، بل هناك دراسة أخرى قدّمها الباحث الجزائري

(١) دراسات ثقافية/ الجسد الأنثوي، الآخر، السرد الثقافيّ، د. سمير الخليل وطانية حطاب: ٩.

(٢) يُنظر: م. ن: ٧١.

(٣) م. ن: ٢٠٨.

طارق بوحالة بعنوان (قراءة في منجز الناقد د. سمير الخليل الثقافي)، وهذه الدراسة هي الأخرى وضعت في ملحق الكتاب الذي نحن بصدد الحديث عنه<sup>(١)</sup>.

لم يكن الإشهار بمنأى عن وعي الباحثة الأكاديمية مسار غازي لحظة إنجاز دراسة انشغلت برصد دور رجال الدين في تضعيف مأساة الأفراد، وزيادة الظلم عليهم في كتابها الذي وسمته بـ(الإكليروس في الرواية العراقية)، هذا الكتاب الذي هو في أصله أطروحة دكتوراه.

يتّضح الجانب الإشهاريّ في أوّل العنوان؛ لأنّ مصطلح الإكليروس -وكما وضّحته الباحثة في تمهيد دراستها- يُشير إلى رجال الكنيسة الذين أخذوا على عاتقهم توجيه العامة من الناس إلى طريق التقرب من الله وكيفية عبادته. وهو بهذه الدلالة يرتبط برجال الكنيسة، ولكنّ الباحثة أزاحت دلالاته ليشمل رجال الدين جميعهم سواء أكانوا من المسيحيين أم من المسلمين. وربما أرادت من ذلك تحقيق أمرين يكمل بعضهما بعضاً، ألا وهما لفت أنظار القارئ/ الدارس باستعمال مصطلح جديد غير مألوف في الدراسات الأكاديمية، والأمر الآخر إبعاد دراستها من مسار الدراسات المتداولة والمشاعة ذات العنوانات الحاملة لمصطلح السلطة الدينيّة، أو أثر رجال الدين، ... وغيرها من العنوانات ذات الدلالة الصريحة لأثر الدين ورجاله.

وقد حاولت الباحثة إشعار القارئ بوعيا التام بالمصطلح الذي تبنته بدلالته عن طريق اختيار عيّنات روائية تناولت رجال الكنيسة ودورهم في توجيه أبناء طائفتهم<sup>(٢)</sup>، ولكنها وظّفت أيضاً روايات جسّدت رجال الدين من أبناء الطائفة المسلمة (شيعة وسنة)<sup>(٣)</sup>،

(١) يُنظر: دراسات ثقافية/ الجسد الأنثوي، الآخر، السرد الثقافي، د. سمير الخليل: ٢٢٤.

(٢) يُنظر: دراستها لرواية (الطريق إلى تل المطران)، علي بدر: ٤٢،

(٣) يُنظر: دراستها لرواية (طشاري)، إنعام كجه جي: ٤٩، و(سارق العمامة)، شهيد الحلفي: ٥٤، و(الوجه الآخر)، فؤاد النكرلي: ٦٩، و(الوليمة العارية)، علي بدر: ٧٤، و(وحدها شجرة الرمان)، سنان أنطوان: ٧٩، و(حدائق الرئيس)، محسن الرملي: ٨١، و(بناقد النبي)، سالم حميد: ٨٢، و(الثقب الروحي)، مالك مجباس: ٨٥، و(مدينة الصور)، لؤي حمزة عباس: ٨٨، و(أبواب الفردوس)، ناطق خلوصي: ٩٧، و(تحت سماء كوينهاغن)، حوراء نداوي: ١٠٠، و(القمر والأسوار)، عبد الرحمن مجيد الربيعي: ٢٣٦، و(الباب الخلفي للجنة)، هيثم الشويلي: ٢٤٣، و(عذراء سنجان)، وارد بدر السالم: ٣٧٤.

وهذا يؤكد اللبس الحاصل لدى الباحثة في عدم التمييز الدقيق لدلالة المصطلح، أو لقلة العينات الروائية العراقية التي انشغلت في رصد دور رجال الكنيسة.

وبناءً على الإحصائية التي قدمناها في الهامش يتحقق لنا ما ذكرناه آنفاً من مسوغات ركون الباحثة إلى مصطلح الإكليروس بدلاً عن مصطلح السلطة الدينية؛ وذلك إما محاولة منها للخروج من مأزق الدراسات المتكررة والمشاعة التي تستعمل مصطلح السلطة الدينية، أو أنها كانت على وعي بدلالة المصطلح ولكن قلة العينات المتضمنة لتلك الظاهرة حالت دون إتمام دراساتها، فلجأت إلى إعمام المصطلح وانزياحه ليدل على رجال الدين جميعاً في كل الديانات والطوائف.

لم تخلُ دراسة الباحث قيس كاظم الجنابي الموسومة بـ(الرواية العراقية بعد الاحتلال الأمريكي هشاشة المأوى وأزمة الهوية) من الجانب الإشهاري، فمع ضعف الرؤية المنهجية في دراسته - وهذا ما أشرنا إليه في الفصل الأول من هذا الباب - وجدناها تتشغل بالحديث عن روايات ابتعد فيها الباحث كثيراً عن غاية دراسته، وهو رصد وضع الرواية العراقية بعد الاحتلال الأمريكي، ففي الباب الثاني الذي عنوانه بـ(سرديات الهوية) أدرج دراسات لا علاقة لها بموضوع الهوية، ولا صلة لها بعنوان الدراسة الرئيس، منها دراسته التي عنوانها بـ(الصورة والصوت في رواية يا مريم)<sup>(١)</sup>، و(يوتوبيا الواقع والهروب من صراع الهويات في رواية اللا أين)<sup>(٢)</sup>، و(ضفاف السرد والبحث عن هوية)<sup>(٣)</sup>، و(الواقع والمتغير في رواية الساخر العظيم)<sup>(٤)</sup>.

وبالانتقال إلى الباب الثالث من كتابه، الذي عنوانه بـ(الآخر في سرديات الهويات) لم يدرس فيه الآخر، بل انشغل بالحديث عن الواقعية السحرية أكثر من انشغاله برصد صورة الآخر، وطريقة تقديمه في روايات ما بعد الاحتلال الأمريكي، لتكون منسجمة

(١) يُنظر: الرواية العراقية بعد الاحتلال الأمريكي هشاشة المأوى وأزمة الهوية، د. قيس كاظم الجنابي: ٩١ -

١٠٠.

(٢) يُنظر: م. ن: ١١٥ - ١٢٥.

(٣) م. ن: ١٢٧ - ١٣٤.

(٤) يُنظر: م. ن: ١٣٥ - ١٤٨.



ومتناغمة مع غاية الدراسة وسؤالها الجوهرية. وليس هذا فحسب، بل حتى العيّنات الروائيّة التي اختارها ليرصد فيها صورة الآخر، وهي (الحمى المسلحة وديسكولاند) لأسعد الجبوري على الرغم من وضوحها في إعطاء صورة الآخر الغربي<sup>(١)</sup> إلا أنّ الباحث في تحليله للنصوص المقتبسة ابتعد كثيراً عن الحديث عن الآخر.

والأمر ذاته ينطبق على دراسته لرواية (للهرب خطوة أخرى) للروائي توفيق حنون المعموري ودرسته جاءت بعنوان (الآخر والفضاء السياسي)<sup>(٢)</sup>، إذ إنّ المساحة التي أفردتها لدراسة تلك الرواية لم تتعدّ ست صفحات ونصف، ومع ذلك لم نرصد أي أثر للواقع السياسي الذي أشار إليه النصّ الروائيّ وعبر عنه صراحةً، بل وجدنا الباحث منشغلاً بالحديث عن تقنيات السرد الروائيّ<sup>(٣)</sup>.

من الكتب النقدية الأخرى التي يغلب عليها الطابع الإشهاريّ، كتاب الباحثة الأكاديمية نادية هناوي<sup>(٤)</sup>، والباحث محمد فاضل المشلب<sup>(٥)</sup>، والباحثة الأكاديمية كريمة نوما<sup>(٦)</sup>، وكتابي الباحث عبد الغفار العطوي<sup>(٧)</sup>.

(١) يُنظر: الرواية العراقية بعد الاحتلال الأمريكي هشاشة المأوى وأزمة الهوية، د. قيس كاظم الجنابي: ١٥٧، و١٦٣، ١٦٤.

(٢) يُنظر: م. ن: ١٩٩.

(٣) يُنظر: م. ن: ٢٠١، و٢٠٥.

(٤) تمظهرات النقد الثقافي وتمفصلاته قراءات تطبيقية.

(٥) الإنجليز في العراق في عالم علي بدر الروائي.

(٦) الهوية والإرهاب قراءة في إمكانات السرد الروائي العراقي.

(٧) كتابات في النسوية، والدراسات النسوية من وجهة نظر الرجل.

### ثالثاً: الموجه الأكاديمي

تؤدي المؤسسة الأكاديمية دوراً كبيراً في توجيه مسار الكتابة النقدية، والدراسات الأكاديمية. منها ما يُسير باتجاه تطوير الدراسات لتواكب التطور الثقافي والعلمي المواكب لتطور الأدب، ومنها ما يتخذ مسار ركوب موجة الموضة والسير خلف الدراسات المتنبية رؤية غريبة تتكى على مناهج مستوحاة من سياقها الثقافي الغربي، فتكون الدراسات الأدبية والنقدية خاضعة في تصوراتها ومناهجها للمناهج الغربية. أو قد تخضع تلك الدراسات الأكاديمية إلى سلطة المؤسسة الأيديولوجية التي يهيمن عليها توجه معين في اختيار موضوعات الدراسة.

لم تخلُ دراسة الباحثة الأكاديمية خالدة حاتم علوان (الروائيون العراقيون اليهود دراسة في الثقافة والتمثيل والتجريب الروائي) من تأثير السلطة الأكاديمية، وما قادنا إلى هذه النتيجة أنّ الأطروحة نوقشت في جامعة ابن رشد في عام ٢٠١٤م، وفي هذا العام والعامين السابقين نوقشت أكثر من دراسة أكاديمية<sup>(١)</sup> اعتنت بقضية اليهود، في قسمي التاريخ واللغة العربية. أي أنّ المؤسسة الأكاديمية مارست دوراً كبيراً في توجيه الدراسات إلى البحث في قضية اليهود.

قدّمت الباحثة مسوّغاً لدراستها منجز الروائيين اليهود بوصفهم فئة تعرّضت إلى التهميش والإقصاء، وأنّ البحث في موضوعات المهمّش والأقليات جاء نتيجة انصاف مرحلة ما بعد الحداثة لهم عبر عنايتها بتلك الموضوعات وتأكيداً مبدأ التعددية وإعلاء شأن الهوامش وتقويض المركز، وفي هذا السياق تقول: 'فلقد أفاد احتفاء ما بعد الحداثة بالتعددية والمهمّش... أهم ما أفادت منه دراستنا في الكشف عن المقموع والمسكوت

(١) يُنظر: الوكالة اليهودية ونشاطها في فلسطين (١٩٤٨ - ١٩٢٢)، عبير وفيق شفيق، قسم التاريخ، ٢٠١٢م. والشخصية اليهودية في الرواية التاريخية منذ عصر الرسول (ص) حتى نهاية الخلافة الأموية، هديل سعدون عبد الصاحب، قسم التاريخ، ٢٠١٣م. والأقلية اليهودية في اليمن (١٩١٨ - ١٩٥١)، عبد الوهاب صالح محمود، قسم التاريخ، ٢٠١٣م. ويهود الدونمة والدولة العثمانية (١٨٧٦ - ١٩١٨)، ضمياء عزيز مناور، قسم التاريخ، ٢٠١٣م. أمّا في عام ٢٠١٤ فقد نوقشت رسالة ماجستير في قسم علوم القرآن تحت عنوان (دور الدين في السياسة الاقتصادية اليهودية المعاصرة - السياسة الزراعية في فلسطين أنموذجاً، للباحث أحمد طعمة ماضي. فضلاً عن الدراسة التي نحن بصدد الحديث عنها في قسم اللغة العربية.

عنه في تاريخ أبناء الطائفة اليهودية العراقية<sup>(١)</sup>. كما إنَّ صدور دراسة عن المهمشين من ذات أنثوية عانت هي الأخرى من الإقصاء والتهميش يقف وراء إنصافهم وتسليط الضوء عليهم انطلاقاً من الدافع النفسي المشترك الذي قادها إلى تبني فكرة الحديث عن تلك الفئة، والإعلاء من شأنها عبر رفعها إلى مرتبة المركز بدلاً من إبقائه في الهامش.

وعلى الرغم من أنَّ الباحثة بذلت جهداً لا يمكن إنكاره في دراسة المتن الروائي الصادر من الذات اليهودية، وفصّلت القول في مضامين الروايات، والتقنيات التي وظفها الروائيون في صياغة منجزهم الإبداعي، وكانت موقفة جداً في تحديد عنوان دراستها وهو (الروائيون العراقيون اليهود - دراسة في شعرية المنجز الروائي)\*، لكنّها -أي الباحثة- أرادت أن تُضيف إلى دراستها جانباً إشهارياً تجسّد باستبدال اللاهقة (دراسة في الثقافة والمتخيل والتجريب الروائي) بدلاً من (دراسة في شعرية المنجز الروائي)، وليس هذا فحسب، بل أنّها صرّحت باعتمادها على النّقد الثقافيّ لدراسة الذات اليهودية، وطريقتهم في تقديم ذاتهم والآخرين، ومعرفة درجة وعيهم ومستوى ثقافتهم، إلّا أنّها لم تقدّم مهاداً نظرياً عن النّقد الثقافيّ، ولم تشر إليه حتى ولو بفقرة واحدة. وهذا ما دعانا إلى القول بطغيان الجانب الإشهاريّ على عنوان كتاب الباحثة، وذكر النّقد الثقافيّ عرضياً في المقدمة بوصفه ممارسة اتكأت عليها الباحثة إنّما جاء في سياق إيهام المتلقّي بعلاقة العنوان بالمنهج.

يمكننا أن نسوّغ التعديلات التي أجرتها الباحثة على دراستها -وهي تعديلات شملت العنوان والتمهيد فقط- أنّها كانت بتأثير مقترح أحد أعضاء اللجنة، ووافقت عليه الباحثة رغبةً وربما عنوة، وهو مقترح في محله، ويُضيف إلى المكتبة كتاباً قيماً لو أنّها -فعلاً- قد استعانت بآليات النّقد الثقافيّ وهي تبحث في منجز مهم لطائفة شكّلت جزءاً مهماً من بنية المجتمع العراقيّ، ولكنّ الباحثة أبقت دراستها القائمة على المنهج الوصفيّ التحليليّ الذي لم يخرج عمّا تضمّنه النصّ الروائيّ من دون الخروج عنه إلى السياقات التي تخدم التحليل

(١) الروائيون العراقيون اليهود دراسة في الثقافة والمتخيل والتجريب الروائي، د. خالدة حاتم علوان: ٩.

\* هذا هو عنوان الأطروحة في الأصل. يُنظر المقدمة: ٩.

وتفسير الظاهرة، هذا الخروج الذي سوّغه التّقد الثقافي ليمارس حرّيته في استنتاج الخطابات وكشف المخبوء.

وهذا الجانب الإشهاريّ لم يكن وحده الحاضر في دراسة الباحثة لمنجز الأقلية اليهودية، بل يمكننا أن نقف على جانب آخر لا يقلّ أهميّة عن عنايتها بمنجز تلك الفئة، وميلها إلى إضفاء صبغة إشهارية على دلالة العنوان ومجال اشتغالها، وهذا الجانب تجلّى في عناية الباحثة بقضية الأقلّيات التي هي جزء من نظرة الآخر المهمّش، بمعنى هناك دافع نفسيّ مشترك قادها إلى تبني فكرة الحديث عن تلك الفئة ووضعها في المركز.

وفي سياق رصد سلطة المؤسسة الأكاديمية في اختيار حقل الدّراسة وموضوعها نقف عند كتاب الباحث إحسان البخاتي الموسوم بـ (الهوية في سرديات جمعة اللامي دراسة في ضوء التحليل الثقافي). سعى الباحث من دراسته تلك إلى رصد الهويّات التي تناولتها منجزات اللامي القصصية والروائية التي صدرت بعد عام ٢٠٠٣م؛ لأن المرحلة التاريخية التي تلت ذلك العام حفلت بظهور صراعات سياسية واجتماعية ودينية وثقافية قادت إلى خلق فجوة عميقة تعدّر ردمها لسنوات طويلة. انتشر على إثرها صراع حادّ بين الهويّات الدينية كلّ منها تحاول إثبات ذاتها وفرض وجودها تبعاً للواقع السياسي والديني السائد لها، في مقابل اندثار بعض الهويّات وطمسها نتيجة قلّة عددها، وعدم وجود قوة ساندة لها.

ولمّا كان جمعة اللامي ينتمي إلى الحزب الشيوعيّ، وأنّ سردياته في أغلبها كانت تميل إلى السيرة الذاتية التي تجعل من الإبداع السرديّ انعكاساً لمجمل حياته الفكرية والثقافية والسياسية، فإنّ الموجه الأكاديميّ ذا الجانب الأيديولوجيّ يظهر جلياً في الوقوف على طبيعة الواقع السياسيّ، وسياسات السلطة الحاكمة قبل عام ٢٠٠٣م وموقفها الرفض لوجود الحزب الشيوعيّ وطروحاته الأيديولوجية على لسان المنتمين إليه فهنا اتّضح دور المؤسسة الأكاديمية في قبولها هكذا موضوعات بعد عام ٢٠٠٣م ودعمها بغية تسليط الضوء على تلك المنجزات الإبداعية التي أخذت على عاتقها تبني توثيق المرحلة السياسية وما رافقها من انعدام الحياة، وانهايار القيم والمبادئ، وسياسات النظام الحاكم، وقد حفّزها

على ذلك وجود مساحة من الحرية بعد انهيار النظام الحاكم، ودخول البلد في نظام سياسي جديد.

ومن الكتب الأخرى التي تدخل في السياق ذاته، كتاب الباحثة ماجدة هاتو هاشم<sup>(١)</sup>.

وفي هدي المعطيات السابقة يتضح لنا أن الموجّه المعرفي هو المتسيد والمتصدر في توجيه الباحثين باتجاه الكتابة في بعض الموضوعات، فكانت تلك الدراسات خاضعة لموجهات معرفية تُدرك أهمية تبني بعض التوجهات في الكتابة لحاجة الواقع الاجتماعي، والبيئة الثقافية للمجتمع العراقي، أو الميل إليها لمواكبة التطور الحاصل في مجال الدراسات والأبحاث العلمية في العالم الغربي، والإفادة منها وتوظيفها في ميادين الدراسات النقدية الثقافية.

فكانت مجمل الدراسات الخاضعة لموجه معرفي أربعة عشر كتاباً، ثم تلتها الدراسات الواقعة تحت تأثير الموجّه الإشهاري، فكانت في حدود ثلاثة عشر كتاباً انطلقت من مسوغات إشهارية تسعى إلى الانضمام في صفوف الدراسات المتبنيّة قضية جوهريّة، أو ظاهرة اجتماعية شاعت في الأوساط الثقافية والاجتماعية للبيئة العربية والعراقية، ولكنها -أي تلك الدراسات النقدية- لم توظف النقد وإجراءاته للوقوف على جوانب الظاهرة انطلاقاً من وعي معرفي يُدرك قيمة تلك النقود وأثرها، بل كان الباعث الإشهاري وراء ذلك.

(١) الرواية العربية ما بعد الحداثيّة تفويض المركز - الجسد - تحطيم السرديات الكبرى.

## **الفصل الثالث: أدوات صياغة النصّ النقديّ**

**-أولاً: لغة النصّ النقديّ**

**-ثانياً: المصطلح وتجاذب الاحتمالات**

**-ثالثاً: عتبات الكتابة في التصويب والبعد الفنيّ**

كلُّ ناقد يُفترض أن يتسلّح بأدوات نقدية، ومن خلالها يتّضح مقدار الوعي المعرفيّ لديه، وبها تتشكّل لغته النقدية، وأسلوبه الخاص، وهذه اللغة لا تعتمد على التحليل البسيط، أو محاكاة النصّ الإبداعيّ محاكاة سطحية، بل هي لغة نقدية حاملة للدلالات ومنتجة لها في الوقت نفسه، وتلك اللغة تتباين في مستوياتها من حيث الدقة والسعة والعمق من ناقد إلى آخر على وفق خبراته النقدية، ورؤيته للنصّ المنقود.

والأدوات النقدية تنقسم على قسمين: الأول "المصطلح النقدي الذي تكون له صلاحيات ثقافية أكبر في تحليله لمستوى معين من مستويات النص" (١). والثاني: "ثقافة الناقد العملية، التي اكتسبتها من خلال احتكاكه بالنصوص الأدبية المختلفة المستويات التي أنتجت في بيئات مختلفة ومتباينة" (٢).

من هنا سيسيرُ هذا الفصل في ثلاثة مسارات: يبحثُ المسار الأول في لغة النصّ النقديّ، والمسار الثاني في قضية دقّة استعمال المصطلح النقديّ الثقافيّ، وما قد يعترّيه من اضطراب أو إخفاق في تطبيقه، والمسار الثالث يبحثُ في أدوات صياغة النصّ النقديّ وتشمل الدقّة في الجوانب النحويّة والصرفيّة والأسلوبية، والدقّة في الإخراج الكتابيّ، واستعمال علامات الترقيم، وغيرها من القضايا ذات الصلة بصياغة النصوص النقدية المكتوبة ودلالاتها وقدرتها على التوصيل.

### أولاً: لغة النصّ النقديّ

إذا كانت اللغة بمفهومها العام تُعدّ أداة تواصل مع الآخرين، وتُمارسُ تأثيراً كبيراً على الأفكار والأفعال، بوصفها "ظاهرة اجتماعية تختلف باختلاف الشعوب والعصور" (٣)، فإنّها في النقد قد تجاوزت وظيفتها الأدائية إلى قدرتها في التأثير على التفكير وإحداث التطور.

(١) سرديات النقد في تحليل آيات الخطاب النقدي المعاصر، حسين خمري، منشورات الاختلاف - الجزائر، دار

الأمان - الرباط، ط ١، ٢٠١١م: ٧٥.

(٢) ن: الصفحة نفسها.

(٣) المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية، د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني - بيروت،

ومكتبة المدرسة - بيروت، ١٩٨٢م: ٢ / ٢٨٧.

في هذا المسار سنبحثُ في لغة النقاد التي استعملوها في ممارساتهم النقديّة؛ بغية الوقوف على طبيعة تلك اللغة، وهل جاءت على قدر عالٍ في الصياغة والأسلوب؟ أو أنها جاءت متواضعة ومقتصرة على اللغة الواصفة والشارحة، بدلاً من مجيئها لغة نقديّة تمتلك الفخامة في الصياغة والجمل النقديّة والعبارات التي تتناسب وحجم الممارسة النقديّة التي تختلف عن الخطاب الإبداعيّ.

انماز كتاب الباحث عبد الله إبراهيم (السرّد النسوي، الثقافة الأبوية، الهوية الأنثوية، الجسد) بلغة نقديّة عالية زاخرة بالمفردات النقديّة، والمصطلحات الثقافيّة المنسجمة مع طبيعة الموضوع المنقود. فلما كان الباحث في سياق تتبّع السرّد النسويّ لمعرفة مقدار الوعي الذي يتجلّى في كتابات المرأة المبدعة، نراه يُحلّل سلوكيات إحدى شخصيّات رواية (حين كنت رجلاً) لإلهام منصور بقوله: "بدأ التنميط الجنسيّ لها كأنثى ضمن نسق ثقافيّ أبويّ، ولكي تعيد جبر الكسر الداخليّ بين جسدها الأنثويّ ورغبتها الإنسانيّة، توهمت أنّ الحلّ يكمن في تقمّص دور الرجل؛ إذ كانت حرّيته بالنسبة لها، هي المعيار الكامل للحرّيّة"<sup>(١)</sup> وقوله هذا جاء في سياق نقد المسار الذي سارت فيه (هبة) باحثة عن حرّيّتها الشخصيّة، معتقدة أنّها تتجلّى في رفض الأنوثة والعمل على تقمّص دور الرجل.

أمّا في سياق نقده لرواية (كم بدت السماء قريبة) لبتول الخضير، فإنّه يقول عن سردها أنّه ركّز على "تفتيت الذات الأنثويّة أكثر من تركيزه على تكوينها، وحرص على تنضيد المشاهد ضمن إطار أفصح فيه عن موقف الأنثى بوصفها تابعاً للآخرين، ومقيّدة بإراداتهم ورغباتهم، إلى درجة بدت فيه الاختيارات الشخصيّة غير موجودة وعديمة الأهميّة، في عالم سرديّ كان يمور بالنزاعات الثقافيّة الأسريّة"<sup>(٢)</sup>. وعليه فإنّ لغة الباحث لغة نقديّة واعية ومدركة للمفاهيم الثقافيّة وطبيعة الثقافة المهيمنة على تلك الخطابات الإبداعيّة.

(١) السرّد النسوي، الثقافة الأبوية، الهوية الأنثوية، الجسد، د. عبد الله إبراهيم: ٨٠.

(٢) م. ن: ١١٢.



أمّا الباحث هادي رزاق الخزرجي فقد اتكأ على لغة نقدية التزمت بمصطلحين من مصطلحات الدرس النقدي، هما: مصطلح (المنع)، ومصطلح (دراسة ثقافية). وهذان المصطلحان صرّح بهما الباحث في عنوان دراسته الموسومة بـ(الرواية العربية الممنوعة دراسة ثقافية تطبيقية).

عمل الباحث على تقديم فرشاة نظرية تناولت الحديث عن مفهوم المصطلح (المنع)، وحيثياته، وتاريخ ارهاصات الظاهرة، في حين أنّه لم يفرد ولو مساحة صغيرة من دراسته تقف على جوانب مصطلح الدراسة الثقافية، وعلاقته بالنقد الثقافي الذي أفاد من إجراءاته في تحليل الروايات الممنوعة لأسباب ذكرها الباحث.

وهذا الكتاب طُبع سابقاً بعنوان (جدل الهوية في الرواية العربية)، وقد فصلّ الباحث في مصطلحات العنوان، ونظر لكلّ من مصطلح (الجدل)، ومصطلح (المنع)، ومصطلح (النقد الثقافي)، وهذه التفصيلات لم نعثر عليها في طبعة كتابه الأخيرة التي نحن في صدد مناقشتها. وهذا التعديل على العنوان حتّم عليه رفع مصطلح الجدل من الكتاب كلّ، واستبداله بمصطلح (العرض).

وعند الانتقال إلى العرض التطبيقيّ للروايات التي مُنعت لأسباب دينية واجتماعية وسياسية، وهي جلّها أسباب يهيمن عليها باعث ثقافيّ بالدرجة الأساس، وليس باعثاً أدبياً لذلك استعان الباحث بمعطيات النقد الثقافيّ، فالمنع هنا ظاهرة ثقافية.

والغالب على لغة الباحث أنّها لغة وصفية يغيب عنها التحليل في أحيان كثيرة، وهذا لا ينسجم وطبيعة الظاهرة الثقافية التي تستدعي الخوض في كلّ السياقات ذات الصلة بالنصّ الإبداعيّ، فتخرج إلى السياق ثم تعود إلى النصّ مرة أخرى لتكشف مسوّغات المنع، ومسوّغات لجوء المبدع إلى التنقيب في المحظورات، وطريقة توظيفها في الخطاب الإبداعيّ.

ففي سياق نقده للروايات الممنوعة لأسباب دينية، يقفُ على روايتين هما: (أولاد حارتنا) لنجيب محفوظ، و(وليمة لأعشاب البحر) لحيدر حيدر. يبدأ الباحث بتقديم عرض نقديّ للروايتين يوضّح من خلاله الآراء النقدية التي قيلت بحقّ الروايتين، وأكّدت أنّهما

روایتان ممنوعتان، ثمّ ينتقل إلى عرض الجمل الثقافيّة، والرموز، والنسق الثقافيّ. ويمنح كلّ محور من هذه المحاور مساحة من السرد يغلب عليه الوصف وتجميع الاقتباسات<sup>(١)</sup> من دون أن تكون مشفوعة بتحليل مكثّف يكشف جوانب تلك الرموز الثقافيّة التي وظّفها المبدع، والأنساق الثقافيّة التي يحملها الخطاب الإبداعيّ.

وقولنا هذا ينطبق على دراسته للرواية الثانية، فبدلاً من أن يبحث عن الأنساق التي انطوى عليها الخطاب الروائيّ راح يقدّم ملخصاً عن الرواية<sup>(٢)</sup>.

ولم تكن دراسته للروايات الممنوعة لأسباب أخلاقيّة اجتماعيّة بمنأى عن اللغة الواصفة والإنشائيّة، فبدلاً من أن يقف على اقتباسات تؤكّد خرق الرواية للتأبؤ الأخلاقي الاجتماعي الذي حتمّ عليها المنع، وعدم تداولها في الأوساط الأدبيّة والنقديّة بجوانبها السياسيّة والاجتماعيّة والفلسفيّة التي هو بصددها وتعبّها في دراسته، راح يرصد جملاً من مثل: "أبي يصفع ويصرخ مثل حيوان" و"أنام في الدروب أكثر مما أنام في المنزل" و"ما معنى أن يعيش الإنسان ثم يموت... ألهذا معنى؟"<sup>(٣)</sup>، ومع أن الباحث عدّ هذه الجمل جملاً ثقافيّة وهي ليست كذلك - إلاّ أنّه لم يفكّكها ويستتطق الكامن بين طيّاتها. وكذا الحال في سياق رصده للرموز الثقافيّة التي اكتفى بتعدادها<sup>(٤)</sup>، في حين كان الأجدر أن يقف على مسوّغات شيوع تلك الرموز في الخطاب الروائيّ، ودورها الكبير في منع الرواية، فمع أنّ الرواية جاءت مشحونة بكلّ تلك الرموز إلاّ أنه لم يكتشف جوانبها الأخلاقيّة التي أدّت إلى منعها، فهذا يعني أنّ تلك الرموز كانت غنيّة بالدلالات العميقة والأنساق المضمرة.

(١) يُنظر: الرواية العربية الممنوعة دراسة ثقافية تطبيقية، د. هادي رزاق الخزرجي: ٥٨ - ٧١.

(٢) يُنظر: م. ن: ٩٤.

(٣) يُنظر: م. ن: ١١٣ - ١١٤.

(٤) يُنظر: م. ن: ١١٨ - ١١٩.

ولم يكن حظّ الروائيتين اللتين درسهما تحت عنوان الروايات الممنوعة لأسباب سياسيةً بأحسن حال من دراستيه السابقتين<sup>(١)</sup>؛ لأنه لم يتمكّن من مغادرة اللغة الواصفة والشارحة واستبدالها بلغة نقدية ذات جوانب معرفية.

وفي سياق تعقّب الدراسات النقدية نقفُ عند كتاب الباحثة حنان محمود جميل الموسوم بـ(الهوية في الرواية العراقية بعد سقوط بغداد 2003). يحظى العنوان بسمتي الوضوح والدقة على مستوى الزمان والمكان، في مقابل غلبة سمة الاتساع والانفتاح على مستوى العيّنات المنتخبة؛ ذلك لأنّ المتلقّي عندما يقرأ العنوان يفهم أنّ الباحثة سوف تتناول بالدرس كلّ الروايات العراقية المنطوية على موضوعة الهوية والصادرة بعد عام ٢٠٠٣م إلى تاريخ صدور كتاب الباحثة.

لكنّها في المقدّمة عملت على تقليص مساحة دراستها عندما صرّحت باختيارها رواية (ليل علي بابا الحزين) لعبد الخالق الركابي لتكون أنموذجها الذي تنطلق منه في تقصّي الهوية، فكان هذا التصريح بمنزلة توضيح لدلالة العنوان ومساحة اشتغاله. وباعتقادنا لو أنّ الباحثة صرّحت بأنموذجها المنتخب في العنوان لكان أكثر دلالة وأدقّ مقصدًا، فيكون العنوان بصيغته الآتية: (الهوية في الرواية العراقية -ليل علي بابا الحزين- أنموذجًا)؛ لأنّ المتلقّي بمجرد معرفته لأحداث الرواية ومضامينها وتاريخ صدورها سوف يعرف أنّها تنتمي لحقبة ما بعد عام ٢٠٠٣م، أمّا إبقاء العنوان على ما هو عليه فإنّه لا يتناسب وحجم العينة الروائية المنتخبة للدراسة.

وبالانتقال إلى فصول دراستها، نراها قد قسّمتها على ثلاثة فصول: جعلت من الفصل الأوّل مهادًا نظريًا لمفهوم الهوية، وعوامل أزمتهما واستلابها، ثم رصدت في الفصل الثاني الهويّات التي تضمّنها الخطاب الروائيّ العراقيّ، في حين أعطت مساحة واسعة للفصل الثالث الذي جعلته قراءة تطبيقية لرواية (ليل علي بابا الحزين).

فإذا كانت الباحثة في فصلها الثاني تسعى إلى رصد الهويّات التي شكّلت نسيج المجتمع العراقيّ، وجرى توظيفها في الخطابات الروائية لغايات يحرص المبدعون على

(١) يُنظر: الرواية العربية الممنوعة دراسة ثقافية تطبيقية، د. هادي رزاق الخزرجي: ١٤٧-٢٠٣.

تسويقها وإيصالها للقرّاء، فتجيء القراءة النقديّة الفاحصة للخطاب الروائيّ كاشفة عن تلك الغايات، والإفصاح عن مسوّغات تأكيدها، ولما كانت الباحثة قد اعتمدت على النّقد الثقافيّ بوصفه ممارسة نقديّة ترمي إلى كشف أنساقه عبر تفكيك الخطاب وربطه بسياقات عدّة مارست دورها في تشكيله، وهذا يحتمّ عليها أن تكون لغتها مشحونة بالمصطلحات الثقافيّة، وأن تكون قراءتها نقديّة تحليليّة، إلا أنّها اكتفت بانتقاء عينات عشوائيّة غير خاضعة لمنهجية معيّنة وأشارت من خلالها إلى نوع الهوية التي تضمّنها سياق الرواية. على سبيل المثال، فإنّ أول هويّة رصدتها الباحثة الهويّة العربيّة، وذلك في رواية (المحبوبات) لعالية ممدوح، إذ يفهم من عمل الباحثة أنّ تلك الهويّة قد ذُكرت في سياق تلك الرواية فقط، وليس هذا فحسب، بل أنّها لم تقدّم تحليلاً للنصّ الروائيّ المقتبس<sup>(١)</sup>، وكأنّ جهدها قائم على رصد السياقات التي يرد فيها ذكر للهويّة العربيّة لتنتقل بعد ذلك إلى الحديث عن تاريخ تلك الهويّة، وموقعها من تشكيل سكّان العراق.

أمّا الهويّة الكرديّة فإنّها قد رصدتها في روايتين، هما: (نباح) لمحمد موكري، و(عالم صدام حسين) لمهدي حيدر، كما رصدتها في رواية ثالثة تقع خارج حلبة الدّراسة وهي رواية (ليالي الكاكا) لشاكر الأنباري، وهو رصدٌ تلخيصي وصفي يخلو من القراءة النقديّة.

وتستمر الباحثة على هذه المنهجية في رصدها للهويّة المسيحيّة<sup>(٢)</sup>، والصابئيّة<sup>(٣)</sup>، واليهوديّة<sup>(٤)</sup>، والأيزيديّة<sup>(٥)</sup>، والإسلاميّة<sup>(٦)</sup>.

(١) يُنظر: الهويّة في الرواية العراقيّة بعد سقوط بغداد 2003، حنان محمود جميل: ٧٢.  
(٢) رصدتها في رواية واحدة هي (طشاري)، أنعام كجه جي. يُنظر: ٨٠.  
(٣) رصدتها في ثلاث روايات، هي: (عالم صدام حسين)، مهدي حيدر، و(ملائكة الجنوب)، نجم والي، و(حجاب العروس)، محمد الحمراي. يُنظر: ٨٤ - ٨٨.  
(٤) رصدتها في ثلاث روايات أيضًا، هي: (الطريق إلى تل المطران)، علي بدر، و(ملائكة الجنوب)، نجم والي، و(يا مريم)، سنان أنطون. يُنظر: ٨٩ - ٩٢.  
(٥) رصدتها في خمس روايات، هي: (ملائكة الجنوب)، نجم والي، و(عالم صدام حسين)، مهدي حيدر، و(حجاب العروس)، محمد الحمراي، و (وداعا بابل)، نعيم قطان، و(نزولة وخيط الشيطان)، سمير نقاش. يُنظر: ٩٣ - ٩٩.  
(٦) رصدتها في روايتين فقط، هي: (العيون السود)، ميسلون هادي، و(خضر قد والعصر الزيتوني)، نصيف فلك: ١٠٠ - ١٠٤.

أمّا في الفصل الثالث الذي جعلته قراءة تطبيقية لرواية (ليل علي بابا الحزين)، فإنّها اكتفت برصد الشخصيات التي تعاني من صراع في انتمائها الهويّاتي من دون أن تربط ذلك بالواقع السياسي والاجتماعي والدينيّ في عراق ما بعد عام ٢٠٠٣م؛ لما لهذا الواقع من تأثير كبير في تبدّل بعض القيم، وتزعزع الانتماء الوطنيّ، وانقطاع أواصر المحبة والتلاحم بين أبناء المجتمع الواحد. الأمر الآخر أنّ الباحثة غير معنيّة بدراسة الشخصيات الروائيّة بحدّ ذاتها، بل لمعرفة الأحداث والمصائر وطبيعة الحياة في تلك الحقبة الزمنية عن طريق شخصيات رواية (ليل علي بابا الحزين)، لذلك كان القارئ يتوقّع وينتظر أن تكشف الباحثة بوساطة قراءتها النقديّة عن الأنساق التي نمت وسادت في خطابات تلك الحقبة.

وليس هذا فحسب، بل إنّ الشخصيات أمثال نجيب شكري ورياض بشار صبار عُرِفوا بسيرتهم السيئة، وبانعدام القيم والمبادئ لديهم، وبفقدان انتمائهم لوطنهم، ولكنهم تبوّؤوا مناصب مهمّة في الدولة<sup>(١)</sup>، وهذا نسق مهم لم تُشر إليه الباحثة، وهو أنّ الدولة التي أُقيمت في عراق ما بعد عام ٢٠٠٣م هي دولة ساد فيها الفساد ونهب المال العام.

أشارت الباحثة عن طريق شخصيّة (الشيخ غازي الفياض) إلى ظهور نسق الإسلام السياسي<sup>(٢)</sup>، ولكنها لم تقف عنده وقفة طويلة نسبياً، بل اكتفت بالإشارة إليه عن طريق تلك الشخصيّة، في حين أنّ نسق الإسلام السياسيّ، وحضور رجال الدين في المشاركة في حكم مؤسّساته وإدارتها واحدٌ من أهمّ الأنساق التي ظهرت وتغلّغت في عمق الواقع العراقيّ. والأمر الآخر الذي أشارت إليه إشارة خفيّة لا تخلو من حذرٍ، هو الجهة الداعمة لرجال الدين، فعن طريق فرش الجامع بالسجاد الشيرازي بتكليف من الشيخ غازي دلالة على وقوف إيران وراء الشخصيات الدينيّة، وحثّهم على المشاركة في الانتخابات، والوصول إلى دفة الحكم<sup>(٣)</sup>. وهذا تحوّل خطير ومهم لدور رجال الدين.

(١) يُنظر: الهوية في الرواية العراقية بعد سقوط بغداد 2003، حنان محمود جميل: ١٣٢ - ١٣٦.

(٢) يُنظر: م. ن: ١٤٠.

(٣) يُنظر: م. ن: ١٤١.

وبوقوف الباحثة عند شخصية (دنيا) المسيحية<sup>(١)</sup>، وما تعرّضت له من تهميش وإقصاء، يمكننا أن نرصد من خلاله نسق الصراع الطائفيّ الذي بلغ ذروته في عراق ما بعد عام ٢٠٠٣م. فعندما اشتدّت الأزمة السياسيّة، ودخل البلد في فوضى عارمة نتيجة سياسات قوى الاحتلال، دخل العراق في دوامة الصراع الطائفيّ الذي راح ضحيّته الأقلّيّة المسيحيّة، فهي تعرّضت إلى أقسى الأساليب والممارسات من تهديد لأمنهم، واستلاب حريّتهم، وتهديد لانتمائهم الوطنيّ.

وفي سياق ما ورد آنفاً يمكننا القول: إنّ اختيار الباحثة لأسلوب الموازنة والإتيان بنماذج روائية تؤكّد اشتراك تلك الروايات مع رواية (ليل علي بابا الحزين) بالحديث عن الموضوع ذاته - أي الموضوع الذي تناقشه في رواية الركابي - أمرٌ لا مسوّغ له؛ ذلك لأنّ الباحثة تناقش موضوعه الهويّة في الرواية العراقيّة، ولكنها عندما خصّصت الفصل الثالث بالقراءة التطبيقية لرواية الركابي فإنّها أوقعت نفسها في مأزق التخصيص وتحجيم مساحة اشتغالها، ولهذا عملت على إخراج نفسها من المأزق بالإتيان بثلاث روايات، هي: (سيدات زحل، وفرانكشتاين في بغداد، ويا مريم) لتشارك في الموضوع ذاته.

من المصطلحات الثقافيّة التي استعملتها الباحثة الأكاديميّة كريمة المدني مصطلح (الهويّة)، وذلك في كتابها الموسوم بـ(الهويّة والإرهاب قراءة في إمكانات السرد الروائي). سعت الباحثة إلى إبراز أثر الهويّة الفاعل في تشكيل خطابات أدبيّة تعجّ بمشاهد القتل والإرهاب والتهجير، فاتكأت على أربع روايات لا غير، هي: (بابا سارتر والركض وراء الذئب لعلي بدر، والحفيدة الأمريكيّة لأنعام كجه جي، ووحدها شجرة الرمان لسنان أنطون) اشتركن -بحسب اعتقاد الباحثة- في الحديث عن الهويّة. لكن العيّنات تلك لا تتناسب وحجم المساحة المفتوحة التي يوحي بها عنوان الدّراسة، إلّا إذا كانت تلك الروايات وحدها التي تحفل بمشاهد العنف والإرهاب والقتل على الهويّة، كما أنّ غلاف الكتاب مُنبتّ عليه خمس لوحات لخمس روايات، ولكنّ الرواية الخامسة (عازف الغيوم لعلي بدر) لم نجد لها حضوراً في متن الكتاب.

(١) يُنظر: الهويّة في الرواية العراقيّة بعد سقوط بغداد 2003، حنان محمود جميل: ١٥٢.

ويتّضح مما سبق أنّ عنوان الدّراسة لم يكن دقيقاً، ولم يُوظّف توظيفاً يستوعب العدد الكبير من الروايات التي انشغلت بتصوير الواقع المأساوي وأزمة الهوية التي تفاقمت نتيجة الفوضى السياسيّة.

وبالانتقال إلى منهجيّة الباحثة في كتابها نجدها قد استعملت مصطلح الإجراء بدلاً من مصطلح فصل، فبدلاً من أن تقول الفصل الأوّل، والفصل الثاني... قالت الإجراء الأوّل، والإجراء الثاني، والإجراء الثالث من دون تقديم مسوّغات للجوئها إلى ذلك الأسلوب في الكتابة. في الإجراء الأوّل درست روايتي (بابا سارتر والركض وراء الذئب) لعلي بدر، وفي الإجراء الثاني درست رواية (الحفيدة الأمريكيّة) لإنعام كجه جي، والإجراء الثالث جعلته من نصيب (وحدها شجرة الرمان) لسنان أنطون، وكلّ إجراء يبدأ بعنوان مستقلّ وبمقدمة وينتهي بخاتمة، وهذا الأسلوب في الكتابة غير مُعتمد في تأليف الكتب النقديّة، بل يُستعمل في البحوث في أحيانٍ كثيرة. وهذا يعني أنّ هذا الكتاب في أصله مجموعة أبحاثٍ مستقلّة.

وعند تتبّع المتن النقديّ في كتاب الباحثة، لمعرفة مدى التزامها بالمصطلحين الرئيسين -الهوية والإرهاب- لاحظنا اتّساع مساحة المحور النظريّ في مقابل انحسار محور التطبيق أو القراءة النقديّة للمتن الروائيّ. فعلى الرغم من أنّ الباحثة اختارت روايتين لعلي بدر تبحث فيهما عن (الهوية والتعددية الثقافية قراءة في ضوء أيديولوجيات الأمن الثقافي)<sup>(١)</sup>، إلا أنّ المساحة التي شغلها الجانب التطبيقيّ لم يتجاوز عشر صفحات وبضعة أسطر، في حين أنّ الجانب النظريّ شغل مساحة ست عشرة صفحة، وهذا الأمر يؤخذ على الباحثة لأنّ الأنسب هو التركيز على الجانب التطبيقيّ والعناية به.

وجهد الباحثة في الإجراء الأوّل انصبّ على رصد المواضيع التي نقد بها الروائيّ الفلسفة الوجوديّة التي لاقت رواجاً وقبولاً في الأوساط النقديّة العربيّة، فكان أنموذجها الروائي (بابا سارتر)، والنقد الموجّه للحركة الشيوعيّة في رواية (الركض وراء الذئب)، فجاءت لغتها إنشائيّة خالية من التحليل النقديّ<sup>(٢)</sup>، وبعيدة كلّ البعد عن مسألة التعددية

(١) يُنظر: عنوان الإجراء الأوّل: ١١.

(٢) يُنظر: الهوية والإرهاب قراءة في إمكانات السرد الروائي العراقي، د. كريمة نوماس محمد المدني: ٣١ - ٤٠.

الثقافية التي هي في صدد مناقشتها ورصدها في الروائيتين موضع الدراسة. أمّا النتائج التي ذكرتها في نهاية هذا المحور فلم نجد لها أي تصريح على مدار الصفحات التي تحدّثت بهما عن الروائيتين؛ إذ لم تُشر إلى الهويّات الفرعية أو الثانوية كالهويّة الاجتماعية والعرقية في سياق تناولها النقديّ للروائيتين، وكذلك لم تقف على مسألة التعددية الثقافية وأثرها في خلق مجتمع مأزوم، وغيرها من النتائج التي ذكرتها.

وبالانتقال إلى الإجراء الثاني الذي درست فيه رواية (الحفيدة الأمريكية) لإنعام كجه جي تحت عنوان (تمثلات الهوية في الرواية العراقية النسوية قراءة من منظور أسلوبية رواية الحفيدة الأمريكية لإنعام كجه جي اختياراً). نلاحظ أولاً أنّ عنوان هذا الإجراء والإجراء السابق عنوانات طويلة وشاملة لا تصلح أن تكون عنوانات فرعية، وهذا الأمر يؤكّد الاعتقاد بأنّ هذه الدراسات في أصلها أبحاث متفرقة، كُتبت في أوقات متباعدة، ولكونها متقاربة في مجال اشتغالها عملت الباحثة على جمعها في كتاب واحد تحت عنوان أوسع هو (الهوية والإرهاب).

وعند تتبّع قراءتها النقديّة للرواية المختارة نجدها قد ورّعت جهداً على مبحثين: الأول تتبعت فيه المستوى التركيبي، والثاني المستوى التصويري. قادها انشغالها بالمستوى التركيبي وبشروع أسلوبية الاستفهام والشرط في النصّ الروائيّ عن غاية دراستها وغرضها الرئيس المتمثّل بالبحث عن تمثّلات الهوية في الرواية النسوية، إذ إنّ الباحثة لم تعمل على اكتشاف الصلة بين قضية الهوية وتلك الأساليب التي رصدتها، بل انصبّ جهدها على الرصد من دون التحليل. والأمر الآخر أنّ الباحثة وقعت في خطأ معلوماتي في معرض حديثها عن الاستهلال الذي بدأت به الروائية روايتها، إذ إنّ الاستهلال كان حديثاً نبويّاً شريعياً جاء بصيغته الآتية: "إياكم وخضراء الدمن" فربطت الباحثة دلالة الحديث بالدلالة التي تُشير إلى أمريكا بوصفها "الحسناء التي تزينت بالديمقراطية والحرية التي أرادت نشرها [للعالم] في حين منبت هدفها وحقيقتها تحركها تفوح منه رائحة [نتنة] لا يزال يعاني منها العراق الامرين"<sup>(1)</sup>، وربما دلالة الحديث لا تُشير إلى أمريكا كما ذهبت إلى ذلك الباحثة، بل أنّ الرواية تتناول قضية جوهرية تتعلّق بهويّات أجيال وُلدت جرّاء

(1) الهوية والإرهاب قراءة في إمكانات السرد الروائي العراقي، د. كريمة نوماس محمد المدني: 60-61.



صراعات وتهجير ونفي، وهي ذات تأثير خطير جداً على البلدين، سواء البلد الذي احتضن تلك الأجيال، أو الذي هربت منه وهو موطنها الأساس. فولادة خضراء الدمن وسط هذه الفوضى من أخطر ما سلّطت الضوء عليه الروائية، وهذه القضية -الهوية- تقع في صلب عمل الباحثة ومحور اشتغالها.

أمّا بصدد الخطأ المعرفي الذي وقعت به الباحثة، أنّها أرجعت القصف الأمريكي على مدينة بغداد إلى القصف على معاقل داعش بقولها: "وما الطائرات الأمريكية التي تقصف مواقع الحشد الشعبي خطأ في حين انها تقصد جبهة الضلال داعش الاخير برهان لما ذهب اليه"<sup>(١)</sup>. فعن طريق الرجوع إلى تاريخ صدور الرواية والأحداث التي تناولها نجدها قد صدرت في عام ٢٠٠٩م، وطبيعي جداً أنّ الأحداث التي وظفتها الروائية في روايتها تتعلّق بدخول القوات الأمريكية إلى العراق واحتلاله وقصف مدينة بغداد وإسقاط نظام الحكم فيها، بينما أحداث داعش وتشكيل الحشد الشعبي لمساندة قوات الجيش لمحاربة تلك المنظمة الإرهابية التي عُرفت بداعش قد بدأت في عام ٢٠١٤م.

أمّا في المستوى التصويري فإنّها قسّمته على محاور ثلاثة: ناقشت في الأول المرجعيات الثقافية، وفي الثاني تناولت نسق المشابهة الذي درست فيه التشبيه والاستعارة، وفي الثالث نسق المجاورة الذي درست فيه الكناية. فما علاقة المرجعيات الثقافية بنسقي المشابهة والمجاورة؟ ولماذا فصلت التشبيه والاستعارة عن الكناية؟ يُمكننا أن نسوّغ منهجيتها هذه بإدراج المرجعيات الثقافية في هذا المحور بوصفها تبحث في سياق رصد تمثّلات الهوية في رواية الحفيدة الأمريكية، وهذا الأمر يحتمّ عليها ربط تلك المرجعيات الثقافية والأدبية بموضوعة الهوية؛ لكي لا تبتعد كثيراً عن غاية الدراسة ومحورها الرئيس، وهو ما لم تقم به الباحثة، بل أنّ جلّ ما قامت به رصد المواضيع التي تحمل مرجعية دينية (إسلامية ومسيحية)، ومرجعية أدبية (شعرية ونثرية)<sup>(٢)</sup> واعتماد لغة شارحة.

لم تبتعد دراسة الباحث حامد عبد الحسين حميدي (تشظيات الإرهاب والبعد الثقافي) عن سياق اللغة الشارحة التي يُهيمن عليها الطابع المقالي، الذي يُجردها من الدراسة النقدية

(١) الهوية والإرهاب قراءة في إمكانات السرد الروائي العراقي، د. كريمة نوماس محمد المدني: ٦١.

(٢) يُنظر: م. ن: ٨٠ - ٨٦.

كما وسم دراسته بـ (دراسة نقدية في رواية سبايا دولة الخرافة)<sup>(١)</sup>. توسم اللغة المقالية بغلبة النزعة الخطابية واللغة الإنشائية التي نقل فيها الهوامش، وينحسر استعمال المصطلح النقديّ وربما غيابه، وليس آخرًا الاعتماد على الذاكرة والذائقة والثقافة في التحليل والقراءة<sup>(٢)</sup>.

وتلك السمات كلّها يجدها القارئ مهيمنة على دراسة الباحث المذكورة آنفًا، ومنها تحليله للنص الروائيّ الآتي: "تتسم فترة الإعدادية بوضوح رؤاي العقائدية، ونضوج أفكاره، فلقد تكسب في رأسي خليط من أفكار وعقائد المسلمين والمسيحيين، وقد كنت في حيرة عن أحقية أو صلاحية أي منها، كان الشجار يحتدم أحيانًا بين وليد وحيدر حول مسألة عقائدية ما، وكنت أضجر بهذا الخلاف وأتخوف أن يكون سببًا في فراقهما، أو فراقنا فأبتعد عنهما قليلًا"<sup>(٣)</sup> وتعليق الباحث على هذا النص "هنا يتضح موقف (إسحاق) المسيحي من المناقشات والحوارات التي لا تسمن ولا تشبع، فهو ليس بحاجة لها، كونه إنسانا يعي جمالية الحياة بالابتعاد ونبذ الطائفية والتفرقة... المجتمع يتسع أفقًا ناضجًا، بلا رتوش ولا عقد"<sup>(٤)</sup>.

وفي سياق تحليله لنصّ آخر مقتبس من الرواية يتحدث عن لقاء بطل الرواية (إسحاق) بصديقه (حيدر) بقوله: "هذه الصورة تركت انطباعًا كبيرًا في توحد الأخوة والعوائل العراقية على اختلاف مشاربها ومذاهبها الدينية والعقائدية، فنشعر بالدفء الأسريّ، وهو ينساب أمام مائدة الطعام، لتترك البسملات دفقًا من الانسجام، ولتلغي كلّ الفروقات التي يثيرها بعض ضعاف النفوس، وهي تحاول أن تثير أزمة في البيت العراقي"<sup>(٥)</sup>. قول الباحث جاء في صدد إيضاح طبيعة العلاقة القائمة بين أبناء المكوّنين: الشيعي المتمثّل بشخصية حيدر، والمسيحي المتمثّل بشخصية إسحاق الذي تعرّض إلى التهجير نتيجة سقوط الموصل بيد داعش.

(١) يُنظر: العنوان المثبت على غلاف الكتاب.

(٢) يُنظر: لغة النقد الحديث في العراق من المقالية إلى النسيقة، د. عارف الساعدي: ٤٠ - ٤١.

(٣) سبايا دولة الخرافة، عبد الرضا صالح محمد: ٤٢.

(٤) تشظيات الإرهاب والبعد الثقافي، حامد عبد الحسين حميدي: ٢٦.

(٥) م. ن: ٣٨.

أمّا مجموع المصادر التي استعان بها الباحث لإنجاز كتابه، وصلت إلى اثني عشر كتابٍ لا غير<sup>(١)</sup>، والغالب على تلك المصادر أنّها لم تكن كثيرة وترتبط ارتباطاً مباشراً بموضوعة الإرهاب التي سعى الباحث إلى مناقشتها في الرواية المنتقاة للدراسة والنقد، فضلاً عن عدم وجود أي مصدر من مصادر الباحث له صلة بالجوانب الثقافيّة التي كان من المفترض على الباحث أن يسعى إلى رصدها والوقوف عندها في الخطاب الروائيّ.

وعليه يمكن القول بغياب القواعد العلميّة، والمعايير النقديّة، في مقابل حضور الذوق الذاتيّ في الممارسة النقديّة التي اتّسمت بأنها قراءة حرّة وعابرة للنصّ.

عدّت لغة الباحث علي جواد عبادة في كتابه (المضمّرات الإشهارية في الرواية العراقية) لغة معرفيّة كشفت عن وعي الباحث وثقافته ولغته العاليّة وهو يتناول المنجز الروائيّ العراقيّ في حقبة ما بعد الانفتاح. وتلك اللغة المعرفيّة يجدها القارئ مبنوثة على مدار الدارسة بفصولها وبمباحثها، ومنها تحليله لرواية أحمد سعداوي (فرانكشتاين في بغداد) التي رأى فيها أنّها تحمل بذور الدفاع عن الطروحات الكولونياليّة، ومنها مسخ الشرق وتأكيد دونيّته. وفي هذا السياق يقول: إنّ غلبة تلك الرؤى الكولونياليّة على وعي الروائيّ إمّا لهيمنتها وشغلها "مساحة واسعة من التنظير النقدي والحوار الاستمولوجي في الثقافة العربيّة والغربيّة على حد سواء [...] أو ذكاء الروائي وفنّته في التقاط الرائج ثقافياً ومحاولة تطويعه وتذويبه سردياً بشكل محفوف باستطبيقا السرد ولذة الرواية فيتماهى معه المتلقي ويذوب في عوالمه وهو في أعرق طبقاته امثال وخضوع للرؤية الكولونياليّة للشرق"<sup>(٢)</sup>.

وفي سياق دراسته لسرديات المتعة وعلاقتها بالنقّص النقديّ من جانب، وعلاقتها بالإشهار من جانب آخر، وصلة تلك السرديات بقضايا النسويّة بوصفها الحاضنة المعرفيّة لها، التي وجدها تتركّز في محورين هما: نقد الثقافة الأبويّة، والاحتفاء بالجسد الأنثويّ.

(١) يُنظر: قائمة المصادر: ٩٩-١٠٠.

(٢) المضمّرات الإشهارية في الرواية العراقية، حقبة ما بعد الانفتاح، علي جواد عبادة: ١٦٩.

نلاحظ اللغة المعرفيّة في تحليله، ومنها حديثه عن تسأل سرديات المتعة إلى الخطاب الإشهاريّ يكمن من زاويتين: "الأولى تقمّص الخطاب النقدي النسوي وإعادة إنتاجه، ذلك الذي شاع وحقق صدمة معرفية في الفضاء الثقافي، ويمكن اختزال هذه الزاوية بالقول: إنها لوذ، وتسئل تحت عباءة المشهور أصالةً، وهو خطاب النقد النسوي، في حين تدخل الزاوية الثانية الخطاب الإشهاريّ لما يحفّ هذه السرديات من متعة والتذاذ"<sup>(١)</sup>.

وليس تلك الاقتباسات وحدها التي تؤكّد لغة الباحث المعرفيّة، بل يجدها الباحث مبنوثة على مدار الدراسة.

### ثانياً: المصطلح وتجاذب الاحتمالات

ونتيجة لشيوع المصطلح النقديّ في خطابات النقاد، ووعيهم بخصوصيّة المصطلح الملائم لموضوعه يمكن تقسيم هذا المحور على ثلاثة مسارات: رصدنا في المسار الأول لغة النّقْدِ والالتزام بحدود المصطلح، وفي المسار الثاني اللغة التي سعت إلى اجتراح مصطلح خاصّ بها، وفي المسار الثالث المصطلح واضطراب الدلالة مما قاد إلى الإخفاق في الالتزام به. وهذا التذبذب بين الالتزام والإخفاق أرجعه الناقد يوسف وجليسي إلى أسباب عدّة أجمالها بالآتي: إنّ كثيراً من تلك المصطلحات ما تزال دون مرحلة التجريد والاستقرار، وغياب الجانب الاتفاقيّ لمصطلح ما بين مرجعيّاته اللغويّة الأجنبيّة ومرجعياته العربيّة، فضلاً عن افتقار التنسيق المنظّم في الأوساط العربيّة وهي تتعامل مع المصطلح الدخيل المنقول إليها<sup>(٢)</sup>.

وبعد فحص العيّنات النقديّة المنتخبة للدراسة ضمن حقبة اشتغالنا البحثيّ، وجدنا الكتب النقديّة موزّعة بين المسارين الأوّل والثالث، أي بين مساري الالتزام بالمصطلح وعدم الالتزام به، أمّا (اجتراح المصطلح) فإنّنا لم نجد سوى كتاب واحد يدخل فيه ولهذا ارتأينا أن نُشير إليه هنا في المقدّمة، وهذا الكتاب يعود للباحثة الأكاديميّة الدكتورة نادية هناوي.

(١) المضمّرات الإشهارية في الرواية العراقية، حقبة ما بعد الانفتاح، علي جواد عبادة: ١٨٦.

(٢) يُنظر: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، د. يوسف وجليسي، الدار العربية للعلم ناشرون - لبنان ومنشورات الاختلاف - الجزائر، ط١، ٢٠٠٨م: ١١.

استعملت الباحثة الأكاديمية نادية هناوي مصطلحاً نقدياً تبنته في دراستها الموسومة بـ(الجسدنة بين المحو والخط...) \*، وبيّنت أن الباعث وراء تأليف كتابها هذا "إنتاج نقد نسائي يعنى بالمجهودات النقدية عن النسائية والانثوية والفحولة فضلاً عن توظيف الجسدنة في التعاطي مع المرأة شعراً وسرداً"<sup>(١)</sup>. نفهم من قولها هذا أنّ دراستها معنيّة برصد الأدب النسويّ وتتبع مسارات نضجه ومدى مواكبته لحركات التطوّر. وهو لديها أدب نسائيّ لا يشترط أن تكون كاتبته أنثى، بل يمكن أن يكون رجلاً، وهذا ما يؤكّده قولها: "الأدب الموصوف بالنسائي ليس منوطاً بالمرأة التي تمسك القلم وتكتب؛ بل هو أدب يكتبه الرجل أو المرأة وقد لا يكون ما تكتبه المرأة منضوياً تحت لواء الأدب النسوي بينما يكون ما يكتبه الرجل منضوياً تحته"<sup>(٢)</sup>. أمّا بشأن مصطلح الجسدنة الذي ذكرته في قولها آنفاً فلم توضّح المراد به، ولكنه يفهم على أنه توظيف للجسد الأنثويّ في مجالي الشعر والرواية، وهذا ما يتّضح في الفصل الثاني من دراستها الذي عنوانته بـ(الجسدنة والشعر) مؤكّدة أنّ ما يهتمّ في هذا المضمار هو الجسد "بوصفه معطى أدبيا وليس تاريخيا أو بيولوجيا أو اثنولوجيا، فالجسد مكمّن مهم من مكامن الإبداع الشعري ويتم التعاطي معه من منطلق تجربة الذات مع نفسها"<sup>(٣)</sup>. من هنا يتجلّى لنا بوضوح دلالة مصطلح الجسدنة عند الباحثة، ومدار اشتغالها الذي لا يختلف عن الدّراسة المتبنيّة لمصطلح الجسد.

وبالعودة إلى ما يُشير إليه مصطلح النسائيّ عندها، واتّساع دلالاته ليدخل في فضائه الأدب الذي تكتبه المرأة والرجل على السواء في إطار الموضوعات المتعلقة بالمرأة، نجدها في سياق دراستها لنصوص (رسائل لا تُقرأ) للشاعرة ابتسام إبراهيم، قد اقتبست نصوصاً كثيرةً يحضّر فيها الجسد الأنثويّ، بصرف النظر عن علاقة تلك النصوص

\* ومصطلح الجسدنة استعارته الباحثة من علم النفس، والمراد به التعبير عن المعاناة والاضطراب النفسيين في شكل أعراض جسدية. يُنظر: دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، محمد الصالح بو عمران، مكتبة علاء الدين - تونس، ط ١، ٢٠٠٩م: ٨ - ٩.

(١) الجسدنة بين المحو والخط، د. نادية هناوي: ١٥.

(٢) م. ن: ٣٦.

(٣) م. ن: ١٠٣.

بالوعي الأنثويّ المتصدّي للهيمنة الذكوريّة ووعيها السائد. فعلى سبيل المثال اقتباسها للنصّ الآتي من قصيدة (سميتك قابيل):

"أغنياؤك تتدفق في قلبي

وعلى رصيف... الذاكرة نيران

تتدلّع في رأسي"<sup>(١)</sup>. إذ تُعلّق الباحثة عليه قائلة: "وتحضر في نص (سميتك قابيل) الأجزاء الجسدية القلب/ الذاكرة/ الرأس لتبوح للمخاطب الآخر بأفكار تمثلت شاخصة في وجهها"<sup>(٢)</sup>، ثم تسترسل بآرائها الانطباعيّة لتقول: إنّ الجسد يغدو "معطلا في خانة النسيان تستعيده الذاكرة كمرآة لا كأصل وهذا إقرار أن لا مجال لينتشي الجسد بكيونته وهو متصلح مع الآخر بل لا بد من أن ينتفض على هذا التصالح ويعلن انعتاقه منه"<sup>(٣)</sup>. فإذا كانت الأنثى في ذلك النصّ الإبداعيّ منساقّة إلى الرجل، وتابعة له بعواطفها وأحاسيسها وهواجسها فما الغاية من الوقوف عنده؟ أهو لتأكيد انصياع الأنثى لسلطة الذكر بشهادة ذات إبداعية أنثوية؟ أم أنّه أدرج هنا لأنّ الباحثة في سياق رصد تمثّلات الجسد الأنثويّ فحسب؟ وبعد العودة إلى المجموعة الشعريّة اتّضح لنا أنّ الشاعرة لم تكن على وعيّ بقضايا النسويّة، ولم تكن نصوصها الشعريّة -في تلك المجموعة تحديداً- في صلب الحديث عن نضوج الوعي الأنثويّ ومساعيه في الانعتاق من أسر السلطة الذكوريّة. وهذا يقودنا إلى القول بأنّ اختيار الباحثة لتلك المجموعة الشعريّة لم يكن منسجماً وطبيعيّة تصوّراتنا عن النسويّة. ولا أجده اختياراً موفّقاً.

وليس ذاك النصّ وحده الذي يُدين الذات الأنثوية، ويؤكد تبعيتها وهامشيّتها، بل هناك نصوص أخرى كثيرة<sup>(٤)</sup> تندرج في السياق ذاته، ومنها النصّ الإبداعيّ الآتي:

(١) رسائل لا تقرأ، ابتسام إبراهيم: ٧.

(٢) الجسدنة بين المحو والخط، د. نادية هناوي: ١٠٨.

(٣) م. ن: ١٠٩.

(٤) من تلك النصوص ما ورد في صفحة ١١٢، و١١٣، و١١٥، و١١٨، وكذلك النصوص المقتبسة من قصيدة النثر للشاعر بهنام إبراهيم ١٢٤، و١٢٧، و١٣١،

"والباقيات يتراقصن داخل بؤبؤ عيني

كمن سمع أغنيات العيد لأول مرة

أنا وذكرياتي وصوت الكبرياء في حنجرتي

لم نعرف الهزيمة قط إلا معك"<sup>(١)</sup>

فالباحثة اقتبست هذا النص لما فيه من توظيف لأعضاء الجسد الأنثوي من (عين، وأذن، وحنجرة)، وعلقت عليه بقولها: "هذا الانكفاء نحو الذات المؤنثة إنما تم بفعل الجسد ليكون البؤبؤ والحنجرة هما بوابة الانتصار على كل ما هو مؤسلب"<sup>(٢)</sup>. في حين أن الشطر الأخير من النص الإبداعي - لم نعرف الهزيمة قط إلا معك - دليل على اعتراف الذات الأنثوية بهزيمتها. هذا فيما إذا كانت الذات الأنثوية قد وجهت خطابها إلى ذات ذكورية، وبالعودة إلى القصيدة نجد الشاعرة قد وجهت خطابها إلى حبيبها، معترفة له بحبها واستسلامها لسطوته وهو أمر لم توضحه الباحثة ولم تفصل القول فيه، بل كان همها منصباً على رصد المواضع التي ترد فيها تمثيلات الجسد الأنثوي من دون أن تخرج عن سياق النص والانعقاد من أسر الانطبائية لتقديم دراسة نقدية تستعين بلغة نقدية عالية، لا سيما وهي أخضعت عيانتها المنتخبة إلى معايير القراءة النقدية الثقافية مستعينة بإجراءات النقد الثقافي.

وتشارك الاقتباسات التي اقتبستها الباحثة من عيانتها المختارة، التي توزعت بين الشعر والرواية والقصيدة القصيرة بحضور الجسد الأنثوي بأعضائه وتفصيلاته<sup>(٣)</sup> بصرف النظر عن دلالة تلك الاقتباسات بتمثلها للوعي الأنثوي، وسعيها الحثيث إلى إثبات كيانها، ورفضها للهيمنة الذكورية، إذ الملاحظ على تلك الاقتباسات خلوها من أية رؤية تحريرية أو منطوية على دلالة مضرة تحمل بذرات رفض الواقع الذكوري والانعقاد من أسره.

(١) رسائل لا تقرأ، ابتسام إبراهيم: ١٦.

(٢) الجسدنة بين المحو والخط، د. نادية هناوي: ١١١.

(٣) يُنظر: اقتباساتها من رواية (السماء تعود إلى أهلها)، وفاء عبد الرزاق ١٤٥، و١٤٨، و قصة (الحشيشة والملاك)، د. غادة العبسي ١٥٥، و١٥٦، و١٥٨، و١٦٢، و١٦٤.

وفي هدي ما قيل أنفأ يمكننا القول: إنّ الباحثة لجأت إلى اجتراح مصطلح جديد خاص بها وتسويقه نقدياً في الأوساط الثقافية والنقدية؛ لإكساب كتابها سمة إشهارية عن طريق جذب القارئ وإثارة فضوله لمعرفة المراد بمصطلح الجسدنة، ومحاولة معرفة ما ينطوي عليه هذا الكتاب من دلالات، فلجأت إلى استعمال لغة إشهارية مروّجة ومحفّزة لإثارة الفضول المعرفي.

### ١- الالتزام بحدود المصطلح

لكلّ علم مجموعة محدّدات تمنح المتخصّص به فرصة اجتراح مصطلحات تتسجم وما يُنتج عنه من فروع وأقسام؛ وذلك لغرض تسهيل عملية الاتصال بين فئة وأخرى، وإيضاح الرؤية، وإزالة اللبس الناتج عن تداخل دلالات كلّ مصطلح؛ نظراً للإشكالية النقديّة التي ترافق المصطلح، ولأنّه من أشدّ البؤر التي تثير التوتر بين الدارسين<sup>(١)</sup>.

تندرج دراسة الباحث عبد الله إبراهيم (السرد والاعتراف والهوية) في سياق الدّراسات النقديّة الملتزمة بالمصطلح النقديّ الثقافيّ، فقد وضّح قيمة السرد القائم على أدب الاعتراف، وعلاقة هذا الأدب بالهوية، ثم عرج إلى الحديث عن أدب المنفى بوصفه المحفّز والمنطلق للبوّح الذاتي.

في الفصل الأوّل من دراسته تحدّث عن الأوطان المتخيّلة بوصفها البؤرة المركزيّة لأدب المنفى، ولم يغفل الوقوف على مصطلح أدب المنفى، وتحديد دلالاته الدقيقة. فالمراد بأدب المنفى ذلك الذي يصدر عن ذات تجرّعت مرارة النفي والإقصاء، وفي هذا السياق يعرّف الباحث الذات المنفيّة بأنّها ذات منشطرة بين "حال من الحنين الهوسيّ إلى المكان الأوّل، وعدم القدرة على اتخاذ القرار بالعودة إليه، وينتج هذا الوضع إحساساً مفزطاً بالشقاء لا يدركه إلا المنفيّون الذين فارقوا أوطانهم ومكثوا طويلاً مبعدين عنه"<sup>(٢)</sup>. فالمنفى بهذا المعنى مفروض على الذات التي أقصيت من موطنها الأوّل، وأجبرت على

(١) يُنظر: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، د. يوسف وغليسي،: ١١.

(٢) السرد والاعتراف والهوية، د. عبد الله إبراهيم: ١٤.



الإقامة في بلدٍ آخر من دون أن تكون له حرّية الرحيل أو العودة أتى شاء، فيتعدّر عليه تحقيق الاندماج مع المكان الذي اقتلّع ليكون فيه، فيعيش حياة متوتّرة لا تعرف الاستقرار.

وبوقوف الباحث على رواية (مزاج التماسيح) لرؤوف مسعد كشف الواقع الثقافيّ بجوانبه السياسيّة والاجتماعيّة والدينيّة التي تعجّ بها تلك الرواية، فقد رأى أنّ العالم المتخيّل الذي قدّمه الروائيّ يُحيل إلى فقدان مصر لهويّتها المدنيّة في مقابل إنتاج هويّات دينيّة غالت في إيمانها، مسوّغًا ذلك الفقد نتيجة سقوطها "تحت طائلة تخيلات جعلت من المجال الاجتماعيّ موضوعًا لاختبار قوّة الأيديولوجياّ الدينيّة، فقد توارت الأديان، وحلّت مكانها الأيديولوجياّ الدينيّة التي بدأت تستجيب لرهانات الهيمنة والسيطرة"<sup>(١)</sup>، هنا تتّضح رؤية الباحث النقديّة عن طريق ربط السياق الروائيّ بالسياق الثقافيّ الذي أنتج ذلك الخطاب، ومسوّغات ميل المبدع إلى خلق أوطان متخيّلة بعد أن تعدّر العيش على أرض الواقع.

ولم تكن دراسته للروايات الصادرة من ذات روائيّة يهوديّة بمنأى عن غايته المتمثّلة في رصد الأدب الصادر من ذات تجرّعت مرارة النفي والتهجير؛ لأنّ اليهود تعرّضوا إلى التهجير والنفي بسبب ديانتهم، فالظروف الاجتماعيّة والسياسيّة التي عصفت بالبلد حفّزت على تأجيج الصراع الطائفيّ، وانتصار الأغليبيّة على الأقلّيّة. وفي هذا السياق يقول: "عدّت هجرة اليهود من العراق إلى إسرائيل في مطلع خمسينيات القرن العشرين نوعاً من الاقتلاع من وطن عاشوا فيه طويلاً، وجرى تهجيرهم في ظروف سياسيّة بالغة الحساسيّة على خلفيّة ظهور دولة إسرائيل في فلسطين"<sup>(٢)</sup>. من هنا تتّضح دلالة المصطلح عند الباحث، ويتّضح مقدار فهمه واستيعابه له، ونجاحه في تطبيقه على خطابات روائيّة يصدق عليها تسمية أدب منفيّ.

فمنذ السبي الأول لليهود من لدن نبوخذ نصر واستقراره بهم في أرض بابل، عدّ العراق موطنًا لهم، وعلى أرضه كتبوا التلمود فيه، ولهذا فإنّ تهجيرهم لأرض فلسطين بوصفها موطنهم الجديد بتصريح من الدولة الصهيونية أمرٌ لم يقبله بعض اليهود أنفسهم؛ ولهذا عدّوه نفيًا من موطنهم الأوّل، وراح الأدباء يعبرون عن ذلك النفي في إبداعهم،

(١) السرد والاعتراف والهوية، د. عبد الله إبراهيم: ٩٣.

(٢) م. ن: ١٠٥.

فانقسموا على حالات متنوّعة، منهم: نوعٌ رافض للوطن الجديد الذي أُجبر على الإقامة فيه وهم الأقلّيّة، ونوعٌ آخر يعيش حالة الحنين إلى الماضي ومحاولة خلق فضاء يستعيد فيه ذكرياته في موطنه الأوّل، ولا شكّ في وجود نوع ثالث متأقلم مع وطنه الجديد. من هنا حاول الباحث الوقوف على نتاجات الروائيين اليهود التي جمعت بين السيرة الذاتية والخيال لتنتج نصّاً إبداعياً يحملُ الهمّ اليهوديّ ويسرد ما تعرّضوا له من نفي وإقصاء، لتكون نتاجاتهم وثيقة تجسّد مرارة النفي ويصدق عليها تسمية أدب منفي، وفي هذا السياق يقول الباحث: "حالة النفي الدائم التي عبّر عنها السواد الأعظم من الكتاب اليهود من أصل عراقي لا يمثل نفيًا من العراق فحسب، ولكن والأهم نفيًا من الحل. وفهمهم الغريب هذا لوجودهم بوصفهم نفيًا مزدوجًا يبدو متوافقًا إلى حدّ بعيد مع السرد المزدوج لدولة إسرائيل"<sup>(١)</sup>.

أمّا في معرض حديثه عن التهجين السرديّ الذي يجمع بين فنّي السيرة الذاتية والرواية لينتج ما يُعرف بالسيرة الروائيّة، فلا يقف -الباحث- على جوانب رصد تجلّيات ذلك التداخل، وحدوده، بل يعمل على تفكيك البنى الثقافيّة التي قادت إلى تبني ذلك الضرب من الكتابة. وفي سياق حديثه عن توظيف الجسد في خطابات السيرة الروائيّة يرى أنّه لا يخلو من "المعارضة الصريحة لجملة التواطؤات الثقافيّة والأخلاقيّة والسياسيّة الفاعلة في المجتمع، ظهر هذا في الخبز الحافي والشطّار وبيضة النعامة وخطوط الطول.. خطوط العرض"<sup>(٢)</sup>. كما أنّه لم يترك القارئ يتيه في زحمة الدلالات التي يُحيل إليها المصطلح، فوضّح دلالاته للقارئ وأبعد عن مصطلح التهجين دلالاته السلبية التي يُحيل إليه لفظة (تهجين)، فهو -المصطلح- من وجهة نظره إعادة إنتاج للهويّة السردية القائمة على مبدأ توظيف الواقع وخالطه بالمتخيّل<sup>(٣)</sup>، أو شحن الوقائع الحقيقيّة بجرعة كبيرة من الخيال الإبداعيّ، يعمل على خرق التجربة الذاتية لتقديم مكاشفات جريئة بتقنيّات فنيّة ناجعة.

(١) السرد والاعتراف والهوية، د. عبد الله إبراهيم: ١٤٥.

(٢) م. ن: ٢١٧.

(٣) م. ن: ١٧٣.

وبناءً على ما قيل آنفاً يمكننا القول بوضوح الرؤية لدى الباحث، وفهمه الدقيق لدلالة كلّ مصطلح تبناه في دراسته، فجاءت لغته على درجة عالية من المعرفة، والنقد المنهجيّ ذي الأسلوب العلمي الرصين، واستعماله للمصطلحات النقديّة، وتبويب دراسته تبويباً سلساً ومنظماً.

لم تبتعد دراسة الباحث محمد رضا الأوسي (الخطاب الروائي النسوي العراقي) عن سياق الدّراسات النقديّة القائمة على استعمال مصطلح نقديّ، والالتزام به، وهذا المصطلح قد صرّح به الباحث في عتبة العنوان، ألا وهو مصطلح الأدب النسويّ.

قلنا في أكثر من موضع إنّ النقاد والباحثين اختلفوا في دلالة هذا المصطلح. منهم من يرى دلالاته تشير باتجاه الأدب الذي يُكتب في سياق تناول قضايا المرأة وتبنيها بصرف النظر عن جنس مُنتجِه، والباحث الأوسي ذهب في هذا الاتجاه. وفريق آخر يرى أنّ الأدب النسويّ ذلك الذي تكتبه المرأة حصراً، فهو عندهم لا يدخل في مضماره الأدب الذي يكتبه الرجل.

ومع أنّ الباحث قدّم فرشة تنظيريّة عن مفهوم النسويّة، واتجاهاتها، واختلافها عن المصطلحات الأخرى ومن بينها مصطلح النسائيّة الذي يُحيل إلى الأدب الذي تكتبه المرأة، فإنّه انطلق من تمييز أكثر خصوصيّة قائم على أساس مضمونيّ، وليس على أساس بيولوجيّ، بوصف النسويّة تجربة خاصّة تبنّتها بعض الروائيات اللاتي أنتجن أدباً مشبعاً بروح الثورة على السلطة الذكوريّة ورفضها وتقويض مساعيها. ويُفهم من هذا أنّ مصطلح النسويّ عنده يُحيل على أدب المرأة، ولكن ليس كلّ الأدب الذي تنتجه المرأة بمختلف موضوعاته ومضامينه، بل ذلك الأدب القائم على تفكيك البنى الثقافيّة التي رسّختها الثقافة الذكوريّة وعملت على وضع المرأة في مرتبة دونيّة. وربما كان هذا التخصيص مسوّغاً لمأخذ الباحث على دراسة الباحثة خالدة حسن النعيمي الموسومة بـ (صورة الرجل في الرواية النسويّة العراقيّة من ١٩٥٠ - ١٩٨٠) عندما قصرت جهودها على الروايات النسائيّة وليس على أساس المضمون النسويّ الذي فيها كما يُحيل عنوان

دراستها على ذلك<sup>(١)</sup>، وهذا المأخذ الذي حاول الباحث تلافيه في دراسته إلا أنه وقع فيه أيضاً عندما انشغل بتتبع الإبداع الصادر من ذات أنثوية ممتاز بتناول قضايا تقف في مواجهة المزاغ الذكورية وتسلطها، وإهماله لإبداع الرجل الذي يتبنى قضايا المرأة كذلك، ويدخل في سياق الأدب النسوي.

وبالانتقال إلى الجانب التطبيقي من دراسة الباحث لنتابع جهده في سياق رصد تمثيلات الهوية في إبداع المرأة، وجدناه يلتزم في رصده للذوات الأنثوية الإيجابية الراضة لسلطة الرجل، ما صرح به في التمهيد، من أنه سينشغل برصد الأدب المشبع بروح التمرد على السلطة الذكورية. ولكنه أدرج رواية واحدة لا تدخل في هذا السياق؛ لأنها قدمت صورة سلبية عن الأنثى، وألبستها كل ما يؤكد دونيتها وضعفها، وسلبتها كل مظاهر وجودها وإثبات كينونتها. وهذا ما أشار إليه وهو يقدم تحليله لرواية (نبوءة فرعون) لميسلون هادي<sup>(٢)</sup>. وهذا يعني أنّ هذه الرواية تنتمي إلى الأدب النسائي القائم على تمجيد الرجل وتأكيد سلطته وإعلاء شأنه، مما يتيح لنا تسمية تلك الكاتبة بالمرأة الذكورية.

وتحدّث الباحث عن صورة الرجل في خطاب المرأة المبدعة. ولكنه لم يفصل القول فيه، ولم يجعل دراسته للموضوع قائمة على أساس تقسيمات فرعية، يُدرج في إحداها المرأة الإيجابية (الحدائثية) التي تنطبق عليها شروط الأدب الراض للثقافة الذكورية، وفي الجانب الآخر يضع الشخصيات الذكورية كما قدّمتها المرأة في إبداعها، وإنما جاء حديثه عن الرجل مدمجاً مع حديثه عن المرأة<sup>(٣)</sup> مما أفقد الدراسة فرصة تقديم نتائج مهمة ترصد نظرة المرأة المبدعة إلى الرجل، وهل تمكّنت من هزيمته على مستوى السرد، أو أنّها اكتفت بتصحيح صورة المرأة وتقديمها بروية مغايرة لما شاع عنها في إبداع الرجل.

وبالانتقال إلى الفصل الثاني من دراسة الباحث الذي تناول فيه تمثيلات الجسد، وجدناه يُصحّح مسار بحثه وما أخذناه عليه، من أنه لم يُقدّم دراسة تفصيلية عن صورة الرجل من وجهة نظر المرأة؛ وذلك لأن الباحث حصر موضوع الجسد في الرجل فقط،

(١) يُنظر: الخطاب الروائي النسوي العراقي، محمد رضا الأوسي: ٣٧.

(٢) يُنظر: م. ن: ٦٤.

(٣) يُنظر: م. ن: ٦٥، ٨٥، ٩١، ٩٤، ١٠١.

يُفنّد المزاعم الذكوريّة ويُفوّض مركزيتهم بناءً على ما جاء في الخطاب الروائيّ النسويّ، فالمرأة المبدعة هنا عملت على هدم المزاعم الذكوريّة بتقديم خطابات تُدين الذكورة من زوايا مختلفة، منها ما يتعلّق بهزيمتهم على المستوى الفكريّ، ومنها ما يتعلّق بالمستوى النفسيّ، وكشف مقدار هوسهم بالجنس وفقدان السيطرة وتنظيم إشباع الرغبات وفق مسار العقلانية والقيم. بخلاف ما شاع في الثقافة الذكوريّة من أنّ المرأة أكثر شهوانية وانفلاتاً من الرجل، وأنّها لا تستطيع كبح جماح شهواتها.

في هذا الفصل استعمل الباحث مصطلحات دقيقة تؤكد ما يُريد الحديث عنه، ومدى استيعابه لحيثيات موضوعه، من ذلك استعماله مصطلح (الرجولة) في سياق تقديم شخصيّات ذكوريّة مصابة بعطب في عقلها، وهو مركز التفكير والتخطيط. فالخطاب النسويّ هنا عمل على ضرب مركزية الرجل عن طريق تقديم شخصيّات ذكوريّة عاجزة<sup>(١)</sup> تعرّضت فيها مركزيتها إلى التحطيم، ليكونوا ناقصي عقل كما يزعمون أنّ المرأة ناقصة عقل. أمّا عند حديثه عن شخصيّات ذكوريّة تعاني من عطب جسديّ يُهدّد مركزيتها، ويسهم في تهميشها، ويؤكد عدم جدواها عبر دكّ معاقل فحولتها فإنّه يستعمل مصطلح الذكورة، وهذه الشخصيّات الذكوريّة المهزومة والمهمّشة نتيجة إصابتها بعجز في عضوها الذكري كما قدّمها المرأة المبدعة<sup>(٢)</sup> عدّت معادلاً موضوعياً للتهميش الذي يطال المرأة في الحياة الاجتماعيّة.

وفي ختام جولتنا في أثناء دراسة الباحث، يمكننا القول بأنّ لغة الباحث لغة معرفيّة مستوعبة لتشعبات الموضوع ودلالاته، مع حسن إجادته في اختيار نصوصه المنتخبة وعلاقتها الوثيقة بين تحليل الباحث وما يرمي إليه النصّ المقتبس، مع خلو دراسته من الأخطاء النحويّة والطباعيّة.

(١) يُنظر: الخطاب الروائيّ النسويّ العراقيّ، محمد رضا الأوسي: ١٢٣-١٣١.

(٢) يُنظر: شخصية سرمد في رواية (التشهّي)، عالية ممدوح: ١٣٤، و١٥٠، وشخصية جاسم وسلمان في رواية (القامعون)، سميرة المانع: ١٤١-١٤٢، وشخصية عليوي العطار في رواية (ما بعد الحب)، هدية حسين: ١٤٨، وشخصية حامد في رواية (لست دمية يا أمي)، ثريا محيي الدين محمود: ١٤٩، وشخصية رضا المولاني في رواية (عندما تستيقظ الرائحة)، دنى غالي: ١٥٠.

يدخل في سياق الدّراسات الثقافيّة الملتزمة بالمصطلح الثقافيّ كتاب الباحثة ماجدة هاتو هاشم (الرواية العربيّة ما بعد الحداثيّة)، إذ سعت إلى تقصّي ملامح ما بعد الحداثة في الروايات العربيّة، فجاءت دراستها مستوعبة لتلك الملامح ومبيّنة أسباب شيوعها.

التزمت الباحثة بمصطلح ما بعد الحداثة، وحدّدت ملامحه، وميّرتّه عن مصطلح الحداثة والسّمات التي اتّسم بها، ومن هنا نراها قد قسّمت فصول دراستها انطلاقاً من سمات ما بعد الحداثة التي آمنت بالتعدديّة الثقافيّة، وتحطيم السرديات الكبرى، والعناية بالمهمّش والمقصّيّ وتقويض سلطة المركز، ورفض سلطة العقل والمنطق، وغيرها من السمات التي ميّزتها عن رواية الحداثة.

تناولت الباحثة في الفصل الأوّل من دراستها أوّل تمظهر من تمظهرات الرواية ما بعد الحداثيّة، ألا وهو الجنوح إلى الخيال المفرط. ركّزت في هذا الفصل على تقنيّتي ما وراء الرواية والواقعيّة السحريّة، وقد أشارت إلى سبب ركونها إلى مصطلح ما وراء الرواية دون غيره من المصطلحات التي شاعت في الأوساط النقديّة، أنّ هذا المصطلح يجعل من التاريخ موضوعه الأساس بحسب اعتقاد ليندا هتشيون<sup>(١)</sup>، ولهذا تبنته الباحثة لأنّ رواية ما بعد الحداثة قد عملت على توظيف التاريخ واستحضاره في عمق الخطاب الخيالي.

وفي سياق تتبّع توظيف تقنية ما وراء الرواية في الروايات العربيّة، وقفت الباحثة على أربع روايات لا غير، ثلاث منهنّ لكتّاب عراقيين، وواحدة لكتّاب مصريّ. هذه العيّنات مع توظيفها للتاريخ وإجادة الباحثة في تقصّي ملامح توظيفه، إلّا أنّها لم تكن كافية لتغطّي مساحة اشتغال الباحثة جغرافياً.

وقولنا أنّنا يؤكده دراسة الباحثة لتقنية بنية المخطوطة التي اتكأت في رصدها على رواية واحدة لكتّاب عراقي هو (عبد الخالق الركابي) في روايته (سابع أيام الخلق)<sup>(٢)</sup>، وتقنية رواية الوثيقة على روايتين لكتّاب عراقيين أيضاً، هي: (بابا سارتر) لعلي بدر، و

(١) يُنظر: الرواية العربيّة ما بعد الحداثيّة تقويض المركز - الجسد - تحطيم السرديات الكبرى، د. ماجدة هاتو هاشم:

١٠١.

(٢) يُنظر: م. ن: ١١٧.

(خضرقد والعصر الزيتوني) لنصيف فلك<sup>(١)</sup>. يُفهم من العيّنات المختارة أنّها فقط من امتازت بتوظيف تقنيّات ما بعد الحداثة وتحديدًا السرد التاريخي القائم على توظيف بنية المخطوطة أو الوثيقة، فكان نصيب الروايات العراقيّة الأكبر بينها، في حين غاب عن وعي الباحثة توزيع عيّنات دراستها لتغطّي الرقعة الجغرافيّة للروايات العربيّة، لتكون الإحصائيّة مستندة على أنموذجات منتخبة ويتم التصريح بذلك.

من بين المصطلحات النقديّة الأخرى التي وقفت عندها الباحثة، مصطلح الرواية النسويّة. وهي تعني به الروايات الصادرة من ذات أنثويّة تمتلك رؤية مغايرة في طرح وجهات نظرها والقضايا المتعلقة بها. وهذا يعني أنّ هنالك شرطين يجب توافرها كي نقول هذه رواية نسويّة؛ وهما أن الكاتبة امرأة، وأن يكون لديها وعي عصريّ متقدّم بقضايا النسويّة.

في هذا الفصل اتكأت الباحثة على سبع روايات نسويّة قدمن وعياً مغايراً تمثل في تقويض سلطة الذكر، وتأكيد الهويّة الأنثويّة عن طريق خلق شخصيّات أنثويّة فاعلة في الخطاب الروائيّ، وممسكة بزمام السرد، ومتمرّدة على كلّ محاولات إقصائها وتهميشها، فكانت الباحثة موفّقة في اختيار عيّنات دراستها التي اشتملت على ملامح ما بعد الحداثة.

لكن ما يؤخذ عليها أنّها في هذا الفصل تحديداً أسهبت في تقديم مهاد نظريّ عن الأدب النسويّ وتاريخ نشأته، وأبرز حركاته ومراحله، فجاء تنظيرها بحدود عشرين صفحة، وهذا المهاد مع أهميّته وما فيه من تدخّلات نقديّة من لدن الباحثة، وهي تدخّلات تُحسب لها، إلا أنّ المساحة التي أفردت له عدّت خرقاً منهجياً إذا ما قورن بمدخل كلّ فصل من فصول دراستها.

وبناءً على ما أوردناه آنفاً يمكننا القول بوعي الباحثة بدلالة مصطلح ما بعد الحداثة، وإجادتها في تطبيقه على الروايات العربيّة التي شملت سمات تلك المرحلة، فضلاً عن أنّ لغتها كانت نقديّة نابعة من معرفة بدلالة كلّ مصطلح، وبكيفية توظيفه. أمّا على

(١) يُنظر: الرواية العربيّة ما بعد الحداثة تقويض المركز - الجسد - تحطيم السرديات الكبرى، د. ماجدة هاتو هاشم:

مستوى اختيار العيّات فإنّ دراستها تضمّنت تطبيقاً لخمس وثلاثين رواية عربيّة، كان الجزء الأكبر من نصيب الرواية العراقيّة التي شغلت حدود عشر روايات، سبع منهن لرجال وثلاث منهن لنساء، ثمّ تلتها الرواية المصريّة التي شغلت ثماني روايات كلّها تنتمي لجنس الرجل، ثمّ ست روايات جزائريّة أربع منهن لرجال واثنان لنساء، ثم روايتان لكلّ من لبنان وسوريا، ورواية لكلّ من ليبيا والمغرب والسودان.

ولم تكن تلك الدّراسات التي ذكرناها أنفأ وحدها التي التزمت بمصطلحات الدّرس النقديّ الثقافيّ، بل هناك دراسات أخرى لم تخلُ لغة النّقاد من تبنّيها والتزامهم بها في كتاباتهم. ويمكن إجمالها بالآتي: السرد النسوي، الثقافة الأبوية، الهوية الأنثوية، الجسد، د. عبد الله إبراهيم، والشخصية الجنوبية في الرواية العراقيّة، د. عالية خليل إبراهيم، وتمثّلات السلطة ومرجعياتها الثقافية في روايات فؤاد النكرلي، د. محمد عبد الحسين هويدي، والهوية المسيحية في الرواية العراقيّة دراسة تحليلية لروايات ما بعد ٢٠٠٣، عماد جاسم، والمضمرات الإشهارية في الرواية العراقيّة حقبة ما بعد الانفتاح، د. علي جواد عبادة.

## ٢ - المصطلح واضطراب الدلالة

يُعبّر السياق اللغويّ للمصطلح عن موقعه المعرفيّ، وحقله الذي ينتمي إليه؛ لما يتمتّع به من مزيّة، بوصفه خلاصة معرفيّة "تمثّل صورا مصغرا وافية للمفاهيم التي تعبر عنها؛ حيث تنوب الكلمة الاصطلاحية الواحدة عن عشرات الكلمات اللغوية الغائبة التي من شأنها أن تعرف المفهوم المعرفي المرجو تقديمه"<sup>(١)</sup>، وبعد المعاينة القرآنية للمتون النقديّة ذات الرؤى الثقافية رصدنا بعضاً منها<sup>(٢)</sup> قد وقع مؤلّفها بإشكالية عدم الدقّة في استعمال المصطلح النقديّ، وهذا الافتقار إلى الدقّة في استعمال المصطلح "لا يصنع غير الفوضى والاضطراب وهو دليل على عدم الوعي، ليس بحقيقة دور المصطلح فقط، بل

(١) إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، د. يوسف وغليسي: ٦٩.

(٢) يُنظر: أمريكا والأمريكي في الرواية العربية، د. نجم عبد الله كاظم، والأنساق الواقعية والرمزية في الرواية العراقيّة ما بعد ٢٠٠٣، حيدر جمعة العابدي، وتشظيات الإرهاب والبعد الثقافي دراسة نقدية في رواية سبانيا دولة الخرافة، حامد عبد الحسين حميدي، والمركز والهامش في الرواية، عذراء سنجار أنموذجاً، د. فوزية لعيبوس الجابري، والإكليروس في الرواية العراقيّة، د. مسار غازي.



بحقيقة المعرفة نفسها"<sup>(١)</sup>. ومن بين تلك الكتب، كتاب الباحثة الأكاديمية نادية هناوي الموسوم بـ (تمظهرات النقد الثقافي وتمفصلاته قراءات تطبيقية).

قدّمت الباحثة الأكاديمية دراسة نقدية تطبيقية تؤكد فيها انفتاح النقد الثقافي على ميادين الحياة كافة، وليس مجرد إجراءات منهجية تمتلك رؤية مغايرة في الاشتغال النقديّ، فهي سعت إلى الكشف عن تمظهرات النقد الثقافي في الحقل النقديّ والروائيّ والشعريّ ولم تقتصر على حقلٍ دون غيره.

وقد قسّمت فصول دراستها على سبعة فصول، كان الفصل الأول من نصيب كتاب الدكتور علي الوردي (أسطورة الأدب الرفيع) ساعية فيه إلى تتبع المرجعيات الثقافية التي غدّت الناقد ووجهت رؤيته في تشكيل تلك الدراسة. فالباحثة هنا باتخاذها أنموذجاً نقدياً ليكون منها التطبيقية لإجراءات النقد الثقافي قد طرقت باب نقد النقد، ولكن بعد فحص ما قدّمته من قراءة نقدية لكتاب علي الوردي لم نعثر فيه على أية جملة ثقافية أو أيّ تطبيق لآليات النقد الثقافي وإجراءاته المنهجية، فجلاً ما قامت به لم يتعدّ رصد المرجعيات التي اشتمل عليها كتاب علي الوردي وتبويبه في أربعة مسارات<sup>(٢)</sup>. وفي سياق حديثها عن المرجعية الفلسفية التي بلورت النصّ النقديّ ورؤية الناقد علي الوردي لم نعثر في نصوصها المقتبسة على أيّ أثر للجانب الفلسفيّ في مناقشات الناقد وردوده على خصومه<sup>(٣)</sup>، وهذه النصوص المقتبسة لم تكن وحدها ما يؤخذ عليها، بل أيضاً وجدنا غياب الرؤية الثقافية في عرضها.

غياب الرؤية ينطبق أيضاً على محاولتها في رصد المرجعية الاجتماعية في نقد علي الوردي، فمع أنّ الكتاب قد اشتمل على قضايا اجتماعية أسهمت في تشكيل رؤيته النقدية، وجهد الباحثة يسير في اتجاه مناقشة تلك الآراء من منظور ثقافيّ؛ كان المناسب أن نقف عندها غائرة في أعماقها، بغية رصد الأنساق الثقافية المهمة على ثقافة ذلك

(١) نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، محمد الدغمومي: ٢٦٢.

(٢) يُنظر: تمظهرات النقد الثقافي وتمفصلاته قراءات تطبيقية، د. نادية هناوي سعدون، دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق، ط ١، ٢٠١٥م: ١٩ - ٣٩.

(٣) يُنظر: م. ن: ١٩ - ٢٦.

العصر، إلا أننا لم نر الباحثة في كتابتها ولم نعثر على بصمات جهدها إلا في حدود اختيارها للنصوص النقديّة<sup>(١)</sup>، أمّا من جانب التحليل فلم نجد تحليلاً بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة.

وبالانتقال إلى الفصل الثاني من دراستها الذي انشغلت فيه بملاحقة جهد الدكتور حسام الألوسي لمعرفة منطلقاته الفكرية ومرجعياته الثقافية التي مكّنته من تقديم نقدٍ للفكر الفلسفيّ الإسلاميّ المعاصر، وللفكر الاستشراقيّ وثقافته، وجدنا ذلك الفصل يتّخذ طابع التنظير ورصف الآراء ذات الصلة بنقد الفكر الفلسفيّ الإسلاميّ بين الألوسي ومن اشترك معه، في الحديث عن الموضوع ذاته، من دون أن تكون هناك مداخلات نقديّة للباحثة<sup>(٢)</sup> تكشف عن مسوّغات ميل الألوسي إلى تقديم دراسة نقديّة قائمة على نقد الفكر الإسلاميّ ونقد ثقافة الاستشراق.

أمّا الفصل الثالث فقد درست فيه بعض النظريات النقديّة التي ظهرت في مرحلة ما بعد الحداثة، كالتفكيكية والتأويل ونظريّة القراءة والتلقّي؛ بوصفها نظريات مهّدت لظهور الدّراسات الثقافية والنقد الثقافيّ. تبنّت الباحثة في هذا الفصل مصطلح ما بعد الكولونيالية بدلاً من مصطلح ما بعد الحداثة، ورأت أن من سمات تلك المرحلة أنّها "انفتاحية تؤمن بالتعدد والتحاوّر والعولمة لا وجود فيها لهيمنة المركز أو الهامش.. فهي ترفض كل صنوف التسيد والنخبوية أو الفئويّة للنوازع القسرية ذات السمات القمعية والإرهابية"<sup>(٣)</sup>، وبالانطلاق من هذه السمات يمكننا القول بأن مصطلح ما بعد الكولونيالية مرادف لمصطلح ما بعد الحداثة بحسب اعتقاد الباحثة؛ لأن السمات التي وسمت بها مرحلة ما بعد الكولونيالية هي سمات ما بعد الحداثة. وفي هذا التصوّر دليل على اضطراب المصطلح ودلالاته عند الباحثة. وليس هذا فحسب، بل حتّى تنظيراتها انصبّت على مصطلح ما بعد الحداثة، ولم تقدّم تنظيرات لما بعد الكولونيالية وعلاقتها بما بعد الحداثة.

(١) يُنظر: مظهرات النقد الثقافيّ وتمفصلاته قراءات تطبيقية، د. نادية هناوي سعدون: ٢٨ - ٣٣.

(٢) يُنظر الفصل الثاني من كتابها مظهرات النقد الثقافيّ وتمفصلاته قراءات تطبيقية: ٤٨ - ٧٥.

(٣) م. ن: ٧٦.

أمّا المناهج التي وقفت عندها، فهي تعود إلى مرحلة ما بعد الحداثة<sup>(١)</sup>، فكلّ ناقد ابتدع منهجاً ودعا إليه ووظّفه في ممارساته النقديّة، ولكنّ الباحثة لم تربط بين التفكير والنقد الثقافيّ، ولم توضّح كيف استثمر النقد الثقافيّ آليات التفكير والتأويل وغيرها من المناهج التي شاعت في مرحلة ما بعد الحداثة.

وهذا الاضطراب في تقديم دراسة تطبيقية توظّف إجراءات النقد الثقافيّ لم تقف عند حدود النصّ النقديّ، بل شمل جهدها في تقديم دراسة نقدية في مجالي الرواية والشعر، وبإمكان القارئ العودة إلى الفصول الأربعة الأخيرة من دراستها<sup>(٢)</sup>.

وفي هدي ما ذكرنا آنفاً يمكننا القول: بأنّ دراسة الباحثة لا تدخل في ميدان النقد الثقافيّ؛ لأنها لم توظّف إجراءات مناسبة للنقد الثقافيّ على المتون النقديّة والإبداعية التي جعلتها منطلقات لدراستها، فكأنّ العنوان يحمل جانباً إشهارياً اتخذ من ميدان النقد الثقافيّ مسوّغاً لجذب القارئ.

ويدخل في السياق ذاته دراسة الباحث حبيب النورس (الرواية العراقية من منظور النقد الثقافيّ). فقد أخضع الرواية لمعايير النقد الثقافيّ -بحسب تصريحه- بغية الوقوف على الأنساق الثقافية التي هيمنت على الخطابات الإبداعية نتيجة الظروف والتغيرات التي أصابت المجتمع العراقيّ بعد عام ٢٠٠٣م. وحين أخضعنا دراسته للفحص والمعاينة النقديّة وجدناها لا تلتزم بدلالة المصطلح النقديّ الذي تبناه الباحث، وأقام دراسته في ضوءه.

فعلى سبيل المثال عند وقوفنا على الفصل الأوّل من دراسته، الذي سعى فيه إلى رصد الأنساق المهيمنة في الروايات المنتخبة للدراسة، كانت الأنساق التي سعى إلى رصدها هي الموقف من الاحتلال، وهيمنة مفهوم الجسد الأنثويّ، وصعود الهامش. وفي سياق حديثه عن الموقف من الاحتلال بغية استنطاق النصوص وكشف المتغلغل في عمقها من أنساق ثابوية، وجدنا تعليقه على النصوص المقتبسة يغلب عليه الشرح واللغة

(١) يُنظر: مظهرات النقد الثقافي وتمفصلاته قراءات تطبيقية، د. نادية هناوي سعدون: ٩٠ - ١٠٢.

(٢) يُنظر: م. ن: ١٠٧ - ٢٤٧.

الإنشائيّة من دون تقديم تحليل يغور في أعماق النصّ ليقف عند الأنساق المهيمنة فيها، ومسوّغات شيوخها، وقلنا هذا يؤكّده تعليقه على النصّ المقتبس من رواية (كنت ميتاً) لموسى الهاشمي، فالباحث يرى أن النسق المهيمن "هو الإحساس المتنامي بأن الاحتلال أدى إلى تمزيق النسيج الوطني وتشظي هوية المجتمع وبلورة مفاهيم جديدة قد تؤدي إلى تقسيم العراق، مثل الإرهاب"<sup>(١)</sup>، وتعليق الباحث هذا جاء على النصّ الروائي "لوحات الرؤوس وهي تقطع بالفؤوس أو السيوف على أيدي قتلة إرهابيين تتراقص أمامي: كانت تلك الملقاة على أكوام الزباله أو التي تصادفنا على نواصي الشوارع [...] بدأ القتل على الهوية المذهبية يمارس ضد أبناء أهل الأحياء السكنية"<sup>(٢)</sup>. وقوله هذا لا يتعدى أن يكون وصفاً لا يستند على إجراءات النقد الثقافيّ، ولم يكن في صلب النصّ الذي هو في صدد تحليله وكشف جوانبه.

والأمر ذاته ينطبق على حديثه عن هيمنة الجسد الأنثويّ، وصعود الهامش. فعند وقوفه على تسيدّ الطبقات الشعبيّة في الخطابات الروائيّة، وتصدّرها المركز بلهجتها وعاداتها وثقافتها، وعدّها أنساقاً تسيدت الإبداع الأدبيّ ما بعد عام ٢٠٠٣م، إلّا أنّ الباحث يرى "أن وجود هذه اللهجة إلى جنب لهجات أخرى في الأدب الروائي هي دلالات اختلاف ثقافي بين مكونات المجتمع العراقي"<sup>(٣)</sup>، هذا فضلاً عن اعتقاده بأنّ شيوع ثقافة الجنوب الدينيّة وعاداتهم وقسمهم بأهل البيت (عليهم السلام) وإيمانهم بهم هو ضرب من الاحتفاظ بالمقدّسات، في حين أنّه لم يقف عند أهمّ مسوّغ لصعود تلك الطبقة وشيوع لغتها العاميّة بثقافتها هو صعود نسق الأحزاب الدينيّة بشيعتها وسنّتها، وقوّة نفوذ الأحزاب الدينيّة الشيعيّة وصعودها إلى المركز بعد أن كانت ممنوعة ومقصاة.

وهذه التعليقات البسيطة واللغة الشارحة يجدها القارئ مبثوثة في ثنايا الكتاب كلّها، وكأنّ الباحث غير ملزم بتطبيق إجراءات النقد الثقافيّ.

(١) الرواية العراقية من منظور النقد الثقافيّ، حبيب النورس: ٣١.

(٢) كنت ميتاً، موسى الهاشمي: ٣١ - ٣٢.

(٣) الرواية العراقية من منظور النقد الثقافيّ، حبيب النورس: ٥٧ - ٥٨.

وبالوقوف على كتاب الباحث محمد فاضل المشلب الموسوم بـ(الإنجليزية العراقية في عالم عليّ بدر الزوائي) يتّضح لنا المصطلح الصادم الذي استعمله الباحث. فمن العنوان يتّضح لنا ركون الباحث إلى مصطلح (الإنجليزية) الذي يُترجم إلى مصطلح (الطبقة المثقفة) في العربية، وقبل الشروع في الحديث عن الجانب النظري لدلالة المصطلح وهل هو مرادف لمصطلح المثقف - كما جاء في تنظيرات الباحث، أم له دلالات مغايرة، أمكننا رصد الاضطراب والتذبذب بين المصطلحين في خطة الباحث وتقسيمه لمحاور كتابه وفصوله؛ إذ إنّه في عنوان الفصل يستعمل مصطلح (الإنجليزية)<sup>(١)</sup>، وفي تقسيمه لمحاور كلّ فصل يلجأ إلى مصطلح (المثقف)<sup>(٢)</sup>، فإذا كانت دلالة المصطلحين واحدة فلماذا هذا الاضطراب في اللغة والاستعمال؟ فقد كان بإمكانه الركون إلى الإنجليزية أو المثقف؛ ليُجنّب نفسه من الوقوع في مأزق التشتت وفوضى الاستعمال. ولا شكّ في أنّ مصطلح (الإنجليزية) مُترجم، وثقيل في لفظه، لذا يمكن أن يكون الأفضل استعمال المصطلح المُترجم إلى العربية بدلاً عنه وهو الطبقة المثقفة، ولا بأس في أن يُذكر المصطلح المُترجم ولكن لا يُستعمل في العنوان ولا يُكرّر استعماله كثيراً في أثناء الشرح والتحليل وكأنّ لا بديل عنه.

ويبدو أن منابع اضطراب المصطلح تنطلق من اضطراب مفهومه لدى الباحث، وهذا ما يتجلّى بوضوح عند وقوفنا على المهاد النظريّ الذي قدّمه، إذ يبدأ حديثه في التمهيد عن نشأة مصطلح المثقف، وماهيته في الفكر الغربي والعربي، وعلاقته بمصطلح المفكر ومعرفة الفرق بينهما، اعتقاداً منه أنّ مصطلح المثقف تعريب أو ترجمة لمصطلح الإنجليزية؛ لذلك تبنّى استعمال المصطلح الإنكليزي بدلاً من المصطلح العربي لغاية قد تصبّ في ميدان تمويه القارئ بابتعاد دراسته عن الدّراسات المتداولة والمتكرّرة، أو رغبة في تحقيق جانب إشهاري يعمل على جذب القارئ ولفت انتباهه إلى دراسة تتضمّن من

(١) يُنظر عنوان التمهيد (الإنجليزية: النشأة والمفهوم): ١٣، والفصل الأول (الإنجليزية والآخر): ٣٩، والفصل

الثاني (أنماط الإنجليزية): ١١٩، والفصل الثالث (فنيّة الإنجليزية وفقاً لخطاظة هامون): ٢٠٣.

(٢) يُنظر محاور التمهيد: ١٥، ومحاور الفصل الثاني: ١٢١.

أول عنوانها على مصطلح جديد لم تألفه الساحة النقديّة وغير متداول في الأوساط الأكاديميّة.

إذا كان المثقف هو الذي يتعامل مع الأفكار بجوانبها الدينيّة أو العلميّة أو الأيديولوجيّة إلاّ أنّه عند جورج طرابيشي لا يصل إلى مرحلة الانتلجنسيا إلاّ بتجاوزه مهمّة تبرير الوضع القائم، ومحاولة إضفاء الشرعيّة الأيديولوجيّة عليه، بل يتجاوزها إلى ما هو أبعد من ذلك عن طريق التصدي لذلك الواقع وتقديم نقد جذري على وفق ما ينبغي أن يكون عليه لا لما هو كائن<sup>(١)</sup>.

وبالوقوف عند كتاب الباحث الأكاديميّ قيس كاظم الجنابي الموسوم بـ(الرواية العراقيّة بعد الاحتلال الأمريكي هشاشة المأوى وأزمة الهويّة)، نلاحظُ انكائه على مصطلحي (هشاشة المأوى وأزمة الهويّة) كما موضح في العنوان، ساعياً إلى رصد تجلياتهما في الروايات العراقيّة بعد حقبة الاحتلال الأمريكي؛ لما لتلك الحقبة من آثار أحدثت مسارات جديدة في الكتابة الإبداعية، وعكست صورة الحياة بمفاصلها، فضلاً عن تجسيدها للصراعات الطائفية التي بلغت ذروتها في ظلّ الاحتلال وما بعده مما قاد إلى زعزعة الاستقرار الأمنيّ والمكانيّ. من هنا سعى الباحث إلى دراسة آثار تلك الحقبة تحت مصطلحي هشاشة المأوى وأزمة الهويّة، ولكن هل قدّم الباحث قراءة نقديّة لروايات تلك الحقبة؟ وهل استطاع الوقوف على تداعيات تلك الأزمة التي زعزعت استقرار المكان وأحدثت شرخاً في نسيج المجتمع؟ هذا ما سنوضّحه عند قراءتنا لكتابه.

من مسوِّغات إدراج تلك الدّراسة في خانة اضطراب المصطلح، خطة الدّراسة؛ لأنّ مَنْ يُلقى نظرة سريعة على تقسيم فصول دراسته سوف يلاحظ اضطراباً واضحاً في لغته النقديّة ومنهجه، إذ قسّم الباحث دراسته على ستة أبوابٍ تفاوتت في فصولها وابتعادها عن السياق الذي أُدرجت تحته -وهذا ما سنوضّحه لاحقاً-، فضلاً عن تخصيصه الباب الأوّل من دراسته ليتضمّن الحديث عن هشاشة المأوى وأزمة الهويّة من خلال تقديم دراسات تطبيقيّة.

(١) يُنظر: الانتلجنسيا العربية، مجموعة مؤلفين: ٦٢-٦٣.

لو أنّ الباحث جعل من الباب الأول مهادًا نظريًا يُفصّل فيه القول في مصطلحي هشاشة المأوى وأزمة الهوية، لجنّب نفسه ولغته الاضطراب والتشتت. أمّا وقد جعله قراءة تطبيقية لأهم مصطلحين قامت عليهما دراسته فهذا أمرٌ غير مستساغ؛ لأنّ المنهجية تحتم عليه توزيع الجهد على مفاصل الكتاب ليكون شاملًا لتفصيلات العنوان الرئيس ومحاوره.

وليس هذا فحسب، بل وصل الاضطراب إلى مستوى اختيار العينات المدروسة، إذ لم يتم إدراجها تحت عنوان واضح وصريح لتتم دراستها ورصد مظاهر الأزمة فيها على مستوى المكان والهوية، وجلّ ما قام به الباحث وضع ترقيم يعلو صفحات كلّ رواية<sup>(١)</sup> والأمر الأهم أنّ الباحث لم يقدم دراسة نقدية تقف على أعتاب تلك الروايات المنتخبة لتفكيكها وتحليل ظاهرة أزمة الهوية وتشظيها في ظلّ مرحلة تاريخية مهمة وخطيرة كانت الفيصل في تغيير مجرى حركة العراق في نواحيه جميعها السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية.

أمّا على مستوى الباب الثاني الذي عنوانه ب(سرديات الهوية)، فإننا نلاحظ اضطرابًا في توظيف المصطلح؛ لأنّ الباحث قد أدرج مجموعة روايات اختارها لتكون عيناته التطبيقية يكشف من خلالها نوع الهويات التي شكّلت حضورًا لافتًا في روايات حقبة ما بعد الاحتلال الأمريكي. ومع أنّ الروايات عبّرت عن نوع الهوية في سردها إلا إنّنا لم نعثر على تحليل دقيق يوضّح لنا الهويات التي شغلته مساحة السرد، وكيف تم توظيفها، والحديث عنها<sup>(٢)</sup>. وليس هذا فحسب، بل إنّ درس روايتين -في الفصل الرابع والخامس- تحت عنوانات لا علاقة لها بعنوان الباب -سرديات الهوية- وذلك لأنه درسهما تحت عنوان (الصوت والصورة)<sup>(٣)</sup> وقدم دراسة بعيدة كلّ البعد عن تتبّع الهوية وكيفية توظيفها في تلك الروايتين.

(١) يُنظر: الرواية العراقية بعد الاحتلال الأمريكي هشاشة المأوى وأزمة الهوية، د. قيس كاظم الجنابي: ١٩-٥٥.

(٢) يُنظر: م. ن: ٥٩، ٧٣، و١١٥.

(٣) يُنظر: الفصل الرابع: ٩١، والفصل الخامس: ١٠١.

وتلك الملاحظات وغيرها تنطبق على أبواب كتابه الأخرى، ولهذا يمكننا القول: إنّ دراسة الباحث تُدرج في سياق الدّراسات ذات المصطلح المضطرب، واللغة الإنشائيّة التي تفتقر إلى الجانب النقديّ المعرفيّ.

### ثالثاً: عتبات الكتابة في التصويب والبُعد الفنيّ

هناك بعض الكتب النقديّة التي سجّلنا عليها ملاحظاتنا المتعلقة بطريقة إخراج الكتاب، ومدى العناية به؛ لأنّ الغاية لا تتعلّق بمضمون الكتاب وثرائه المعرفيّ والفكريّ، بل كذلك بكيفيّة إخراجها، وسلامته من الأخطاء النحويّة والطباعيّة، واستعمال علامات الترقيم؛ لما بينهما من ترابط وثيق في إيصال الفكرة وجعلها مقبولة ومستساغة من لدن القراء.

وأوّل كتاب نقف عنده كتاب الباحثة خالدة حاتم علوان وعنوانه (الروائيون العراقيون اليهود). أوّل مأخذ سجّلناه على هذا الكتاب اختلاف صيغة العنوان بين ما مُنبت على غلاف الكتاب، والمصرّح به في المقدّمة. ففي الغلاف جاء العنوان بالصيغة الآتية (الروائيون العراقيون اليهود دراسة في الثقافة والمتخيل والتجريب الروائي)، وما ذكر في المقدّمة بالصيغة الآتية (الروائيون العراقيون اليهود- دراسة في شعريّة المنجز الروائي)<sup>(١)</sup>. وهذا المأزق وقعت به الباحثة عالية خليل إبراهيم في كتابها (الشخصيّة الجنوبية في الرواية العراقية)<sup>(٢)</sup>، والباحث حميد عبد الوهاب البدراني في كتابه (العنف الرمزي مقارنة جندريّة في الرواية النسويّة)<sup>(٣)</sup>.

الأمر الآخر أنّ كتاب الباحثة خالدة حاتم بدءاً بالإهداء وانتهاءً بالملاحق التي عرّفت بها الشخصيات الروائيّة اليهوديّة لم يُحسن فيه استعمال همزتي الوصل والقطع. ولا يخفى على القارئ ضرورة التمييز بين الهمزتين وأهميته، فلكلّ منهما مواضع للاستعمال لا ينبغي إهمالها في الكتابة.

(١) يُنظر: مقدّمة الكتاب: ٩

(٢) يُنظر: غلاف الكتاب والعتبة التي تليه.

(٣) يُنظر: غلاف الكتاب والخاتمة.



ومن بين الأساليب التي لا يُسمح بتكرارها في الجمل، أسلوب تكرر (بين)، في حين وجدناها متكررة في جمل كثيرة في كتاب الباحثة، ويمكن الرجوع إلى الصفحات الآتية<sup>(١)</sup> التي تكرر فيها (بين). أمّا بشأن الأخطاء النحويّة والطباعيّة فهي ليست بالكثيرة<sup>(٢)</sup> لا سيما إذا ما قورنت بحجم الكتاب الذي تجاوزت صفحاته خمسمئة وأربعاً وعشرين صفحة.

أمّا الباحث هادي رزاق الخزرجي فمع عنايته بإخراج الكتاب، وحسن تنظيمه بدءاً من الغلاف ومروراً بمدخل الفصول وترتيب قائمة المصادر وعمل فهرسة للمحتويات، إلّا أنّنا سجلنا عليه ملاحظتين: أولهما عدم الاعتناء بهوامش متن الكتاب، مما أدى إلى فقدان جماليته وإرهاق نظر القارئ بتكرار المصدر نفسه في الصفحة ذاتها<sup>(٣)</sup>، وثانيهما: تكرر (بين) في المواضع التي لا يصلح فيها تكرارها<sup>(٤)</sup>.

ومن الكتب النقديّة التي لم تعتن بطريقة إخراجها، كتابا الباحثة الأكاديميّة نادية هناوي (تمظهرات النقد الثقافي وتمفصلاته) و(الجسدنة بين المحو والخط). على مستوى

(١) الروائيون العراقيون اليهود دراسة في الثقافة والتمثيل والتجريب الروائي، د. خالدة حاتم علوان: ١٥، و١١٢، و١٥٤، و٢٠٠، و٢٥٢، و٣٣٨، و٤٣٩، و٤٦٦. ويُنظر أيضاً: الشخصية الجنوبية في الرواية العراقية، د. عالية خليل إبراهيم: ٤٢، و٩٣، و٩٦، و٩٩. ويُنظر: الهوية في سرديات جمعة اللامي دراسة في ضوء التحليل الثقافي، إحسان جابر شبيب البخاتي: ٣٨، و٤٢، و٤٣، و٥١، و٥٤، و٦٢، و٦٩، و٩٨، و١١١، و١١٤، و١٢٤، و١٦٧، و١٧٢، و١٧٣، و١٧٦.

(٢) يُنظر: الروائيون العراقيون اليهود دراسة في الثقافة والتمثيل والتجريب الروائي، د. خالدة حاتم علوان: ١١، و٤٢، و٢٣١، و٤٤٢، و٤٤٤، و٤٥٠، و٤٥١، و٤٧٧، و٤٨٤، و٤٩٨، و٥٠٠، و٥٠١، و٥٠٤، و٥٠٧، و٥١٢، و٥١٧، و٥٢٤.

(٣) الرواية العربية الممنوعة دراسة ثقافية تطبيقية، هادي رزاق الخزرجي: ٥٨-٩٣، و١٠٨، و١١٣-١٤٣، و١٦٠-١٦٧، و١٨٦-١٩١. ويُنظر: رواية العنف دراسة سوسيونصية في الرواية العراقية ما بعد ٢٠٠٣، د. باسم صالح: ١٢، و٢٧، و٢٩، و٣٠، و٣٢، و٣٥، و٣٨، و٤٩، و٥٤، و٦٣، و٦٨، و٧٠، و٧١، و٨٠، و٨٦، و٨٨، و٩٨، و١٠٣، و١٠٨، و١١٤. ويُنظر: المركز والهامش في الرواية [عذراء سنجار] انموذجاً، د. فوزية لعبوس الجابري: ٢٣-٢٦، و٣٠-٣٧، و٣٩-٥٠، و٥٣-٦٨، و٧٣-٨٦، و٩٠-٩٦، و٩٨-١٠١، و١٠٩-١١٥. (٤) الرواية العربية الممنوعة دراسة ثقافية تطبيقية، هادي رزاق الخزرجي: ١١، و٤٨، و٧٦، و٧٨، و١١٣، و١١٤.

الإخراج والتضيد فإنّ كتابها الأول شابه كثير من الأخطاء الطباعيّة<sup>(١)</sup>، وعدم استعمال علامات الترقيم<sup>(٢)</sup> مما جعل الجمل تطول كثيراً، فضلاً عن الأخطاء المتعلقة بالإحالة إلى مصدر معيّن<sup>(٣)</sup>، وليس آخرًا عدم العناية بكتابة همزتي الوصل والقطع وهي مبنوثة على مدار صفحات الدّراسة بمجملها.

فمن المواضيع التي استعملت فيها همزة القطع قولها الآتي: "فإن محور الأحداث فيها يدور حول شكلين من أشكال البناء النسقي للقص احدهما الوصف بأنساقه وأشكاله المختلفة والآخر السرد بمستوياته ووظائفه المتعددة وقد استغرق الاستقصاء في وصف الأماكن والأشياء كثيراً من فعل الكتابة من خلال العناية بتفصيلات كل شيء في ما يشبه رسم لوحة فنية تشكيلية وكأن الراوي أشبه بالفنان الذي يسعى إلى تصوير أدق الجزئيات واصغر التفاصيل للمشهد"<sup>(٤)</sup>. قولها هذا جاء في سياق تحليلها لنصّ مقتبس من رواية (التجذيف في الوحل) لجميل سلوم شقير مستعينة بإجراءات النّقد الثقافيّ، ومع حُسن توظيفها لهزمة القطع إلا إنّ النصّ يخلو من علامات الترقيم.

وفي موضع آخر لم توظّف فيه علامات الترقيم كذلك، كما استعملت همزة الوصل في المواضيع التي حقّها القطع، وهذا ما يؤكّده قولها: "لما تحمله من اشكالات ابستمولوجية معقدة ومتداخلة ينضوي أغلبها تحت طائلة المشروع النقدي الحداثي وما بعد الحداثي برواه الانفتاحية غير التقليدية في النظر الى وظائف الخطاب النقدي وقضاياها بدءاً من الالسنيات البنيوية حتى النقد الثقافي"<sup>(٥)</sup>. فالغاية من استعمال علامات

(١) على مستوى الأخطاء الطباعيّة يُنظر الصفحات الآتية: ١٩- ٦٥- ٨٩- ٩٣- ١٠٦- ١١١- ١٥٤- ١٥٥. ويُنظر: الرواية العربية ما بعد الحداثيّة، د. ماجدة هاتو هاشم: ١٨٥، ٢٠٠، ٢٠٤، ٢١٦، ٢٢٧، ٢٣١، ٢٢٤، ٢٤٦، ٢٥٣، ٢٧٩، ٢٩٣، ٢٩٧، ٣٠٩، ٣٢٤، ٣٣٢.

(٢) يُنظر: مظهرات النّقد الثقافيّ وتمفصلاته، د. نادية هناوي: ١٨- ٢٥- ٤٨- ٧٢- ٨٣- ١٠٨- ١٠٩- ١١٤- ١٥٧- ١٦٠- ١٦١- ١٧٩- ١٩١- ١٩٤- ٢٠٤.

(٣) يُنظر: م. ن: ١١٨- ١٢١- ١٢٢- ١٢٨- ١٥٢- ٢٢١- ٢٢٥.

(٤) م. ن: ١٠٨.

(٥) م. ن: ١١٤.

الترقيم يمكن إرجاعها لسببين: السبب الأول مرتبط بتحديد سرعة الكتابة، والآخر يُسهم في تقسيم الكلمات والعبارات والأفكار إلى مجموعات متناعمة<sup>(١)</sup>.

أمّا بالنسبة لكتابتها الثاني فبعد المعاينة القرائية له رصدنا مواضع كثيرة أفقدته جزءاً كبيراً من الجانب الفني، وأكدت عدم العناية بمظهر الكتاب، وأول تلك الهنات التي رافقت الكتاب من بدايته إلى نهايته عدم استعمال همزتي الوصل والقطع استعمالاً دقيقاً باستثناء بعض المواضع التي وردت فيها همزة القطع في سياقها الصحيح. يُنظر على سبيل المثال المواضع الآتية: "وليس في ذلك مغالاة فلطالما كانت الإنسانية في ظل الامومة تنعم بالرحمة [...] لكنها ما أن أسلمت قيادها الى الرجل حتى صارت الانسانية قالباً ذا صناعة ذكورية تستوعب تطلعات الفحولة [واستحواذها] على البشرية التي غدت لعبة يديرها الابويون"<sup>(٢)</sup>. وكذلك ما ورد في قولها: "وهذا ما اوقعه في اعتيادية الرؤية بازاء المرأة لا بوصفها صوتا ادبيا ووعيا ابداعيا لكن برويتها مجرد ثيمة جسدية وموضوعة محتواة"<sup>(٣)</sup>.

والأمر الآخر عدم استعمال علامات الترقيم التي لا غنى عنها في إتمام المعنى، وإيصال الفكرة بدقة ووضوح، وهذا الأمر قاد إلى طغيان الجمل الطويلة في كتاب الباحثة<sup>(٤)</sup>، ولا يخفى على القارئ مدى تشتت الفكرة وأحياناً انتفاؤها عندما تطول الجمل ولا يفصل بين الفكرة والأخرى فاصلة أو نقطة. أمّا المواضع التي استعملت فيها علامات الترقيم فإنها لم توفّق في استعمالها بمواضعها الصحيحة، وذلك في المواضع الآتية:

(١) يُنظر: أدوات الكتابة، روي بيتر كلارك، مر: هدى صالح الدخيل، الدار العربية للعلم ناشرون - بيروت، ومنصة الكتابة الإبداعية - الكويت، ط ١، ٢٠١٧م: ٦٣.

(٢) الجسدنة بين المحو والخط، د. نادية هناوي: ٧.

(٣) م. ن: ٣١.

(٤) يُنظر على سبيل المثال الصفحات الآتية: ٦-١٠، ١١، ١٢، ١٥، ٢١-٢٣، ٢٨، ٣٠-٣٩، ٥٥، و١٤٣، ١٠٧، و١٢٢.

"ومعلوم أن هذا الأدب الموصوف بالندسائي ليس منوطاً بالمرأة التي تمسك القلم وتكتب؛ بل هو أدب يكتبه الرجل او المرأة"<sup>(١)</sup>.

وكذلك غياب قائمة المصادر والمراجع من الكتاب، إذ اكتفت بذكرها في الهامش فقط، وربما الدافع وراء ذلك تأييدها للرأي القائل بانتفاء الحاجة بتكرار المصادر في آخر الكتابة طالما أن الباحث يذكرها في المتن مع تفصيلاتها، ولهذا يُعد ذكرها في قائمة المصادر ضرباً من التكرار غير المسوّغ له. علماً أن مجموع مصادر الباحثة لم تتعدّ تسعة وعشرين كتاباً.

أمّا كتاب الباحث محمد فاضل المشلب (الإنتلجينسيا العراقية في عالم علي بدر الروائي) فأولى ملاحظتنا تجلّت في الاقتباسات الطويلة التي تراوحت بين ستة أسطر، وثمانية أسطر، وعشرة أسطر<sup>(٢)</sup>، وهذه الإطالة انعكست سلبيّاً على الدراسة؛ لأنّها لم تكن اقتباسات تُضيئ جوانب مهمّة أو تدعم آراء الباحث وهو يناقش موضوعاً ما مدعماً رأيه باقتباس روائي.

الأمر الآخر أنّ الباحث مع توظيفه لعلامات الترقيم في مواضع كثيرة، إلّا إنه أغفل عنها في بعض المواضع مما أدّى إلى إطالة جملة في بعض الأحيان، وربما هي إطالة كان الباحث يقصدها لتأتي جملة متنوعة بين القصيرة والطويلة. ومن هذه المواضع نذكر على سبيل المثال قوله الآتي: "كان الروائي العراقي في الطور الأول لتأسيس ونمو الرواية العراقية الحديثة واقعاً تحت تأثير أكثر من طرفٍ داخلي وخارجي مثل الاستعمار واندلاع حربين عالميتين والثورات والانقلابات المتعاقبة في العراق وغيرها من القضايا والمشاكل المجتمعية"<sup>(٣)</sup> وفضلاً عن هذا نجد في الكتاب بعض الأخطاء الطباعية والنحوية<sup>(٤)</sup>. ففي سياق الأخطاء الطباعية نذكر قول الباحث الآتي: "وعلى وفق ما مرّ

(١) الجسدنة بين المحو والخط، د. نادية هناوي: ٣٦. ويُنظر أيضاً: ٩ (الفقرة الأولى)، ١٦ (الفقرة الأولى)، ٢١ (الفقرة الأخيرة)، ٣٨، ١٠١ (الفقرة الثانية)، ١٢٢، ١٣٩، ١٤١، ١٦٨، ١٧٨.

(٢) يُنظر: الإنتلجينسيا العراقية في عالم علي بدر الروائي، محمد فاضل المشلب: ٥٦، ٦٥، ٦٩، ٧٦، ٩٣، ١٠١، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٨، ١١٣، ١١٥، ١٣٠، ١٥١، ١٨٥، ٢٣٢، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٦٧، ٢٦٩.

(٣) م. ن: ٢٨. ويُنظر أيضاً: ٦٠، ٧٣، ٩٦، ١٦٩، ١٧٨، ١٩١، ٢١٤، ٢١٦.

(٤) يُنظر: م. ن: ٤٢، ٩١، ٩٧، ١٦٠، ١٦٦، ١٧٦، ١٨٠، ١٩٦، ٢٠٦، ٢١٧.

تظهر الإنتلجنسيا على اختلافها تمثيلها في النصوص الروائية مشغوفةً بالجسد الأنثوي<sup>(١)</sup>. والخطأ ورد في كلمة (اختلافها) والصواب قول (على اختلاف تمثيلها). وأيضاً قوله: "بل يجعل من الثورات والممارسين لها مخادعين مستغلين عقول وحماس الشباب لتحقيق ملذاتهم ورافهيتهم"<sup>(٢)</sup>. فالخطأ في كلمتي (مخادعين، ورافهيتهم).

أمّا في سياق الأخطاء النحويّة، فنجده في قول الباحث الآتي: "لأنّه عندما يشعر الفرد بأنّ وطنه ومجتمعه مكاناً غير آمنٍ لتجربته"<sup>(٣)</sup>. فلفظة (مكاناً) حقّها الرفع لأنّها في محل خبر أنّ.

ولم يكن كتاب الباحثة خالدة حاتم علوان (أدب الأقليات العراقية دراسة في تفكيك الصورة النمطيّة عن الأيزيديين) بمنأى عن الملاحظات التي سجّلناها على الكتب النقديّة السابقة له، ولعلّ أهمها عدم استعمال همزة القطع في كثير من المواضع التي تستدعي وجودها، فضلاً عن طغيان الاقتباسات الطويلة في كتابها.

ففي سياق عدم استعمال همزة القطع يمكن للقارئ العودة إلى الصفحات الآتية<sup>(٤)</sup>، والملاحظ على الصفحات التي ذكرناها في الهامش أنّها مع استعمال همزة القطع في سياقها الصحيح إلاّ إنّها قد تُهمل في سياقات أخرى لدرجة لا تكاد تخلو صفحة من صفحات الكتاب من عدم استعمالها. أمّا في سياق رصد الاقتباسات الطويلة فإنّها تكاد تكون سمة غالبية في سياق الكتاب؛ لأنّ الباحثة لجأت إلى الإطالة في اقتباس النصوص سواء أكانت في محور التنظير أم في محور التطبيق، ويمكن للقارئ معاينة الصفحات

(١) الإنتلجنسيا العراقية في عالم علي بدر الزوّائي، محمد فاضل المشلب: ٩٧.

(٢) م. ن: ١٩٦.

(٣) م. ن: ١٦٣.

(٤) يُنظر: أدب الأقليات العراقية دراسة في تفكيك الصورة النمطيّة عن الأيزيديين، د. خالدة حاتم علوان: ١٧-٢٢، و٢٥-٩٦، و٩٩-١٣٠. ويُنظر: الرواية العربية ما بعد الحداثيّة، د. ماجدة هاتو هاشم: ٩، و١٥، و٣٢، و٣٣، و٦٤، و١٧٦، و١٨٥، و١٨٩، و٢١٢، و٢١٤، و٢١٨، و٢٢٤، و٢٢٥، و٢٢٨، و٢٣٥، و٢٣٧، و٢٤٠، و٢٤٦، و٢٥٥، و٢٧٨، و٣٠٠. ويُنظر: تمثّلات الهوية في السرد الروائي، د. محمد فليح الجبوري، ود. فوزية لعبوس غازي: ٤٢، و٦٨، و٦٩، و٧٢، و٧٦-٨٠، و١١٥-١١٧، و١٥٤، و١٥٩، و١٦٩-١٧٩، و١٩٠، و١٩٢، و١٩٨. ويُنظر: الرواية العراقية بعد الاحتلال الأمريكي، د. قيس كاظم الجنابي: ١٦، و١٠١، و١٠٢، و١١٣، و١٢٥، و١٣٩، و١٤٣، و١٤٥-١٤٨، و١٨٧-١٨٩، و٢٤٧، و٣٠٢، و٣٢٩، و٣٤٩، و٤٢٩.

الآتية<sup>(١)</sup>. صحيح أنّ هناك بعض المواضيع التي استدعت الإطالة لإيصال الفكرة، إلا أنّه كان بإمكان الباحثة قطع النصّ بمدخلة نقدية، أو تحليل، أو مناقشة الفكرة بدلاً من الاتكاء على الاقتباس؛ لأنّ هذا الأمر غيّب حضور الباحثة في أكثر المواضيع التي كانت بحاجة إلى مداخلة، وذلك في المواضيع الآتية<sup>(٢)</sup>. وفي سياق حديثها عن الأدب في العهد الجمهوري، اقتبست نصّاً طويلاً للناقد فاضل ثامر من حوار أجريّ معه واصفاً مرحلة السبعينيات بقوله: "اتسمت بتعزيز سلطة البعث التي أسسها من خلال انقلاب -30 17 تموز 1968 حيث انفرد الحكم... في ظل هذا المناخ تعمق الانقسام الثقافي، فمن جهة اتجه كتاب اليسار في العراق إلى موقف المعارضة لهذا النظام وهاجر عدد كبير من الأدباء من الشعراء والروائيين خارج العراق هرباً من القتل والاضطهاد، وبدأت تظهر سلسلة من الكتابات والروايات التي تفضح جرائم البعث... ومن الجهة الأخرى ظهر جيل من الأدباء البعثيين الذين استثمروا فضاء الدعم الحكومي للنشر وحاولوا الدفاع عن النظام السياسي"<sup>(٣)</sup> ومع أنّ النصّ تجاوز سبعة أسطر فإنّ الباحثة لم تُعلّق عليه<sup>(٤)</sup>، وإنّما انتقلت مباشرة إلى الحديث عن مرحلة الثمانينيات.

أمّا ما يتعلّق بالأخطاء النحويّة والطباعيّة فإنّ جهد الباحثة لم يخلُ منها، ونذكر على سبيل المثال المواضيع الآتية: "وقد اتفق الباحثين على تلك الممارسة الدينية"<sup>(٥)</sup> (الباحثون) في قولها أنّها حقّه الرفع لأنّه وقع فاعلاً للفعل (اتفق). وأيضاً قولها في سياق تقديم مسوّغات اختيار رواية (عذراء سنجار) لوارد بدر السالم لتكون أنموذجها التطبيقيّ:

(١) يُنظر: أدب الأقليات العراقية دراسة في تفكيك الصورة النمطية عن الايزيديين، د. خالدة حاتم علوان: ٢٨، و٣١، و٣٢، و٣٤، و٤٠، و٤٣، و٤٥، و٥٥، و٥٧، و٥٩، و٩١، و٦٧، و٧٥، و٨٣، و٨٤، و٩٢.

(٢) يُنظر: م. ن: ٩٩، و١١٥، و١٣٩، و١٤٠-١٤١، و١٦٠، و١٦٧، و١٦٩، و١٧٢، و١٩٤، و٢٠٨، و٢١٧.

(٣) حوار مع الأستاذ فاضل ثامر رئيس الاتحاد العام للأدباء والكتاب السابق في العراق بتاريخ 21/ 9/ 2018. هكذا ورد الهامش في كتاب الباحثة من دون ذكر عنوان المقال وموقعه.

(٤) يُنظر: أدب الأقليات العراقية دراسة في تفكيك الصورة النمطية عن الايزيديين، د. خالدة حاتم علوان: ١٠٥-١٠٦.

(٥) م. ن: ٦٦. ويُنظر: تمثيلات الهوية في السرد الروائي، د. محمد فليح الجبوري، ود. فوزية لعيبوس غازي: ٢٦، و٢٨، و٣٢، و٣٩، و٤٣، و٧٩، و٩١، و١٠٥، و١٣٣، و١٣٩، و١٤٨، و١٥٠، و١٥١، و١٥٣، و١٥٤، و١٥٨، و١٧٠، و١٧١-١٧٧، و١٩١، و١٩٦، و١٩٧، و٢٠١.

"بسبب من قدرتها في تضمين أساليب جديدة استطاعت ان توظف تفاصيل الواقعة من الجوانب كافة"<sup>(١)</sup> والصواب قول (من الجوانب كافة). وإذا كانت تلك الأخطاء في جانب كبير منها قد يكون سببها الطباعة، إلا أنها لا تُسقط عن الباحثة واجبها في متابعة الكتاب وفحصه قبل وقوعه بين يدي القراء والباحثين.

ومع أن الباحثة قد التزمت بأصول المنهج العلمي، وطبقت في كتابها موضع الرصد والمعينة، من وضع الإهداء، وقائمة بالمحتويات، والمقدمة، والخاتمة، وقائمة بالمصادر والمراجع مُرتبة بحسب الحروف الأبجدية، إلا أنها لم تعتن بالهامش ولم تلتزم بما ذكر عنها قدر عنايتها بباقي تفصيلات الكتاب التي أشرنا إليها آنفاً؛ وذلك لأنها كررت ذكر اسم المصدر في الموضوع ذاته الذي يرد فيه بصورة متتالية<sup>(٢)</sup>.

ولكن تلك الملاحظات لا تُقلل من جهد الباحثة، ولا تبخس حقها بجرأتها وقدرتها على التغلغل في عمق الموضوع الخاص بحقل أدب الأقليات، وكشف خفاياه. إلا أن حديثها عن الهوية الأيزيدية جاء وكأنه ردّ فعل على سياسات الحملة التي قادها تنظيم داعش لتفكيك النظام الثقافي الديني، أي احتلال داعش لأرض الموصل، وإبادة الأقلية الأيزيدية هي دعوة لتفكيك النظام الديني، وتفكيك الارتباط بالوطن، والانتماء المكاني.

ولمّا كان كتاب الباحث عبد الغفار العطوي الموسوم بـ(كتابات في النسوية) في أصله مقالات متفرقة نُشرت في الصحف -بحسب تصريح الباحث- فإنه لم يسلم من الهنات الكثيرة بدءاً من المدخل وانتهاءً بالخاتمة.

(١) أدب الأقليات العراقية دراسة في تفكيك الصورة النمطية عن الايزيديين، د. خالدة حاتم علوان: ١٣٣. ويُنظر أيضاً: ٤٢، و٥٠، و٦٢، و١١٢، و١١٨، و١٣٩، و١٤٨، و١٤٩، و١٥١، و١٥٨، و١٦٢، و١٩٩، و٢١٤، و٢٢٠، و٢٣١، و٢٣٢، و٢٣٤.

(٢) يُنظر: م. ن: ٥٠، و٥٤، و٧٨، و٩٣، و١١٤، و١١٨، و١٤٣، و١٤٦-١٤٨، و١٥١، و١٥٦، و١٥٨، و١٦٢، و١٦٤، و١٦٦، و١٦٨-١٧١، و١٤٨، و١٨٧، و٢١٤. ويُنظر: الرواية العراقية بعد الاحتلال الأمريكي، د. قيس كاظم الجنابي: ٤٥، و٥٠، و٦٤، و٧٥، و١٦٣، و١٦٩-١٧١، و١٨١، و١٩٠-١٩٥، و٢٠٥، و٢٠٦، و٢١١-٢١٣، و٢٩٥، و٣٦٣-٣٧٥، و٣٩٥-٤٠٦، و٤١٦-٤٢٦، و٤٤٠-٤٤٣، و٤٦٢-٤٧٠.

فعلى مستوى تبويب الكتاب، لم يستطع الباحث الانعتاق من أسر الأسلوب المقالّي في تبويب كتابه؛ لأنّه أدرج المقالات واحدة تلو الأخرى<sup>(١)</sup> من دون عمل خطة منهجيّة تقوم على تقسيم الكتاب على وفق موضوعات عامّة ليُدْرَج تحتها المقالات المتعلقة بتلك الموضوعة.

أمّا الخاتمة فإنّ الباحث لم يذكر فيها النتائج التي كان من المفترض أن يتوصّل إليها بعد البحث في كتابات النسويّة، ولكنّه جعل خاتمة الكتاب محطة يشكر فيها اتحاد الأدباء والكتّاب العراقيين في البصرة، عرفاناً منه بفضلهم ومساهماتهم بنشر كتابه<sup>(٢)</sup>، وهذا الأسلوب يُنافي المنهجية العلميّة في تأليف الكتب.

وعند معاينة متن الكتاب رصدنا الكثير من الملاحظات التي توزّعت بين عدم استعمال علامات الترقيم<sup>(٣)</sup> في أكثر المواضع، ونذكر على سبيل المثال قوله الآتي: "قبل أن نناقش وجهة نظر الإسلام في كيف يتعامل مع الاغتصاب الجنسي (للمرأة غير المسلمة) نثمن الجهد الرائع الذي بذلته الشاعرة العراقية دنيا ميخائيل التي تعيش الآن في أمريكا في تقديم شهادات فاجعة ودامغة لنساء مسالمت عذراوات ومتزوجات ايزيديات عراقيات عندما اجتاحت عصابات داعش في 3 آب 2014 الموصل وسنجان"<sup>(٤)</sup> فالنص طويل جداً وخالٍ من علامات الترقيم، فضلاً عن ركافة الجملة الأولى وهي قوله (في كيف يتعامل مع الاغتصاب) إذ إنّ الأنسب قول (في كيفية التعامل...).

كذلك كثرة الأخطاء الطباعيّة والنحويّة<sup>(٥)</sup>، والأخطاء الكثيرة في الإحالات التي لا يُفرّق

(١) يُنظر: كتابات في النسوية، عبد الغفار العطوي: ١١، و٢٧، و٣٢، و٣٧، و٤٢، و٤٧، و٥٦، و٦١، و٦٦، و٧١، و٧٥، و٧٩، و٨٣، و٨٨، و٩٢، و١٠٣، و١١٣، و١١٩، و١٢٣.

(٢) يُنظر: م. ن: ١٢٧.

(٣) يُنظر: م. ن: ١١، و١٢، و١٥، و٤٧، و٥١، و٥٦، و٦١، و٨٥، و٨٩، و٩٠، و٩٢، و٩٧، و٩٨، و١١٢، و١٢٢، و١٢٦.

(٤) م. ن: ٩٢.

(٥) يُنظر: م. ن: ١٤، و١٥، و١٧، و٢١، و٢٣، و٣٩، و٤٠، و٤٣، و٤٧، و٥٠، و٥٨، و٧٩، و٨١، و٨٢، و٨٤، و٨٥، و١٠٠، و١٠٢، و١٠٣، و١٠٥، و١٠٨، و١٠٩-١١٢، و١١٥، و١٢٣، و١٢٥. ويُنظر: الرواية العراقية بعد الاحتلال الأمريكي، د. قيس كاظم الجنابي: ٩، و١٥، و٢٤، و٧١، و٩٧، و١٠٥، و١٠٩، و١٢١.



الباحث فيها بين النصوص المنقولة نصًّا والمتصرّف بها، فجميع النصوص التي اقتبسها لم يضعها بين أقواس تنصيص في مقابل هذا لم يضع كلمة (يُنظر) أمام جميع المصادر التي وقف عندها ونقل منها. فضلًا عن وجود أرقام في المتن تُحيل إلى هامشٍ ما ولكن لا وجود لذكر اسم المصدر في قائمة المصادر التي يضعها في نهاية كلّ مقال<sup>(١)</sup>، وكذلك عدم انسجام المتن مع الهامش المشار إليه<sup>(٢)</sup>، بمعنى أنّ المتن المنقول شيء والمصدر المذكور في الهامش شيء آخر.

وفي سياق معرفة أدوات صياغة النصّ النقديّ سار هذا الفصل بمسارين: المسار الأوّل منه وجد بعض النقاد يوظفون مصطلحًا نقديًّا ثقافيًّا ويلتزمون به في دراستهم، وبعضهم الآخر يوظف المصطلح ولكنه لا يلتزم به، مما يؤدي إلى جعل اللغة النقديّة مضطربة وتفقر إلى الجانب المعرفي.

وبعضهم الآخر اجترح مصطلحًا من ميادين أخرى كعلم النفس وعلم الاجتماع وأقحمه في الساحة النقديّة، وهذا ما فعلته الباحثة الأكاديميّة نادية هناوي التي وسّمت درستها بمصطلح (الجسدنة) المستعار من علم النفس، والمراد به التعبير عن المعاناة والاضطراب النفسيين في شكل أعراض جسدية؛ لإضفاء سمّي التميّز والفرادة على دراستها، وإثارة فضول القارئ المعرفي.

أمّا مصطلح الأدب النسويّ الذي شاع في الساحة النقديّة، فإنّ دلالاته لدى الباحثين استقرّت على الأدب الصادر من ذات أنثويّة - باستثناء جهود الباحث عبد الله إبراهيم - أخذت على عاتقها تبنيّ قضاياها، ووجهات نظرها، وكل ما يتعلّق بها. وهو في دلالاته هذه

١٢٣، ١٤٦، ١٥٥، ١٧٣، ١٥٨، ١٨٩، ١٩٧، ٢٥١، ٢٦٥، ٣٠١، ٣١٣، ٣٣٥، ٣٥٩، ٣٦٦، ٤٥١، ٤٧٣.

(١) يُنظر: المصادر في ص ١٠ خمسة مصادر في حين أنّ المقال فيه ثلاثة هوامش لا غير، والمصادر في ص ٢٦ تنتهي بستة عشر مصدرًا في حين أنّ المتن يتضمّن عشرين هامشًا، والمصادر في ص ٦٠ مصدرين فقط بينما يوجد في المتن خمسة هوامش، والمصادر في ص ٨٧ و ٩١ تنتهي بسبعة مصادر بينما يوجد في المتن ثمانية هوامش، والمصادر في ص ٩٦ تنتهي بثلاثة مصادر في حين أنّ المتن يتضمن خمسة هوامش.

(٢) يُنظر: المصدر في ص ٤٦ لا ينسجم مع هامش ١١ في ص ٤٤، والهامش الثاني والثالث في ص ٩٤ يُحيلان إلى الرواية في حين أنّ المصدرين في ص ٩٦ لا يُحيلان إلى الرواية.

أقرب إلى مصطلح الأدب النسائيّ؛ لأن مصطلح النسوية يُعنى بكلّ ما يتعلّق بالمرأة سواء صادر من ذات أنثوية أو ذكورية. وهذا الارتكان ربما مرده إلى تحجيم المساحة التي يشتغل عليها الباحث؛ لأنّه لو أدرج في دراسته جميع الإبداع المنشغل بقضايا المرأة من وجهة نظر الاثنين معاً سوف يقع في مأزق ضخامة المتن، وضيق الوقت الناتج من السقف الزمنيّ المحدّد لإتمام دراسته.

وعلى مستوى اضطراب المصطلح، رصدنا الكثير من الدّراسات ذات الرؤى الثقافيّة لم تلتزم بالمصطلح الذي صرّحت به وتبيّنته، ومسوّغات ذلك إمّا نتيجة عدم الفهم التام لكلّ مصطلح وما يحمله من دلالة، وإمّا لغرض إضفاء مسحة إشهارية تُجاري السياق العام والسائد في مجال الدّراسات الأكاديميّة.

أمّا المسار الثاني، فرصد الجانب الفني المتعلّق بكيفيّة إخراج الكتاب، ومقدار الدقّة في استعمال علامات الترقيم، وغيرها من القضايا المرتبطة بمعنى النصوص المكتوبة ودلالاتها. وفي هذا المسار أهمل بعض النقاد كثيراً من القضايا ذات الصلة بالجانب النحويّ والصرفيّ والأسلوبيّ، فضلاً عن عدم الدقّة والالتزام بالعنوان المثبت على الأغلفة، وعدم العناية بعلامات الترقيم.

النتائج

ليس بالأمر اليسير أن تُجمع نتائج بحثٍ واسع ويُلقى بها كلّها هنا، فنتائج البحث التي في هذا الموضوع من الأطروحة هي النتائج الكليّة التي تبلورت خلاصةً للمناقشات التي تحققت في متن الأطروحة. وثمة نتائج تفصيليّة بقيت في مظانها في المتن. وأهم النتائج الكليّة التي تمخض عنها البحث هي:

\*كشفت الدّراسة في الباب الأوّل، عن جملة من المضامين الثقافيّة التي رصدها الباحثون في الخطابات الروائيّة. فاستأثرت القضايا النسويّة بعناية النّقاد، وشغلت مساحة أكثر من القضايا الأخرى. وكان الفصل الأوّل من الدّراسة معنيّ بتقصّي الوعي النّقديّ لدى الباحثين، ووجده يسير بموازاة الوعي الروائيّ نفسه بطبيعة تلك الموضوعات وأهمية الكتابة فيها، من حيث كونها موضوعات خاضعة للكتابة.

\*وتوصّل الفصل الثاني الذي انشغل بالحديث عن وضع الأقليّات في العراق إلى أنّ الصراع بين الهويّات تغوص جذوره في عمق التاريخ، وبالعودة إلى طبيعة النّقد الذي انشغل بمسوّغات ميل الروائيين إلى الحديث عن وضع الأقليّات، لم يصل النّقد إلى مرحلة الوعي بأهميّة الموضوع، ولم يُكتب نقد يوازي الوعي الإبداعيّ لدى الروائيّ من حيث العمق، باستثناء بعض الدّراسات التي قدّمت نقدًا مستقيصًا يستجلي أبعاد الموضوع، من بينها دراسة الباحث عبد الله إبراهيم، والباحث عماد جاسم.

\*كشفت الفصل الثالث عن ضعفٍ اعترى النّقد. فالوعي النّقديّ لدى النّاقّد لم يكن على درجة عالية من المعرفة وهو يتناول الإبداع الروائيّ المنشغل برصد العلاقة بين العربيّ والغربيّ. فمجمّل الخطابات الروائيّة التي وقف عندها النّقد كانت داعمة للخطابات الثقافيّة الكولونياليّة. ومن بين الأفكار التي عملت على ترسيخها في الثقافة العربيّة فكرة مسخ صورة الشرق وتبنيّ فكرة التبعية للغرب، باستثناء بعض الدّراسات التي يمكن إجمالها بالآتي: نحن والآخر في الرواية العربيّة المعاصرة، والمضمرات الإشهاريّة في الرواية العراقيّة.

\*أمّا على صعيد كشف الرّؤى النّقديّة وأدوات النّاقّد التي كانت من نصيب الباب الثاني من الدّراسة، فإنّ الفصل الأوّل منه رصد ثلاث آليات نقديّة استعان بها النّاقّد وهو يُفكّك

الخطابات الروائية. الغالب على تلك الآليات أنها متباينة في طبيعة اشتغالها، أو مرجعيات تكونها، بيد أنها متفقة في الهدف الذي تقصده، وهو بلورة دلالة ثقافية للنص الروائي.

\*بعض المتون النقدية غابت فيها الرؤية النقدية، لأسباب تعلق بعضها بطبيعة تلك الدراسة التي هي عبارة عن مجموعة أبحاث متفرقة جمعت في كتاب مستقل أمثال كتاب (تمثلات الهوية في السرد الروائي)، و(دراسات ثقافية الجسد الأنثوي، الآخر، السرد الثقافي). وبعضها الآخر تناول مجموعة روايات تمت دراسة كل واحدة منهن تحت عنوان مستقل، مما أبعدها عن سؤال الدراسة الجوهرية، وشنت رؤية الباحث. وهذا ما برز في كتاب (الرواية العراقية بعد الاحتلال الأمريكي هشاشة المأوى وأزمة الهوية).

\*والفصل الثاني كشف عن التأثيرات الثقافية التي سيرت الناقد باتجاه تبني إحدى الموجّهات التي تراوحت بين الموجّه المعرفي، والموجّه الاشعاري، والموجّه الأكاديمي. وكان الموجّه المعرفي هو المتسيد والمتصدر في توجيه الباحثين باتجاه الكتابة في بعض الموضوعات، فكانت تلك الدراسات خاضعة لموجهات معرفية تُدرك أهمية تبني بعض التوجهات في الكتابة، لحاجة الواقع الاجتماعي في العراق إليها، أو الميل إليها لمواكبة التطور الحاصل في مجال الدراسات والأبحاث العلمية في العالم الغربي، والإفادة منها وتوظيفها في ميادين الدراسات النقدية الثقافية.

\*وفي سياق معرفة أدوات صياغة النصّ النقدي التي انشغل الفصل الثالث من الدراسة بالكشف عنها، فإنّ المسار الأول منه وجد بعض النقاد يوظفون مصطلحاً نقدياً ثقافياً ويلتزمون به في دراستهم، وبعضهم الآخر يوظف المصطلح ولكنه لا يلتزم به، مما أدى إلى اضطراب اللغة النقدية وضعف علاقتها بالبعد المعرفي.

أمّا المسار الثاني من البحث فرصد البعد الفني المتعلق بكيفية إخراج الكتاب، ومقدار الدقة في استعمال علامات الترقيم، وغيرها من القضايا المرتبطة بمعنى النصوص المكتوبة ودلالاتها. فخرج بنتيجة أكدت إهمال بعض النقاد للكثير من القضايا ذات الصلة بالبعد النحوي والصرفي والأسلوبي، فضلاً عن عدم الدقة والالتزام بالعنوان المثبت على الأغلفة، وعدم العناية بعلامات الترقيم.

\*بعض الدراسات النقدية استندت في رؤيتها على معطيات النقد الثقافي، وقد كان مجموعها عشر دراسات. وهي مع قلتها لم تطبق إجراءات النقد الثقافي تطبيقاً يؤكد استيعاب الباحثين لتلك الإجراءات، وهذا قاد إلى قصور في تقديم دراسة تفصل القول في مضمرات الخطاب الروائي، وتوضح الأنساق المطمورة في أعماقه، وتستجلي أبعاد الظاهرة ودلالاتها البعيدة.

\*كذلك رصدنا انتشار ظاهرة التركيز على الموضوعات ذات الأبعاد الثقافية، يُقابلها غياب المنهجية المناسبة لتناولها والقادرة على الوصول إلى نتائج مهمة وعميقة. فلم تستند الدراسات بنسقتها العام إلى إجراءات منهجية مناسبة لطبيعة أهداف البحث ضمن مجال النقد الثقافي، الذي يتصف بالتشعب والتداخل والاتساع. وأغلب الدراسات التي وقفنا عندها وجدنا الناقد يُحدّد الظاهرة الثقافية، ولكنه يكتفي بتحديداتها من دون التعمق في تحليلها، والوقوف على أسباب شيوعها، ومسوّغات اهتمام الروائيين بها.

الملاحق

## ملحق الروايات

١. الحي اللاتيني، سهيل إدريس، دار العلم للملايين - بيروت، ١٩٥٤م.
٢. خمسة أصوات، غائب طعمة فرمان، دار الآداب - بيروت، ١٩٦٧م.
٣. موسم الهجرة إلى الشمال، الطيب صالح، دار العودة - بيروت، ١٩٦٩م.
٤. السابقون واللاحقون، سميرة المانع، دار العودة - بيروت، ١٩٧٢م.
٥. وعلى الدنيا السلام، ذنون أيوب، دار العودة - بيروت، ١٩٧٢م.
٦. الوشم، عبد الرحمن مجيد الربيعي، دار العودة - بيروت، ١٩٧٢م.
٧. المخاض، غائب طعمة فرمان، منشورات مكتبة التحرير - بغداد، ١٩٧٤م.
٨. ليلة في القطار، عيسى الناعوري، دار فيلادلفيا - عمان، ١٩٧٤م.
٩. الخروج من العراق، إسحاق بار موشيه، منشورات القدس، ١٩٧٥م.
١٠. القربان، غائب طعمة فرمان، مطبعة الأديب البغدادية - بغداد، ١٩٧٥م.
١١. القمر والأسوار، عبد الرحمن مجيد الربيعي، وزارة الثقافة والإعلام - بغداد، سلسلة القصة والمسرحية (٥٦)، ١٩٧٦م.
١٢. نافذة بسعة الحلم، عبد الخالق الركابي، دار الحرية للطباعة والنشر - بغداد، ١٩٧٧م.
١٣. النخلة والجيران، غائب طعمة فرمان، دار الرواد للطباعة - بغداد، ١٩٧٨م.
١٤. الرجس، سمير نقاش، منشورات القدس، ١٩٧٨م.
١٥. فوة يادم، سمير نقاش، منشورات القدس، ١٩٧٨م.
١٦. ظلال على النافذة، غائب طعمة فرمان، دار الآداب - بيروت، ١٩٧٩م.
١٧. يوميات السيد علي سعيد، عدنان رؤوف، منشورات وزارة الثقافة والفنون - بغداد، ١٩٧٩م.
١٨. الثنائية اللندنية، سميرة المانع، أيثكابريس - لندن، ١٩٧٩م.
١٩. الأشجار واغتيال مرزوق، عبد الرحمن منيف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ١٩٧٩م.



٢٠. رامة والتتين، إدوارد الخراط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ١٩٨٠م.
٢١. الظامئون، عبد الرزاق المطلبي، دار الحرية للطباعة- بغداد، ١٩٨٠م.
٢٢. الضفة الثالثة، أسعد محمد علي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ١٩٨١م.
٢٣. نورا، ناجي التكريتي، دار الرشيد للنشر- بغداد، ١٩٨١م.
٢٤. اللجنة، صنع الله إبراهيم، دار الكلمة للنشر- بيروت، ١٩٨١م.
٢٥. لست دمياً يا أمي، دار الرشيد- بغداد، ١٩٨١م.
٢٦. الخراب الجميل، أحمد خلف، دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت، ١٩٨١م.
٢٧. مكابدات عبد الله العاشق، عبد الخالق الركابي، دار الرشيد للنشر- بغداد، ١٩٨٢م.
٢٨. آلام السيد معروف، غائب طعمة فرمان، دار الفارابي- بيروت، ١٩٨٢م.
٢٩. خط أحمر، جاسم الرصيف، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ١٩٨٢م.
٣٠. الشمس عراقية، عبد الستار ناصر، مطابع دار الحرية- بغداد، ١٩٨٣م.
٣١. الحياة في خطر، وفيه خير، دار الحرية- بغداد، ١٩٨٣م.
٣٢. خطوط الطول.. خطوط العرض، عبد الرحمن مجيد الربيعي، دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت، ١٩٨٣م.
٣٣. قصة حب مجوسية، عبد الرحمن منيف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ١٩٨٤م.
٣٤. الأنهار، عبد الرحمن مجيد الربيعي، الدار العربية للموسوعات- بيروت، ١٩٨٤م.
٣٥. المرتجى والمؤجل، غائب طعمة فرمان، منشورات بابل، ١٩٨٦م.
٣٦. أولاد حارتنا، نجيب محفوظ، دار الآداب- بيروت، ١٩٨٦م.
٣٧. نزولة وخيط الشيطان، سمير نقاش، رابطة الجامعيين اليهود النازحين من العراق، ١٩٨٦م.
٣٨. الراووق، عبد الخالق الركابي، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ١٩٨٦م.

٣٩. الشاهدة والزنجي، مهدي عيسى الصقر، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ١٩٨٧م.
٤٠. بيروت ٧٥، غادة السمان، منشورات غادة السمان- بيروت، ١٩٨٧م.
٤١. من يرث الفردوس، لطيفة الدليمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، ١٩٨٧م.
٤٢. الرحلة.. يوميات طالبة مصرية في أمريكا، رضوى عاشور، مكتبة مدبولي- مصر، ١٩٨٧م.
٤٣. وتشرق غرباً، ليلي الأطرش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ١٩٨٧م.
٤٤. رياح شرقية رياح غربية، مهدي عيسى الصقر، دار عشتار للنشر والتوزيع- القاهرة، ١٩٨٨م.
٤٥. بيت في بغداد، إسحاق بار موشيه، رابطة الجامعيين اليهود النازحين من العراق، ١٩٨٨م.
٤٦. العزف في مكان صاخب، علي خيون، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ١٩٨٨م.
٤٧. وليمة لأعشاب البحر، حيدر حيدر، دار أمواج للطباعة والنشر- بيروت، ١٩٨٨م.
٤٨. امرأتان في امرأة، نوال السعداوي، دار الآداب- بيروت، ١٩٨٨م.
٤٩. أيام العراق، إسحاق بار موشيه، دار المشرق، شفا عمرو، ١٩٨٨م.
٥٠. الثلج الأسود، محمد أزوقة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ١٩٨٨م.
٥١. الوجه الآخر، فؤاد التكرلي، دار الآداب- بيروت، ١٩٨٩م.
٥٢. أقصى الجنوب، فيصل عبد الحسن، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ١٩٨٩م.
٥٣. المركب، غائب طعمة فرمان، دار الآداب- بيروت، ١٩٨٩م.

- ٥٤ . قبل أن يخلق الباشق، عبد الخالق الركابي، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ١٩٩٠م.
- ٥٥ . حبل السرة، سميرة المانع، منشورات الاغتراب الأدبي- لندن، ١٩٩٠م.
- ٥٦ . بقايا صور، حنا مينه، دار الآداب- بيروت، ١٩٩٠م.
- ٥٧ . سباق المسافات الطويلة، عبد الرحمن منيف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ١٩٩٠م.
- ٥٨ . درب الزعفران، محسن الموسوي، دار الشروق- القاهرة، ١٩٩٠م.
- ٥٩ . فريدة، نعيم قطان، ترجمة: آدم فتحي، منشورات الجمل، ١٩٩١م.
- ٦٠ . يا كوكتي، جنان الحلاوي، دار رياض الريس للكتب والنشر- لندن، ١٩٩١م.
- ٦١ . عورة الملائكة، سمير نقاش، منشورات الجمل، ١٩٩١م.
- ٦٢ . الجسور الزجاجية، برهان الخطيب، منشورات اوراسيا- السويد، ١٩٩١م.
- ٦٣ . آخر الملائكة، فاضل العزاوي، دار رياض الريس للكتب والنشر- لندن، ١٩٩٢م.
- ٦٤ . أمس كان غدا، كاظم الأحمد، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ١٩٩٢م.
- ٦٥ . مذكرات امرأة غير واقعية، سحر خليفة، دار الآداب- بيروت، ١٩٩٢م.
- ٦٦ . الخروج من سوسروقة، زهرة عمر، دار أزمنة- عمان، ١٩٩٣م.
- ٦٧ . ذاكرة الجسد، أحلام مستغانمي، دار الآداب- بيروت، ١٩٩٣م.
- ٦٨ . نفق بوزان، فائق محمد حسين، اتحاد الكتاب العرب- دمشق، ١٩٩٣م.
- ٦٩ . نخب الحياة، آمال مختار، دار الآداب- بيروت، ١٩٩٣م.
- ٧٠ . الخبز الحافي، محمد شكري، دار الساقى- لندن، ١٩٩٣م.
- ٧١ . سابع أيام الخلق، عبد الخالق الركابي، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ١٩٩٤م.
- ٧٢ . الشطار، محمد شكري، دار الساقى- لندن، ١٩٩٤م.
- ٧٣ . بيضة النعامة، رؤوف مسعد، رياض الريس للنشر- لندن، ١٩٩٤م.
- ٧٤ . شجرة الفهود تقاسيم الحياة، سميحة خريس، دار الكرمل- عمان، ١٩٩٥م.
- ٧٥ . أمريكا خبط لزق، هالة سرحان، دار الشروق- القاهرة، ١٩٩٥م.
- ٧٦ . المقطورة، محمد شاكر السبع، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ١٩٩٥م.

٧٧. أشواق طائر الليل، مهدي عيسى الصقر، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ١٩٩٥م.
٧٨. الضوء الهارب، محمد برادة، دار الفنك، الدار البيضاء، ١٩٩٥م.
٧٩. الولع، عالية ممدوح، دار الآداب- بيروت، ١٩٩٥م.
٨٠. الخباء، ميرال الطحاوي، دار شرقيات للنشر والتوزيع- القاهرة، ١٩٩٦م.
٨١. طفل CNN، إبراهيم أحمد، دار المنفى- السويد، ١٩٩٦م.
٨٢. رجل في المحاق، غازي العبادي، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ١٩٩٦م.
٨٣. عطر التفاح، إرادة الجبوري، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ١٩٩٦م.
٨٤. فوضى الحواس، أحلام مستغانمي، دار نوفل للنشر، ١٩٩٧م.
٨٥. الميراث، سحر خليفة، دار الآداب- بيروت، ١٩٩٧م.
٨٦. المسرات والأوجاع، فؤاد التكرلي، دار المدى للثقافة والنشر- دمشق، ط١، ١٩٩٨م.
٨٧. بنات حارتنا، ملاحه الخاني، اتحاد الكتاب العرب- دمشق، ١٩٩٨م.
٨٨. أعاصير في بلاد الشام، ناديا خوست، اتحاد الكتاب العرب- دمشق، ١٩٩٨م.
٨٩. نساء على أجنحة الحلم، فاطمة المرنيسي، ترجمة: فاطمة الزهراء أزرويل، المركز الثقافي، ١٩٩٨م.
٩٠. الربيع والخريف، حنا مينة، دار الآداب- بيروت، ١٩٩٨م.
٩١. حكاية زهرة، حنان الشيخ، دار الآداب- بيروت، ١٩٩٨م.
٩٢. مذكرات سجان، جاسم المطير، دار أمل الجديدة- سورية، ١٩٩٨م.
٩٣. نيويورك ٨٠، يوسف إدريس، مكتبة مصر للمطبوعات- القاهرة، ١٩٩٨م.
٩٤. الموت الجميل، محمود سعيد، دار المدى للثقافة والنشر- دمشق، ١٩٩٨م.
٩٥. الضفيرة، طه حامد الشبيب، منشورات المنصور- بغداد، ١٩٩٩م.
٩٦. كم بدت السماء قريبة، بتول الخضير، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ١٩٩٩م.
٩٧. سهيل المسافات، ليلي الأطرش، دار شرقيات- القاهرة، ١٩٩٩م.
٩٨. العالم ناقصا واحدا، ميسلون هادي، دار أسامة للنشر والتوزيع- عمان، ١٩٩٩م.

٩٩. الحمى المسلحة، أسعد الجبوري، الشركة العربية للأوربية للصحافة والآداب- كوينهاكن، ٢٠٠٠م.
١٠٠. يوم حرق العنقاء، محسن الخفاجي، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ٢٠٠٠م.
١٠١. أيوب، هشام توفيق الركابي، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ٢٠٠٠م.
١٠٢. خسوف برهان الكتبي، لطيفة الدليمي، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ٢٠٠٠م.
١٠٣. النقطة الأبعد، دنى غالي، دار المدى للثقافة والنشر- دمشق، ٢٠٠٠م.
١٠٤. أنا هي أنت، إلهام منصور، دار رياض الريس للكتب والنشر- بيروت، ٢٠٠٠م.
١٠٥. مولد غراب، وارد بدر السالم، منشورات مكتبة المدى- بغداد، ٢٠٠٠م.
١٠٦. الغلام، عالية ممدوح، دار الساقى- بيروت، ٢٠٠٠م.
١٠٧. القلعة الخامسة، فاضل العزاوي، منشورات الجمل- كولونيا، ٢٠٠٠م.
١٠٨. الفتيت المبعثر، محسن الرملي، مركز الحضارة العربية- القاهرة، ٢٠٠٠م.
١٠٩. وداعاً بابل، نعيم قطان، ترجمة: آدم فتحي، منشورات الجمل- كولونيا، ٢٠٠٠م.
١١٠. خارطة الحب، أهداف سويف، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، ٢٠٠١م.
١١١. كراسة كانون، محمد خضير، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ٢٠٠١م.
١١٢. تل اللحم، نجم والي، دار الساقى- بيروت، ٢٠٠١م.
١١٣. التوأم المفقود، سليم مطر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ٢٠٠١م.
١١٤. امرأة القارورة، سليم مطر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ٢٠٠١م.
١١٥. الأسلاف، فاضل العزاوي، دار الجمل- كولونيا، ٢٠٠١م.
١١٦. الجحيم المقدس، برهان شاوي، الدار العربية- ناشرون- لبنان، ٢٠٠١م.
١١٧. بصقة في وجه الحياة، فؤاد التكرلي، دار المدى للثقافة والنشر- دمشق، ٢٠٠١م.
١١٨. قبل اكتمال القرن، ذكرى محمد نادر، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠١م.
١١٩. إنها لندن يا عزيزي، حنان الشيخ، دار الآداب- بيروت، ٢٠٠١م.
١٢٠. شجرة الفهود تقاسيم العشق، سميحة خريس، دار الكندي- عمان، ٢٠٠٢م.
١٢١. الرجوع البعيد، فؤاد التكرلي، دار المدى للثقافة والنشر- دمشق، ٢٠٠٢م.
١٢٢. ليالي الكاكا، شاكر الأنباري، دار المدى للثقافة والنشر- سوريا، ٢٠٠٢م.

- ١٢٣ . مسك الغزال، حنان الشيخ، دار الآداب- بيروت، ٢٠٠٢م.
- ١٢٤ . شتاء العائلة، علي بدر، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ٢٠٠٢م.
- ١٢٥ . حين كنت رجلاً، إلهام منصور، دار رياض الرئيس للكتب والنشر- بيروت، ٢٠٠٢م.
- ١٢٦ . موت الأب، أحمد خلف، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ٢٠٠٢م.
- ١٢٧ . الرجوع البعيد، فؤاد التكرلي، دار المدى للنشر- سوريا، ٢٠٠٢م.
- ١٢٨ . خاتم الرمل، فؤاد التكرلي، دار المدى للثقافة والنشر- دمشق، ٢٠٠٢م.
- ١٢٩ . خاتم، رجاء عالم، صحيفة العرب (مشروع كتاب في جريدة) عدد ٥٦، السنة الخامسة، ٢٠٠٢م.
- ١٣٠ . شوفوني شوفوني، سميرة المانع، مؤسسة الانتشار العربي- بيروت، ٢٠٠٢م.
- ١٣١ . دفاتر الطوفان، سميحة خريس، منشورات أمانة عمان الكبرى- عمان، ٢٠٠٣م.
- ١٣٢ . عابر سرير، أحلام مستغانمي، منشورات أحلام مستغانمي- بيروت، ٢٠٠٣م.
- ١٣٣ . الراقصة، شاعر الأنباري، دار المدى للثقافة والنشر- بيروت، ٢٠٠٣م.
- ١٣٤ . تلك الرائحة، صنع الله إبراهيم، دار الهدى للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م.
- ١٣٥ . حديقة حياة، لطيفة الدليمي، اتحاد الكتاب العرب- دمشق، ٢٠٠٣م.
- ١٣٦ . قوة الضحك في أورا، حسن مطلق، الدار العربية للعلوم- دمشق، ٢٠٠٣م.
- ١٣٧ . المحبوبات، عالية ممدوح، دار الساقى- بيروت، ٢٠٠٣م.
- ١٣٨ . عندما تستيقظ الرائحة، دنى غالي، دار المدى- دمشق، ٢٠٠٣م.
- ١٣٩ . فيكتوريا، سامي ميخائيل، ترجمة: سمير نقاش، دار الجمل- كولونيا، ٢٠٠٣م.
- ١٤٠ . الانمساخ، فرانز كافكا، ترجمة: إبراهيم وطفى، دار الحصاد- دمشق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣م.
- ١٤١ . الشمعة والدهاليز، الطاهر وطار، دار الجمل- ألمانيا، ٢٠٠٣م.
- ١٤٢ . عالم صدام حسين، مهدي حيدر، منشورات الجمل- كولونيا، ٢٠٠٣م.
- ١٤٣ . المتمردة، مليكة مقدم، ترجمة: محمد المزدبوي، المركز الثقافي العربي- بيروت، ٢٠٠٤م.
- ١٤٤ . خارج الجسد، عفاف البطاينة، دار الساقى- بيروت، ٢٠٠٤م.

- ١٤٥ . مستعمرة المياه، جاسم عاصي، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ٢٠٠٤م.
- ١٤٦ . الفريسة، لؤي حمزة عباس، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ٢٠٠٤م.
- ١٤٧ . غايب، بتول الخضير، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ٢٠٠٤م.
- ١٤٨ . أقمار عراقية سوداء في السويد، علي عبد العال، دار المدى- بيروت، ٢٠٠٤م.
- ١٤٩ . نبوءة الغيوم، عاتي بركات، منشورات دار الجمل- بغداد، ٢٠٠٤م.
- ١٥٠ . شلومو الكردي وأنا والزمن، سمير نقاش، منشورات الجمل- كولونيا، ٢٠٠٤م.
- ١٥١ . في الطريق إليهم، هدية حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ٢٠٠٤م.
- ١٥٢ . طين حري، طه حامد الشبيب، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ٢٠٠٤م.
- ١٥٣ . مريم الحكايا، علوية صبح، دار الآداب- بيروت، ٢٠٠٤م.
- ١٥٤ . الحدود البرية، ميسلون هادي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ٢٠٠٤م.
- ١٥٥ . أمريكيانلي، صنع الله إبراهيم، دار المستقبل العربية- القاهرة، ٢٠٠٤م.
- ١٥٦ . يومان في حزيران، إسحاق بار موشيه، رابطة الجامعيين اليهود النازحين من العراق، ٢٠٠٤م.
- ١٥٧ . التجذيف في الوحل، جميل سلوم شقير، دار علاء الدين للنشر، ٢٠٠٤م.
- ١٥٨ . امرأة الغائب، مهدي عيسى الصقر، دار المدى للثقافة والنشر- دمشق، ٢٠٠٤م.
- ١٥٩ . مدن الملح التيه، عبد الرحمن منيف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ٢٠٠٥م.
- ١٦٠ . أحضان المنافي، د. أحمد عبد الملك، دار بلال- بيروت، ٢٠٠٥م.
- ١٦١ . عراقي في باريس، صموئيل شمعون، دار الجمل- كولونيا، ٢٠٠٥م.
- ١٦٢ . سهرة تنكرية للموتى، غادة السمان، منشورات غادة السمان- بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م.
- ١٦٣ . سواقي القلوب، إنعام كجه جي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ٢٠٠٥م.
- ١٦٤ . عراقي في باريس، صموئيل شمعون، منشورات دار الجمل- بغداد، ٢٠٠٥م.

- ١٦٥ . الطريق إلى تل المطران، علي بدر، دار رياض الريس للكتب والنشر - بيروت، ٢٠٠٥م.
- ١٦٦ . امرأة ليس إلا ..، باهية الطرابلسي، المركز الثقافي العربي - بيروت، ٢٠٠٥م.
- ١٦٧ . حجر الضحك، هدى بركات، دار النهار للنشر - بيروت، ٢٠٠٥م.
- ١٦٨ . المراحيض، لؤي حمزة عباس، مجلة مسارات، العدد ٣، السنة الأولى - بغداد، ٢٠٠٥م.
- ١٦٩ . حامل الهوى، أحمد خلف، دار المدى للثقافة والنشر - سوريا، ٢٠٠٥م.
- ١٧٠ . المقامة البصرية العصرية، مهدي عيسى الصقر، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، ٢٠٠٥م.
- ١٧١ . الوليمة العارية، علي بدر، دار الجمل - كولونيا، ٢٠٠٥م.
- ١٧٢ . أماكن حارة، جنان جاسم حلاوي، دار الآداب - بيروت، ٢٠٠٦م.
- ١٧٣ . مصابيح أورشليم، علي بدر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ٢٠٠٦م.
- ١٧٤ . دنيا، علوية صبح، دار الآداب - بيروت، ٢٠٠٦م.
- ١٧٥ . امرأة من طابقين، هيفاء بيطار، الدار العربية للعلوم - بيروت، ٢٠٠٦م.
- ١٧٦ . الرقص على الماء، محمود البياتي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ٢٠٠٦م.
- ١٧٧ . عمارة يعقوبيان، علاء الأسواني، مكتبة مدبولي - القاهرة، ٢٠٠٦م.
- ١٧٨ . في انتظار فرج الله القهار، سعدي المالح، دار الفارابي - بيروت، ٢٠٠٦م.
- ١٧٩ . بيت على نهر دجلة، مهدي عيسى الصقر، دار المدى للثقافة والنشر - سوريا، ٢٠٠٦م.
- ١٨٠ . جنات وإبليس، نوال السعداوي، مكتبة مدبولي - مصر، ٢٠٠٦م.
- ١٨١ . مذكرات طفلة اسمها سعاد، نوال السعداوي، مكتبة مدبولي - مصر، ٢٠٠٦م.
- ١٨٢ . رجل لكل الأزمنة، فائزة الداوود، اتحاد الكتاب العرب - دمشق، ٢٠٠٦م.
- ١٨٣ . بنات الرياض، رجاء عبد الله الصانع، دار الساقى - بيروت، ٢٠٠٦م.
- ١٨٤ . الحب في زمن النفط، نوال السعداوي، مكتبة مدبولي - مصر، ٢٠٠٦م.



- ١٨٥ . الجنائن المغلقة، برهان الخطيب، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ٢٠٠٦م.
- ١٨٦ . التل، سهيل سامي نادر، دار المدى- بغداد، ٢٠٠٧م.
- ١٨٧ . الشماعية، عبد الستار ناصر، دار المدى- بغداد، ٢٠٠٧م.
- ١٨٨ . طبقات الحقيقة ج ١، آمال كاشف الغطاء، مركز الثقلين للدراسات الاستراتيجية- العراق، ٢٠٠٧م.
- ١٨٩ . طبقات الحقيقة ج ٢، آمال كاشف الغطاء، مركز الثقلين للدراسات الاستراتيجية- العراق، ٢٠٠٧م.
- ١٩٠ . مكنسة الجنة، مرتضى كزار، دار أزمنة- عمان، ٢٠٠٧م.
- ١٩١ . الركض وراء الذئب، علي بدر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ٢٠٠٧م.
- ١٩٢ . ليل الملاك، نزار عبد الستار، أزمنة للنشر والتوزيع- عمان، ٢٠٠٧م.
- ١٩٣ . مقامة الكيوسين، طه حامد الشبيب، مركز أمل لبحوث التنمية والحوار المدني- الديوانية، ٢٠٠٧م.
- ١٩٤ . اللاسؤال واللاجواب، فؤاد التكرلي، دار المدى للثقافة والنشر، ط ١، ٢٠٠٧م.
- ١٩٥ . نبوءة فرعون، ميسلون هادي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ٢٠٠٧م.
- ١٩٦ . التشهي، عالية ممدوح، دار الآداب- بيروت، ٢٠٠٧م.
- ١٩٧ . أرض الليالي، ناظم العبيدي، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ٢٠٠٧م.
- ١٩٨ . برهان العسل، سلوى النعيمي، دار رياض الريس للكتب والنشر- لبنان، ٢٠٠٧م.
- ١٩٩ . حمار وثلاث جمهوريات، كريم كطافة، منشورات الجمل- كولونيا، ٢٠٠٨م.
- ٢٠٠ . خضر قد والعصر الزيتوني، نصيف فلك، منشورات الجمل- بغداد، ٢٠٠٨م.
- ٢٠١ . هيت لك إقليما، وداد الجوراني، دار أزمنة للنشر والتوزيع- عمان، ٢٠٠٨م.
- ٢٠٢ . طوفان صدفي، سعدي عوض الزيدي، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ٢٠٠٨م.
- ٢٠٣ . الصليب، فهد الأسدي، منشورات اتحاد الأدباء والكتاب في العراق- بغداد، ٢٠٠٨م.

٢٠٤. مطر الله، هدية حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ٢٠٠٨م.
٢٠٥. مقهى مراكش، منعم الفقير، دار شمس للنشر والتوزيع - القاهرة، ٢٠٠٨م.
٢٠٦. أموات بغداد، جمال حسين علي، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٨م.
٢٠٧. عصفور من الشرق، توفيق الحكيم، الشركة العالمية للكتاب، ٢٠٠٨م.
٢٠٨. حليب المارينز، عواد علي، دار فضاءات للنشر والتوزيع والطباعة - عمان، ٢٠٠٨م.
٢٠٩. نصف جسد، أزهار رحيم، دار ينابيع - دمشق، ٢٠٠٨م.
٢١٠. هجرة الطيور، بلاسم الضاحي، دار ينابيع - دمشق، ٢٠٠٨م.
٢١١. تل الرؤوس، سالم حميد، دار الفارابي - بيروت، ٢٠٠٨م.
٢١٢. الظلال الطويلة، أمجد توفيق، منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق، ٢٠٠٨م.
٢١٣. كنت ميتا، موسى الهاشمي، شركة الحوراء للطباعة والنشر - بغداد، ٢٠٠٨م.
٢١٤. اعترافات رجل لا يستحي، سليم مطر، دار ميزوبوتاميا - بغداد، ٢٠٠٨م.
٢١٥. حارس التبغ، علي بدر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ٢٠٠٨م.
٢١٦. الحفيدة الأمريكية، إنعام كجه جي، دار الجديد - بيروت، ٢٠٠٨م.
٢١٧. أقصى العالم، ناظم العبيدي، دار المدى للثقافة والنشر - دمشق، ٢٠٠٨م.
٢١٨. صخب ونساء وكاتب مغمور، علي بدر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ٢٠٠٨م.
٢١٩. حجاب العروس، محمد الحمراي، دار المدى للثقافة والنشر - سوريا، ٢٠٠٨م.
٢٢٠. خلف السدة، عبد الله صخي، دار المدى للثقافة والنشر - سوريا، ٢٠٠٨م.
٢٢١. الغبار الأمريكي، زهير الهيتي، دار الساقى - بيروت، ٢٠٠٩م.
٢٢٢. كاشان، خالد الوادي، دار الينابيع - دمشق، ٢٠٠٩م.
٢٢٣. سيرة ظل، نضال القاضي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ٢٠٠٩م.
٢٢٤. أفتني أثري، حميد العقابي، منشورات دار الجمل - كولونيا، ٢٠٠٩م.
٢٢٥. اللحم العظيم، أحمد خلف، دار المدى للثقافة والنشر - بغداد، ٢٠٠٩م.
٢٢٦. ملائكة الجنوب، نجم والي، دار الحليم للنشر والتوزيع - دبي، ٢٠٠٩م.
٢٢٧. الذبابة على الورد، خضير ميري، الحضارة للنشر - القاهرة، ٢٠٠٩م.

٢٢٨. سيدات زحل، لطفية الدليمي، دار فضاءات- عمان، ٢٠٠٩م.
٢٢٩. الشروكية، شوقي كريم، الناشر شوقي كريم- بغداد، ٢٠٠٩م.
٢٣٠. حلم وردى فاتح اللون، ميسلون هادي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ٢٠٠٩م.
٢٣١. حي السعد، محمود جاسم عثمان، مطبعة دار المواهب- النجف الأشرف، ٢٠٠٩م.
٢٣٢. بابا سارتر، علي بدر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ٢٠٠٩م.
٢٣٣. اليهودي الحالي، علي المقري، دار الساقى- بيروت، ٢٠٠٩م.
٢٣٤. ترمي بشرر، عبده الخال، دار الجمل- بغداد، ٢٠٠٩م.
٢٣٥. دعبول، أمل بورتر، دار فضاءات- عمان، ٢٠٠٩م.
٢٣٦. اسمه الغرام، علوية صبح، دار الآداب- بيروت، ٢٠٠٩م.
٢٣٧. عيون الثعالب، ليلي الأحيدب، رياض الريس للكتب والنشر- بيروت، ٢٠٠٩م.
٢٣٨. أصل الهوى، حزامه حبايب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ٢٠٠٩م.
٢٣٩. حسناء الهور، عبد اللطيف الحرز، الدار العربية للعلم ناشرون- بيروت، ٢٠٠٩م.
٢٤٠. حقول الخاتون، حمزة الحسن، دار فضاءات- عمان، ٢٠٠٩م.
٢٤١. قصة عن الحب والظلام، عاموس عوز، ترجمة: حميد غنايم، دار الجمل- بغداد، ٢٠١٠م.
٢٤٢. الغبش، شاكر المياح، دار الينابيع- دمشق، ٢٠١٠م.
٢٤٣. منفى ونساء، خالدة جبار، دار الينابيع- دمشق، ٢٠١٠م.
٢٤٤. بطن صالحه، علي عبد النبي الزيدي، دار الينابيع- دمشق، ٢٠١٠م.
٢٤٥. غرام براغماتي، عالية ممدوح، دار الساقى- بيروت، ٢٠١٠م.
٢٤٦. من لا يعرف ماذا يريد، سميرة المانع، دار المدى للثقافة والنشر- بغداد، ٢٠١٠م.
٢٤٧. مذكرات امرأة شريفة، إيمان محمد، مؤسسة شرق غرب- بغداد، ٢٠١٠م.

- ٢٤٨ . الصندوق الأسود، كليزار أنور، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت،  
٢٠١٠م.
- ٢٤٩ . أن تخاف، هدية حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ٢٠١٠م.  
٢٥٠ . الهشيم، جهاد مجيد، دار رند للطباعة والنشر - دمشق، ٢٠١٠م.  
٢٥١ . تحت سماء كوبنهاغن، حوراء النداوي، دار الساقى - بيروت، ٢٠١٠م.  
٢٥٢ . وحدها شجرة الرمان، سنان أنطون، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت،  
٢٠١٠م.
- ٢٥٣ . السماء تعود إلى أهلها، وفاء عبد الرزاق، دار كلمة للنشر - مصر، ٢٠١٠م.  
٢٥٤ . الجريمة، الفن، وقاموس بغداد، علي بدر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر -  
بيروت، ٢٠١٠م.
- ٢٥٥ . ستة أيام لاختراع قرية، علي عباس خفيف، دار أزمنة للنشر - عمان، ٢٠١٠م.  
٢٥٦ . ذيل النجمة، خضير فليح الزيدي، رند للطباعة والنشر - دمشق، ٢٠١٠م.  
٢٥٧ . ديسكولاند، أسعد الجبوري، دار فضاءات - عمان، ٢٠١٠م.  
٢٥٨ . المحرقة، قاسم محمد عباس، دار المدى - بيروت، ٢٠١٠م.  
٢٥٩ . شاي العروس، ميسلون هادي، دار الشروق للنشر والتوزيع - عمان، ٢٠١٠م.  
٢٦٠ . أنا أحياء، ليلي البعلبكي، مؤسسة الجابر، ٢٠١٠م.  
٢٦١ . نجمة البتاوين، شاعر الأنباري، دار المدى، ٢٠١٠م.  
٢٦٢ . النهار الذي يلي البارحة، حسن حافظ، جمعية الثقافة للجميع - بغداد، ٢٠١٠م.  
٢٦٣ . عين الدود، نصيف فلك، منشورات الجمل - بيروت، ٢٠١٠م.  
٢٦٤ . رياح السموم، عبد الزهرة علي، دار الينابيع - دمشق، ٢٠١٠م.  
٢٦٥ . سلطة السيف، عادل إبراهيم، فضاءات للنشر والتوزيع - عمان، ٢٠١٠م.  
٢٦٦ . تعالى وجع مالك، حميد الربيعي، دار الينابيع - دمشق، ٢٠١٠م.  
٢٦٧ . أساتذة الوهم، علي بدر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، الطبعة  
الأولى، ٢٠١١م.
- ٢٦٨ . إذا الأيام أغسقت، د. حياة شرارة، دار المدى للثقافة والنشر - دمشق، ٢٠١١م.

- ٢٦٩ . بيتهوفن يعزف للغرباء، فاتن الجابري، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد،  
٢٠١١م.
- ٢٧٠ . حفيد البي بي سي، ميسلون هادي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت،  
٢٠١١م.
- ٢٧١ . يوميات فتاة عراقية تقاوم العنوسة، كلشان البياتي، جداول للنشر والتوزيع-  
بيروت، ٢٠١١م.
- ٢٧٢ . الشاحنة، محمود سعيد، شمس للنشر والتوزيع- القاهرة، ٢٠١١م.
- ٢٧٣ . مدينة الصور، لؤي حمزة عباس، دار أزمنة- بيروت، ٢٠١١م.
- ٢٧٤ . العيون السود، ميسلون هادي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت،  
٢٠١١م.
- ٢٧٥ . ملوك الرمال، علي بدر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ٢٠١١م.
- ٢٧٦ . ترنيمة امرأة.. شفق البحر، سعد محمد رحيم، دار فضاءات- عمان، ٢٠١٢م.
- ٢٧٧ . يا مريم، سنان أنطون، منشورات الجمل- بيروت، ٢٠١٢م.
- ٢٧٨ . أفراس الأعوام، زيد الشهيد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت،  
٢٠١٢م.
- ٢٧٩ . حب في زمن الموت، كلشان البياتي، جداول للنشر والترجمة والتوزيع- بيروت،  
٢٠١٢م.
- ٢٨٠ . أقصى الجنون.. الفراغ يهذي، وفاء عبد الرزاق، دار نشر كلمة- مصر،  
٢٠١٢م.
- ٢٨١ . بياض الليل سواد النهار، غادة رسول، دار الفارابي- بيروت، ٢٠١٢م.
- ٢٨٢ . على شفا جسد، رشا فاضل، مؤسسة شرق غرب- بغداد، ٢٠١٢م.
- ٢٨٣ . الموت للحياة، غادة صديق رسول، دار الفارابي- بيروت، ٢٠١٢م.
- ٢٨٤ . هروب الموناليزا، بلقيس حميد حسن، دار ميزوبوتاميا- بغداد، ٢٠١٢م.
- ٢٨٥ . متاهة آدم، برهان شاوي، الدار العربية للعلم ناشرون، ٢٠١٢م.
- ٢٨٦ . حدائق الرئيس، محسن الرملي، دار الثقافة، أبو ظبي، ٢٠١٢م.
- ٢٨٧ . عجائب بغداد، وارد بدر السالم، ثقافة للنشر والتوزيع، ٢٠١٢م.

- ٢٨٨ . القنافذ في يوم ساخن، فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد- بيروت، ٢٠١٢م.
- ٢٨٩ . زينب وماري وياسمين، ميسلون هادي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ٢٠١٢م.
- ٢٩٠ . فرانكشتاين، ماري شيللي، ترجمة: نورا عبد الله، فروس للنشر والتوزيع- القاهرة، ٢٠١٢م.
- ٢٩١ . جدد موته مرتين، حميد الربيعي، دار فضاءات- عمان، ٢٠١٢م.
- ٢٩٢ . السيد أصغر أكبر، مرتضى كزار، التنوير للطباعة والنشر- بيروت، ٢٠١٢م.
- ٢٩٣ . جاء متأخراً، علياء الأنصاري، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ٢٠١٣م.
- ٢٩٤ . فرانكشتاين في بغداد، أحمد سعادوي، منشورات الجمل- بيروت، ٢٠١٣م.
- ٢٩٥ . طشاري، إنعام كجه جي، دار الجديد- بيروت، ٢٠١٣م.
- ٢٩٦ . ليل علي بابا الحزين، عبد الخالق الركابي، دار ومكتبة عدنان- بغداد، ٢٠١٣م.
- ٢٩٧ . صخرة هيلدا، هدية حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ٢٠١٣م.
- ٢٩٨ . عادات منحرفة، رحاب الصائغ، النايا للدراسات والنشر والتوزيع- دمشق، ٢٠١٣م.
- ٢٩٩ . أبواب الفردوس، ناطق خلوصي، دار ميزوبوتاميا- بغداد، ٢٠١٣م.
- ٣٠٠ . الأجنبية، عالية ممدوح، دار الآداب- بيروت، ٢٠١٣م.
- ٣٠١ . صيد البط البري، محمود سعيد، دار ضفاف- الشارقة، ٢٠١٣م.
- ٣٠٢ . إعجام، سنان أنطون، دار الجمل- بيروت، ٢٠١٣م.
- ٣٠٣ . ساق البامبو، سعود السنعوسي، الدار العربية للعلم ناشرون- بيروت، الطبعة السادسة، ٢٠١٣م.
- ٣٠٤ . بعد رحيل الصمت، عبد الرضا محمد صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ٢٠١٣م.
- ٣٠٥ . أجمل حكاية في العالم، ميسلون هادي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ٢٠١٤م.
- ٣٠٦ . مشرحة بغداد، برهان شاوي، دار ميزوبوتاميا- بغداد، ٢٠١٤م.

٣٠٧. الضفاف السعيدة، عدنان القره غولي، الدار العربية للعلوم ناشرون - بيروت، ٢٠١٤م.
٣٠٨. على أبواب بغداد، قاسم حول، دبي الثقافية، ٢٠١٤م.
٣٠٩. سبارجيون، عامر حمزة، دار فضاءات - عمان، ٢٠١٤م.
٣١٠. خمس نساء، حنان المسعودي، دار ضفاف للنشر - بغداد، ٢٠١٤م.
٣١١. للهروب خطوة أخرى، توفيق حنون المعموري، دار ميزوبوتاميا - بغداد، ٢٠١٤م.
٣١٢. الخوشي، شوقي كريم، دار ضفاف - بغداد، ٢٠١٤م.
٣١٣. تقاحة حواء، ناطق خلوصي، دار ضفاف - بغداد، ٢٠١٤م.
٣١٤. السعيد في كابوسه الأقصى، ميثم الحلو، دار سطور للنشر والتوزيع - بغداد، ٢٠١٥م.
٣١٥. أحببت حماراً، رغد السهيل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ٢٠١٥م.
٣١٦. أطلس عزران البغدادي، خضير فليح الزبيدي، دار ميزوبوتاميا - بغداد، ٢٠١٥م.
٣١٧. فندق كويستيان، خضير فليح الزبيدي، دار أمل الجديدة - دمشق، ٢٠١٥م.
٣١٨. قياموت، نصيف فلك، دار سطور - بغداد، ٢٠١٥م.
٣١٩. بلده في علبه، حامد فاضل، دار سطور - بغداد، ٢٠١٥م.
٣٢٠. شرق الأحزان، عباس لطيف، دار الجواهري - بغداد، ٢٠١٥م.
٣٢١. رقصة الجديلة والنهر، وفاء عبد الرزاق، دار العارف للمطبوعات - العراق، ٢٠١٥م.
٣٢٢. اعترافات زوجة رجل مهم، ناطق خلوصي، دار ميزوبوتاميا - بغداد، ٢٠١٥م.
٣٢٣. البحث عن ملاذ آمن، ناطق خلوصي، دار ميزوبوتاميا - بغداد، ٢٠١٦م.
٣٢٤. أزمنة الدم، جهاد مجيد، دار الرافدين - لندن، ٢٠١٦م.
٣٢٥. فالسيوم عشرة، خضير فليح الزبيدي، منشورات ضفاف - بيروت، ٢٠١٦م.
٣٢٦. مثلث الموت، علي لفته سعيد، دار سطور - بغداد، ٢٠١٦م.
٣٢٧. عذراء سنجار، وارد بدر السالم، شنكال للنشر والتوزيع - العراق، ٢٠١٦م.
٣٢٨. بهار، عامر حميو، دار ليندا - سوريا، ٢٠١٦م.

٣٢٩. قارئ الطين، حسن فالح، دار سطور - بغداد، ٢٠١٦م.
٣٣٠. طائفتي الجميلة، مرتضى كزار، منشورات الجمل - بغداد، ٢٠١٦م.
٣٣١. ساعة بغداد، شهد الراوي، دار الحكمة - لندن، ٢٠١٦م.
٣٣٢. العشق المدنس، عز الدين جلاوي، منشورات المنتهى، ٢٠١٦م.
٣٣٣. صراع الأفعنة، كلكامش نبيل، دار الفارابي - بيروت، ٢٠١٦م.
٣٣٤. عازف الغيوم، علي بدر، منشورات المتوسط - إيطاليا، ٢٠١٦م.
٣٣٥. الفتنة، كنعان مكية، منشورات الجمل - بيروت، ٢٠١٦م.
٣٣٦. خان الشابندر، محمد حياوي، دار الآداب - بيروت، ٢٠١٦م.
٣٣٧. الرمل الأسود، أسعد اللامي، دار لندا - سوريا، ٢٠١٦م.
٣٣٨. حائط المبكى، عز الدين جلاوي، دار المنتهى للطباعة والنشر - الجزائر، ٢٠١٦م.
٣٣٩. أعوام الذئاب، حميد المختار، دار ومكتبة عدنان - بغداد، ٢٠١٦م.
٣٤٠. موت صغير، محمد حسين علوان، دار الساقى - لندن، ٢٠١٦م.
٣٤١. اليوسفيون، حسن كريم عاتي، دار الروسم للصحافة والنشر والتوزيع - بغداد، ٢٠١٦م.
٣٤٢. اللا أين، طه حامد شبيب، دار سطور - بغداد، ٢٠١٧م.
٣٤٣. أحمر حانة، حميد الربيعي، دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات - مصر، ٢٠١٧م.
٣٤٤. مقتل بائع الكتب، سعد محمد رحيم، دار سطور - بغداد، ٢٠١٧م.
٣٤٥. الكافرة، علي بدر، دار الرافدين - لبنان، ٢٠١٧م.
٣٤٦. جلال خالد، محمود أحمد السيد، دار سطور - بغداد، ٢٠١٧م.
٣٤٧. سارق العمامة، شهيد الحلفي، دار سطور - بغداد، ٢٠١٧م.
٣٤٨. بنادق النبي، سالم حميد، دار سطور - بغداد، ٢٠١٧م.
٣٤٩. الباب الخلفي للجنة، هيثم الشويلي، دار فضاءات للنشر والتوزيع - عمان، ٢٠١٧م.
٣٥٠. شمدين، راسم قاسم، دار الساقى - بيروت، ٢٠١٧م.



٣٥١. شظايا فيروز، نوزت شمدين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت،  
٢٠١٧م.
٣٥٢. سبايا دولة الخرافة، عبد الرضا صالح محمد، دار أمل الجديدة - دمشق،  
٢٠١٧م.
٣٥٣. فسحة للجنون، سعد محمد رحيم، دار سطور - بغداد، ٢٠١٨م.
٣٥٤. الساخر العظيم، أمجد توفيق، دار فضاءات - عمان، ٢٠١٨م.
٣٥٥. دَمُهُ، محمد الأحمد، دار فضاءات للنشر والتوزيع - عمان، ٢٠١٨م.
٣٥٦. شارع الزعيم، عباس لطيف، دار ميزوبوتاميا - بغداد، ٢٠١٨م.
٣٥٧. الملك في بجامته، خضير فليح الزبيدي، دار الرافدين للنشر - بيروت، ٢٠١٨م.
٣٥٨. القطار.. إلى منزل هنانا، سعد محمد رحيم، إصدار الاتحاد العام للأدباء والكتاب  
في العراق، ٢٠١٨م.
٣٥٩. بستان الياسمين، ناطق خلوصي، دار ميزوبوتاميا - بغداد، ٢٠١٨م.
٣٦٠. قنزة ونزة، شوقي كريم حسن، ٢٠١٨م.
٣٦١. مرآتي المدينة، غادة صادق رسول، دار سطور - بغداد، ٢٠١٨م.
٣٦٢. الثقب الروحي، مالك مجباس، دار سطور - بغداد، ٢٠١٨م.
٣٦٣. منازل ح ١٧، رعد السهيل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت،  
٢٠١٩م.
٣٦٤. آلهة من دخان، أحمد الجندي، دار مداد - كربلاء، ٢٠١٩م.

## ملحق الكتب

١. مرويّات المنفى دراسات في الرواية العراقية المعاصرة، صادق ناصر الصكر، دار الكتب والوثائق، ٢٠٠٨م.
٢. رواية المرأة العربية من ١٩٩٠ إلى ٢٠٠٧م في ضوء النقد النسوي، هدى حسين الشيباني، دار الشؤون الثقافية العامة-بغداد، ٢٠١٣م.
٣. السرد النسوي، الثقافة الأبويّة، الهويّة الأنثويّة، والجسد، د. عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ٢٠١١م.
٤. السرد والاعتراف والهويّة، د. عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ٢٠١١م.
٥. الرواية العراقية وسردية الاختلاف قراءة لوعي الذات والعلاقة مع الآخر، د. محمد قاسم عيبي، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع - بغداد، ٢٠١١م.
٦. الخطاب الروائي النسوي العراقي (دراسة في التمثيل السردية) محمد رضا الأوسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ٢٠١٢م.
٧. بوبطيقا الثقافة نحو نظرية شعرية في النقد الثقافي، د. بشرى موسى صالح، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، ٢٠١٢م.
٨. الرواية العربية ما بعد الحداثيّة تقويض المركز - الجسد - تحطيم السرديات الكبرى، د. ماجدة هاتو هاشم، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، ٢٠١٣م.
٩. نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة، د. نجم عبد الله كاظم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ٢٠١٣م.
١٠. السلطة في الرواية العراقية، د. أحمد رشيد الددة، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، ٢٠١٣م.
١١. الرواية العراقية من منظور النقد الثقافي، دراسة في تحولات الأنساق الثقافية، حبيب النورس، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، ٢٠١٤م.

١٢. الروائيون العراقيون اليهود دراسة في الثقافة والمتخيل والتجريب الروائي: د. خالدة حاتم علوان، دار ميزوبوتاميا- بغداد، ٢٠١٤م.
١٣. سحر السرد دراسات في الفنون السردية/ الرواية- السيرة والسيرة الذاتية- أدب ما بعد الكولونيالية- أدب الاستشراق، سعد محمد رحيم، دار نينوى- دمشق، ٢٠١٤م.
١٤. تمظهرات النقد الثقافي وتمفصلاته، قراءات تطبيقية، د. نادية هناوي سعدون، دار تموز- دمشق، ٢٠١٥م.
١٥. الرواية العربية الممنوعة دراسة ثقافية تطبيقية، هادي رزاق الخزرجي، دار العارف للمطبوعات- بيروت، ٢٠١٥م.
١٦. الجسدنة بين المحو والخط (الذكورية/ الأنثوية) مقاربات في النقد الثقافي، د. نادية هناوي، دار الرافدين- بيروت، ٢٠١٦م.
١٧. أمريكا والأمريكّي في الرواية العربيّة، د. نجم عبد الله كاظم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ٢٠١٦م.
١٨. خطاب التجريب والرواية رواية العراق أنموذجًا، د. حسين عيال، دار أمل الجديدة- دمشق، ط١، ٢٠١٦م.
١٩. الأنساق الواقعية والرمزية في الرواية العراقية ما بعد ٢٠٠٣م، حيدر جمعة العابدي، دار الفؤاد للنشر والتوزيع- ٢٠١٧م.
٢٠. الانتلجيسيا العراقيّة في عالم عليّ بدر الرّوائي دراسة في الرؤى والتمثّلات، محمد فاضل المشلب، دار الرافدين- بيروت، ٢٠١٧م.
٢١. تمثّلات الموت في الرواية العراقية 2003- 2013م، فارس نايف الفايز، دار الرافدين- بيروت، ٢٠١٧م.
٢٢. رواية العنف دراسة سوسيونصية في الرواية العراقية ما بعد ٢٠٠٣م، د. باسم صالح، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ٢٠١٧م.
٢٣. الشخصية الجنوبية في الرواية العراقية، د. عالية خليل إبراهيم، دار دلمون الجديدة- دمشق، ٢٠١٧م.
٢٤. تمثّلات السلطة ومرجعياتها الثقافية في روايات فؤاد التكرلي، د. محمد عبد الحسين هويدي، دار شهريار، ٢٠١٨م.

٢٥. الهوية في الرواية العراقية بعد سقوط بغداد 2003م، حنان محمود جميل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ٢٠١٨م.
٢٦. الهوية في سرديات جمعة اللامي دراسة في ضوء التحليل الثقافي، إحسان جابر شبيب البخاتي، دار غيداء للنشر والتوزيع - عمان، ٢٠١٨م.
٢٧. الهوية والإرهاب قراءة في إمكانات السرد العراقي، د. كريمة نوماس المدني، دار الفرات للثقافة والإعلام - العراق، ٢٠١٨م.
٢٨. الجنس في الرواية العراقية، داود سلمان الشويلي، دار المتن - العراق، ٢٠١٨م.
٢٩. أدب المنفى دراسة في الأدبيات العراقية، فاطمة المحسن، دار الجمل - بغداد، ٢٠١٨م.
٣٠. إرساء ملامح النسوية قراءة تطبيقية، د. عبد الغفار العطوي، دار أمل الجديدة - سوريا، ٢٠١٨م.
٣١. دراسات ثقافية الجسد الأنثوي - الآخر - السرد الثقافي، د. سمير الخليل ود. طانية حطاب، دار ضفاف للنشر - بغداد، ٢٠١٨م.
٣٢. تشظيات الإرهاب والبعد الثقافي دراسة نقدية في رواية سبايا دولة الخرافة، حامد عبد الحسين حميدي، دار أوراق - بغداد، ٢٠١٨م.
٣٣. أدب الأقليات العراقية دراسة في تفكيك الصورة النمطية عن الأيزيديين، د. خالدة حاتم علوان، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع - العراق، ط ١، ٢٠١٩م.
٣٤. شوارع نيرودا استراتيجيات الرواية العراقية بعد ٢٠٠٣ أشكال السلطة وصور المثقف، د غانم حميد الزبيدي، دار أمل الجديدة - سوريا، ٢٠١٩م.
٣٥. صورة المثقف في روايات فؤاد التكرلي، آلاء قحطان عبد الرحمن، دار غيداء للنشر والتوزيع - عمان، ٢٠١٩م.
٣٦. الهوية المسيحية في الرواية العراقية دراسة تحليلية لروايات ما بعد ٢٠٠٣، عماد جاسم، دار الشؤون الثقافية - بغداد، ط ٢، ٢٠١٩م.
٣٧. المركز والهامش في الرواية، عذراء سنجار أنموذجاً، د. فوزية لعيبوس الجابري، دار الرضوان - الأردن، ٢٠١٩م.

- ٣٨ . السرد القابض على التاريخ مبصرة في (رواية التاريخ) ومعاينة في نماذج روائية عربية وأجنبية، د. نادية هناوي، دار غيداء للنشر والتوزيع - عمان، ٢٠١٩م.
- ٣٩ . العنف الرمزي مقارنة جندرية في الرواية النسوية، د. حميد عبد الوهاب البدراني، دار غيداء للنشر والتوزيع - عمان، ٢٠٢٠م.
- ٤٠ . المضمرات الإشهارية في الرواية العراقية حقبة ما بعد الانفتاح، د. علي جواد عبادة، دار تموز ديموزي للطباعة والنشر - دمشق، ٢٠٢٠م.
- ٤١ . تمثيلات الهوية في السرد الروائي، د. محمد فليح الجبوري، ود. فوزية لعيوس غازي، دار الرضوان للنشر والتوزيع - عمان، ٢٠٢٠م.
- ٤٢ . كتابات في النسوية، د. عبد الغفار العطوي، دار كيوان، ٢٠٢٠م.
- ٤٣ . الرواية سرداً ثقافياً، سوسيولوجيا الثقافة وأرختها، د. سمير الخليل، دار الرافدين - بيروت، ٢٠٢٠م.
- ٤٤ . الإكليروس في الرواية العراقية، د. مسار غازي، دار ومكتب سامراء - العراق، ٢٠٢٠م.
- ٤٥ . دراسات ثقافية في الرواية والرحلة والمقالة، د. فاضل عبود التميمي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع - عمان، ٢٠٢١م.
- ٤٦ . الرواية العربية في دائرة التأويل، فاضل ثامر، اتحاد الأدباء والكتّاب في العراق - بغداد، ٢٠٢١م.
- ٤٧ . الرواية العراقية بعد الاحتلال الأمريكي (هشاشة المأوى وأزمة الهوية)، د. قيس كاظم الجنابي، دار دجلة للنشر والتوزيع - عمان، ٢٠٢١م.
- ٤٨ . الهوية، الرمز، التناسل دراسة سوسيو ثقافية في الرواية العراقية (فرانكشتاين في بغداد نموذجاً)، عمار عزّت، دار الورشة الثقافية للطباعة والنشر - بغداد، ٢٠٢١م.

# المصادر والمراجع

- \* اتجاهات نقد الرواية في صحيفة الأديب الثقافية ٢٠٠٣ - ٢٠١٦م، هبة جاسم الطائي، دار الينابيع، ٢٠١٨م
- \* الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف، سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
- \* أدب الأقليات العراقية دراسة في تفكيك الصورة النمطية عن الأيزيديين، د. خالدة حاتم علوان، دار ومكتبة عدنان - بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م.
- \* أدوات الكتابة، روي بيتر كلارك، مراجعة: هدى صالح الدخيل، الدار العربية للعلم ناشرون - بيروت، ومنصة الكتابة الإبداعية - الكويت، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م
- \* الأديان والمذاهب بالعراق ماضيها وحاضرها، رشيد الخيون، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.
- \* إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، د. يوسف وغليسي، الدار العربية للعلم ناشرون - لبنان ومنشورات الاختلاف - الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
- \* الاغتراب في الثقافة العربية مناهات الإنسان بين الحلم والواقع، د. حليم بركات، مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.
- \* أفق الدراسات الثقافية، د. فيصل الأحمر، منشورات الاختلاف - الجزائر، والصفاء - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م.
- \* أقدم لك الدراسات الثقافية، زيودين ساردار وبورين فان لون، ترجمة: وفاء عبد القادر، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
- \* الإكليروس في الرواية العراقية، د. مسار غازي، دار ومكتبة سامراء للنشر والتوزيع - سامراء، ٢٠٢٠م.
- \* أمريكا والأمريكي في الرواية العربية، د. نجم عبد الله كاظم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، دار فارس للنشر والتوزيع - عمان، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.

\*الإنتلجنسيا العراقية في عالم عليّ بدر الرّوائي دراسة في الرّوى والتمثّلات، محمد فاضل المشلب، دار الرافدين- بيروت، ودار وراقون للنشر والتوزيع- العراق، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.

\*أنثوية العلم من منظور الفلسفة النسوية، د. ليندا جين شيفرد، ترجمة: د. يمنى طريف الخولي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، ٢٠٠٤م.

\*الأنساق الواقعية والرمزية في الرواية العراقية ما بعد ٢٠٠٣، حيدر جمعة العابدي، دار الفؤاد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.

\*الإنسان ومشكلاته المعاصرة الآخر- الاغتراب- الانتظار- الأمل، د. حسن يوسف، أجيال لخدمات النشر والتسويق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

\*انفجار الصمت: الكتابة النسوية في اليمن دراسات ومختارات، حاتم الصكر، مركز عبادي للدراسات والنشر- صنعاء، اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، الأمانة العامة- صنعاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

\*بانوراما نفسية، د قاسم حسين صالح، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

\*بول ريكور... الهوية والسرد، حاتم الورفلي، دار التنوير للطباعة والنشر- بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

\*بويطيقا الثقافة نحو نظرية شعرية في النقد الثقافي، د. بشرى موسى صالح، دار الشؤون الثقافية- بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

\*التجريب وتحولات السرد في الرواية السورية، محمد رضوان، منشورات اتحاد الكتّاب العرب- دمشق، ٢٠١٣م.

\*التحليل الاجتماعي للأدب، السيد ياسين، دار التنوير- بيروت، د. ت.



- \*تشظيات الإرهاب والبعد الثقافي دراسة نقدية في رواية سبايا دولة الخرافة، حامد عبد الحسين حميدي، دار أوراق، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م.
- \*التشكيل الشعري الصنعة والرؤيا، د. محمد صابر عبيد، دار نينوى- دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
- \*تمارين في النقد الثقافي، د. صلاح قنصوة، دار ميريت- القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
- \*تمثلات السلطة ومرجعياتها الثقافية في روايات فؤاد التكرلي، د. محمد عبد الحسين هويدي، دار شهريار- البصرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م.
- \*تمثلات الموت في الرواية العراقية ٢٠٠٣- ٢٠١٤، فارس نايف الفايز، دار الرافدين- بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.
- \*تمثلات الهوية في السرد الروائي، د. محمد فليح الجبوري، ود. فوزية لعبوس غازي، دار الرضوان للنشر والتوزيع- عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠م.
- \*تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، د. نادر كاظم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، دار فارس للنشر والتوزيع- عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
- \*تمظهرات النقد الثقافي وتمفصلاته قراءات تطبيقية، د. نادية هناوي سعدون، دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.
- \*الثقافة والإمبريالية، إدوارد سعيد، ترجمة: كمال أبو ديب، دار الآداب- بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.
- \*الجسدنة بين المحو والخط (الذكورية/ الأنثوية) مقاربات في النقد الثقافي، د. نادية هناوي، دار الرافدين- بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.
- \*جغرافية المعتقدات والديانات- مبادئ وأسس... محتوى ومنهج- تحليلات مكانية، محسن عبد الصاحب المظفر، دار صفاء للنشر والتوزيع- الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.
- \*الجنس في الرواية العراقية، داود سلمان الشويلي، دار المتن، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م.

- \* حفريات أثوية دراسة في القصة النسوي العراقي اليهودي المغيب، د. خالدة حاتم علوان، دار ومكتبة عدنان- بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.
- \* الحمى المسلحة، أسعد الجبوري، الشركة العربية الأوربية للصحافة والآداب- كوينهاكن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
- \* حين كنت رجلاً، إلهام منصور، دار رياض الرئيس للكتب والنشر- بيروت، ٢٠٠٢م.
- \* خطاب الآخر خطاب نقد التأليف الأدبي الحديث أنموذجاً، د. عبد العظيم السلطاني، دار الأصالة والمعاصرة- ليبيا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
- \* خطاب التجريب والرواية رواية العراق أنموذجاً، د. حسين عيال، دار أمل الجديدة- دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.
- \* الخطاب الروائي النسوي العراقي (دراسة في التمثيل السردي)، محمد رضا الأوسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.
- \* الدراسات الثقافية التمفصل، الهيمنة والصراع، ترجمة: محمد مفضل، دار شهريار- العراق، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م.
- \* الدراسات الثقافية مدخل تطبيقي، مايكل رايمان وآخرون، ترجمة: د. خالد سهر، دار بغداد- العراق، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.
- \* الدراسات الثقافية ودراسات ما بعد الكولونيالية، د. مصلح النجار وآخرون، الأهلية للنشر والتوزيع- الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
- \* الدراسات الثقافية: مقدمة نقدية، سايمون ديورنغ، ترجمة: د. ممدوح يوسف عمران، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، ٢٠١٥م.
- \* الدراسات الثقافية، زيودين ساردار ويودين فان لون، ترجمة: وفاء عبد القادر، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة، ٢٠٠٣م.

- \*الدراسات النسوية من وجهة نظر الرجل، عبد الغفار العطوي، دار نينوى- دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠م.
- \* دراسات ثقافية الجسد الأنثوي- الآخر- السرد الثقافي، د. سمير الخليل ود. طانية حطاب، دار ضفاف للنشر- بغداد، ٢٠١٨م.
- \*دراسات ثقافية في الرواية والرحلة والمقالة، د. فاضل عبود التميمي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع- الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٢١م.
- \*دفاعاً عن التاريخ الأدبي النسوي، جانيت تود، ترجمة: ريهام حسين إبراهيم، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
- \*الذات عينها كآخر، بول ريكور، ترجمة: د. جورج زيناتي، المنظمة العربية للترجمة- بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
- \*الرواية العراقية بعد الاحتلال الأمريكي (هشاشة المأوى وأزمة الهوية)، د. قيس كاظم الجنابي، دار دجلة- عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٢١م.
- \*الرواية العراقية من منظور النقد الثقافي دراسة في تحولات الانساق الثقافية، حبيب النورس، دار الشؤون الثقافية العامة-بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.
- \*الرواية العراقية وسردية الاختلاف قراءة لوعي الذات والعلاقة مع الآخر، محمد قاسم لعيبي، دار الفراهيدي للنشر- بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
- \*الرواية العربية المتخيل وبنيته الفنية، د. يمنى العيد، دار الفارابي-بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
- \*الرواية العربية الممنوعة دراسة ثقافية تطبيقية، هادي رزاق الخزرجي، دار العارف للمطبوعات- بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.
- \*الرواية العربية في دائرة التأويل، فاضل ثامر، منشورات اتحاد الأدباء- بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٢١م.

- \*الرواية العربية ما بعد الحداثية تقويض المركز - الجسد - تحطيم السرديات الكبرى، د. ماجدة هاتو هاشم، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.
- \*رواية العنف دراسة سوسيونصية في الرواية العراقية ما بعد ٢٠٠٣، د. باسم صالح، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.
- \*رواية المرأة العربية من ١٩٩٠ إلى ٢٠٠٧م في ضوء النقد النسوي، هدى حسين الشيباني، دار الشؤون الثقافية العامة، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.
- \*الرواية سرداً ثقافياً سسيولوجياً الثقافة وأرختها وتسييسها، د. سمير الخليل، دار الرافدين - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠م.
- \*الروائيون العراقيون اليهود دراسة في الثقافة والمتخيل والتجريب الروائي، د. خالدة حاتم علوان، دار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر والتوزيع - بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.
- \*روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي - المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.
- \*سحر السرد دراسات في الفنون السردية (الرواية - السيرة والسيرة الذاتية - أدب ما بعد الكولونيالية - أدب الاستشراق)، سعد محمد رحيم، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع - سورية، ٢٠١٤م.
- \*سحر الموضوع عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر، د. حميد لحمداني، مطبعة أنفو - برانت - المغرب، الطبعة الثانية، ٢٠١٤م.
- \*السرد النسوي الثقافة الأبوية، الهوية الأنثوية، والجسد، د. عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، دار فارس للنشر والتوزيع - الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
- \*السرد، والاعتراف، والهوية، د. عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، دار الفارس للنشر والتوزيع - عمان، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.

- \*سرديات النقد في تحليل آليات الخطاب النقدي المعاصر، حسين خمري، منشورات الاختلاف- الجزائر، دار الأمان- الرباط، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
- \*سلطة السرد في إعادة ترتيب العلاقات في المتخيل الفني لروايات المحكي البغدادي اليهودي، د. خالدة حاتم علوان، مؤسسة أبجد للترجمة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٢٢م.
- \*السلطة السياسية في نظرية الدولة، د. ماهر عبد الهادي، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.
- \*السلطة السياسية: جان وليام لابييار، ترجمة: إلياس حنا إلياس، منشورات عويدات، بيروت- لبنان، ١٩٧٧م.
- \*السلطة في الرواية العراقية، د. أحمد رشيد الددة، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.
- \*سوسولوجيا الفن طرق للرؤية، ديفيد انغليز وجون هغستون، ترجمة: د. ليلي الموسوي، مراجعة: د. محمد الجوهري، عالم المعرفة - الكويت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
- \*سيكولوجية السلطة بحث في الخصائص النفسية المشتركة للسلطة، سالم القمودي، مكتبة مدبولي- القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
- \*سيمائيات الصورة الإشهارية الإشهار والتمثلات الثقافية، سعيد بنكراد، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.
- \*الشخصية الجنوبية في الرواية العراقية دراسة سوسيو نصية في رواية الأنا الجنوبية، د. عالية خليل إبراهيم، دار علوان الجديدة- سورية، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.
- \*شوارع نيرودا استراتيجيات الرواية العراقية بعد ٢٠٠٣ أشكال السلطة وصور المثقف، د. غانم حميد الزبيدي، دار أمل الجديدة، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م.

- \*صورة الآخر العربي ناظراً ومنظوراً إليه، تحرير الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
- \*صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي، سعد فهد الذويخ، عالم الكتب الحديث، الأردن- إربد، ٢٠٠٩.
- \*صورة المثقف في روايات فؤاد التكرلي، الاء قحطان عبد الرحمن، دار غيداء للنشر والتوزيع- عمان، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م.
- \*صورة بغداد الافتراضية في المخيال اليهودي العراقي، د. خالدة حاتم علوان، دار ومكتبة عدنان- بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١٩.
- \*الطاغية، إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الوطني للثقافة- الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
- \*العالم والنص والناقد، إدوارد سعيد، ترجمة: عبد الكريم محفوظ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠م.
- \*علم الاجتماع السياسي أسسه وأبعاده، صادق الأسود، مطابع وزارة التعليم العراقية- بغداد، ١٩٩٠م.
- \*العنف الرمزي مقارنة جندرية في الرواية النسوية، د. حميد عبد الوهاب البدراني، دار غيداء للنشر والتوزيع- عمان، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م.
- \*فرانكشتاين في بغداد، أحمد سعداوي، منشورات الجمل، بيروت- بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.
- \*في محبة الأدب، د. جابر عصفور، مكتبة الأسرة - القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
- \*في معرفة النص، يمنى العيد، دار الآفاق الجديدة، دار الثقافة الدار البيضاء- بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.
- \*القراءة النسقية سلطة البنية ووهم المحاينة، د أحمد يوسف، الدار العربية للعلم ناشرون- بيروت، منشورات الاختلاف- الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

- \*كتابات في النسوية، عبد الغفار العطوي، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م.
- \*لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، د. عبد الفتاح أحمد يوسف، الدار العربية للعلم ناشرون - بيروت، منشورات الاختلاف - الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.
- \*اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية، مجموعة مؤلفين، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.
- \*مبادئ القانون الدستوري والنظام الدستوري في العراق، د. محمد طه حسين الحسيني، مكتبة دار السلام القانونية الجامعة، العراق - النجف، ٢٠١٦م.
- \*المحرومون في العراق - هويتهم الوطنية واحتجاجاتهم الجمعية، فارس كمال نظمي، دار ومكتبة البصائر - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.
- \*مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، د. حنفاوي بعلي، منشورات الاختلاف - الجزائر، والدار العربية للعلم ناشرون - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
- \*مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية، حنفاوي بعلي، منشورات الاختلاف - الجزائر، ٢٠٠٩م.
- \*مدرسة فرانكفورت، توم بوتومور، ترجمة: سعد هجرس، مراجعة: د. محمد حافظ دياب، دار أوياء، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤م.
- \*المذاهب النقدية، ماهر حسن فهمي، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة، د. ت.
- \*المركز والهامش في الرواية [عذراء سنجار] انموذجاً، د. فوزية لعيوس الجابري، دار الرضوان للنشر والتوزيع - عمان، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م.
- \*مرويات المنفى دراسات في الرواية العراقية المعاصرة، صادق ناصر الصكر، سلسلة تصدر عن جريدة الصباح، ٢٠٠٨م.

- \*مسيحيو الحاضر محنة الحاضر وقلق الماضي، دهام محمد العزاوي، الدار العربية للعلم ناشرون، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.
- \*المضمرة الإشهارية في الرواية العراقية حقبة ما بعد الانفتاح، د. علي جواد عبادة، دار تموز ديموزي، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠م.
- \*معجم السيميائيات، فيصل الأحمر، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.
- \*المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية، د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ومكتبة المدرسة- بيروت، ١٩٨٢م.
- \*مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، طوني بينيت وآخرون، ترجمة: سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.
- \*مقاربات في تنظير نقد النقد الأدبي، د. عبد العظيم السلطاني، دار تموز ديموزي، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م.
- \*مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، ديفد ديتش، ترجمة: محمد يوسف نجم، دار صادر- بيروت، ١٩٦٧م.
- \*مناهج النقد المعاصر، د. صلاح فضل، ميريت للنشر والتوزيع والمعلومات، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
- \*المواطنة والهوية الوطنية، نخبة من الباحثين، دار العارف- بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
- \*موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية، ناظم عبد الواحد الجاسور، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
- \*موسوعة النظرية الثقافية المفاهيم والمصطلحات الأساسية، أندرو إيجار وبيتر سيدجويك، مراجعة: محمد الجوهري، ترجمة: هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة- القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠١٤م.



- \* ميشال فوكو المعرفة والسلطة، ترجمة: عبد العزيز العيادي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
- \* نجم عبد الله كاظم.. أكثر من حياة بقلم نخبة من نقاد وروائيين عراقيين وعرب، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ٢٠٢١م.
- \* نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة، د. نجم عبد الله كاظم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.
- \* النسوية وما بعد النسوية، سارة جامبل، ترجمة: أحمد الشامي، مراجعة: هدى الصدة، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
- \* النظرية النسوية مقتطفات مختارة، ويندي كيه. كولمار وفرانيسيس بارتكوفيسكي، ترجمة: عماد إبراهيم، مراجعة: عماد عمر، الأهلية للنشر والتوزيع- عمان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.
- \* نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، د. حسين خمري، الدار العربية للعلوم ناشرون- لبنان، ومنشورات الاختلاف- الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
- \* النظرية النقدية القراءة، المنهج، التشكيل الأجناسي، د. محمد صابر عبيد، الدار العربية للعلم ناشرون- بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.
- \* النظرية والنقد الثقافي الكتابة العربية في عالم متغير، واقعها، سياقاتها، وبنائها الشعورية، د. محمد جاسم الموسوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- لبنان، ٢٠٠٥م.
- \* النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، آرثر أيزابجر، ترجمة: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويبي، المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
- \* النقد الثقافي ريادة وتنظير وتطبيق العراق رائدا، حسين القاصد، التجليات للنشر والترجمة والتوزيع- القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.
- \* النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي العراق أنموذجاً، د. عبد الرحمن عبد الله، دار الشؤون الثقافية- بغداد، ٢٠١٣م.

\*النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية، عبد الله الغدّامي، المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٥م.

\*النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب، د. سمير الخليل، دار الجواهري - بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

\*النقد الثقافي والدراسات الثقافية، إشراف: عز الدين إسماعيل، المنار العربي - الجيزة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

\*نقد العقل الغربي "الحدّثة ما بعد الحدّثة"، مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي - بيروت، د. ط، ١٩٩٠م.

\*النقد الفني دراسة جمالية وفلسفية، جيروم ستولنيتز، ترجمة: فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨١م.

\*نقد النقد الثقافي رؤية في مساءلة المفاهيم والضبط المعرفي، د. عبد العظيم السلطاني، دار الرافدين - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٢١م.

\*نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، محمد الدغمومي، منشورات كلية الآداب بالرباط - المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

\*النقد والأيدولوجية، تيري ايجلتون، ترجمة: فخري صالح، المشروع القومي للترجمة - القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

\*الهوية الرمز التناس دراسة سوسيو ثقافية في الرواية العراقية فرانكشتاين في بغداد أنموذجاً، عمار عزّت، دار الشؤون الثقافية - بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٢١م.

\*الهوية المسيحية في الرواية العراقية دراسة تحليلية لروايات ما بعد عام ٢٠٠٣، عماد جاسم، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، الطبعة الثانية، ٢٠١٩م.

\*الهوية الملتبسة الشخصية العراقية وإشكالية الوعي بالذات، ثامر عباس، الزمان للطباعة والنشر والتوزيع - سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

\*الهوية في الرواية العراقية بعد سقوط بغداد 2003، حنان محمود جميل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، الطبعة الأولى، 2018م.

\*الهوية في سرديات جمعة اللامي دراسة في ضوء التحليل الثقافي، إحسان جابر شبيب البخاتي، دار غيداء للنشر والتوزيع - عمان، الطبعة الأولى، 2018م.

\*الهوية والإزهاؤ قراءة في إمكانات السرد الروائي العراقي، د. كريمة نوماس المدني، دار الفرات - العراق، الطبعة الأولى، 2018م.

\*الهوية والصراع، زهير فياض، دار أبعاد - بيروت، 2008م.

\*الهوية والعنف وهم المصير الحتمي، أمارتن صن، ترجمة: سحر توفيق، عالم المعرفة - الكويت، 2008م.

\*الهوية، اليكس ميكشيللي، ترجمة: د. علي وطفة، دار النشر الفرنسية - دمشق، الطبعة الأولى، 1993م.

\*يهود العراق تاريخهم، أحوالهم، هجرتهم، يعقوب يوسف كوريّة، الأهلية للنشر والتوزيع - عمان، الطبعة الأولى، 1998م.

### الرسائل الجامعية والأطاريح

\*البناء والتشكيل في الرحلة الحديثة (أطروحة دكتوراه)، نصير جابر الفتلاوي، جامعة القادسية، كلية الآداب، 2017م.

### البحوث والدوريات

\*الأسس الفلسفية والتاريخية للدراسات الثقافية، د. قاسم المحبشي، مجلة وثائق، العدد 3، 2021م.

\*البنية ذات الهيمنة التناقض والتنافر، لوي ألتوسير، تقديم: فريال جبوري غزول، مجلة فصول - القاهرة، المجلد الخامس، العدد 3، 1985م.

- \*خطاب نقد النقد عند الدكتور عبد العظيم السلطاني بحث في: المصطلح والأصول والمنهج، أ. د. فيصل غازي النعيمي، مجلة الأديب الثقافيّة، العدد ٤، السنة الثالثة ٢٠٢٢م.
- \*ما النقد الثقافي؟ لماذا؟ عبد النبي اصطيف، مجلة فصول، مجلد ٢٥، العدد ٩٩، ربيع ٢٠١٧م.
- \*النسوية والأنثى والأنوثة، توريل موي، ترجمة: كورنيليا الخالد، الآداب الأجنبية، العدد ٧٦، ١٩٩٣م.
- \*النظرية النسوية ودراسة التفاوت الاجتماعي، صالح سليمان عبد العظيم، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد ٤١، ملحق ١، ٢٠١٤م.
- \*نقد النقد أم الميثا نقد؟ محاولة في تأصيل المفهوم، د. باقر جاسم محمد، مجلة عالم الفكر، العدد ٣، مجلد ٣٧، ٢٠٠٩م.
- \*نقد النقد في المفهوم والمصطلح والمقاربة المنهجية، د. محمد مريني، مجلة البيان- الكويت، العدد ٤٥، ٢٠٠٨م.

**MINISTRY OF HIGHER EDUCATION AND  
SCIENTIFIC RESEARCH  
UNIVERSITY OF BABYLON  
COLLEGE OF EDUCATION FOR HUMAN SCIENCES  
DEPARTMENT**



**THE QUESTION OF AUTHORITY IN CULTURAL  
STUDIES IN IRAQI NOVELISTIC CRITICISM  
FROM 2003-2021 AD**

A Dissertation  
Submitted to the Council of the College of Education for  
Human Sciences, University of Babylon in Partial  
Fulfilment of the Requirements for the Degree of Doctorate  
of Philosophy in Arabic Language and Literature

**By  
Asma Mohammed Kadhim**

**Supervised by  
Prof. Dr. Abdul-Azim Raheef Al-Sultani**

**2023**

There are many questions behind the present study. The main ones are : Is there a deep methodological awareness in the Iraqi critical discourse, specific to cultural criticism and cultural studies? What is the nature of its conceptual tool, with which the fictional narrative approached with a cultural method?

These questions make a path for the present study, and give the answers to them which crystallizing through two chapters, each of them includes units. They are preceded by an introduction in which I presented the concept of cultural studies, cultural criticism, and criticism of criticism, which is the focus of our work. Then I concluded this study with results, in which I summarized the most important overall results that I reached after the long journey in the vastness of Iraqi monetary achievements, and a list of the study's sources and references.

Since the cultural contents are the focus of the critics' preoccupation, our effort began by monitoring them in the first chapter, so we divided it into four units: In the first chapter, firstly, we dealt with the question of feminism; to find out the level of cultural awareness with which the creator writes. Secondly, the cultural awareness of the critic as he works on the creativity of the novelist. After that, an important question related to the value of cultural critical studies circulating in cultural circles is answered.

As for the second chapter, we discussed the situation of marginalized minorities, in order to find out the extent of critical awareness among critics while they are examining this phenomenon in fictional discourses. In the third chapter, we monitored the relationship that links the Arab ego with the Western other, to know the nature of that relationship, and was it based on the principle of difference, or coalition? or both?

After talking about the most important contents that formed a phenomenon in the Iraqi novelist criticism and required us

to stop at it and answer its questions, it became necessary to stand on the levels of the formation of the critical vision and its directives. For this reason, we devoted the second chapter to studying (the critical cultural vision and the tools of the critical text). The chapter included three units, the first one focused on monitoring the mechanisms of monetary employment. As for the second one, we presented the directives of the critical vision that directed the critic to proceed in his study in a specific direction. The third chapter monitored the tools of drafting the critical text, it came in three axes: the first axis concerned with the language of the critical text, the second axis with terminology and the attraction of possibilities, and the third axis was concerned with the thresholds of writing and its artistic dimensions. Our study was based on examining printed critical samples presented by the Iraqi critic in the field of novel creativity for the time period extending from (2003-2021 AD).

There are a number of justifications that made us choose this period of time, including critical facility marked by cultural studies and cultural criticism. The thesis was based on examining that large number of studies. The other justification is critical and evaluative, aiming at analysing the problems that have spread in Iraqi authorship in this field. Not least is the lack of critical discourse following the criticism itself. The critic began to think that his propositions are the first and the last of thought. Based on this, the thesis aspired to some taming of this false emotion.

In the field of defining the critical text, our choice fell on cultural critical books, in which we found the researcher linking the fictional creative achievement with the cultural reality that contributed to the achievement of that creativity. Or through the researcher's explanation of the cultural manifestations and their transformations in the fictional discourses. Whenever we find questions of this kind in Iraqi

critical practices that are within the research period, they are the target of our study, regardless of the title of the book written by the researcher. The research question should be an intellectual and cultural question, seeking to reveal the cultural penetration in the depth of creative discourse, and not just an aesthetic and artistic question.